الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باتنة 01

كلية اللغة العربية والآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

# أسس النظرية الصوتية عند قدامى الصوتيين العرب

## – رؤية لسانية معاصرة –

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في لسانيات اللغة العربية

إعداد الطالب:

رضا بيرش

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بورنان

السنة الجامعية: 2018/2017م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باتنة 01

كلية اللغة العربية والآداب والفنون قسم اللغة العربية وآدابها

# أسس النظرية الصوتية عند قدامى الصوتيين العرب

## –رؤية لسانية معاصرة–

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في لسانيات اللغة العربية


إعداد الطالب:

رضا بيرش

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بورنان


| الاسم و اللقب | الصفة | الجامعة |
|---|---|---|
| أ.د دفة بلقاسم | رئيسا و مناقشا | جامعة باتنة1 |
| أ.د/ بورنان عبد الكريم | مشرفا و مقررا | جامعة باتنة1 |
| أ.د ملاوي صلاح الدين | عضوا مناقشا | جامعة مُحَّد خيضر–بسكرة |
| أ.د عز الدين صحراوي | عضوا مناقشا | جامعة باتنة1 |
| د. بوراس سليمان | عضوا مناقشا | جامعة مُحَّد بوضياف–لمسيلة |
| د. بحري نوارة | عضوا مناقشا | جامعة عباس لغرور–خنشلة |

السنة الجامعية: 2018/2017م

# مُـــــــقَـــــدَّمَـــــــــــــــة

## مُقَدَّمَة

ألف العرب الأوائل كتبهم وبنوا معارفهم وفق نظرية محكمة ومنهجية صارمة، مستمدة من طبيعة تفكيرهم وطريقة القرآن الكريم في عرضه للقضايا وكيفية استدلاله وحجاجه، واستدلوا على صحة معارفهم بالأدلة النقلية والعقلية، فاكتظت كتبهم بالمسائل والأمثلة والتعليلات والاستدلالات والاستشهادات؛ فجاء قوم من بعدهم اطلعوا على معارف الأمم الأخرى، وقارنوا بينهما فاكتشفوا أن أولهم على طريقة سليمة وسمت واضح؛ لذلك جاء علمهم مبني على دليل واضح وطول نظر وعقلية علمية نافذة، فاستخرجوا من أعمالهم الطريقة المضمرة فيها، وجردوا المشكلات المنهجية من سياقاتها، فظهر علم أصول النحو، ورتبت أدلته على ما أولاها الأولون من أهمية وهي: السماع والقياس والاستصحاب والعلة.

وكانت حاجة العلم دائما تقتضي وسيلة تحفظه وتنقله إلى الأجيال القادمة، فلم ينفك عن لغة تحويه وكتابة تنقله، فكان لا بد من جمع هذه اللغة وإصلاح نظام كتابتها بحسب الحاجة، فبادر إلى هذه المهمة طيلة قرن نفر غير يسير من فطاحل العلماء، حتى اكتملت الجهود بالخليل بن أحمد الفراهيدي، فأصلح نظام الكتابة، ووضع معجما يلبي الحاجات العلمية للمجتمع المتطلع للنهوض الحضاري ومنافسة الأمم التي كانت قد قطعت شوطا في المجال الحضاري.

فجاء معجم العين للخليل بن أحمد مصدرا مهما للمصطلحات العلمية لمختلف العلوم، بل وملهما أحيانا، مثال ذلك مفهوم: الجذر، والصفر، والجداء، والضرب، كلها كانت حاضرة في أعمال الخوارزمي الذي صرح أحيانا وألمح في أخرى في نقلها عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأصبح عمل الخوارزمي في علم الجبر، بفضل اختراع رمز للصفر، وحل مشكل الجذور التربيعية الصماء، فاصلا بين مرحلتين من العلم، العلم الرياضي القديم الذي كان مستعصيا ومحدود الاستعمال، والعلم الرياضي الحديث الذي استطاع أن يقتحم ويخدم كل

العلوم دون استثناء، وبفضل الصفر وعلم الخوارزميات، يستطيع إنسان اليوم أن يصنع الحواسيب الإلكترونية ويضع البرمجيات المتطورة، لمعالجة اللغة حاسوبيا، هذه اللغة التي كانت يوما ما سببا في ظهور هذا العلم، لقد كان العقل العربي عبقريا إذ حول مقولات وكلمات لغوية، إلى قضايا ومصطلحات علمية، حل بها مشاكل عصره ومهد لحل مشاكل أجيال في عصور تليه.

ولم يكن المعجم وحده الكفيل بكشف قوانين النظام اللغوي، فقد لاحظ النحاة أن المعجميين لم يبنوا نظامهم الصوتي على أساس قوانين الإدغام والإعلال؛ لأن المعجميين يريدون نظاما صوتيا يفسر أسباب تجاور أو تآلف وتنافر الحروف، التي على أساسها تكشف الكلمة الأصيلة من الدخيلة والمهملة من المستعملة، فعمد النحاة إلى وضع نظام صوتي أساسه قوانين تجاور الحروف في الكلمات المنطوق بها فعليا، تمثلت في قوانين الإدغام والإبدال.

- **سبب اختيار الموضوع:**

بعد دراسة بعض الكتب القديمة المؤسسة لعلم العربية، لاحظت أنها بنيت على منهجية صارمة ونظر عقلي عميق، يرقى لمستوى النظريات اللسانية الحديثة، لكن القدامى لا يظهرون هذه المنهجية ولم يوضحوا معالم نظريتهم –إلا فيما ندر وما جاء عفو الخاطر– ولاحظت أن كثيرا من العلماء المعاصرين –عرب ومستشرقين– تحدثوا عن النظرية اللغوية عند قدامى علماء العرب، وركزوا جهودهم على بيانها في المستوى الصرفي والنحوي والدلالي، وكان حظ الأصوات ضئيلا، لا يتعدى إشارات عابرة. ورغم أن هناك كثير من البحوث والدراسات التي اهتمت بعلم الأصوات عند العرب، إلا أنها كانت تهتم وتدقق في أحد مكونات النظرية الصوتية، كالمصطلحات، ووصف الأصوات وتصنيفها، وجهود أحد العلماء معزولا عن مجمل جهود غيره من العلماء...الخ، لكنها لا تربط هذه المكونات بكليات النظرية والمنهجية والأهداف التي وضعها القدامى لدراستهم الصوتية، كما أنها أغفلت شيئا

مهما، وهو الخلفية الثقافية والإبستمولوجية التي أدت إلى نشوء علم الأصوات وتطوره عند العرب؛ لذا حاولت هذه الدراسة أن تصوغ من أعمال القدامى وتحليلات المحدثين نظرية القدامى في النظام الصوتي، وكان ذلك إيمانا بعظيم قدر المعارف التي ورثناها عن حضارتنا العربية، وأهمية جهود علمائنا المعاصرين في إحيائها والتنقيب عنها، ودور كل ما سبق في إثراء المعارف وتذليل الصعوبات اللغوية التي يعاني منها المتلقي العربي.

- **أهمية الدراسة:**

جاءت هذه الدراسة، لتبين جهود القدامى في الدراسة الصوتية، في ضوء مناهجهم ومصطلحاتهم وثقافة عصرهم، ثم تبيين أهمية نتائج دراستهم بالنسبة إلى المعارف المعاصرة. حيث يظهر مدى التقدم الذي أحرزوه في ذلك الزمان، مقارنة بمنجزات الحضارة اليوم، حيث تتفوق النظرية الصوتية العربية في عدة جوانب على النظريات الغربية المعاصرة، وكان ممكنا تجاوز عدد من الصعاب، لو أخذت جهود القدامى بعين الاعتبار في ضوء كلية النظرية، لا من خلال تجزيء المعارف والمكونات.

فالنظرية الصوتية العربية تعتمد على مبدأ التوزيع دون اهمال المعنى، وتحتكم إلى وظيفة العناصر الصوتية دون استبعاد الأصل المفترض (البنية العميقة)، فالتغيرات الطارئة بسبب السياق (الإدغام، الإعلال، الإبدال الصرفي) نالت حظا وافرا من الدراسة.

ولهذا لوحظ أن الغربيين يدَّعون رجوعهم المباشر إلى تراث اليونان والهنود، وسواء أهملوا منجزات الحضارة العربية عن قصد أم عن حسن نية، عن علم أم عن جهالة وسوء تقدير، فرغم ذلك يمكن القول: إنهم أخفوا عن قصد اعتمادهم المباشر على منجزاتها، وهذا بسبب موقفهم العقدي المناقض تماما للموقف العقدي الذي وسم الحضارة العربية والمنطلق من القرآن الكريم الذي دعا إلى الإيمان بأنبياء الأمم الأخرى، وبالتالي حمَّل أجدادنا مسؤولية إنصاف الحضارات الأخرى، كما أن الأديان التي تدعوا للكفر بنبي الإسلام محمد -ﷺ-

وبالرسالات السماوية، هي التي حملتهم على طمس منجزات حضارات العرب والساميين، الذين حفلت بلادهم بالكتب السماوية والأنبياء والمرسلين.

إن المعركة الحضارية الآن هي معركة القول بالمرجعية الإلهية، وفي هذه الحالة ترجع أصول الحضارة إلى بلاد العرب والساميين، أو القول بالمرجعية الإلحادية، التي تتبنى نظرية تطور المعرفة بالعقل والتجربة معزولة عن المصدر الإلهي، وفي هذه الحالة ترجع أصول الحضارة إلى بلاد اليونان الوثنية.

- **الدراسات السابقة:**

لم أطلع على دراسة عالجت النظرية الصوتية بشكل مستقل ومتكامل، إلا أنه توجد دراسات كثيرة اهتمت بالدراسة الصوتية عند قدامى العرب، يمكن تصنيفها كالآتي:

أ-**دراسات تعالج النظرية اللغوية على عمومها:** حيث نظرت إلى الصوت على أنه معطى ثانوي، كما لم تتبن فكرة وجود نظرية صوتية مستقلة عن النظرية الصرفية, من هذه الدراسات:

1- **محمد عبد العزيز عبد الدايم في مؤلفيه:**

✓ المفاهيم النحوية بين الدرسين العربي التراثي والغربي المعاصر، د.ط، د.س، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة. وجاءت هذه الدراسة مقتصرة على الجانب التوزيعي في المستويين الصرفي والنحوي، مشيرة أحيانا إلى المستوى الصوتي من دون قصد.

✓ النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام-القاهرة 2006. وهذه الدراسة اهتمت بالأسس النظرية لقيام نظرية لغوية، وطبقها المؤلف على دراسة الصرف والنحو والمعجم والكتابة، لكنه عالج الفونولوجيا باقتضاب عند تطرقه للإبدال وهو أحد مظاهر الصرف عند القدامى.

2- **بوهاس جيوم كولوغلي:** التراث اللغوي العربي، تر: محمد حسن عبد العزيز وكمال شاهين، دار السلام-القاهرة، ط2012/2، ركز المؤلف على نظرية النحو وفرضياتها، إضافة إلى الصرف والبلاغة والعروض، وقد تعامل مع دراسة الصوت تعاملا هامشيا، وكأنه مكمل لدراسة علم الصرف.

**ب- دراسات عالجت جزئيات منفصلة وغير متكاملة من النظرية الصوتية: ويمكن تقسيمها إلى:**

- ✓ **دراسات اهتمت بالمصطلح الصوتي:** فمن هذه الدراسات الشاملة التي عالجت المصطلح الصوتي عبر مختلف التخصصات اللغوية وغير اللغوية منها دراسة الأستاذ **عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر:** المصلحات الصوتية في التُّرَاثِ اللُّغَوِيّ عِنْدَ العَرَب (دراسة تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري), رسالة دكتوراه أشرف عليها د/محمد العمري، نوقشت في سنة 2004م، وهي مخطوط بكلية اللغة العربية-جامعة أم القرى. لكن صاحبها عالج المصطلح معالجة تاريخية وتخصصية، ولم يربطه بالمنهجية العلمية والثقافة المنتجة له.
- ✓ **دراسات اهتمت ببعض مناهج الدراسة الصوتية، منها:**

1- **عادل نذير بيري الحساني:** التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث -قراءة في كتاب سيبويه-، مركز البحوث والدراسات الإسلامية-العراق، ط2009/1.

2- **أحمد قدور:** أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفجر-دمشق، ط2003/2.

3- **علي خليف حسن:** منهج الدرس الصوتي عند العرب، دار الكتب العلمية، ط2011/1.

✓ **دراسات عالجت مسائل تصنيف الأصوات،** يمكن القول إنه لا يمكن وضع كتاب في علم الأصوات دون التطرق إلى مسألة التصنيف، فلا يمكن فهم علم الأصوات في عمومه دون التطرق إلى مباحث المخارج والصفات، من هذه الدراسات:

1- **إبراهيم أنيس:** الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1975/5.

2- **كمال بشر:** علم الأصوات، عالم الكتب الحديث، ط2000/1.

3- **حسام البهنساوي:** الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، زهرا الشرق، ط2005/1.

4- **عبد الحميد قدوع الأصبعي:** الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية-ليبيا، ط2010/1.

5- **آرتور شاده (1883- 1952م):** علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، محاضرة برؤية استشراقية ومراجعة حديثة، تحقيق ودراسة: صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين- عدد 58، 2010,

والملاحظ على هذه الدراسات أنها جزَّأت المعرفة الصوتية عند العرب؛ أي أنها اهتمت بجزئية من النظرية الصوتية، تتمثل في تصنيف الأصوات، أو تصنيف المصطلحات، أو عرض لطرق دراسة الأصوات عند القدامى: كالتعليل، والوصف، أو عرض لتقنيات الدراسة كنظام التقليبات الخليلي...الخ، والنظرية الصوتية هي كل متكامل ومتفاعل من هذه العناصر وغيرها.

**ت- دراسات اهتمت بالجانب التاريخي:**

1- **علاء جبر محمد:** المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، ط2006/1. حيث اهتم -شيئا ما- بالجانب الإبستمولوجي لجهود

علماء العربية، لكنه لم يبحث في كيفية تنظيم الدراسة الصوتية والأسس التي قامت عليها.

2- **عادل إبراهيم أبو الشعر:** مقدمة في الدرس الصوتي عند العرب، دار الغوثاني–دمشق، ط2013/1، حيث ركز على جهود العلماء ورتبها تاريخيا، مع مقدمة إبستمولوجية حول نشأة الدراسات الصوتية وتأثرها بالعلوم العقلية والنقلية.

لذا جاء هذه الدراسة محاولة جمع أشتات النظرية الصوتية والتنسيق بين أجزائها، وربطها فيما بينها في مقولة عامة من حيث المسلمات والفرضيات والمعايير التطبيقية والمقولات العلمية والقوانين... التي استرشد القدامى بها في دراستهم الصوتية.

- **حدود الدراسة:**

تناولت هذه الدراسة بالتحليل منجزات العرب في مجال الصوتيات، من عصر الخليل بن أحمد إلى حدود سنة 250هـ وهي سنة بداية ازدهار الترجمة في العصر العباسي، على أساس أنها فترة الإبداع المستقل عن التأثر بمنجزات الأمم الأخرى، حيث تأسست فيها نظريتان مستقلتان علي يد رأسي مدرسة البصرة؛ الخليل وسيبويه، وهي المعول عليه في دراسات اللاحقين؛ لأن فهم هاتين النظريتين يعطي تصورا شاملا ويساعد على فهم الجهود اللغوية وغير لغوية في عصور تالية، كالطب والموسيقى والفلسفة؛ لأن الجهود اللغوية كانت الأساس والباعث الأول للحضارة العربية، من حيث التزود بالمصطلحات والمفاهيم العلمية، وقد تآزرت كل العلوم لخدمة اللغة والحضارة العربية.

- **أسئلة البحث وفرضياته:**

انطلق هذا البحث من فرضية مفادها: أن العلوم الصوتية العربية القديمة بنيت على تصور شامل ونظرية كاملة من حيث الفرضيات والمسلمات والمعايير.

وللتأكد من هذه الفرضية وضع الباحث مجموعة من الأسئلة:

- ما مدى الأصالة في أعمال القدامى الصوتية؟
- ما هي عناصر هذه النظرية من حيث الفروض والمسلمات والمعايير؟ وما مدى صلاحيتها لتفسير الظاهر اللغوية واستيعابها؟
- ما هي الخلفية الإبستيمولوجية والثقافية لهذه النظرية؟ هل هي عناصر أصيلة (قرآن، تراث العرب العلمي والأدبي لمرحلة ما قبل الإسلام)، أم هي عناصر دخيلة انتقلت عن طريق الترجمة؟
- ما مدى الإبداع الذي قدمته هذه النظرية، من حيث المصطلح ومناهج التصنيف وطرق التحليل؟
- هل توجد نظرية واحدة أو أكثر، عالج القدامى بها الظواهر اللغوية؟
- ما مدى تأثر هذه النظريات ببعضها؟
- **منهج البحث:**

اتبع البحث منهجا تكامليا، حيث عالج القضايا بالمنهج الوصفي، لتقرير القضايا، وتحليلها، ومقارنتها، ونقد بعض الآراء، وذلك لتبنيها أو الحكم عليها بمجانبة الصواب، وذلك بعد سرد الأدلة المعول عليها، وفي حال تخطئتها يبحث عن رأي بديل، أو يقترح ما يراه صوابا، ثم يقارن البحث أحيانا بين جهود القدامى والمحدثين، لإظهار القيمة العلمية التي يمكن أن تحض بها النظرية الصوتية العربية اليوم.

- **هيكل الدراسة:**

اشتمل البحث على مقدمة ومدخل جاء موسوما: "**النظرية التسلسلية؛ فرضياتها، مسلماتها، معاييرها، أدواتها التطبيقية**" محاولا فيه إظهار القيمة العلمية للنظرية الصوتية عند قدامى الصوتيين العرب، وأصالة التفكير العلمي المرتبط أساسا برسالة القرآن الكريم

فهما وتلقيا، وبمنهج الشك (التفكير الناقد)، التي انطلق منها البحث عند العرب في المرحلة الجنينية من التأليف.

كما ضم البحث ثلاثة فصول، يغلب عليها الجانب التطبيقي؛ **فالفصل الأول** منها جاء موسوما: "**الصوتيات التشريحية عند قدامى الصوتيين العرب،**" وفيه تظهر صرامة القدامى في تطبيق معاييرهم، ومدى وعيهم بأولوية النظام اللغوي على المعطيات الخارجة عن النظام (معطيات التشريح والفيزياء فيما تعلق بتحديد المخارج ووصف الأصوات)، حيث طوعوا المعطيات الخارجية لمعطيات النظام اللغوي في تصنيف الأصوات وبناء نظام اللغة. كما عرج على المصطلحات الصوتية ذات الطابع التشريحي عند اللغويين والأطباء والحكماء، وشرحها وقارنها بمعطيات الدرس الحديث.

في حين جاء **الفصل الثاني** معنونا: "**الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف في مدرسة الخليل**" حيث تناول معايير المناوبة والإلغاء وأثرهما في تصنيف الأصوات، وأثر المعيار الضابط (التنافر والائتلاف بين الحروف) في بناء النظام الصوتي، وختم الفصل بخاتمة تضمنت هيكل نظرية الخليل وأهم نتائج الفصل.

أما **الفصل الثالث الموسوم:** " الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف في مدرسة سيبويه " فتظهر فيه نظرية سيبويه والنحاة من بعده متأثرة بنظرية الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث اعتمدت هذه المدرسة فكرة تطويع المعطيات الصوتية (المخارج والصفات) لتعليل العلاقات الإدغامية وبناء النظام الصوتي، واعتمدت على مستويين من الوصف: **الأول:** وصف فسيولوجي بحت يذكر كل صفات الحرف دون إعمال **لمعيار الإلغاء. الثاني:** وظيفي له علاقة بالبنية الصرفية يُعْمِل **معيار الإلغاء الخليلي،** ويعمل على مناسبة الوصف المخرجي والصفاتي مع معطيات النظام اللغوي؛ لتحديد العلاقات الإدغامية وتجاوز مشكلاتها الناشئة عن بعض الصفات، فاللجوء إلى معيار الإلغاء غرضه الحدّ من تعميم

الصفة على حروف أخرى، وقد تبنت مدرسة سيبويه المعيار الضابط: "العلاقات الإدغامية"، لبناء النظام الصوتي.

وقد ختم البحث **بخاتمة** حاول فيها الباحث رصد ما أمكن من النتائج المتوصل إليها.

- **الصعوبات:**

اعترضت الباحث بعض الصعوبات التي تمثلت فيما يلي:

1- تشتت الآراء والنصوص الصوتية، في كتب التراث، من حيث التخصص؛ ككتب النحو والمعاجم والعروض والطب والموسيقى والفلسفة وعلم الكلام وغيرها.

2- توزيع النصوص الصوتية وتداخلها مع كافة الأبواب الصرفية والنحوية.

3- ندرة النصوص الصوتية التي عالجت الحركات القصيرة.

4- صعوبة اللغة العلمية لدى القدامى، بسبب الاختصار الشديد، وغموض بعض المصطلحات وتداخلها مع مصطلحات أخرى.

5- غموض المنهجية، التي اتبعها القدامى في تأليفهم ومعالجتهم للقضايا.

6- إضمار الفرضيات والمسلمات والمعايير والأدوات التطبيقية ومناهج التحليل، التي انطلقوا منها لتأسيس نظريتهم اللغوية.

7- عدم فهم بعض المستشرقين لبعض النصوص القديمة، حيث اعتمد الدرس الصوتي المعاصر على كثير من نتاج دراساتهم، وهذا أدى إلى مزالق في إصدار بعض الأحكام، وإسقاط نتائج الدرس الحديث على الدرس القديم، وجعل المصطلح الصوتي الحديث مقابلا للقديم دون مبرر، وهذا كله بسبب إهمال الخصوصية الإبستمولوجية للدرس الصوتي القديم.

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم في إثراء هذا البحث وإخراجه إلى النور، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور عبد الكريم بورنان، لما أولاه من عناية وتدقيق وتصحيح لهذا البحث.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من السيد خير الدين ضيف الله أخصائي علم الحيوان وبيولوجيا الحفظ، الذي أسهم في ترجمة المصطلح الصوتي العربي القديم إلى اللغة الفرنسية، والسيد زروال منير، أخصائي الطب العقلي، الذي تفضل بمراجعة المدخل وتدقيقه، كما أسهم في تدقيق ترجمة بعض المصطلحات.

والشكر موفور لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة باتنة، الذي احتضن البحث والباحث وعلى ما أولاه من مساعدات.

# مدخل

# النظرية التسلسلية

# فرضياتها، مسلماتها، معاييرها،

# أدواتها التطبيقية

## مدخل

## النظرية التسلسلية

## فرضياتها، مسلماتها، معاييرها، أدواتها التطبيقية

**- مقدمة:**

فطن علماء العرب إلى أهمية البحث الصوتي منذ مراحل الدرس اللغوي الأولى، وسبقت المباحث الصوتية بقية مستويات الدرس اللغوي؛ لتعلقه بدليل السماع، وغلبة منهج الرواية على المعارف العربية منذ أيام جاهليتهم، ولشدة تعلقه بقراءات القرآن الكريم المتواترة، ولحرصهم على ضبطها وإتقانها، لم يجدوا بدا عن وضع قواعد صوتية تضبط النطق والسماع.

فبدأ علماء العرب بوضع الملاحظات الصوتية، بدءً بأبي الأسود الدؤلي (ت68هـ) في أواخر خلافة على –رضي الله عنه– (حوالي سنة 60هـ)، وكان أول ما لاحضوا انتشار اللحن في نطق أواخر الكلم العربي، فوضعوا معيارا لنظق الحركات القصيرة –أساس المشكلة– ونظاما لكتابتها، معتمدين في تسميتها على شكل الشفتين عند نطقها؛ الفتحة والكسرة والضمة.

وبعد مئة عام تقريبا من الجهود المتتالية، قام الخليل بن أحمد (ت175هـ) وتلميذه سيبويه (ت185هـ) بوضع نظامين صوتيين كاملين للغة العربية؛ من حيث الوصف الشكلي وتحديد العلاقات بين العناصر الصوتية.

فنظام الخليل أساسه علاقات التنافر والإئتلاف بين الأصوات في بهدف تحديد الأصيل من الدخيل من الكلم في معجم العربية، ونظام سيبويه أساسه العلاقات الإدغامية بين الحروف في بهدف تحديد قوانين البنية الصرفية للكلمات.

لكن هل كان قدامى علماء العربية –في زمان بداية التأليف– يؤلفون كتبهم وينظّمون معارفهم، وفق تصور عام ومنهجية صارمة، تخضع من خلالها أعمالهم لجملة من القوانين والمعايير ...الخ، كما كان معروفا عند الأمم الأخرى، أي وفق نظرية علمية؟

والملاحظ أن دراساتهم لم تبلغ الإحكام المنهجي الذي ميز أعمال علماء اليونان لتفوقهم في الدراسات النظرية (الفلسفة والمنطق)، من حيث وضع التعاريف وترتيب الأبواب والمسائل وفق قواعد المنطق، ويرجع ذلك إلى عدة قضايا وإشكالات، سيذكرها البحث لاحقا.

- مفاهيم أولية:

أ- النظرية:

النظرية هي: مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات المترابطة، التي تقدم نظرة نظامية إلى الظواهر، يتم فيها تحديد المتغيرات، بهدف وصف الظواهر وشرحها والتنبؤ بها،[1] أو هي مجموعة من القوانين، مهمتها فهم مجموعة معينة من الظواهر، ثم بيان العلاقة

1 إبراهيم بسيوني عميرة: المنهج وعناصره، دار المعارف–الإسكندرية، ط1991/2، ص: 47.

بينها وتقديم تفسير مناسب لها،[1] ويرى بعض الباحثين أن المعيار الحقيقي للحكم على صدق النظرية يتمثل في قدرتها على التنبؤ.[2]

من خلال التعريفات السابقة يتبين؛ أن النظرية ذات بعد إمبيريقي (تجريبي)، يستند إلى الواقع ومعطياته، قابل للاختبار، كما أنها تنبؤية تساعد على تفهم مستقبل الظواهر وإن كان من خلال التعميم.

إذن فعناصر النظرية كالتالي:

1- مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا.
2- تحديدها للعلاقات بين المتغيرات.
3- تهدف إلى تفسير العلاقات والتنبؤ بها.

فهل كانت هذه العناصر حاضرة في أعمال علماء العرب، حتى نتمكن من إطلاق مصطلح "نظرية" عليها؟

وللإجابة عن هذا السؤال يقتضي الأمر تتبع عناصر النظرية في المؤلفات اللغوية، وفق العناصر التالية:

---

1 عادل عوض: منطق النظرية العلمية المعاصرة وعلاقتها بالواقع التجريبي، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ط، 2000، ص: 56.

2 إبراهيم بسيوني عميرة: المنهج وعناصره، ص: 48.

1- **مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا:** هناك كثير من المفاهيم في كتب القدامى، مثل مفاهيم: الذلاقة، الإصمات، الحروف المجهورة، والقضايا: كالإدغام، والإمالة... وغيرها، وهناك تعريفات موجزة لبعض هذه المفاهيم في كتب المؤسسين كالخليل وسيبويه، فالمفاهيم النظرية تسبق التعريفات، ويلحظ أن هذه المفاهيم أصبحت مضبوطة بالتعاريف بشكل دقيق في كتب المتأخرين كابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب"، وفي كتب علم التجويد، التي لم تترك مصطلحا صوتيا ورد في "كتاب العين" و"الكتاب" لسيبويه؛ إلا وعرفته وشرحته وضربت له الأمثلة، ومن أهم هذه الكتب وأقدمها كتاب الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) وكتاب التحديد لأبي عمرو الداني(ت 444 هـ).

2- **تحديد المفاهيم للعلاقات بين المتغيرات:** تضبط المفاهيم الصوتية عند الخليل بن أحمد (ت175هـ) علاقات التنافر والائتلاف بين حروف الكلمة، وعند سيبويه مفاهيم أخرى ككثرة الاستعمال، وأمن اللبس، الذي صاغ بهما قانون الأصالة، وقانون الخفة، وقانون أمن اللبس.

3- **تهدف إلى تفسير العلاقات والتنبؤ بها:** إن القوانين التي استنبطها هذا البحث من أعمال القدامى أو أشاروا إليها صراحة، تجعل المرء قادرا على تفسير الظواهر تفسيرا علميا ويستطيع أن يتنبأ بحدوث الظواهر اللغوية، مثال ذلك **قانون الذلاقة** عند الخليل بن أحمد، الذي يجعل الباحث يفسر ويتنبأ بأن كلمة: "دعشوقة" ليست عربية؛ لأنها مكونة من: د، ع، ش، ق، فهي رباعية معراة من حروف الذلاقة، وعند سيبويه **قانون الحرف**

**الأقوى**، الذي يفسر عدم إدغام الشين الساكنة في أي حرف؛ لأنها متفشية، والتفشي من أقوى الصفات التي لا تذهب بالإدغام. إضافة إلى أن مبحث العلة عند القدامى؛ الذي مس كل مستويات اللغة، لا يدع شكا بأن نظرية القدامى تهتم كثيرا بتفسير الظواهر وتلمس الأسباب المؤدية لها.[1]

لقد استفاد علماء العرب من القدرة التنبؤية التي ميزت النظرية اللغوية العربية، وجعلوها معيارا ناقدا صححوا به المعرفة المنقولة إليهم، مثال ذلك، تصحيح أبي عمرو الداني (ت444هـ)، لما توهمه ابن جريرٍ الطبريّ المفسّر (ت310هـ) في النَّقْلِ عن شيخِه يونسَ بن عبد الأعلى (ت264 هـ)، في تعبيرَه عن قراءة ورش في الكلمة القرآنية: "فَتَخْطَفُه"، من قوله تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الحج31، حيث توهم أن مصطلح "التثقيل " الذي يعني تحريك الحرف بأحد الحركات الثلاث،[2] بأنه يعني التشديد. قال أبو عمرو الداني: (...كذا قال إسماعيل... قال: نا محمد بن جرير، قال: نا يونس عن ورش: "فتخطفه" مثقلة الطاء مسكنة الخاء مدغمة الطاء؛ يعني الجمع بين الساكنين، وهذه الترجمة

---

1 العلة ما يؤثر في غيره، ويقابلها المعلول وهو ما يحدث عن علة ، وقد آثر الفلاسفة المسلمون مصطلح "علة" واستعمل الغزالي والمتكلمون مصطلح "سبب"، والمعلول، انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني–بيروت 1986، 96/2.

2 التثقيل ويقابله التخفيف وحذف التثقيل، استعمل هذه المصطلحات الخليل بن أحمد كثيرا في كتاب العين، بمعنى التحريك والإسكان على التوالي. مثاله قوله: (وللعَرَب في إنّ لغتان: التّخفيف والتّثقيل)، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1/2003، 38/1–39.

خطأ؛ لأن هذه الكلمة ليست فيها تاء مدغمة أصلا؛ لأن الفعل في وزن تفعل مثل تكلم، والأصل تتخطف وتتكلم بتاءين، فحذفت إحداهما تخفيفا، وإنما تكون التاء المدغمة في هذا الفعل، إذا كان على وزن تفتعل، فيكون الأصل فتختطفه، فيدغم التاء في الطاء وتكون الطاء مكسورة، لا بدّ من ذلك دلالة قاطعة على أن الفعل ليس في زنة تفتعل، وأنه في زنة تفعّل، فلا يجوز ما حكاه ابن جرير عن يونس عن ورش بوجه. والغلط في ذلك عندي عن ابن جرير، لا من يونس؛ لأن فارس بن أحمد، قال...نا يونس عن ورش عن نافع فتخطفه مثقلة، وعن ابن كيسة عن سليم عن حمزة مخففة، لم يزد على قوله مخففة ومثقلة شيئا يدلّ على موافقة الجماعة من أصحاب نافع، وأن الزيادة من ابن جرير وهو خطأ)[1]

والخلاصةُ أنَّ ورشاً يقرأ كلمة: "فَتَخْطَفُه" بسكون الخاء وتحريكِ الطاء لا غير، لأنَّ لفظَ: (مثقَّلة الطاء) معناه أن الطاء متحرِّكة، وهذا هو أحدُ معاني التثقيل، وإنَّ زيادةَ ابنِ جرير الطبريّ للفظ: (مدغمة الطاء) أوهمتْ تشديدَ الطاء، وأضاعتْ فرصة فهمِ لفظ: (مثقَّلة الطاء) فضلاً عن إضاعةِ كيفيَّة قراءةِ ورشٍ لهذه الكلمة.[2]

---

1 الداني: جامع البيان في القراءات السبع، تح: خالد بن علي بن غمدان الغامدي، منشورات جامعة الشارقة–الإمارات (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى تحت إشراف محمد ولد سيدي ولد عبيد1995) الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، 1380/3.

2 عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر: المصلحات الصوتية في التُّرَاثِ اللُّغَويّ عِنْدَ العَرَب، (دراسة تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري), رسالة دكتوراه أشرف عليها د/محمد العمري، نوقشت في 2004م، مخطوط بكلية اللغة العربية– جامعة أم القرى، ص: 37–38.

إذن النظرية التسلسلية التي سيناقشها البحث مكتملة العناصر الشكلية والمنهجية، وهي تمثل رؤية القدامى للغة والكون، إن تعامل القدامى مع اللغة لا يختلف كثيرا عن تعامل المحدثين، من حيث المسلمات وتطبيق المناهج الوصفية، بل تفوق القدامى من خلال إعطاء الأولوية للنظام على حساب المعطيات الخارجة عنه من خلال تطويعهم للمعطيات التشريحية لتلاءم معطيات النظام اللغوي.

### ب- النظرية التسلسلية: la théorie Séquentielles

سبب هذه التسمية التي أطلقها البحث على طريقة دراسة اللغة عند القدامى، هو أحد المسلمات التي اعتمدها القدامى في نظريتهم؛ حيث سلموا بالترابط بين مستويات التحليل اللغوي، وجعلوا مستوى التحليل الصوتي، سواء عند الخليل بن أحمد أم عند سيبويه، مرتبطا بمستوى الصرف ثم النحو وكذلك الدلالة، وهذه الأخيرة جُعلت أقوى قانون لا يمكن تحييده أو إبطال عمله في اللغة، سمي **بقانون أمن اللبس**،[1] إضافة إلى أن تحليلهم التوزيعي كان يتم داخل السلسلة الكلامية، فيما عرف بالوقف والابتداء، ونظرا لأن هذه النظرية لم تستعمل التوزيع وحده بمفهومه الحديث عند المدرسة التوزيعية، بل استعملت مفاهيم تعد الآن من صميم المدرسة التوليدية التحويلية،[2] والمدرسة الوظيفية،[3] لهذا لم أطلق عليها النظرية

---

1 سيأتي بيانه وشرحه في الفصل الثالث.

2 كالإعلال بالحذف والقلب..الخ.

3 كالإبدال بين الهمزة والهاء في: أزّ وهزّ، الذي يؤدي إلى تغيير المعنى، وكتحقيق الهمز أو تليينه الذي لا يؤدي إلى تغيير المعنى.

التوزيعية، تمييزا بينها وبين هذه المدرسة الحديثة. وفيما يلي شرح لفرضيات ومسلمات النظرية ومبادئها ومعاييرها الضابطة:

**-أولا فرضيات النظرية التسلسلية:**

الفرض هو المسلمة الكلية التي ينطلق منها اللغوي في دراسته للغة، ويتصل الفرض بالتصور العام عن اللغة، الذي يدفع إلى الدرس اللغوي، كتصور اللغة ذات نظام محكم،[1] وأن دراستها تخدم النظرة العامة للكون أو العقيدة.

وعليه لا يمكن بحال من الأحوال فصل الفرضية عن محيطها الطبيعي الذي ظهرت فيه، فمن ناحية كان للعرب موروث شفوي يعبر عن ثقافتهم ونظرتهم للكون، ولم يكن وثنيا كله فقد كان في العرب بقية من دين إبراهيم -عليه وعلى آله السلام- ومن ناحية أخرى الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم في الحياة العقلية والأخلاقية للعرب.

فالذي يمكن ملاحظته على حضارة بلاد العرب، أنها إلهية المنبع والدافع، فكل أحداث الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم، كانت لا تخرج عن هذه البلاد التي تشمل: العراق، الشام، مصر، الجزيرة العربية.[2] إضافة إلى أن الكتب السماوية: صحف إبراهيم، صحف موسى، التوراة، الزابور، الإنجيل، كانت قد أنزلت في بلاد العرب.

---

1 انظر: محمد عبد العزيز عبد الدايم: المفاهيم النحوية بين الدرسين العربي التراثي والغربي المعاصر، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، د.ط، د.س، ص: 3.

2 انظر: عرفان شهيد: روما والعرب، تر: قاسم محمد سويدان، دار كيوان-دمشق، ط1/2008، ص: 11.

وما من شك، أن هذا الموروث الديني، هو الذي كان فاتحة الحضارة الأولى في أرض بابل.

ولعل علماء العرب القدامى انطلقوا من فرضيتين عامتين، حاولوا تجسيدهما والتدليل على صحتهما في أعمالهم ومؤلفاتهم، وإن لم يصرحوا بذلك:

أ- **الفرضية الأولى اللغة نظام محكم البناء:** وهي فرضية نابعة من الإيمان بأن الله الحكيم خلق كل شيء وفق نظام محكم، كما أن ملاحظات القدامى لها تبدي لهم أن ظواهرها تسير وفق قوانين صارمة، كرفع الفاعل، وإدغام الصوت الأضعف في الأقوى...الخ، وهذه الفرضية دلّلوا على صحتها بصياغة القواعد والقوانين التي تنظم عناصر اللغة في مستوياتها الأربعة. حيث تحولت هذه الفرضية إلى مسلمة؛ لأنها أصبحت ثابتة ولا تحتاج للتدليل عليها.

ب- **الفرضية الثانية تلقي الحروف المقطعة:** رأى القدامى أن القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب وسنن كلامها، افتتح بعض السور بحروف هجائية (الحروف المقطعة)، ومن ثم فهموا أن المقصود أو أن حكمة الله من هذا الأمر، تقتضي دراسة لغة القرآن، ووضع علم لدراسة حروفها الهجائية عرف بعلم الأصوات، الذي جعلوه أساسا للدراسة اللغوية، لهذا كان العرب حريصين على العلم وفهم خفاياه، انطلاقا من القرآن الكريم، إضافة إلى أن طلبهم للعلم عبادة؛ لأنهم يلتزمون الأمر الإلهي الضمني الذي فهموه وأحسوه من تدبرهم للقرآن الكريم.

**-ثانيا مسلمات النظرية التسلسلية:**

يقصد البحث بالمسلمات: المنطلقات التي انطلق منها علماء العرب لبناء معارفهم، وهي قضايا بسيطة يسلم المرء بصحتها من الوهلة الأولى، لأنها نابعة من حياتهم وملاحظتهم المتكررة عن ظواهر الكون، أو أنها جاءت في القرآن الكريم، من نحو:

- اللغة ظاهرة صوتية.
- اللغة بناء محكم عجيب، فالعربي كان يؤمن أن الله خلق كل شيء وأحسن خلقه.

هذه المسلمات التي سأذكرها ملحوظة في دراسات القدامى، غير مصرح بها غالبا، فمن خلال تتبع منهج دراستهم تبين أن نظريتهم تقوم على المسلمات التالية:

**أ- اللغة ظاهرة صوتية مسموعة، لا شكلا مكتوبا:**

نظر القدامى للغة على أنها ظاهرة صوتية، ولم يول القدامى الكتابة الأهمية نفسها التي منحت للسماع، رغم وصول القرآن الكريم إليهم مكتوبا ومتواترا سماعا؛ لأن أساس النقل هو المشافهة لا الكتابة؛ ولأنهم نظروا إليها على أنها وسيلة تسجيل تعينهم على الحفظ والمذاكرة، هذا ما يؤكده رحيلهم إلى البادية للسماع من الأعراب الفصحاء، والذي يعزز هذه المسلمة أمران:

- ✓ **إصلاح نظام الكتابة:**

لاحظ القدامى منذ أبي الأسود الدؤلي(ت68هـ)، قصور نظام الكتابة عن تدوين كل ظواهر اللغة المنطوقة، كما أدركوا أن الكتابة وسيلة جيدة لتعليم النطق الصحيح، فوضع أبو

الأسود نقاطا تشير إلى حركات الإعراب وإلى الغنة (التنوين). ثم جاء نصر بن عاصم الليثي (ت89هـ) ووضع النقط لتمييز الحروف المتشابهة في الخط، ثم جاء الخليل بن أحمد (ت175هـ) ففرق بين الألف المدية والألف الهمزة في الكتابة، عندما جعل على الألف الهمزة عينا صغيرة، ووضع علامة للشدة وللروم والإشمام.[1] فالعرب إذن أصلحوا نظام الكتابة لأنهم أدركوا أن اللغة المنطوقة سابقة عن اللغة المكتوبة وأن هذه الأخيرة قاصرة عن تأدية بعض الوظائف اللغوية التي تؤديها اللغة المنطوقة.

- ✓ **نصوص من التراث:**

كشفت نصوص قديمة أن علماء العرب القدامى تعاملوا مع اللغة المنطوقة ، أما الجانب المكتوب فتعاملوا معه عرضا وبصفة استثنائية، فالخليل وسيبويه لم ينظرا للأصوات عند تحليلهما إلى الجانب المكتوب أبدا، فالخليل تعامل مع الأصوات التي لا تكتب على أنها موجودة، منها حرف الهمزة حيث لم يكن له رمز كتابي، فكلمة "براءة" مثلا كانت تكتب هكذا: "براة"[2] وكانت تسمى ألفا، فلماذا إذن لم يخلط بين الألف المدية والألف الهمزة؟ ولماذا

---

1 االداني: كتاب النقط في شكل المصاحف وكيفية ضبطها، تح: فرغلي سيد عبباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط/2008، ص: 138-140. والذي يمكن ملاحظته، أن كل العلماء الذين ساهموا في نقط المصحف وإصلاح نظام الكتابة، وهم: أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) و نصر بن عاصم الليثي (ت89هـ) و يحيى بن يعمر العدواني (ت129هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) كانوا عمداء المدرسة البصرية، وبذلك تعد مدرسة البصرة واضعة لعلم العربية.

2 انظر: تعليق محقق كتاب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي، المكتبة التوفيقية، د.ط، د.س. ص: 29.

عدها في التحليل وهي محذوفة في الخط؟ والجواب؛ لأنه كان يعتمد الجانب المنطوق لا المكتوب، الذي يعد قاصرا عن تمثيل المنطوق بدقة فقام بإصلاحه، وربما هو من فرق بين الألف والهمزة في التسمية.

وقد صرح سيبويه (ت185هـ) بأسبقية النطق على التدوين بقوله: (وذلك أن واضع الخط أجراه في هذا على اللفظ، لأنه أصل للخط والخط فرع على اللفظ)[1]

وعرف ابن جني (ت392هـ) اللغة بقوله: (أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[2]

فهذا النص يؤكد على الجانب الصوتي للغة، وبالتالي لم يقل ابن جني حروف لأن الحرف هو الفونام أو الصوت الذي تستعمله في اللغة التي تفهمها، والمرء يستحيل عليه فهم كل اللغات، فقال أصوات لأنها كذلك بالنسبة لمن لا يفهما، فهذا تعريف يشمل كل اللغات، ولا يقتصر على اللغة العربية لوحدها.

ومما يؤكد عجز الكتابة أمام النطق؛ فبعضُ العبارات والمصطلحات الصوتية مهما بلغَت من الدِّقة، لا تستطيع أن تُعبِّر عن **صفة النطق**، ما لم يكن هناك كيفيةٌ أدائية تساعِد على ذلك، قال الدانيّ: (إن حمزة كان يشمّ الصاد الساكنة والمتحرّكة في "الصّراط" و"صراط"

---

1- سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط2/1988، مكتبة الخانجي-القاهرة، 43/1-44.

2 ابن جني: الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوقيفية، دط، دس، 44/1.

فيلفظ بها بين الصاد والزاي، ولا يضبطها الكتّاب)[1] وهذا الأمر لم يغفل عنه الموسيقيون، قال ابن الطحَّان الموسيقي (ت450هـ): (قد يتعذَّرُ وصفُ الشيء بالأخبارِ فضلاً عن السَّماع)[2]

**ب- اللغة نظام:**

نظر القدامى إلى اللغة على أنها نظام، تخضع عناصره إلى مجموعة من القواعد، كالمستوى الصوتي الذي تحكمه قوانين الإدغام والإعلال، وقانون الخفة (بذل الجهد الأدنى)، وقانون التقارب المخرجي وغير ذلك.

فالخليل بن أحمد من الأوائل الذين أدركوا أن اللغة تسير وفق نظام دقيق، وأنها تتكون من مستويات عدة، لهذا روي أنه شبهها بالبناية أو الدار المحكمة البناء،[3] وأدرك أنه على اللغوي الوصف وذكر الحقائق واستنباط القوانين، روى الزجاجي (ت337هـ) أن الخليل حين سئل عن تعليلاته اللغوية أجاب: (فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل **دارا محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام**؛ وقد صحت عنده حكمة بانيها، **بالخبر الصادق أو بالبراهين**

---

1 الداني: الدانيُّ: جامع البيان في القراءات السبع، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، 411/1.

2 ابنُ الطحان الموسيقيّ أبو الحسن محمد بن الحسيني (ت450هـ): حاوي الفنون وسلوة المحزون، تح: زكريا يوسف، وزارة الثقافة والأعلام–الجمهورية العراقية 1971م، ص: 89.

3 انظر: أبى القاسم الزجاجي (ت338هـ): الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس–بيروت، ط1979/3، ص: 65–66.

**الواضحة والحجج اللائحة**، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا؛ سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك. فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها)[1] فمن هذا النص نلمس أن عقلية الخليل العلمية تميل إلى التجريب والملموس.

وقال ابن جني: (وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة؛ وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة، ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر)[2]

فهو يرى أن في اللغة حكمة، ولا تتأتى الحكمة من فوضى بل من انتظام واتساق، فالله الحكيم لا يضع شيئا إلا وفيه نظام يشير إلى حسن تدبيره.

**ت- تحليل اللغة يخضع لمستويات متداخلة متكاملة أساسها دراسة الصوت:**

ويتجلى ذلك من خلال الصلة الموجودة بين مستويات اللغة الأربعة، وبالتالي يعدّ الخليل أول من تنبه إلى ذلك، من خلال ما وصل إلينا مدونا، وجعل البحث الصوتي هو

---

1 أبي القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص: 65-66.

2 ابن جني: الخصائص، دس، 56/1.

المستوى الأول في الدرس اللغوي والمنطلق الأساس للدراسات الصرفية والنحوية، وقد ظهر ذلك جليا في ربطه بين الصوت والصرف، حين أشار إلى أن الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف قال: (الاسم لا يكون أقلَّ من ثلاثةِ أحرف؛ حرف يُبْتَدَأُ به، وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يُوْقَفَ عليه، فهذه ثلاثة أحرف مثل سَعْد وعُمَر ونحوهما من الأسماء، بُدِيءَ بالعين وحُشِيَتْ الكلمة بالميم ووُقِفَ على الراء... فإن صَيَّرْت الثنائيّ مثل قَدْ وهَلْ ولَوْ اسما أدخَلْتَ عليه التَّشديد فقلت: هذه لوٌّ مكتوبةٌ، وهذه قدٌّ حَسَنَةُ الكِتْبة، زِدْتَ واوا على واو، ودالاً على دال، ثم أَدْغَمْتَ وشَدَّدْتَ؛ فالتَّشديدُ علامةُ الإدغام والحَرْفُ الثالثُ، كَقَوْل أبي زُبيد الطائيّ:

ليتَ شعري وأينَ مِنِّي لَيْتُ  إنَّ لَيتاً وإنَّ لَوّا عَنَـــاءُ

فَشَدَّدَ "لَوّاً" حين جعله اسماً)[1]

وقد عزز ابن جني هذا الرابط بين الصوت والصرف والنحو، حين أفرد مؤلفا في علم الأصوات سماه بـ"**سر صناعة الإعراب**" وهذه التسمية تؤكد العلاقة الوطيدة التي تجمع مستويات التحليل اللغوي بعضها ببعض.

**ث- اللغة أنواع زمنية منها: اللغة القديمة، واللغة الحديثة.**

طبق علماء العربية القدامى المنهج التاريخي والوصفي والمقارن والتقابلي في دراساتهم اللغوية، وإليك التفصيل

---

1 انظر: الخليل: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1/2003، 1/35-36.

### أ- المنهج التاريخي:

أدرك الخليل بن أحمد أن كثيرا من الكلمات العربية ترجع إلى أصول ثلاثية وأن بعضها يرجع إلى أصول ثنائية، وقد تنبه سيبويه إلى وجود نوعين من اللغة العربية، هي **اللغة العربية القديمة واللغة العربية الحديثة**، قال: (ودعاهم سكون الآخر في المثلين، أن بيّن أهل الحجاز في الجزم، فقالوا: أردد ولا تردد، **وهي اللغة العربية القديمة الجيدة**، ولكن بني تميم أدغموا ولم يشبهوها برددت لأنه يدركها التثنية والنون الخفيفة والثقيلة والألف واللام وألف الوصل فتحرك لهن)[1]

### ب- المنهج التقابلي:

يعد المنهج التقابلي من أقدم المناهج التي طبقها علماء المعاجم بشكل واضح، حيث أدركوا أن العلاقات الجغرافية والسياسية والاجتماعية تساهم في انتقال الكلمات والمصطلحات بين اللغات، ويظهر المنهج التقابلي بوضوح في دراسة المعجميين للكلمات المعربة والدخيلة، لذلك حضيت الصوتيات التقابلية بعناية لائقة.

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) -بحسب أقدم ما وصل مدونا- أول من وضع قواعد تساعد على معرفة الدخيل من الأصيل في مقدمة: كتاب العين، حيث نبه إلى

---

1 سيبويه: الكتاب، 473/4.

أن اللغات تختلف في نظامها الصوتي فلا توظف أصواتا وظفتها لغة أخرى قال: (وليس في شيء من الأَلْسن ظاءً غير العربية)[1]

وكذلك فعل ابن دريد (ت321هـ) في مقدمة معجم: "الجمهرة" ثم خصص بعض المعجميين مؤلفات كاملة تعالج موضوع المعرب والدخيل كأبي منصور الجوالقي (ت540هـ) في: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ،[2] وشهاب الدين الخفاجي (ت1069هـ) في: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل،[3] ومحمد الأمين المحبي (5ت111هـ) في: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل.[4]

وخصص سيبويه في كتابه بابين قابل فيهما بين العربية والفارسية، هما: "باب ما أعرب من الأعجمية"[5] و: "باب اطراد الإبدال في الفارسية"،[6] وفيهما بعض قواعد تعريب الكلمات الداخلة من الفارسية. قال: (اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس

---

1- الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/38-39.

2 الجوالقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم تح: ف. عبد الرحيم، ط1/1990، دار القلم دمشق.

3 الخفاجي: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تح: محمد كشاش، ط1/1998، دار الكتب العلمية-لبنان.

4 المحبي: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تح: عثمان محمود الصيني، ط1/1994، مكتبة التوبة-السعودية.

5 سيبويه: الكتاب، 4/303..

6 سيبويه: المصدر نفسه، 4/304.

من حروفهم البتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه، فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهمٌ ألحقوه ببناء هجرع، وبهرج ألحقوه بسلهبٍ، ودينارٌ ألحقوه بديماسٍ، وديباجٌ ألحقوه كذلك، وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار، ويعقوب فألحقوه بيربوع، وجوربٌ فألحقوه بفوعلٍ، وقالوا آجورٌ فألحقوه بعاقول، وقالوا شبارق فألحقوه بعذافرٍ، ورستاقٌ فألحقوه بقرطاس، لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية ...وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن نحو خراسان وخرمٍ والكركم، وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو فرند وبقمٍ وآجرٍ وجريزٍ)[1]

وقال في باب اطراد الإبدال في الفارسية: (يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم[2] الجيم لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بد؛ لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو: الجربز والآجر والجورب، وربما أبدلوا القاف لأنها قريبةٌ أيضاً، قال بعضهم قربزٌ وقالوا كربقٌ وقربقٌ، ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم إذا وصلوا الجيم وذلك نحو كوسه وموزه، لأن هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس همزةً مرةً وياءً مرةً أخرى، فلما كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرفٍ ليس من حروفهم، وأبدلوا الجيم لأن الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل، والهاء قد تشبه الياء ولأن الياء أيضاً قد

---

1 سيبويه: المصدر نفسه، 4/303-304.

2 الراجح أن الصوت الذي بين الجيم والكاف، وهو من الحروف القبيحة عند سيبويه، هو الجيم القاهرية، فكل كلمة جاءت من الفارسية بالجيم القاهرية، نطقها العرب بالجيم المركبة أو بالقاف، لقرب مخرجيهما من مخرج الجيم القاهرية.

تقع آخرةً، فلما كان كذلك أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف، وجعلوا الجيم أولى لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى؛ وربما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها في الأول فأشرك بينهما)[1]

وتنبه الأصمعي (ت216هـ) لقضية استعمال العرب للهمزة في كل المواقع الممكنة، بخلاف العجم الذين استعملوها في أول الكلام.[2]

وخصص ابن سينا (ت428هـ) الفصل الخامس من رسالته "أسباب حدوث الحروف" لدراسة ومقارنة الحروف الشبيهة بحروف العربية من لغات العجم.[3]

وعقد مكي (ت437هـ) فصلا لما اشتركت أو انفردت فيه اللغات من الحروف، قال: (اعلم أن الحروف التسعة والعشرين المشهورة، قد اشتركت في استعمالها لغات العرب والعجم، إلاّ الظاء فإنها للعرب خاصة، ليس في لغات العجم ظاء. وقد قيل: إن الحاء أيضاً انفردت بها العرب، وليس في لغات العجم حاء، وقال الأصمعي : ليس في الرومية ولا في الفارسية ثاء، ولا في السريانية ذال. وكذا ستة أحرف انفردت بكثرة استعمالها العرب، وهي قليلة في لغات بعض العجم، ولا توجد البتة في لغات كثير منهم، وهي: العين والصاد

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/305-306,

2 انظر: مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية في لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: محمد هاشم عبد العزيز، المكتبة التوقيفية-مصر، د.ط، د.س.، ص: 41.

3 ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله: أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، ص: 86.

والضاد والقاف والظاء والثاء. وانفردت العرب أيضاً باستعمال الهمزة متوسطة ومتطرفة، ولم يستعمل ذلك العجم إلا في أول الكلام)[1]

ولم يقتصر العرب على مقارنة الاختلاف الشكلي بين الألسن فقط، بل تعداه إلى مقارنة نظام اللغة العربية بنظام اللغات الأخرى. قال صباح عطيوي عبود: (ومما هو جدير بالملاحظة، أن علماء العربية قديما بحثوا الابتداء بالساكن في العربية وغيرها من اللغات، ويعد هذا نظرة متقدمة السبق في الدرس اللغوي المقارن، فجعل ابن فارس والفارابي ذلك فضيلة للعربية على غيرها من اللغات) [2]

**ج- حروف اللغة محدودة مقارنة بالكلمات كثيرة العدد (التقطيع المزدوج):**

أحصى الخليل تسعة وعشرين حرفا، هذه الحروف تكَوّن جذور العربية، ما عدا الألف المدية التي لا تكون أصلية في كلام العرب إلا منقلبة عن واو أو ياء أو زائدة[3]، ولا تزاد أولا لأنها حرف ساكن، والساكن لا يبدأ به في كلام العرب،[4] ولما رأى أن الكلمات كثيرة، عمد

---

1 مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص: 41.

2 صباح عطيوي عبود: المقطع الصوتي في العربية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط2014/1، ص: 76.

3 انظر: جلال الدين السيوطيُّ: المُزْهِرُ في علوم اللُّغة وأنواعُها، تح: فؤاد علي منصور، الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م، دار الكتب العلمية – بيروت، 70/1.

4- انظر: لفرخان كمال الدين أبي سعد بن مسعود: المستوفى في النحو، تح: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية- القاهرة1987، 223/2.

إلى تقليب حروف الجذر الواحد ليحصل على الجذور المستعملة والمهملة، فالحروف عينها في الجذر الواحد تولد عددا لا بأس به من الجذور –وسيأتي بيان نظرية الخليل الصوتية في الفصل الثاني– وهذا العمل يشبه فكرة التقطيع المزدوج عند مارتيني. [1]

إلا أن مارتيني استعمل تقطيعه ليحصل على المونيمات (الكلمات المعجمية والوحدات الصرفية)، وعلى الفونيمات (الحروف والحركات بالمفهوم العربي).

غير أن الخليل بن أحمد استعملها في نطاق ضيق، فقط ليعرف عدد الجذور التي يمكن أن تشكلها مجموعة من الحروف.

**ح– الارتباط النطقي السمعي للكلام:**

أدرك العرب أن اختلاف حرفين أو أكثر في الصفة مع اتحاد في المخرج، أو اختلافهم في المخرج مع اتحاد الصفة، يؤدي إلى اختلاف في سماعنا وإدراكنا لها، وهذا الاختلاف هو سبب فهم للكلام وهو ما يميز كلام البشر عن أصوات الحيوان، فكل صنف من الحيوان تتحد أصواته في الصفة والمخرج، قال مكي بن أبي طالب القيسي (437هـ): (وربما اجتمع للحرف صفتان أو أكثر، فالحروف تشترك في بعض الصفات، وتفترق في بعض، والمخرج واحد، وتتفق في بعض الصفات والمخرج واحد؛ لأن ذلك يوجب اشتراكا في السمع، فتصير بلفظ واحد، فلا يفهم

---

1 انظر شرح واف لهذه الفكرة عند كاترين فوك وبيارق وفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية 1984، ص: 45 وما بعدها.

الخطاب منها... ولو كانت المخارج واحدة والصفات واحدة، لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد، وصفة واحدة لا تفهم. فهذه حكمة جبل الله عليها هذه الحروف في أصوات بني آدم؛ لتخرج بهذه الصفات عن جنس أصوات البهائم، لأن أصوات البهائم لا اختلاف في مخارجها ولا في صفاتها؛ ولذلك لا تفهم، فباختلاف صفات هذه الحروف في ألفاظ بني آدم، واختلاف مخارجها وتباين طباعها، فهم الكلام وظهر المعنى القائم في نفس المتكلم للمخاطب وعلم المراد)[1]

**خ- اللغة ذات بعد خطي:**

فطن علماء العرب أن وحدات اللغة تتبع بعضها في الزمن، ولا يمكن لوحدتين أن تشغلا الحيز الزمني نفسه، فالحرف يأتي بعده حركة وبعدها يأتي حرف حتى تتم السلسلة الكلامية، قال ابن الجزري (ت764هـ): (...فقال جماعة الحروف قبل الحركات، واستدلوا على ذلك بعلل: منها أن الحرف يسكن ويخلو من الحركة ثم يتحرك بعد ذلك، فالحركة ثانية، والأول قبل الثاني بلا خلاف، ومنها أن الحرف يقوم بنفسه ولا يضطر إلى حركة، والحركة لا تقوم بنفسها، ولا بد أن تكون على حرف، فالحركة مضطرة إلى الحرف، والحرف غير مضطر إلى الحركة، فالحرف أول، ومنها أن من الحروف ما لا تدخله حركة، وهو الألف، وليس ثمَّ حركة تنفرد بغير حرف، فدل ذلك عندهم أن الحروف مقدمة على الحركات)[2]

---

1 مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص: 42 و63.

2 ابن الجزري: التمهيد في علم التجويد، التمهيد في علم التجويد، خرج أحاديثه: فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم ط1/2006، ص: 29.

فهذا النص يوضح أن الحركات والحروف تتوالى في الزمن، فيأتي الحرف ثم الحركة ثم الحرف وهكذا حتى تتشكل السلسلة الكلامية.

**د- العلامة اللغوية ذات كيان نفسي:**

عندما تأثر العرب بعلوم الأمم الأخرى، أخذت اللغة حظها من النظر الفلسفي، فقد ذهب ابن سينا (ت428هـ) إلى أن العلامة اللغوية (الكلمة المعجمية) ذات كيان نفسي من ناحيتين؛ السمع والإدراك، أي من ناحية الدال ومدلول، قال: (ومعنى دلالة اللفظ؛ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معناه، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس اِلتفتت إلى معناه)[1]

فابن سينا يرى أن للمسموع خيالا، وأن المعنى أبدا يكون في النفس؛ أي الذهن بالمفهوم الحديث، وهذا يعني أن المسموع، الأمواج الصوتية الملتقطة، ليست في حد ذاتها هي الدال، بل تلك المعلومات التي تحملها كمية الموجة؛ من حيث الطول والاتساع والشدة، والتي يختزنها الدماغ، ويرى كذلك أن المعنى ليس هو الشيء الموجود في الأعيان، بل صفاته التي تختزن في الذهن.

يتبين من هذا المفهوم للعلامة أن هناك إقصاء للواقع الخارجي من ناحيتين هما:

---

1 ابن سينا: كتاب الشفاء (العبارة)، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق محمود الخضيري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1390هـ-1970م، ص: 4.

- الحامل المادي للعلامة والمتمثل في الأمواج الصوتية المتنقلة عبر الأثير.

- المرجع (الموجود في الأعيان) الذي تشير إليه العلامة.

هذا القول يضع برزخا بين العلامة من حيث هي حقيقة نفسية، والشيء الذي تحيل إليه في الواقع الخارجي،[1] فالعلامة عند ابن سينا ليست حقيقة مادية محسوسة؛ بل هي كيان نفسي محض.

هذه النظرة السينوية إلى العلامة اللغوية، تبناها بها سوسير –وهي للأسف منسوبة إليه– فالعلامة في نظره توحيد بين مفهوم concept وصورة سمعية image acoustique لا بين شيء واسم[2]، ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الصورة السمعية – عند ابن سينا كما عند سوسير– ليست الأصوات المادية بخصائصها الفيزيائية، وإنما هي البصمة النفسية للصوت،[3] مثلا كلمة: رجل، هي علامة لسانية مكونة من صورة سمعية؛ وهي المعلومات أو الصفات التي يختزنا الدماغ عن مجموعة الأصوات المتتابعة التي تقرع السمع، فكلمة مثلا: ر+ـَ+ج+ـُ+ل [radjul]، تتكون من "**صورة سمعية**" يحتفظ بها الدماغ عندما تتلاشى الأمواج

---

1 يلحظ أن كثيرا من الكلمات لا تعبر عن أشياء في العالم الواقعي، كالكلمات التي تعبر عن مفاهيم مجردة كألفاظ: الحرية، العدل، الحب...وكالألفاظ التي تدل على المخلوقات الأسطورية كالغول وطائر الرخ وسكان كوكب المريخ...وعلى الرغم من ذلك فهي تحيل إلى صورة ذهنية، فالذي ذهب إليه ابن سينا صحيح.

2 فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية–بغداد 1985م، ص: 84–85.

3 فرديناند دي سوسير: المرجع نفسه، ص: 85.

الصوتية، ومن "**مفهوم**" وهو التصور الذي أثارته الصورة السمعية؛ وهو مجموع السمات الدلالية التي اختزنها الدماغ عن هذه العلامة: (حي+ ناطق+ عاقل+ إنسان+ ذكر+ راشد...)

إن التتابع الصوتي إذا أخذ على حدة لا يكون علامة لسانية مستقلة؛ بل هو ترتيب لأصوات مجردة ليس إلا، كما أن الصفات الدلالية التي تكون مفهوم الرجل، لا يمكن لها أن تشكل علامة لسانية بمفردها،[1] فلا بد من الاتحاد التام بين الصورة السمعية والمفهوم لتكوين العلامة اللسانية؛ فنسمي **العلامة اللسانية** هذا: "المركب المتكون من المفهوم والصورة السمعية"[2]

## ذ- المواضعة La convention (إعتباطية العلامة L'arbitraire عند سوسير):

تخضع العلامات اللغوية للمواضعة أو لاعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، وهذا هو الأصل في التسمية، فإطلاقي اسم "خالد" على أحد أبنائي، هو من باب تمييزه فقط، ولا علاقة لفكرة الخلود به، هذه الفكرة أدركها الخليل وناقشها، قال الليث بن المظفر حاكيا كلامه: (قلت للخليل: من أين قلت عكش مهمل، وقد سمت العرب بُعكاشة؟ **قال: ليس على**

---

1 يظهر أن الخليل بن أحمد قد تنبه لهذه الجزئية المتعلقة بالمدلول وكونه لا يشكل علامة لسانية بذاته، حيث أنه تعامل في كتاب العين مع الجذور، وقسمها إلى مستعمل، وهو ما يكون له دلالة إذا استعمل، ومهمل وهو ما لا بمكن بحال أن يكون له دلالة أو استعمال، انظر: الخليل: كتاب العين، 42/1.

2 انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية ط 1999، ص: 40-41.

**الأسماء قياس**. وقلنا لأبي الدقيش: ما الدُّقيش؟ قال: لا أدري، ولم أسمع له تفسيراً. قلنا: فتكنّيت بما لا تدري؟ **قال: الأسماء والكنى علامات، من شاء تَسَمّى بما شاء، لا قياس ولا حتْم)** [1]

ويُعَمِّق ابن سينا (ت428هـ) هذا المفهومَ بقوله: (وذلك أن اللَّفظَ بنفْسِهِ لا يَدُلُّ البتَّة، ولولا ذلك لكان لِكُلِّ لفظٍ حقٌّ من المعنى لا يُجَاوِزُهُ، بل إنما يَدُلُّ بإرادةِ اللاَّفِظِ، فكما أن اللاَّفِظَ يُطلِقُهُ دالاً على معنًى، كالعَينِ على الدِّينارِ، فيكون ذلك دلالتَه، كذلك إذا أخْلاَهُ . في إطلاقه . عن الدلالةِ بقِي غيرَ دالّ)[2]

ويمثِّل عبدُ القاهر الجرجاني (ت474هـ) لذلك بكلمتَي: ضرَب وربَض، حيثُ يَصِحُّ بالمُوَاضَعَةِ أن تَجْعَل:"رَبَضَ" مكان: "ضَرَبَ"، قال: (نظمُ الحروف هو تَوَالِيها في النُّطق فقط، وليسَ نظمُها بمقتضىً عن معنى، ولا الناظمُ لها بِمُقتفٍ في ذلك رسماً من العقلِ اقتَضَى أن يَتَحَرَّى في نظمِه لها ما تحرَّاهُ، فلَو أنَّ واضعَ اللُّغةِ كان قد قالَ: "رَبَضَ" مكان: "ضَرَبَ"، لَمَا كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد)[3]

---

1- الخليل بن أحمد: كتاب العين، 3/208-209.

2 ابن سينا: الشفاء المنطق، المقالة الأولى من الفصل الخامس، تح الأب قنواني ومحمود الخضيري وفؤاد الإهواني، المطبعة الأميرية-القاهرة، د.ط، د.س، ص: 25.

3 الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط2، 1410 هـ = 1989م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 49.

**-ثالثا معايير النظرية التسلسلية:**

من ملاحظة منهجية القدامى في تصنيف الحروف والحركات، يلحظ أنهم أقاموا منهج دراستهم على جملة من المعايير، وهي وسائل تساعد في التحليل وتتجاوز المشاكل التي تعرض أحيانا للغوي، فتوقعه في التناقض، مثاله: تنبه الخليل وسيبويه أن الخاء والغين والقاف تخرج من اللهاة، ونظرا لاعتبارات فونولوجية عدوا الغين والخاء من أقصى الحلق والقاف من اللهاة، وهذا بإعمال معيار الإلغاء، وسيأتي شرحه وبيانه فيما يأتي من البحث.

يبدو أن علماء العرب استعملوا نوعين من المعايير، وهي: المعايير التحليلية، والمعايير الضابطة:

**-أولا المعايير التحليلية:**

وهي المعايير التي استعانوا بها في أثناء التحليل، للوصول إلى نتائج علمية موثوق بها، وتساعدهم على الاستمرار في عملية البحث، وهي معايير عامة لم يختلف عليها العلماء باختلاف منهجياتهم، وهي: معيار التوزيع، معيار الإلغاء، معيار الإحصاء، والمعياران الأولان استعملهما الخليل بكثرة، في حين أكثر سيبويه من استعمال المعيار الثالث؛ وهذا يعكس حاجة كل منهما.

1- **معيار التوزيع:** التوزيع هو مجموعة المواقع التي يمكن للعنصر اللغوي أن يظهر فيها، في مقابل المواقع التي يمتنع من الظهور فيها،[1]

1 انظر: محمد عبد العزيز عبد الدايم: المفاهيم النحوية بين الدرسين العربي التراثي والغربي المعاصر، ص: 11.

كإمكانية ظهور الحرف (الصامت الساكن، والصائت الطويل) في موقع الوقف، والحشو (وسط الكلمة)، وامتناع ظهوره في ابتداء الكلام. وكإمكانية ظهور الحركة القصيرة في ابتداء الكلام (ألف الوصل، وستناقش هذه القضية فيما يأتي) وفي الحشو، وامتناع ظهورها في موقع الوقف، لهذا أهمل اللغويون سياق الحشو، عند تصنيفهم للحروف؛ لأنه سياق محايد يمكن أن تظهر فيه كل أنواع الأصوات.

2- **معيار الإحصاء:** يلحظ أنه يتعلق بالأكثرية -في كتاب سيبويه وغيره- حيث توصف الظاهرة التي تحضى بكثرة التكرار، بالأصالة، مثاله: الأصل في الإدغام لحروف الفم واللسان لكثرتها،[1] في حين توصف الظاهرة التي يقل تكرارها بالفرعية أو عدم الأصالة، فالتعليل بالأصل وبالحسن؛ تعليلان إحصائيان يعتمدان الكثرة، وعكسه التعليل بالفرع أو القبح، ويدلك على هذا قول سيبويه: (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا ...

---

1- سيبويه: الكتاب، 448/4، ويقصد بكثرة حروف الفم واللسان في هذا النص أمران:

1- كثرة دخول الإدغام في حروف الفم واللسان وقلة دخوله على حروف الحلق والشفتين، قال: (لكثرة الإدغام في حروف الفم) الكتاب، 448/4. وقال الداني: (أصلُ الإدغامِ لحُرُوفِ الفَمِ واللِّسانِ لكثرتِها في الكلام وقربِ تَنَاوُلِها)، الإدغام الكبير، ص: 41 .

2- أنها أكثر عددا، وذلك في مقابل قلة حروف الحلق التي لا تتعد ستة حروف (ء، هـ، ع، ح، غ، خ) وحروف الشفتين الثلاثة (ب، و، م) وبقية الحروف للفم واللسان، قال: (ولأن حروف الحلق ليست بأصلٍ للإدغام لقلتها والإدغام فيها عربيٌ حسن) الكتاب، 449/4،وقال الداني: (ضَعْفُ الإدغامِ في حُرُوفِ الحَلْقِ والشفَتَين؛ لقِلَّتِها وبُعْدِ تَنَاوُلِها)، الإدغام الكبير، ص: 41 .

وتكون خمسةً وثلاثين حرفا بحروفٍ هن فروعٌ وأصلها من التسعة والعشرين، وهي **كثيرةً يؤخذ بها وتستحسن** في قراءة القرآن والأشعار ... وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف **غير مستحسنةٍ ولا كثيرة** في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر... وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة)[1] لاحظ أن الحروف الأصول أكثر عددا من الحروف الفروع، وأن الحسن كان للكثرة، وأن القبح أو عدم الحسن صاحبته القلة، وسيأتي في الفصل الثالث مزيدا من الأمثلة والقضايا التي بناها سيبويه على مقولة الأصالة.

3- **معيار الإلغاء:** لجأ إليه الخليل وسيبويه، لضبط النظرية الصوتية، وهو يعمل على ما يلي:

أ- **تطويع المعطيات الفسيولوجية والوصف الفيزيائي (صفات الحروف) لتحديد العلاقات بين العناصر اللغوية**، فالأولوية للنظام والقوانين لا للمعطيات الخارجة عنه (المخارج والصفات)، وهذا يساعد على بناء نظام صوتي توليدي يساعد الناطق على توليد كل الأشكال الصوتية الصالحة للاستعمال اللغوي، فالخليل منح اللهاة معنا اصطلاحيا أوسع من المعنى اللغوي، وذلك لكي يتمكن من

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/431-432.

جمع الأصوات في مجاميع وأحياز، تساعده على ترتيب مواد معجمه، وتفسر له ائتلاف أو تنافر الأصوات في الكلمات المستعملة والمهملة؛ فإذا كانت القاف لا تتنافر مع أصوات الحلق وتتنافر مع صوتي الجيم والكاف[1]، فما وجه الصحة في أن يجعل القاف ضمن مخارج الحلق مع أختيها الخاء والغين، فقط لأنه ضم مخرج أقصى اللسان إلى مخارج الحلق وهذا للاعتبارات الفسيولوجية فقط، إن وصف الخليل للقاف والكاف بأنهما لهويتان[2]، لا يدل بالضرورة على أنه يجهل اللهاة بمعناها الحديث، بل المنحى التطبيقي في تصنيف معجمه دفعه إلى البحث عن نظرية تحدد له المستعمل من المهمل، وهذا وفق مبدأي التنافر والائتلاف وهو ما برر له عزل القاف عن مخرج الحلق دون أختيها الخاء والغين، وضمها مع الكاف إلى مخرج اللهاة.

**ب**- تحديد القوانين والأوصاف التي تعمل مع صوت ما وتلغى مع غيره يكون من مخرجه أو يحمل صفة من صفاته المعنية

---

1) 1- قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية) قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع)، كتاب العين،43/1.

2- أنظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

بتلك القوانين: فمعيار الإلغاء من هذه الناحية يضمن الاطراد وعدم التناقض في النظرية، مثاله مصطلح: "ظهر اللسان"، حيث استعمله سيبويه مرة واحدة في كتابه، لوصف انحراف الراء، ويصبح ظهر اللسان المقابل الفسيولوجي أو المخرجي لصفة الانحراف، قال: (ومِن مَخرجِ النُّونِ غيرَ أنه أدْخَلُ في ظَهْرِ اللِّسَانِ قليلاً؛ لانحرافِهِ إلى اللاَّمِ مخرجُ الراء )[1]، لقد أعمل سيبويه معيار الإلغاء الخليلي؛ حيث لم يجعل أختي الراء (ن، ل) من ظهر اللسان, حيث جاء بمصطلح "ظهر اللسان" ليفسر به العلاقات الإدغامية الممنوعة لحرف الراء، فالراء لا تدغم في غيرها للتكرير الذي فيها، ولا يدغم فيها غيرها إلا النون واللام؛ لأنهن شاركنها المخرج وصفة الانحراف (الانحراف أكثر وضوحا في اللام من أختيها الراء والنون )، ولهذا تكون صفة التكرير أقوى من صفة الإنحراف، فساغ لسيبويه وصف الراء بالخروج من ظهر اللسان دون أختيها النون واللام، قال الزمخشري (ت538هـ): (والراء لا تدغم إلا في مثلها، كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾الكهف24، وتدغم فيها اللام والنون، كقوله تعالى: ﴿كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ الفيل1 ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ﴾ إبراهيم7 )[2] وقال ابن عصفور (ت

---

1- سيبويه: الكتاب، 433/4.

2 الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الملقب بجار الله: المفصل في صنعة الإعراب، تح: علي بو ملحم، ط1/1993، مكتبة الهلال – بيروت، 1/ 553.

669هـ): (وأمَّا الراء فلا تُدغَم في شيء؛ لأنَّ فيها تكريرًا؛ ألا ترى أنك إذا نطقت بها تكرَّرت في النطق؟ فلو أدغمتها فيما يقرب منها – وهو اللام والنون– لأذهب الإدغام ذلك الفضل الذي فيها من التكرير؛ لأنها تصير من جنس ما تُدغَم فيه، وما تُدغَم فيه ليس فيه تكرير. فلمَّا كان الإدغام يُفضي إلى انتهاكها بإذهاب ما فيها من التكرار لم يجز. وقد رُوي إدغامها في اللام، ... ولا يُدغَم فيها إلَّا اللام والنون)[1] وكان الخليل قد توسع في مفهوم ظهر اللسان، فقد وصف حروفه (ض، ل، ن، ر، ش) بالانحراف والتفشي وبعضها بالاستطالة، وهذا أمر شاع في التراث العربي.[2]

---

1 ابن عصفور: الممتع، 445/1.

2 استعمل الخليلُ بن أحمد (ت175هـ) ظَهْرَ اللِّسان، لتحديد ما يلي:

أ- **الجزء الأوسط من اللسان**، المقابل لشجر الفم –الغار الأعلى– حيث نسب الشين صراحة للغار قال: (مخرج الشين بين الغارِ الأعلَى وبين ظَهْر اللِّسان) أنظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

ب- **المنطقة الممتدة من مخرج الشين إلى مخرج التاء**، وذلك لوصف انحراف اللام والنون والراء عن غيرها من حروف اللِّسان غير المنحرفة، واختصاصها بالذَّلاقة في المنطق، قال: (وأمَّا سائرُ الحُروف فإنَّها ارتَفَعَتْ فوقَ **ظَهْرِ اللِّسانِ** من لَدُن باطِنِ الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين **ظَهْرِ اللِّسان**، ليس للِّسان فيهنَّ عَمَلٌ أكثرُ من تحريك الطبقتَين بهنَّ، ولم يَنحرفْنَ عن **ظَهْرِ اللِّسَان** انحرافَ الرَّاءِ واللاَّم والنون).أنظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

وهذا يقودنا للقول بمستويين من الوصف:

- **الأول:** وصف فسيولوجي بحت يذكر كل صفات الحرف دون إعمال لفكرة الإلغاء.

- **الثاني:** وظيفي له علاقة بالبنية الصرفية يُعمل معيار الإلغاء الخليلي، ويعمل على مناسبة الوصف المخرجي والفيزيائي مع معطيات النظام اللغوي.

**-رابعا المعايير الضابطة (المنهجية):**

وهي تختلف من عالم لآخر، فكل يختار لنفسه المعيار الذي يناسب أهداف بحثه، وأي خلل في هذا النوع من المعايير يؤدي إلى فساد النظرية، كمعيار المناوبة عند الخليل، ومعيار المقاربة عند سيبويه، وسيأتي بيانهما في الفصول القادمة، وأهم المعايير الضابطة التي وقف عليها البحث هي:

1- **معيار التنافر والإتلاف:** استعمله الخليل لكشف قوانين النظام اللغوي، فإذا كان حرف لا يتنافر مع غيره فهو إما حركة أو حرف مد.

2- **معيار الإدغام:** استعمله سيبويه، فكل حرف يمكن أن يدغم على الأقل في نفسه، كالشين في الشين أو الواو نصف صامتة في الواو، فهو حرف صامت، وكل حرف لا يمكن أن يدغم بتاتا فهو حرف مد، والحركات

---

واستعمل سيبويه (ت185هـ) مصطلح ظهر اللسان مرة واحدة في كتابه لوصف انحراف الراء؛ وهو بهذا تابع للخليل ويصبح ظهر اللسان المقابل الفسيولوجي أو المخرجي لصفة الانحراف، قال: (ومِن مَخرجِ النُّونِ غيرَ أنه أدْخَلُ في ظَهْرِ اللِّسَانِ قليلاً؛ لانحرافِهِ إلى اللاَّمِ مخرجُ الراء) سيبويه: الكتاب، 433/4.

القصيرة تأخذ أحكام نظائرها الطويلة. هذا مع عدم إغفال أنه اعتمد على مبدأ التوزيع التسلسلي، الذي وضعه الخليل بن أحمد لتصنيف الفونيمات إلى حروف وحركات.

- **مفهوم التوزيع التسلسلي: La notion de La distribution Séquentielle**

أقصد بالتوزيع التسلسلي، أن القدامى عندما حللوا أصوات اللغة العربية، لاحظوا سلوك الصوت في السلسلة الكلامية أو الجملة، التي تحدها نقطتان هي: الوقف والابتداء. فكل صوت يبتدأ به فهو حركة، وكل صوت يوقف عليه فهو حرف.

فمفهوم الحركة والحرف العربيين مفهومان توزيعيان، وهما يختلفان جذريا عن مفهوم الصائت والصامت عند اليونانيين القدامى، اللذين بنوهما على معايير سمعية،[1] فالصائت عندهم هو قمة الإسماع في المقطع، والصامت هو هامش وقاع الإسماع في المقطع، قال برجشتراسر: (ففي القديم درس اليونان والرومان الأصوات اللغوية، إلاّ أن دراستهم تقوم في جملتها على ملاحظة الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، وهي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذين أدركوا الأسس الفسيولوجية في تكوين الأصوات)[2]

---

1 ر. هـ. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، نوفمبر 1997، ص: 49.

2 ج. برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، أحرجه و صححه و علق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط4/2003، ص: 5.

ومن هذا المنطلق، يتوجب عدم ترجمة: حركة/حرف، إلى المصطلحات التي اعتمدها الصوتيون المحدثون التي اقتبسوها من أعمال اللغويين اليونانيين القدامى وهي: صائت Voyelle، صامتConsonne ، حيث نظر لغويو اليونان إلي للأصوات من خلال التوزيع داخل المقطع[1] لا داخل الجملة أو السلسلة الكلامية، وهي البيئة الطبيعية التي يحيا فيها الصوت، ويستعمله فيها المتكلم بالطرقة الطبيعية العفوية.

ويبدو لي أن الترجمة التي ترضي منهج التوزيع المتسلسل الذي ابتدعه الخليل بن أحمد، هي كما يلي:

الحركة Son initial، وهي كل صوت استهلالي يمتنع عليه أن يتوزع توزيعا ختاميا.

الحرف Son de pause ou final وهو كل صوت ختامي. يمتنع عليه أن يتوزع توزيعا استهلاليا.[2]

هذا المنهج، يوضح حقيقة أن الألف التي بدئ بها في الترتيب الألفبائي، هي الهمزة القطعية لأن الألف الطويلة، التي وضعت في أخر الأبجدية قبل الواو والياء، لا يمكن الابتداء بها؛ لأنها حرف ختامي Son de pause ou final، أما الهمزة فهي صوت يمكن الابتداء بها، طبعا إذا كانت متحركة، فالحرف المتحرك يبتدئ به (وهو عبارة عن صامت متبوع بصائت)، ولا يمكن تحريك الألف الطويلة؛ لأنها لا تكون إلا ساكنة أبدا، ومعنى

---

1 روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص: 49.

2 بحسب إطلاعي لم أجد من العلماء المحدثين من ترجم هذه المصطلحات بما يتوافق ومنهج القدامى.

السكون هنا هو الوقف؛ أي لا يمكن أن تكون في ابتداء الكلام، أما في وسط الكلام فتوزيع مهمل؛ لأنه صالح لأن تظهر فيه الحروف والحركات ويؤكد هذا الرأي قول سيبويه: (واعلم أن واضع حروف الهجاء، لما لم يمكنه أن ينطق بالألف التي هي مدة ساكنة؛ لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، دعمها باللام قبلها متحركة، ليمكن الابتداء بها فقال: "هـ و لا ي"، فقوله: "لا"، بزنة "ما" و"يا"، ولا تقل كما يقول المعلمون: لام ألف، وذلك أن واضع الخط لم يرد أن يرينا كيف أحوال هذه الحروف إذا تركب بعضها مع بعض ... لما لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة، ابتدأ باللام ثم جاء بالألف بعدها ساكنة ليصح لك النطق بها كما صح لك النطق بسائر الحروف غيرها ... فإن قال قائل: فلم اختيرت لها اللام دون سائر الحروف، وهلا جيء لها بهمزة الوصل كما فعلت العرب ذلك بالساكن لما لم يمكن ابتداؤه، نحو: اضرب، اذهب، انطلق، وغير ذلك، فالجواب: أن همزة الوصل لو جيء بها قبل الألف توصلا إلى النطق بالألف الساكنة لما أمكن ذلك، ولأدتهم الحال إلى نقض الغرض الذي قصدوا له، وذلك أن همزة الوصل كانت تأتي مكسورة كما جرت العادة فيها، ولو كسرت قبلها لانقلبت الألف ياء لانكسار ما قبلها ... فلما لم يجز ذلك عدلوا إلى اللام من بين سائر الحروف ... وذلك أن واضع الخط أجراه في هذا على اللفظ، لأنه أصل للخط والخط فرع على اللفظ)[1]

إن المتأمل في هذا النص يكتشف مدى معرفة قدامى علماء العربية بتاريخ الخط العربي، وعلاقته بالخط عند الشعوب السامية الأخرى.

---

1- سيبويه: الكتاب، 1/43-44.

## -خامسا الأدوات التطبيقية في النظرية التسلسلية:

يظهر أن علماء العربية احتاجوا إلى أدوات ووسائل تعينهم على صياغة نظريتهم، وتحويلها من مجرد مقولات إلى واقع ملموس يمكن ملاحظته ومناقشته، فلجئوا إلى الملاحظة وذوق الحروف وصياغة المعلومات اللغوية، والترتيب المخرجي للأصوات، هذا الأخير كان بالنسبة لهم مهما؛ لأنه ينبع من صميم النظرية ويتوافق مع نظام اللغة المدروسة، وهذا الأمر قد لا يوجد له مثيل في التراث اللغوي للأمم الأخرى، وبالتالي يثبت أصالة البحث اللغوي العربي في المرحلة الجنينية، وينفي أي إقتباس عن الأمم الأخرى في تلك المرحلة، والغريب في الأمر –بحسب ما أمكن ملاحظته– أنه ما تزال الصوتيات الحديثة تبني ترتيبها للأصوات على أساس بصري، فتبدأ بمخرج الشفتين، ولا تراعي النظام اللغوي للغة المدروسة.

إن الإجراء التطبيقي عند العرب، يقتضي تظافر عدد من الأدوات أو الوسائل التي تتكامل فيما بينها، ويقتضي وجود إحداها وجود الأخرى، وهي: الوسيلة العقلية (الملاحظة)، الوسيلة التجريبية (الذوق)، الوسيلة اللغوية (الصياغة)، الوسيلة النظامية (الترتيب المخرجي للحروف).

### 1- الوسيلة العقلية (الملاحظة والرصد):

قام اللغويون بملاحظة سلوك الأصوات وتفاعلاتها في السلسلة الكلامية، لرصد مختلف التغيرات التي تطرأ عليها، وهذا يساعدهم في معرفة الصور النطقية، كتفخيم أو ترقيق الراء، ومعرفة الأصيل والمنقلب من الحروف، فالطاء في اصطبر، هي تاء الافتعال.

هذه التغيرات تساعدهم على معرفة الحروف الأصول (التي لها وجود في الأذهان أو البنية العميقة)، والحروف المنطوق بها فعلا في البنية السطحية، لكنها ترجع إلى حرف آخر في البنية العميقة، وكذلك العلل والأسباب التي أدت إلى هذه التغيرات، أي القواعد التحويلية.

## 2- الوسيلة التجريبية (ذوق الحروف la prononciation du heroufs):

المنهج التوزيعي الذي اعتمده الخليل لرصد مواقع الأصوات المسموحة والممنوعة كان فاتحة باب البحث والتأليف عند سيبويه، حيث اعتمد مثلا على تقسيم الخليل للأصوات اللغوية العربية –توزيعيا– إلى حركات (ـَ، ـُ، ـِ) وحروف (الحروف مفهوم يشمل الصوامت والحركات الطويلة).

هذا التقسيم يختلف جذريا عن التقسيم اليوناني الذي يقسم الأصوات اللغوية إلى صوامت وصوائت، إذ الحركات الطويلة في العربية عند القدامى تنتمي إلى الحروف لا الحركات.

ولا يوجد أي تناقض بين التصنيفين؛ فالتصنيف العربي هو تصنيف توزيعي، ينظر في نظام اللغة وما منحه للأصوات من مواقع ووظائف، والتقسيم اليوناني ينظر في الخصائص السمعية للأصوات لذلك فتقسيمهم كان يعتمد على معطيات تقع خارج نظام اللغة.

فالعرب –بحسب ما يظهر من تتبع منهج الخليل وسيبويه– لم يعزلوا الصوت عن السلسلة الكلامية التي يحيا فيها (السياق)، بل ذاقوا الحروف (أخضعوها للتجريب النطقي)

بحسب إمكانات نظام اللغة العربية من حيث الوقف والابتداء، وسبق حركة ما للحرف الموقوف عليه عادة، مثل كَتَب، فالباء سبقت بحركة الفتحة التي حركت حرف التاء، فكان ذوق الحرف عند الخليل بأن يفتح فاه بالألف أي بالفتحة[1] ثم يأت بالحرف ساكنا.

وقد تجنب كما يظهر تتابع ساكنين مثل: قلْبْ، لأن العربية تمنع تجاور الساكنين – لولا الوقف الطارئ– كما أن الحرف الساكن لا يمكن اعتماده لذوق حرف ساكن آخر فهما من جنس واحد، والحركة هي التي تطلق الحرف في بدء الكلام، فكان اختيار الخليل حركة متبوعة بالحرف المراد ذوقه، كل هذا يتماشى ونظام اللغة والقوانين التي تنظم أصواتها.

فالوقف والابتداء هما سياق الصوت، والحركة يعتمد عليها الناطق العربي لينطق بالحرف الساكن، فكل صوت لا بد من الابتداء به أو الانتهاء به نطقا، أما الحشو فيمكن نطق الصوت في وسط السلسلة الكلامية طبعا، لكن سياق الحشو سياق صالح لورود كل من الحركات والحروف، إلا أن الوقف لا تظهر فيه إلا الحروف وهي الصوامت والحركات الطويلة.

مثال: خالـد، ذهبوا، اركبي، رضا، لاحظ كيف يقف العربي على الصامت بالسكون ويقف على الحركات الطويلة كما هي وكأنه ينطق بها في حشو الكلام، إذن الصامت

---

1– قال أبو عمر الداني (ت444هـ): (وساغت العبارة عن الألف بالفتحة، من حيث كانت مأخوذة منها، كما عبّر النحويون القدماء عن الحركات بالحروف كذلك، فقالوا العربية على ثلاثة أحرف، وذلك مجاز واتّساع) الدانيُ: جامع البيان في القراءات السبع، 1148/3.

والصائت الطويل يتوزعان توزيعا ختاميا ممكنا، أما الصائت القصير فيمتنع ظهوره في الموقع الختامي (موقع الوقف).

وفي بداية الكلام أو الموقع الاستهلالي تظهر الحروف ما عدا الحركات الطوال، مثل ذَهب، كتب، لكن هذه الحروف الصوامت لا تأتي ساكنة كما في موقع الوقف بل لا بد لها من حركة قصيرة أو طويلة تعينها على الظهور في هذا الموقع، إضافة إلى أن الحركات القصيرة هي التي يلجأ إليها نظام اللغة ليتمكن من البدء بالصامت الساكن في حالات معروفة، مثال ذلك: فعل الأمر من ذهب، قياسا هو ذْهَب، ولما لم يكن النظام النطقي يسمح بهذا في ابتداء الكلام (لا في حشوه الذي تسقط بسببه حركة الابتداء) فقد جاء بحركة قصيرة وهي في المثال كسرة، فأصبح الفعل المنطوق هو: اِذهب، وقد تكون ضمة كما في اُقتل.

إذن فالحركة هي كل صوت استهلالي Son initial، وهذا الموقع ممنوع على الحروف الساكنة والصوائت الطويلة.

والحرف هو كل صوت ختامي Son de pause ou Son final .

ومن هذا يستنتج أن الحرف المتحرك[1] يبتدؤ به لكنه ليس أبسط عنصر يتوصل إليه في التحليل، فلا بد من تحليله إلى مكونيه وهما الحرف الساكن والحركة التي قد تكون قصيرة وقد تكون طويلة، وكل نوع منها له توزيع مختلف، فلما توزعت الحركات الطوال توزيع الحروف السواكن (في الموقع الختامي) ضمت إليها ومنحت حكمها فعدت ساكنة وإن

1 الحرف المتحرك هو عبارة عن مقطع مفتوح قد يكون قصيرا أو طويلا Syllabe ouvertes court ou longue.

كانت في الحقيقة الفيزيائية حركة تضاد السكون، مثال ذلك: أنا"، كلمة مبنية على السكون، فهذا يعني أن الألف يمكن أن يوقف عليها مثل أي حرف صامت.

لكن قد يعترض معترض فيقول: إن القدامى يبتدئون بالألف، التي يسمونها ألف وصل، فهل هذه الألف هي حركة طويلة؟

إن الجواب عن هذا السؤال يقتضي ما يلي:

أ- أقر القدامى أن الحروف الساكنة لا يبتدأ بها، والألف الطويلة عندهم حرف ساكن[1] (يظهر في سياق الوقف) وكذلك الواو والياء المديتين.

ب- الألف في استعمال القدامى تطلق على الفتحة القصيرة وعلى الفتحة الطويلة والأمر نفسه ينطبق على أختيها الواو والياء المديتين، والعكس صحيح، حيث تطلق الفتحة والضمة والكسرة على نظائرها الطويلة، والعلاقة في التسمية والإطلاق هنا يحكمها المجاز وعلاقته الكلية أو الجزئية، فالألف تشمل الفتحة والفتحة جزء من الألف، والأمر عينه ينطبق على الواو والضمة والياء والكسرة، هذا ما نلمسه جليا في نصين قديمين، قال ابن جني (ت393هـ): (اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين؛ وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء

---

1- انظر: الفرخان كمال الدين أبي سعد بن مسعود: المستوفى في النحو، تح: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية- القاهرة1987، 223/2.

والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون: الفتحة، **الألف الصغيرة**، والكسرة، **الياء الصغيرة**، والضمة، **الواو الصغيرة**، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة)[1]. وقال أبو عمر الداني (ت444هـ): (وساغت العبارة عن الألف بالفتحة؛ من حيث كانت مأخوذة منها، كما عبّر النحويون القدماء عن الحركات بالحروف كذلك، فقالوا العربية على ثلاثة أحرف، وذلك مجاز واتّساع) [2]، والحروف الثلاث في نص الداني هي الحركات الصغيرة الثلاث.

وعليه فذوق الحرف عند الخليل كان بالفتحة، فالألف الطويلة حرف ساكن –أي يظهر في موقعية الوقف– عند القدامى، والساكن لا يبتدأ به في كلام العرب، والألف هنا هي الفتحة؛ أي كان يفتح فمه بالفتحة، جريا على عادة متقدمي علماء العربية الذين سموا الحركات الصغيرة بأسماء نظائرها الطويلة. ويستنتج أن ألف الوصل التي يؤتى بها في أول الكلام ما هي إلا إحدى الحركات الثلاث القصيرة. **فالحرف الساكن تقابله الحركة، لا الحرف المتحرك.**

---

1– ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح: علاء حسن أبو شنب، المكتبة التوفيقية–القاهرة، د.ط، د.س، 17/1.

2– الدانيُّ: جامع البيان في القراءات السبع، 1148/3.

وهذا الاستعمالُ يَكْشف عن تصوُّرٍ دقيقٍ لعلاقة الحركة بحرف المدِّ من حيث اتِّحاد الهويَّة بينهما، وقد عرَّف السيرافيُّ (ت368هـ) حروفَ المدِّ واللِّين بأنَّها: "**الحروفُ المأخوذَةُ منها الحركات**"[1]

ت- الحركة عند قدامى العرب حرف صغير (قصير في مدة نطقه مقارنة بمقابلاتها الطويلة) وهذا يعني أنهم عدوا أن الأصل هو الحركات الطويلة وما ينطبق عليها من وصف صوتي (فسيولوجي وفيزيائي) ينطبق على أبعاضها، فالحكم إذن يشمل كل جزئياته، قال ابن جني في باب مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف: (وسبب ذلك أن الحركة حرف صغير؛ ألا ترى أن متقدمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والفتحة الألف الصغيرة) [2] والفرق بين الحركات ونظائرها حروف المد، هو في الوظيفة والتوزيع والمدة الزمنية.

**3- الوسيلة اللغوية (الصياغة):**

يلحظ أن الصياغة النهائية للمفاهيم الصوتية، تفتقر إلى التجريد في أعمال علماء العربية الأوائل كالخليل وسيبويه، فهما لم يتكلما عن أعضاء النطق مستقلة عما يمكن أن يخرج منها من حروف، كما لم يتكلموا عن تلك الحروف بعيدا عن دورها في السلسلة

---

1 السيرافي: شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، خمسة أجزاء، ط1/2008.1، دار الكتب العلمية-لبنان،، 1/ 69 و 110 و 215.

2 ابن جني: الخصائص 315/2.

الكلامية، وإنما اكتفيا بذكر مسميات تلك الأعضاء وأقسامها دون تحديد تشريحي أو حتى تعريف لها. قال علاء جبر: (يلحظ أن سيبويه قد اكتفى بذكر أعضاء النطق دون وصفها أو تحديدها تشريحيا، إذ يستطيع المرء أن يدرك تلك الحدود إذا خبر نطق الأصوات العربية التي تصدر منها، ويظهر أن النحاة الذين جاءوا من بعده قد تبعوه وتبنوا مصطلحاته، ولم يشذ أكثرهم عنه إلا للتوضيح أو تفسير ما غمض من معناها، كتفسيرهم للثنايا التي يخرج منها؛ الزاي والسين والصاد، بأنها السفلى[1]، في الوقت الذي لم ينص سيبويه على وصفها بالسفلى وإنما تركها مطلقة)[2]

وهذا ينطبق على مبحث الصفات، فسيبويه عندما يتكلم عن المجهورات مثلا، لا يعطيه مفهوما مستقلا، كصفة مصاحبة لبعض الحروف، حيث يعرف الحرف المجهور، وعلى القارئ أن يستنبط مفهوم الجهر وهكذا مع أكثر الصفات، وإنما يضطر أحيانا أن يذكر كيفية نطق بعض الحروف لصعوبة نطقها أو بسبب صعوبة فهم تلاميذه لها، فيأتي شرحه مستوفيا لدقائق تلك الحروف، حيث لا نستطيع عند تعريفها أن نضيف شيئا ذا بال، وقد حدث هذا مع حروف الإطباق، قال فيها: (وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 405/2.

2 علاء جبر: المدارس الصوتية عند العرب النشأة و التطور، دار الكتب العلمية، ط2006/1، ص: 55.

إلى موضع الحروف)[1] فسيبويه لا يعرف لنا مفهوم الإطباق، بل يرشدنا إلى كيفية النطق الصحيح بالحرف المطبق. وهذا يدعم صحة فرضية عدم التجريد.

وربما هذا يرجع إلى كون الفكر العربي الوليد ما زال لم يصل إلى مرحلة التجريد، التي تتطلب معرفة بالفلسفة، التي ترجمت كتبها بعد زمان سيبويه بحوالي سبعين سنة. **فعدم التجريد سمة أساسية في النظرية الصوتية عند قدامى علماء العربية.**

وعدم التجريد إن دل على شيء فإنه يدل على ارتجالية العلم العربي في ذاك الزمان، حيث يخلوا منه عنصر الإتباع للأمم الأخرى.

### 4- الوسيلة النظامية (الترتيب المخرجي للحروف):

ابتدأ علماء العربية القدامى بأدخل الأصوات في القناة الصوتية وانتهوا بمخرج الشفتين، وهذا الترتيب لا يعكس ملاحظتهم لاتجاه سير تيار الهواء فحسب في أثنا النطق، كما عند السنهوري (ت894هـ) قال: (وقدمنا الحلقية على اللسانية وأخرنا الشفهية، لأن مادة الصوت الذي هو الهواء يخرج من داخل إلى خارج من غير عكس؛ ولأن وضع الإنسان على الانتصاب؛ فرأسه أعلاه ولهذا بدأنا به)[2] فهذا الترتيب مبني على معطيات خارجة عن نظلم اللغة، وهو اتجاه تيار الهواء، ولهذا أمكن عكسه؛ بمعطيات خارجية أخرى كذلك، وهي المنظور البصري عند محمد بن نصر المصري -عاش في القرن 19م- قال: (فأول المخارج

---

1 سيبويه: الكتاب، 438/2.

2- السنهوري زين الدين ابي الفتح جعفر بن إبراهيم(ت894هـ): كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، تح: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، دار ابن حزم، ط2010/1، ص:208,

الشفتان ونهايتها الجوف؛ إذ هذا هو الوضع الإلهي على الاستقامة، فأول الإنسان رأسه وآخره رجلاه كما ترى في وضع هذا الشكل الظريف، وهذه صورة الشفتين واللسان والحلق والجوف كما ترى في الوضع الإنساني، ومجال خروج الحروف منها بالمحسوس على هذه الصفة والله الموفق للصواب)[1]

لكن العرب القدامى وبخلاف المحدثين كما يبدو، كانوا يولون نظام اللغة أهمية قصوى إلى درجة تطويعهم للمعطيات الخارجة عن النظام (مخارج، صفات) لتلاءم معطيات وقوانين النظام اللغوي –وقد أثبتت هذه القضية سابقا وسيأتي مزيد عنها في الفصول القادمة– فهم يبحثون عن ترتيب يلائم النظام اللغوي المدروس، ولا يهم إن وافق أو خالف المعطيات الخارجة عنه كاتجاه سير الهواء، هذا ما ألمسه في ترتيب الخليل وسيبويه للحروف، وإليك تفصيله:

**–الترتيب العيني[2] للخليل:**

أدرك الخليل أن منهجه المعجمي بحاجة إلى ترتيب للحروف مختلف عن الترتيب الأبجدي والألفبائي، فرتب الحروف العربية ترتيبا عينيا، وكان البدء بالعَين لغايةٍ معجميَّةٍ بحتةٍ، بدليل قوله: (لم أبدأ بالهمزة؛ لأنَّها يَلْحَقُها النَّقْصُ والتغييرُ والحّذْف، ولا بالألِفِ؛ لأنَّها لا تكون في ابتداءِ كلمةٍ ولا في اسمٍ ولا فِعْلٍ إلاَّ زائدةً أو مُبدَلَةً، ولا بالهاء؛ لأَّنها مهموسةٌ

---

1 انظر محمد بن نصر المصري: القول المألوف في بيان مخارج الحروف، مخطوط بجامعة الملك سعود، ص 6.

2 نسبة إلى أول حرف في ترتيبه، وهو حرف العين.

خفيَّةٌ لا صَوْتَ لها، فنزَلْتُ إلى الحيّزِ الثاني، وفيه العينُ والحاء، فوجدتُّ العينَ أنصعَ[1] الحرفَين، فابتدأتُ به، ليكون أحسنَ في التأليف)[2].

والذي يلحظ على هذا النص، هو تطويع المعطيات المخرجية من أجل بناء النظام الصوتي للغة العربية، حيث لم يبدأ بأقصى الحروف مخرجا وهي الهمزة والهاء، وصعد إلى مخرج وسط الحلق، وبدأ بحرف العين؛ لأن الهمزة والهاء لا تثبتان أحيانا على صورتها عند تجريد الكلمة إلى جذرها عند البحث عنها في معجم العين، مثال ذلك كلمة: "هراق" الهاء فيها بدل من الهمزة،[3] وكلمة سماء، تجدها في جذر: س م و،[4] كما أن نظام اللغة العربية اختار حرف العين لتكون أحد حروف الذلاقة، فالخليل دائما يحرص عند بناء منهجه أن يكون موافقا لروح نظام اللغة.

وسيأتي بسط لنظرية الخليل في ترتيب الحروف وأحيازها في الفصل الثاني –إن شاء الله–

---

1 يظهر من مقارنة خصائص العين مع الهمزة والألف والهاء –في النص– أن نصاعة العين تعني ظهور مخرجها، في مقابل خفاء الهاء، أو أنها تتصدى لما يعتري الهمزة من التغيير والنقص والحذف، كما لا تكون مبدلة ولا زائدة في كلم العربية.

2 نقَل ذلك عنه السيوطيُّ(ت 911 ه) في: المُزْهِرُ في علوم اللُّغة وأنواعُها، 1/ 70.

3 نظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 305/4.

4 انظر: الخليل بن أحمد: المصدر نفسه: 281/2.

**-الترتيب الهَمْزي[1] لسيبويه:**

لوحظ أن تقسيم سيبويه يقترب من ترتيب الخليل من حيث الشكل؛ لأن تقسيمه كان يلائم معطيات الصرف العربي في بابي الإدغام والإعلال، ولا علاقة له بقضية البحث عن الكلمة من خلال جذرها.

فترتيبه للأبجدية، كان ترتيبا مخرجيا يتماشى وقوانين الإدغام واتجاه سير الإدغام,[2] وقد رتبها على النحو الآتي: الهمزة، الألف، هـ، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و.[3]

وقد ابتدأ بالألف الهمزة مخالفا الخليل، لأن الألف الهمزة حرف لا يدغم ولا يدغم فيه، وحروف الحلق ليست بأصل للإدغام[4]، إذ أصل الإدغام حروف اللسان.[5]

وهذا هو السبب الذي حمله على عد الألف المدية من حروف الحلق، أما عن أخويها الواو والياء الطويلتين، فلهما الحكم عينه، لكن لعدم ذكرهم مع الألف -حسب رأيي- مسوغ؛

---

1 نسبة إلى أول حرف في ترتيبه، وهو حرف الهمزة القطعية.

2 قال سيبويه عن اتجاه سير الإدغام في حروف الحلق: (الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله) سيبويه: الكتاب، 449/4، وقد لاحظت أن هذا القانون مطرد مع باقي الحروف، وشرطه أن يكونا الصوتين من حيزين مختلفين، فإن كان من حيز واحد كحيز طرف اللسان أمكن إدغام الأخرج كالطاء في الأدخل كالجيم، وسيأتي بيان هذا في الفصل الثالث إن شاء الله.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 432/4.

4- سيبويه: الكتاب، 451/4.

5- سيبويه: الكتاب، 448/4.

وهو أن لهما صورة يكونان فيها حرفان نصف مديين، وبذلك يقبلان الإدغام، مثل: قيَّد، قوَّم...الخ، وإضافة إلى أنه قد جمعت الصورتان تحت مسمى واحد وهو: الواو، الياء؛ لأن العرب قد رمزوا لهما برمز واحد وأطلقوا عليهما مسمى واحدا.

**-سادسا المنهج التوزيعي وتصنيف الأصوات إلى حروف وحركات:**

كان الخليل قد أرسى دعائم هذا المنهج، وجاء بحيلة[1] ذوق الحروف la prononciation du heroufs: هو عبارة عن نطق فعلي للحروف في ظروف مواتية لنطقه الفعلي في السياق، لأجل تحسس مخرجه ومدى قربه أو بعده عما يجاوره من الحروف.

ومعنى: "في ظروف مواتية لنطقه الفعلي في السياق"، أن الخليل صاحب فكرة الذوق، أدرك بثاقب فهمه وبعد نظره؛ أن الحرف لا ينطقه العرب ساكنا مجردا عن سياقه، بل ينطق به في **السلسلة الكلامية**، وهذا ما يجعله تحت تأثير مستمر بما يجاوره من حروف، وهذا ما يعرف اليوم بالألوفون، الذي هو عبارة عن تلوين صوتي لفونيم ما بتأثير السياق، أو هو التحقق الفعلي لفونيم ما في الكلام الفعلي.[2]

---

1 الحيلة هنا ما يقابل التقنية Le technique، فالعرب كانوا يسمون التكنولوجيا علم الحيل.

2 انظر: منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، ط1/2001، مكتبة التوبة-الرياض، ص: 10.

فنطق الحرف ساكنا دون أن يسبقه صوت أو يتلوه؛ أمر مبالغ فيه ومصطنع لغايات تجريبية للكشف عن مدى الاختلاف بينه وبين الصوت ذاته عندما يكون في السياق أي عندما يجاور إليه حروف أخرى.

لذلك فأفضل طريقة لذوق الحروف؛ تراعي سكون الحرف وتوزيعه في السياق، واهتدى الخليل إلى حل وهو نطق الحرف ساكنا؛ كما يحدث عند الوقف، وهذا كثير في لغة العرب في موقع نهاية السلسلة الكلامية (موقع الوقف)، لكن الصوت الموقوف عليه لا بد أن يكون مسبوقا –وهو الغالب– بحركة، مثل: ذَهَبْ، جَعَلْ، ذهبا، ذهبوا، اذهبي..الخ، لوحظ أن الحركات الطويلة وقعت في موقع الوقف لذا سماها الخليل حروفا، وعاملها معاملة الحروف الصحاح، فإطلاق مسمى الحرف على الحركات الطويلة يعكس أنه لم يتأثر بنظام الكتابة التي لا تدون الحركات الصغيرة بشكل يشبه ما هو معروف في اللغات اللاتينية، ويدعم هذا ما هو معروف من أن الكتابة قبيل عهد الخليل تدون الحركات على شكل نقط التي وضعها أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ)، كما أن الخليل هو مبتكر رموزها المعروفة اليوم،[1] فالحركات في اللغة العربية مند زمن أبي الأسود تعرف رمزوا مستقلة للحركات، ولو كانت التسمية عند الخليل تتأثر بنظام الكتابة لسمى الحركات الصغيرة حروفا لأن لها رموزا مستقلة.

أما مسألة القول بأن حروف المد تسبق بحركات من جنسها، فهو ناتج –حسب رأيي– عن تصور القدامى لحقيقة حروف المد، فهم يتصورون حرف المد عبارة عن حركتين

---

1 انظر: الداني: كتاب النقط في شكل المصاحف وكيفية ضبطها، ص: 140.

قصيرتين متتاليتين، الحركة الأولى تسمى الفتحة أو الكسرة أو الضمة، والحركة الثانية هي مد للأولى أي هي امتداد زماني لها، وتسمى الألف أو الياء أو الواو، والدليل على صحة هذا الاستنتاج؛ أن مسميات الألف أو الياء أو الواو تطلق على نظائرها القصيرة، قال أبو عمر الداني (ت444هـ): (وساغت العبارة عن الألف بالفتحة، من حيث كانت مأخوذة منها، كما عبّر النحويون القدماء عن الحركات بالحروف كذلك، فقالوا العربية على ثلاثة أحرف، وذلك مجاز واتّساع)[1] وهذا التصور يجعلنا نفهم ما المقصود مثلا من قولهم: بني فعل الأمر المعتل الآخر على حذف حرف العلة، وذلك أن الحركة الثانية (الألف، الياء، الواو) هي المحذوفة وبقيت الأولى، فحرف العلة هنا هو الجزء الثاني من حرف المد، وقول اللسانيين الوصفيين بأن هذا الفعل بني على تقصير حرف المد، لا يختلفان من حيث المعنى؛ ولا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المضمون واحدا.

ويبدو لي أن طريقة ذوق الحروف نشأت عن هذا التصور، مثلا عندنا: اَبْ ab، وعندنا: آ، فنحن هنا تذوقنا حرفين، الأول صامت والثاني صائت طويل، فالذي أوصلني للنطق بالصامت هو ألف الوصل المتمثلة في فتحة في طريقة الخليل، وما الذي توصلت به لنطق حرف المد؟ والجواب هو الفتحة في آ [aa]، والكسرة في: اِي [ii ] ، والضمة في: اُو [ uu] ، وهذه الفتحة والكسرة والضمة ليست صوتا زائدا على حقيقة حروف المد، وإنما هي جزءه الأول، فالألف زمانا هي عبارة عن فتحتين متتاليتين، فالفتحة الأولى تسمى الفتحة والفتحة الثانية تسمى الألف، وقد ذكر قبل قليل، أن العرب تسمي الفتحة القصيرة بالألف

---

1 أبو عمر الداني: جامع البيان في القراءات السبع، 1148/3.

والعكس صحيح وهذا يشمل الكسرة والضمة، فالألف (وهي الفتحة الثانية وهي مدة) مسبوقة بفتحة، وهي التي تمكنني من النطق بالألف (وهو الفتحة الثانية)، ولا يمكن فعليا نطق الألف دون نطق جزئه الأول وهو الفتحة.

إن هذه المسألة، كما يبدو، قريبة جدا من خلاف فلسفي بسيط، يلائم العقل العربي الذي ما زال لم يتأثر بالفلسفة اليونانية.

فليست طريقة الكتابة هي التي أوحت للعلماء العرب بالقول بأسبقية الحركة على حرف المد، فطريقة الكتابة لم تكن تدون هذه الحركات قبيل زمن الخليل، وكانت تدون هذه الحركات على شكل نقط مع الحرف الأخير من الكلمة فقط في زمن أبي الأسود الدؤلي، إضافة إلى أن القدامى كما ذكر سابقا، لم يولوا الكتابة أي عناية في أثناء التحليل. فالذي أوحى لهم ذلك أمران هما:

1- إدراكهم لحقيقة حروف المد وعلاقتها بالحركات الصغيرة وذلك بدليل تسميتها بحروف المد والحروف المأخوذ منها الحركات[1]...الخ.

2- طريقة ذوق الحروف، التي تعتمد على ألف الوصل عند الخليل وهي الفتحة، قال: (وإنما كان ذَواقه إِيَّاها أنّه كان يَفْتَحُ فاهُ بالألفِ ثم يُظْهِرُ

---

1 قال سيبويه: (وإنَّما الحركاتُ من الألفِ والياءِ والواوِ) الكتاب، 4/ 101، وعرَّف السيرافيُّ حروفَ المدِّ واللِّين بقوله : (هي الحروفُ المأخوذَةُ منها الحركات) السيرافي (368هـ): شرح كتاب سيبويه، 1/ 69 و 110 و 215.

الحَرْفَ، نحو اَبْ، اَتْ، اَحْ، اَعْ، اَغْ)[1] ومعنى يفتح فاه بالألف أي بالفتحة؛[2] لأن الألف المدية حرف لا يبتدأ به،[3] وعند ابن جني الكسرة، قال ابن جني: (وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا؛ لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول اِك اِق اج وكذلك سائر الحروف)[4] والدليل على أن همزة الوصل هذه غير الهمزة القطعية، أن الهمزة القطعية لا تسقط في درج الكلام بخلاف همزة الوصل، وأظن أن إطلاق لفظ الهمزة على الألف الوصلية، مجاز مرسل وعلاقته العكسية؛ أي أن مسمى الألف في الأصل للهمزة التي بدأ بها

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، ط2003/1، 36/1.

2- قال أبو عمر الداني (ت444هـ): (وساغت العبارة عن الألف بالفتحة؛ من حيث كانت مأخوذة منها، كما عبّر النحويون القدماء عن الحركات بالحروف كذلك، فقالوا العربية على ثلاثة أحرف، وذلك مجاز واتّساع) الدانيُ: جامع البيان في القراءات السبع، 1148/3.

3 أقر القدامى أن الحروف الساكنة لا يبتدأ بها، والألف الطويلة عندهم حرف ساكن (يظهر في سياق الوقف) وكذلك الواو والياء المديتين. قال الخليل: (لم أبدأ بالهمزة؛ لأنَّها يَلْحَقُها النَّقْصُ والتغييرُ والحَذْف، ولا بالأَلِفِ؛ لأنَّها لا تكون في ابتداءِ كلمةٍ ولا في اسمٍ ولا فِعْلٍ إلاَّ زائدةً أو مُبدَلَةً، ولا بالهاء؛ لأَّها مهموسةٌ خفيَّةٌ لا صَوْتَ لها، فنزَلْتُ إلى الحيِّزِ الثاني، وفيه العينُ والحاء، فوجدتُّ العينَ أنصعَ الحرفَين، فابتدأتُ به، ليكون أحسنَ في التأليف)، السيوطيُ(ت 911 هـ) في: المُزْهِرُ في علوم اللُّغة وأنواعُها، 1/ 70.

4- ابن جني: سر صناعة الإعراب، 28/1-29.

الفينيقيون والعرب أبجديتهم[1]، ونظرا لأن العرب ورثوا أبجدية لا تسجل الحركات بأنواعها، عمدوا لرمز ومسمى الألف (الذي يخص أصلا الهمزة) وكذلك فعلوا مع الواو والياء الصامتين، وكتبوا بها وسموا على التوالي: الألف والواو والياء المديات.

-سابعا الصوامت والصوائت والمقاطع في تصور قدامى علماء اليونان ومن تبعهم من الفونولوجيين المحدثين وفي تصور قدامى الصوتيين العرب:

في التقسيم اليوناني القديم قسمت الأصوات إلى صوامت وصوائت، على يدّ أفلاطون[2]، وتسمية الصامت أو الصائت كانت عندهم باعتبار ذات الصوت كما هو معزول عن السياق، أما قدامى العرب فلم يقسموا الأصوات إلى صوامت وصوائت، فليس الحرف عند قدامى علماء العربية هو ما يقابل الصامت.

لقد قسم العرب الأصوات إلى حروف وحركات، فالحركات هي ما يسمى اليوم بالصوائت القصيرة وتشمل الفتحة والضمة والكسرة، أما مصطلح الصوائت اليوناني فيشمل الصوائت القصيرة والطويلة (والصوائت الطويلة عدها العرب القدامى حروفا)، أما الحركة عند العرب فهي أحد أنواع الصوائت عند اليونان؛ لذا لا يمكن عدها مصطلحين مترادفين إلا إذا ألغيت الثقافة والمنهجية المنتجة لكل مصطلح منهما.

---

1 انظر: لواتي فاطمة: الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية في المنطوق اللهجي العربي (سوريا- لبنان- تونس- الجزائر)، رسالة دكتوراه علوم، أشرف عليها أ.د غتيري سيدي محمد، مخطوط بقسم التاريخ جامعة بلقايد-تلمسان 2016، ص: 58.

2 انظر: ر. هـ. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص: 48.

والحروف في تصور علماء العربية تشمل الصوائت الطويلة، وتشمل الصوامت (بالمفهوم اليوناني الذي جرت عليه الدراسات الحديثة اليوم) هذه الصوامت سماها العرب بالحروف السواكن؛ والذي لوحظ أن التشابه بين الساكن عند الصوتيين العرب القدمى وبين الصامت عند اليونان وفي الفونولوجيا الحديثة أمر شكلي، فالساكن كما في التراث العرب هو كل صوت ليس بمُتحرّكٍ؛ أي ما لا تعقُبُه حركةٌ، لهذا فالسّكون عندهم صفةٌ للصوتِ بحسبِ ما بعدَه وليس باعتبارِ ذاتِه، أما الصامت عند اليونان والفونولوجيين المحدثين فاعتبار ذاته أي هو ما ليس بحركة وانتهى الأمر.

أما الحرف فيطلقه قدامى علماء العربية على الحرف الساكن وعلى المتحرك وعلى أصوات العلة أو اللين[1] (وهي التي تسمى في الفونولوجيا الحديثة بالصوائت الطويلة) مثلا: الألف والواو والياء في: ذا، ويدعو ويرمي حروف، والمقطع "سا" في كلمة سافر حرف، و"بْ" في كلمة: ابتسم حرف، فالحرف عندهم إما حرف علة وإما ساكن وإما متحرك.

لذا لا بد من التنبه لهذا الاختلاف؛ فمصطلح ساكن هو ما يمكن جعله مقابلا لمصطلح صامت، مع مراعاة تصور العرب أنه باعتبار ما يليه لا باعتبار نفسه كما في تصور قدامى اليونان والفونولوجيين المحدثين، إن العرب درسوا الأصوات غير معزولة عن

1 – وهي الألف كما في ذا، والواو كما في ذو، والياء كما في ذي،

السياق، بل نظروا للأصوات في ديناميتها (حركيتها وحياتها) في السلسلة الكلامية؛ وقد تنبه سوسير لذلك ونادى بضرورة دراسة الأصوات في السلسلة الكلامية.[1]

وربما هذا ما حمل لغويي العرب على إهمال فكرة المقطع، لأنهم وجدوا أن الصوت في السلسلة الكلامية متصلا بغيره وأنه لا توجد وقفات بين صوت وآخر، أما العروضيون[2] والموسيقيون العرب[3] فقد تنبهوا إلى فكرة المقطع وهذا أمر يفرضه عليهم طبيعة عملهم؛ لأن الأصوات لا تتآلف إلا بشروط فإن تنافرت فسد الشعر والموسيقى، وكان سبب هذا الفساد هو صوت أو أكثر أمكن ملاحظته فسماه العروضيون سببا ووتدا (وهي الأجزاء من التفعيلة التي يدخلها الزحافات والعلل) وسماه الموسيقيون مقطعا.

---

1 – خصص دي سوسير لهذه القضية، نظرا لأهميتها في الدراسة الصوتية، الفصل الثاني من ملحق مبادئ علم الأصوات بأكمله، انظر: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية–بغداد 1985م، من الصفحة: 67 إلى 73. وانظر االنص الأصلي: Ferdinand de Saussur : Cours de linguitique générale, édition critique préparée par Tullio de Mauro, 1972 édition Payot , p 77

2 تعامل العروضيون مع المقطع من خلال الأوتاد والأسباب، فالدراسة العروضية قائمة على التقطيع المقطعي، (انظر: صباح عطيوي عبود: المقطع الصوتي في العربية، ص: 9و 26 بتصرف يسير)، إن التقطيع العروضي ما هو سوى تقطيع مقطعي يلائم نظام اللغة الشعرية.

3 أنظر جهود علماء التجويد والموسيقى وعلماء الكلام، في دراسة المقطع وتعريفه وتحليله في: مناع عبد الله مصلح شداد: المقطع في بنية الكلمة العربية دراسة لغوية تطبيقية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الدراسات اللغوية والنحوية بجامعة أم درمان الإسلامية نوقشت في 2009م، ص: 15–33.

# الفصل الأول

# الصوتيات التشريحية عند قدامى الصوتيين العرب

# الفصل الأول

## الصوتيات التشريحية عند قدامى الصوتيين العرب

- **تمهيد:**

قبل الحديث عن الصوتيات التشريحية عند القدامى، هناك أمور غامضة ينبغي التنبيه عليها وإزالة اللبس عنها، فقد كانت سببا رئيسا –حسب رأيي– في صعوبة استيعاب علم الأصوات العربي القديم والاستفادة من نتائجه كما ينبغي في علاج مشاكلنا اللغوية اليوم، الأولى تتعلق بمنهج القدامى في تصنيف الأصوات، والثانية تتعلق بمصطلحات أعضاء النطق.

## المبحث الأول

## التكامل التشريحي الوظيفي للأصوات

- **أولا: منهج التصنيف:**

يمكن عند دراسة الصوتيات الحديثة التعرف على أجزاء الجهاز الصوتي دون النظر في الحروف التي تخرج من تلك الأجزاء، فمعطيات التشريح أخذت بعيدا على نظام اللغة، لكن عند دراسة الصوتيات العربية القديمة لا يمكن معرفة أجزاء الآلة الناطقة في كثير من الأحيان دون النظر في الحروف التي تخرج منها، والسبب في ذلك أن معطيات التشريح خضعت للتعديل لتتلاءم مع نظام اللغة الموصوف وهذا ما قصدته "**بالتكامل التشريحي الوظيفي للأصوات**"، مثال ذلك أن الخاء والغين المفخمتين حرفان لهويان، لكن القدامى عدّلوا من مفهوم الحلق مع هذين الصوتين، ولم يفعلوا هذا مع صوت القاف اللهوي، بسبب اكتساب الخاء والغين لخصائص الأصوات الحلقية من حيث؛ إظهار النون، وعدم الإدغام مع حروف الفم، والتنافر مع باقي حروف الحلق–وسيأتي توضيح ذلك فيما يأتي– وواضح أن العلاقات الفونولوجية بين الأصوات مردها إلى نظام اللغة لا إلى التشريح، فاللغات تختلف في أنظمتها الفونولوجية فما يكون ممنوعا في هذه اللغة قد يكون جائزا في تلك؛ كامتناع العربية من الابتداء بحرف ساكن وقبول لغات أخرى لهذه الظاهرة كاللغة الفرنسية التي يلحظ فيها تتابع أكثر من صامت في بداية الكلة مثل: stresse.

فالجهاز الصوتي من حيث التشريح والفيسيولوجيا بين العربي وغيره واحد، ولو كانت الأحكام الفونولوجية للأصوات مردها إلى التشريح لاتفقت كل اللغات في هذه الأحكام، إلا أن النظام اللغوي يسير وفق قانون السهولة والتيسير، فعادة ما يتجنب التنافر بين متواليات الحروف بسبب صعوبة نطقها، فاستغل العلماء هذه الظاهرة وفسروا بعض الظواهر تفسيرا يتلاءم ومعطيات التشريح.

والدليل على أن معطيات التشريح ليست من صميم نظام اللغة، أن التنافر –بسبب قرب الأحياز في العربية وسيأتي بيانه في الفصل القادم– لا نجد له أثرا في لغات أخرى، ففي العربية ومن حيز اللهاة، لا تجتمع القاف والكاف ولا الجيم والقاف، مثل: منجنيق، دخيلة، وكذلك الجيم والكاف مثل: جنكيز، كلمة دخيلة[1] وينطقها العربي دون مشقة، ويبقى قانون لا تجتمع في العربية جيم وقاف ولا قاف وكاف، قانونا تفسيريا يكشف لنا عن الدخيل من الأصيل في كلام العرب، ولم يمنع التقارب المخرجي بين القاف والكاف نظام اللغة الفارسية من استعمال كلمات تجمع فيها بين الصوتين.

القدامى–وبعد تدقيقي في هذه المسالة– كثيرا ما ألغوا بعض الخصائص التشريحية لبعض الأصوات لضرورة اِقتضاها منهجهم في التصنيف وتخصصهم في مجال معين من مجالات اللغة، فالخليل بن أحمد (ت175ه) الذي جعل مبحث الأصوات مقدمة لبناء معجمه، لم يصف الواو بأنها شفوية،[2] لأنه جعل مصطلح الشفوية مقصورا على الحروف الصحاح،[3] وعامل الواو غير المدية معاملة الواو المدية وباقي العلل لأنه يصيبها الاعلال[4] كما يصيب الحروف الهوائية، ولاحظ أنها لا تؤدي دورا في تمييز أبنية الكلم الرباعي والخماسي الأصيلة عن الدخيلة، فجعل الحيز الشفوي يضم فقط الأصوات الصحيحة التي

---

1 أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي (ت1170ه): فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث–الإمارات العربي، ط2006/2، 403/1.

2 بخلاف المحدثين الذين يعدون الواو صوتا شفويا، مقتفين مذهب سيبويه ومنهجه في التصنيف الذي يرتكز على العلاقات الصرفية بين الأصوات قال عبد الحميد قدوع الأصبعي: (أما المتقدمون فينسبون الواو إلى الشفتين؛ لأن حركة الشفتين بالاستدارة أوضح من حركة أقصى اللسان تجاه أقصى الحنك، وفي رأيي أن نسبة صوت الواو إلى الشفتين أقرب في المنطق من نسبته إلى أقصى الحنك، لأن تطور الأصوات وتبادل مواقعها في اللغات يشير إلى تبادل الواو مع الباء، ولم يشر إلى تبادله مع صوت الكاف مثلا، مما يدل على أن نسبة الواو إلى مخرج الشفتين أصح من نسبته إلى أقصى الحنك)، الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية–ليبيا، ط2010/1، ص:33–34.

3 وتقابلها الحروف الهوائية (اوي ء)، فالهمزة ليست من الحروف الصحاح، ولم أجد للخليل فيما طالعت أي تحديد مخرجي كالذي نراه مع الحروف الصحاح للحروف الهوائية، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1–42.

4 مثال ذلك، الواو غير المدية في "قَوْل" تعل ألفا في الماضي؛ "قال"، وياء في صيغة المجهول؛ "قيل".

تفعل ذلك التمييز وسماها مع حروف أخرى **حروف الذلاقة**،[1] والأمر نفسه نجده مع حروف اللثة: (ل، ن، ر) فرغم وجود حروف أخرى من اللَّثَة كالتاء والدال والطاء[2] إلا أنه خصص للام والراء والنون مصطلح ذلقي (الذولق مقدم اللسان) وخصص للتاء والدال والطاء مصطلح نطعي (وهو الغار أو الحنك الصلب)، وهذا ما أسميته **بالمناوبة** في الوصف، والذي حمل الخليل على هذه **المناوبة** هو منهجه في التصنيف، المبني على أسس معجمية ليضع قواعد تسهل عملية كشف الدخيل من الأصيل وهذه إحدى وظائف المعجم، فصنف الأصوات في مجاميع سماها أحيازا، وفق قانوني التنافر والائتلاف، فلما وجد أن بعض أصوات اللثة يميز الكلم الدخيل من الأصيل دون غيرها من أصوات اللثة، جمعها في حيز واحد وسماها **الذليقة**.

ويلحظ أن الخليل سمى معظم الحروف التي يشترك اللسان في إخراجها بمصطلحات مشتقة من اسم المنطقة الحنكية المقابلة لذلك الجزء المشارك من اللسان، مثل الحروف اللهوية، بدل حروف أقصى اللسان، وحروف الشجر، بدل حروف وسط اللسان، وحروف النطع واللثة بدل حروف طرف اللسان ، ويستثنى من ذلك الحروف الذلقية؛ (ر، ل، ن) والأسلية (ز، س، ص) والأسلة وهي مُستدَقّ طرف اللّسان،[3] وبعد التقصي وجدت أن فعله هذا مقصود؛ فحروف الذلاقة (ل، ن، ر، ف، ب، م) لها دور في تمييز الكلم العربي من العجمي كما مر قبل قليل، أما الحروف الأسلية وعلى الخصوص صوت السين، فلها

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

2 قال سيبويه: (ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء) الكتاب، تح: تح: عبد السلام هارون، ط1988/2، مكتبة الخانجي–القاهرة، 433/4، وأصول الثنايا هي اللثة، وانظر: عبد الحميد قدوع الأصبعي : الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين، ص:36–37.

3 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

دور في تحسين بعض الكلمات المعربة ذات البناء الرباعي والخماسي من التي تعرى من حروف الذلاقة.[1]

وعلى الرغم من أن الخليل تفطن إلى أن الذلاقة نطقيا تكون بأسلة اللسان والشفتين،[2] فقد سمى الحروف التي تنطق بالأسلة وهي اللام والنون والراء حروفا ذولقية، وسمى أخواتها في المخرج وهي السين والزاي والصاد حروفا أسلية، وهذا التفريق له ما يبرره من ناحية التصنيف، فتصنيف الخليل بن أحمد ليس تصنيفا فسيولوجيا بحتا لا يراعي إلا المخرج معزولا عن النظام اللغوي للحروف، بل راعى فيه علاقة الحرف (مخرجيا وصفاتيا) مع النظام اللساني للغة العربية.

وهذا يلزمنا أن ننظر في مصطلحات القدامى بعين الدقة والحذر، وألا نسقط نتائج الدرس الصوتي الحديث على الدرس القديم دون روية، وأن نعيد النظر في بعض مقولات المحدثين التي رأت أن الاختلاف في وصف بعض الأصوات بين القدامى والمحدثين كان بسبب الخطأ لانعدام الوسائل المخبرية لديهم أو بسبب تطور النطق، فالاختلاف قد يكون بسبب تبني القدامى منهجية خاصة تختلف عن منهجية المحدثين.[3]

---

1 تمتعت كل من القاف والعين وكذلك الدال والسين بصفات جعلت العربي يختارهم عند تعريبه للكلمات لتكون الكلمات طيبة المسمع حلوة المنطق، قال الخليل: (وأما البناءُ الرباعيُّ المُنبَسطِ فإنَّ الجُمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذُلْق أو من بعضها، إلاَّ كلمات نحوا من عشر كن شواذًّ؛ ومن هذه الكلمات: العَسْجَدُ والقَسْطوس والقُداحِس والدُعشُوقةُ والهُدْعةُ والزُهْزُقَةُ... وهذه الأحرف قد عَرِينَ من الحروف الذُلْق، ولذلك نَزَرْنَ فَقَلَلْنَ، ولولا ما لزمَهُنَّ من **العين والقاف** ما حَسُنَّ على حال، **ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه**، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا، **فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنَصاعتهما** ... مهما جاء من بناء اسم رباعي مُنْبَسِط معرّى من الحُرُوف الذُلْق والشَّفَويَّةِ فإنّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَي الطَّلاقةِ أو كليهما **ومن السين والدال أو أحدهما**، ولا يضُرُّ ما خالف من سائر الحروف الصُتْم) (الخليل بن أحمد: كتاب العين، 38/1-39.)

2 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

3 سيناقش البحث هذه الآراء بالتفصيل في الفصول القادمة إن شاء الله.

تفطن بعض القدامى إلى ضرورة اختلاف المنهج تبعا لاختلاف التخصص، فسيبويه لما درس الأصوات في مباحث علم الصرف (الإدغام) خالف شيخه الخليل بن أحمد في بعض النقاط، هذا الخلاف ليس سببه أن سيبويه اكتشف أن الخليل أخطأ في تقدير مخارج بعض الأصوات ، ولو كان ذلك لذكر هذا بعبارة واضحة بكل نزاهة وروح علمية، لكن سيبويه أدرك أن وصف الخليل للأصوات كان وصفا يلاءم صناعة معجم، وأن هذا الوصف لا يلاءم دراسة قوانين الإدغام، وستزاد هذه القضايا شرحا وتفصيلا فيا يأتي من البحث.

**ثانيا: مصطلحات الأعضاء:**

استعمل القدامى مصطلحات لأعضاء معينة تختلف عن مصطلحات المحدثين؛ هذا ما حمل بعض المحدثين[1] على الظن بأن القدامى لم يعرفوها أو أخطئوا في تقدير مخارج بعض الأصوات مثال ذلك:

أ- **المصطلحات العربية القديمة الدالة على الحنجرة:** أقصى الحلق، الغلصمة، الصدر (صوت الصدر، نبرة في الصدر) أعلى الصدر (صوت أعلى الصدر)، الحلقوم، أما المصطلح الحديث فهو **حنجرة**، ووصف القدامى للهمزة مثلا بأنها من الصدر أو أقصى الحلق يعني أنها من الحنجرة، وليس كما يُظَن أنهم لم يعرفوا هذا الجزء من جهاز النطق استنادا لجهلهم بعمل الأوتار الصوتية في أثناء الجهر، هذا ما سيفند فيما يأتي من البحث.

ب- **المصطلحات الدالة على الوترين الصوتيين:** شوارب الحنجور، الحرقدة، الجسم الشبيه بلسان المزمار... والمصطلح الحديث هو

1 سيناقش البحث بعض هذه الآراء بعد قليل.

الوتران الصوتيان؛ وهو نتيجة للترجمة عن الكتب الأوروبية، وعدم ذكر قدامى الصوتيين العرب لهذا المصطلح بصيغته الحديثة لا يدل على جهلهم بهذا العضو، كما أن لمعرفتهم بهذا العضو من ناجية التسمية لا يدل على معرفتهم لوظيفته في أثناء الكلام، باستثناء الحكماء والأطباء الذين عرفوا أن اهتزاز الوترين الصوتيين أو الجسم الشبيه بلسان المزمار هو مصدر الصوت، وسيفصل في هذه النقطة بشكل جيد.

## المبحث الثاني

## أعضاء النطق ووظائفها اللغوية

- **أولا: أعضاء النطق:**

أعضاء الكلام هي مجموعة من الأجهزة العضوية التي تعمل بشكل متناسق لإصدار أصوات الكلام.[1]

سمى الخليل بن أحمد (ت175هـ) أعضاء النطق على عمومها ؛ بالجوف، والحلق (في بعض السياقات)، فقد جعل حيز الألف وأخواتها الجوف؛ جاء في رواية الليث لكتاب العين ما نصه: (قال الخليل: في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً صِحَاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جُوف وهي: الواو والياء والألف اللَّيِّنَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ وكان يقول كثيرا: الألِفُ اللَّيِّنَةُ والواو والياءُ هوائية أي أنها في الهواء).[2]

ومعنى الجوف[3] عند الخليل هو كامل فراغ الحلق –أوله وأوسطه وآخره– وفراغ الفم، وبعبارة المحدثين الجوف عند الخليل هو كامل القناة النطقية من الحنجرة إلى الشفتين، ما عدا فراغ الأنف؛ لأنه لا دخل له في نطق الصوائت العربية، قال الإمام شهاب الدين القسطلاني (ت923هـ): (ويقال لهذه الثلاثة حروف المد؛ لأن مخرجهن من ***جوف الفم***

---

1 –Voire: A. belkhirat : précis de phonétique et de phonologie, p : 21. Et jean Dubois autre : dictionnaire de linguistique, p : 42.

وانظر : محمد رشاد الحمزاوي: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، العدد/ 14، 1977، وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971، ص: 16 إلى 19.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

3 الجوف لغة هو الخلاء ثم استعمل فيما يقبل الشغل والفراغ، انظر: أحمد الفيومي: المصباح المنير، مكتبة لبنان 1990، مادة: جوف، ص: 45.

***والحلق؛ وهو الخلاء***، وليس لهن حيز من الأحياز؛ لأنها أصوات تتصل بالهواء وتنتهي فيها)[1] وقال الشيخ عطية الأجهوري (ت1190هـ): (والجوف هو الخلاء الداخل في الفم، لا حيز محقق له، وتسمى هذه الحروف الثلاثة جوفية لخروجها من الجوف، ولأن النفس ما دام موجودا كانت موجودة؛ وإذا انقطع النفس انقطعت).[2]

إذن معنى الجوف؛ هو كامل فراغ الحلق –بمفهومه التراثي الذي يمتد من الحنجرة إلى مخرج الخاء والغين المفخمتين– وفراغ الفم،[3] وسيأتي مزيد من التوضيح في الفصول القادمة.

سمى الفارابيُّ (ت339هـ) جهاز النطق بالآلةُ الطبيعيَّةُ وآلة التصويت، قال: (**الآلة الطبيعية**؛ الحَنجرةُ، واللَّهاةُ وما فيها، ثم الأنف)[4] وقال: (وعلم قوانين الألفاظ المفردة؛ يفحص أولا في الحروف عن عددها، ومن أين خرج كل واحد منها في **آلات التصويت**، وعن المصوت منها، وعما يتركب منها في ذلك اللسان وعما لا يتركب).[5]

---

1 شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: المستطاب في التجويد المسمى هداية القراء، تح: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية–بيروت، ط2008/1، ص: 88.

2 عطية بن عطية الأجهوري: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي وأحمد بن علي، مركز التراث الثقافي المغربي–الدار البيضاء ودار ابن حزم–بيروت، ط2009/1، 821/2، ومعنى قوله: (وما دام النفس موجودا كانت موجودة) أنها أطول الأصوات؛ فما دام النفس يخرج حال النطق بها، كانت هذه الأصوات تسمع، وأطول هذه الأصوات الألف ثم الواو ثم الياء المديتين.

3 هذا ما يشير إليه بعض علماء التجويد، انظر: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: المستطاب في التجويد، ص: 88، وعطية بن عطية الأجهوري: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، 821/2.

4 الفارابي أبو نصر: إحصاء العلوم، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط1996/, ص: 61.

5 الفارابي أبو نصر: إحصاء العلومّ، ص: 20.

يتضح من كلام الفارابي ما يلي:

1- مصطلح الآلة الطبيعية، معناها الآلة الطبيعية المولدة للصوت، وهي التي خلقها الله –عز زجل– وتقابل الآلة الصناعية كآلات الموسيقية، قال الفارابي: (والصناعية هي مثل المزامير والعيدان وغيرها).[1]

2- مصطلح الآلة الطبيعية شاع قديما، ولا نلاحظ له استعمالا واسعا اليوم، لكن مصطلح آلة التصويت أو مشتقاته كالآلة المصوتة، يشبهه في التركيب ويحضى باستعمال واسع في الدرس الصوتي الحديث، وهذا ينم عن دقة في صياغة المصطلح الصوتي القديم.

- **<u>ثانيا الأعضاء المستعملة في التصويت</u>:**

عرف اللغويون العرب مختلف الأعضاء المستعملة في الكلام بصورة إجمالية –ثم عرفها الحكماء والأطباء بشكل مفصل من حيث التشريح والوظيفة– وقد وردت بعض مصطلحات القدامى بمفهوم يختلف عما هو متعارف عليه اليوم؛ كمصطلح الصدر وأقصى الحلق الذي عنوا به الحنجرة عندنا اليوم.

عرف القدامى أعضاء التصويت الآتية؛ الحجاب الحاجز، الرئتان، القصبة الهوائيَّة، الصَّدر وأقصى الحلق،[2] شوارب الحنجور والجسم الشبيه بلسان المزمار،[3] وسط الحلق (البلعوم)، أدنى الحلق (منطقة اللهاة)، الفم (ويَضُمُّ: الحنك، واللِّسان، والأسنان)، الشفتان، الخيشوم والأنف.

---

1 الفارابي أبو نصر: إحصاء العلوم, ص: 61.

2 الصدر وأقصى الحلق يقابلان الحنجرة في الدرس الحديث.

3 شوارب الحنجور، مصطلح استعمله الخليل، والجسم الشبيه بلسان المزمار مصطلح استعمله أبو بكر الرازي وابن سينا، وهما يقابلان الوترين الصوتيين في الدرس الحديث.

وقدامى الصوتيين العرب من علماء المعاجم؛ كالخليل بن أحمد وابن دريد، ربطوا مبحث الأصوات بأصول اللغة من حيث دخالة أو أصالة الألفاظ والمهمل منها والمستعمل، أما سيبويه والنحاة فقد ربطوه بالصرف وجعلوا مصطلح الإدغام مصطلحا جامعا لمظاهر الخفة في النطق، وجمعوا الحروف تحت مسميات لخصائصها الصرفية، كحروف الحلق، حروف الفم (=الحروف الصتم عند الخليل)، فلكل صنف من هذه الحروف أحوال صرفية تميزه عن غيره ستوضح في مواضعها من هذا البحث –إن شاء الله– قال سيبويه: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك)[1]

وقال ابن دريد (ت321هـ) موضحا منهج علماء المعاجم وقصدهم من وراء درس الأصوات: (فأول ما يحتاج إليه الناظر في هذا الكتاب؛ ليحيط علمه بمبلغ عدد أبنيتهم المستعملة والمهملة، أن يعرف الحروف المعجمة التي هي قطب الكلام ومحرنجمه[2] بمخارجها ومدارجها وتباعدها وتقاربها وما يأتلف منها وما لا يأتلف، وعلة امتناع ما امتنع من الائتلاف، وإمكان ما أمكن، وأنا مفسر لك –إن شاء الله تعالى– ألفاظ الحروف المعجمة؛ بمخارجها ومدارجها وتقاربها وتباعدها وما يأتلف منها وما لا يأتلف بعللها فتفهم ذلك إن شاء الله)[3] كما أدرك اختلاف مقصد النحاة من درس الأصوات عن مقصد علماء

---

1 سيبويه: الكتاب 4/ 436.

2 محرنجم الشيء مجتمعه، قال ابن دريد في باب ما جاء على مُفْعَنْلِل ومُفْعَلِّل: (ونَعَم محرنجِم، إذا اجتمع)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ط/1987، دار العلم للملايين، 1217/2.

3 ابن دريد: جمهرة اللغة، 41/1.

المعاجم، قال: (وقد فسر النحويون مخارج الحروف وأجناسها[1] **تفسيرا آخر**، وقد أثبته لك وإن كان فيه طول؛ لتقف على ألقاب الحروف ومخارجها).[2]

أطلق قدامى أطباء العرب عدة مصطلحات على جهاز النطق، منها؛ آلات أو أعضاء التنفس والآلة التي يكون بها القرعُ وآلات الصَّوت، آلات التصويت الإنسانيّ وآلات التصويت و أعضاء الصَّوت والآلة الطبيعية وآلة النطق وآلة الكلام.[3]

يتألف الجهاز الكلامي عند الإنسان من ثلاثة أقسام رئيسية، يمكن ملاحظة نشاطها في أثناء عملها:

1. **الجهاز التنفسي تحت حنجري**: والذي يشمل القفص الصدري وعضلات البطن والحجاب الحاجز بالإضافة إلى القصبة الهوائية والشعب الهوائية والرئتين، وهو الذي ينتج تيار الهواء اللازم لإصدار الأصوات.
2. **الحنجرة**: وهي المصدر الأساسي للصوت الإنساني، وتمتاز بتركيب محكم يشمل مجموعة من الغضاريف والمفاصل والأربطة، كما تحوي الأوتار الصوتية التي تتذبذب لإنتاج الأمواج الصوتية Les ondes sonores.

**التجاويف فوق حنجرية**: Les cavités supra– glottique يطلق مصطلح تجاويف ما فوق الحنجرة أو الفراغات الرنانة على كل الفراغات الموجودة في الرأس ما عدا تجويف أو فراغ الحنجرة نفسه، وفيها يتم إنتاج معظم الأصوات اللغوية، وتتكون من:

---

1 أي صفاتها.

2 ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

3 لدراسة مفصلة عن هذه المصطلحات انظر: عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر: المصلحات الصوتية في التُّرَاثِ اللُّغَوِيّ عِنْدَ العَرَب، ص: 107وما بعدها.

تجاويف البلعوم والأنف والفم الذي يشمل الفك السفلي والعلوي والحنك واللسان والأسنان والشفتين.[1] وعرفت الفراغات الرنانة في التراث العربي بـ(المعينات والبواعث).[2]

يجرى تقسيم هذه الأعضاء في علم الأصوات المعاصر إلى قسمين: قسم يشمل الأعضاء الرئيسية في النطق وهي: اللسان والشفتان والأسنان واللثة والحنك الصلب والحنك اللين واللهاة والحنجرة والرئتان وقسم يشمل الأعضاء المساعدة على إحداث عملية النطق فتجعل عمل الأعضاء ميسورا، مثل عضلات اللسان المساعدة وغضاريف الحنجرة وعضلاتها وأنسجتها وأربطتها، ويتم ترتيب هذه الأعضاء في علم الأصوات المعاصر من الخارج إلى الداخل؛ ابتداء من الشفتين وانتهاء بالحنجرة.[3]

أما العرب القدامى فقد ساروا على عكس هذا الترتيب فابتدأوا بأدخل الأصوات في القناة الصوتية وانتهوا بمخرج الشفتين، وهذا الترتيب لا يعكس ملاحظتهم لاتجاه سير تيار الهواء في أثنا النطق فقط، بل يعكس كذلك ملاحظة اتجاه التنافر عند الخليل، واتجاه سير الادغام عند سيبويه، قال السنهوري (ت894هـ): (وقدمنا الحلقية على اللسانية وأخرنا الشفهية، لأن مادة الصوت الذي هو الهواء يخرج من داخل إلى خارج من غير عكس؛ ولأن وضع الإنسان على الانتصاب؛ فرأسه أعلاه ولهذا بدأنا به).[4]

وقد أدرك أحد علماء التجويد أهمية ترتيب الأصوات من الخارج إلى الداخل، قال محمد بن نصر المصري –عاش في القرن 19م–: (فأول المخارج الشفتان ونهايتها الجوف؛ إذ

---

1 انظر: صلاح الدين صالح حسنين: المدخل في علم الأصوات المقارن، مكتبة الآدلب2005، ص: 19، وحنفي بن عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط5/2003، ص: 109.

Et A. belkhirat : précis de phonétique et de phonologie, dar el hadith lil-kitab 2003. p : 21.

2 انظر: ابن سينا: القانون في الطب، تح: محمد أمين الضناوي، ط1/1999، دار الكتب العلمية–بيروت، 322/2.

3 انظر: سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال الوظيفة المنهج، عالم الكتب الحديث2005، ص 22.

4 السنهوري زين الدين ابي الفتح جعفر بن إبراهيم(ت894هـ): كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، تح: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، دار ابن حزم، ط1/2010، ص:208,

–هذا هو– الوضع الإلهي على الاستقامة، فأول الإنسان رأسه وآخره رجلاه كما ترى في وضع هذا الشكل الظريف، وهذه صورة الشفتين واللسان والحلق والجوف كما ترى في الوضع الإنساني، ومجال خروج الحروف منها بالمحسوس على هذه الصفة والله الموقف للصواب).[1]

ويقسم بعض علماء الصوت المحدثين المخارج إلى قسمين كبيرين:

3. **مواضع النطق العمودية**: وهي مجموعة مواضع النطق الممتدة من البلعوم إلى الحنجرة.
4. **مواضع النطق الأفقية**: ويشمل مواضع النطق الممتدة من الشفتين حتى اللهاة.[2]

ولسيبويه تقسيم يقترب من هذا من حيث الشكل، فقد كان تقسيمه أكثر وظيفية؛ فقد اتخذ منه تفسيرا وتعليلا لظاهرة تفضيل حروف الحلق للفتح، وقد سمى الحروف ذات المخرج الأفقي بالحروف المرتفعة ووصف الحروف ذات المخرج العمودي بالسُّفول، قال في معرِض حديثه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً: (وإنمَّا فتَحُوا هذه الحروفَ لأنَّها سَفلت في الحلْق، فَكَرِهُوا أن يتناوَلُوا حركةَ ما قبلَها بحركةِ **ما ارتَفَعَ من الحروف**، فجعَلُوا حركتَها من الحرفِ الذي في حيِّزها، وهو الألف، وإنَّما الحركاتُ من الألفِ والياءِ والواوِ، وكذلك حرَّكُوهنَّ إذ كُنَّ عَيْناتٍ، ولم يُفعَل هذا بما هو مِن مَوْضِعِ الواو والياء؛ لأنَّهما من الحروف التي **ارتَفعَتْ، والحروف المرتفِعةُ** حَيِّزٌ على حدةٍ، فإنَّما تَتَنَاوَلُ **للمُرتَفِع** حركةً من **مُرْتَفِع**، وكُرِهَ أن يُتناوَلَ للَّذي قد سَفُل حركةٌ من هذا الحيِّز).[3]

---

1 انظر محمد بن نصر المصري: القول المألوف في بيان مخارج الحروف، مخطوط بجامعة الملك سعود، ص 6.

2 انظر سلمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا، تر: ياسر الملاح ومحمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي 1993، ص:93.

3 الكتاب، 4/ 101.

وتقسم أعضاء النطق حسب الحركة والثبوت إلى قسمين:

أ- **قسم ثابت لا يتحرك:**ويشمل الأسنان واللثة والحنك الصلب.

ب- **قسم متحرك:** ويشمل الشفتين واللسان واللهاة والأوتار الصوتية.

ويعد العضو المتحرك عضوا مباشرا في عملية النطق، كما يعد العضو الثابت عضوا غير مباشر.[1]

وبناء على ذلك سأتناول كل عضو من هذه الأعضاء بشيء من التفصيل عند القدامى من حيث المصطلحات الدالة عليه، والوظائف النطقية والحيوية لكل عضو فيما يأتي من البحث.

1 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، دار وائل للنشر 2003، ص: 18.

## المبحث الثالث

## التقسيم الوظيفي لجهاز النطق وعلاقته بتصنيف الحروف

ينقسم جهاز النطق إلى ثلاثة أقسام، قسم غير وظيفي في تصنيف الحروف (أعضاء ما تحت الحنجرة)، وقسمان وظيفيان (عضو الحنجرة، أعضاء ما فوق الحنجرة).

- **أولا أعضاء ما تحت الحنجرة:**

### 1- الحجاب الحاجز Le diaphragme:

عرف الخليل بن أحمد (ت175ه) هذا الجزء الهام من الجهاز التنفسي، قال: "**وِحِجاب الجَوْف:** جِلْدةٌ **تَحْجُبُ** بينَ الفُؤاد وسائر البطن)،[1] وقال الخوارزمي (ت 387ه): (**الحجاب:** هو شبيه بالجلد يأخذ من رأس القص إلى الظهر فيتصل بتجويف البطن، فيكون في التجويف الأعلى الرئة والقلب، وفي التجويف الأسفل سائر الأحشاء)[2] وقال ابن فارس (ت395ه): (ومن الحشا **الحجاب** وهي جليدة لحم **يحجز** بين الصدر والبطن)[3] ولا يوجد في كلام اللغويين القدامى –بحسب اطلاعي– ما يدل على أنهم أدركوا وظيفته في عملية التصويت.

وقد اشتقَّ ابن سينا (ت428ه) لفظَ "الحجاب الحاجز" من كلام اللغويين[4] ووصفهم له بأنه **يحجز** بين الصدر والبطن، قال: (العضل المحركة للصدر منها ما يبسطه فقط ولا

---

1 الخليل: كتاب العين، 286/1.

2 والخوارزميُّ في مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي–بيروت ط1989/2، ص: 183.

3 ابن فارس: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، تح فيصل دبدوب، مطبعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1967، ص: 20.

4 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 129.

يقبضه، فمن ذلك **الحجاب الحاجز** بين أعضاء التنفس وأعضاء الغذاء...وأما العضل القابضة للصدر، فمن ذلك ما يقبض بالعرض؛ وهو **الحجاب** إذا سكن، ومنها ما يقبض بالذات، فمن ذلك زوج ممدود تحت أصول الأضلاع العلى وفعله الشد والجمع...)[1] وقال: (وحركة النفس المعتدل الطبيعي الخالي من الآفة يتم **بحركة الحجاب الحاجز**، فإن احتيجَ إلى زيادة قوَّة لما ليس يدخُل إلا بمشقَّة، أو لتَقوِّي النفَس لتَخرُج نفخه، شارك الحجابَ في هذه المعونةِ عضلُ الصدر كلُّها حتى أعاليها، أو لا بدَّ فبعضُ السَّافلة منها فقط فإن احتيج إلى أن يكون صوتاً لم يكن بدٌّ من استعمال عضَل الحنجرة، فإن احتيج إلى أن يُقَطِّع حروفاً، ويؤلَّف منه كلامٌ، لم يكن بدٌّ من استعمال عضل اللِّسان. وربَّما احتيج إلى استعمال عضَل الشَّفة).[2]

فاللُّغويون والأطباء متفقون على أن الحجاب الحاجز يَفصل بين تجويف الصَّدر وبين تجويف البطن، غير أن اللغويين وصفوه بأنه جلدة لحم، وهذا بحسب ما تأتى لهم من معارف، أما ابن سينا فوصفه بأنه عضلة وعرف بأن له وظيفته في عملية التنفس، وهذا هو ما استقر عليه الدرس الصوتي الحديث.[3]

وبناء على ما جاء عن ابن سينا تتحدد وظائف الحجاب الحاجز على النحو التالي:

أ- الحجاب الحاجز يفصل بين تجويفي البطن والصدر.

ب- الحجاب الحاجز عضلة من عضل الصدر الباسطة له فقط.

---

1 ابن سينا: القانون في الطب،67/1-68.

2 ابن سينا: المرجع السابق، 307/2.

3 انظر سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، عالم الكتب 2000، ص: 75، و عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 128.

ت- ومن وظائفه أنه يبسط الصَّدر ويَقبضُه مع سائر العضَل المحرِّك للصَّدر في عمليتَي الشهيق والزَّفير.

ث- الحجاب الحاجز ينقبض بالعرض أي بالمرونة الذاتية، حيث يعود لوضعه الطبيعي بعد أن ينتهي المنبه العصبي الذي يحمله على الانبساط.

ج- عضل الصدر منها ما يعمل على بسط الصدر وتوسيعه لاستقبال الهواء من الخارج، ومنها ما يعمل على تقليص الصدر لطرد الهواء المحمل بالكربون.

ح- العضل الذي يقبض بالذات، يعني به ابن سينا يقبض بعد تلقي إشارة عصبية، ويقابله الذي يقبض بالعرض؛ وهو الذي يعود لوضعه الطبيعي إذا سكن، أي زال عنه المؤثر العصبي كالحجاب الحاجز.

خ- التنفس من عمل الرئة والحجاب الحاجز، والصوت –أي صوت الجهر– من عمل عضل الحنجرة.

د- الحروف المقطعة أو أصوات الكلام، لا بد لها من عمل عضل اللسان والشفتين...الخ.

- **<u>تشريح الحجاب الحاجز</u>:**

قال ابن سينا: (فإنه بالحقيقة أحد العضل وهو من ثلاث طبقات؛ المتوسطة منها هي حقيقة الوتر الذي به يتم فعلها والطبقة التي فوقها هي كالأساس والقاعدة لأغشية الصدر التي تستبطنه، والطبقة السافلة من ذاك لأغشية الصفاق، وفي الحجاب ثقبان؛ الكبير منهما منفذ المريء والشريان الكبير، والأصغر ينفذ فيه الوريد المسمى الأبهر، وهو شديد التعلق به والالتحام).[1]

1 ابن سينا: القانون في الطب، 303/2.

## 2- الرئتان Les poumons :

ذكر الخليل بن أحمد (ت175هـ) الرِّئة قال: (الرِّئةُ: تُهْمَز ولا تُهْمَز، وهي موضع الرِّيح والنَّفَس. وجمعها: الرِّئاتُ والرِّئين وتصغيرها: رُوَيّةٌ ومن هَمَز الواو قال: رُؤَيّةٌ).[1]

والرئة هي المولِّد لهواء النَّفس الفاعل في عمليتَي التنفّس والتصويت، ولذلك خلقت من نسج إسفنجية لتمتلئ تلقائيا بالهواء،[2] قال ابن سينا (ت428هـ): (وأما الرئة فإنها مؤلفة من أجزاء؛ أحدها شعب القصبة، والثاني شعب الشريان الوريدي، والثالث شعب الوريد الشرياني، ويجمعها لا محالة لحم رخو ما متخلخل هوائي، خلق من أرق دم وألطفه ... وخلق متخلخلا ليتسع الهواء وينضج فيه، ويندفع فضله عنه كما خلق الكبد بالقياس إلى الغذاء، وهو ذو قسمين؛ أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، والقسم الأيسر ذو شعبتين، والقسم الأيمن ذو ثلاث شعب ومنفعة الرئة بالجملة الاستنشاق، ومنفعة الاستنشاق إعداد هواء للقلب أكثر من المحتاج إليه في نبضة واحدة).[3]

## 3- القصبة الهوائية: la trachée artère

عرف الخليل هذا الجزء من مجرى الهواء، قال: (وقَصَبُ الرئة عروق غلاظ فيها، وهي مخارج النفس ومجاريه).[4]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 366/4.

2 انظر: صلاح حسنين: اللسانيات وعلم اللغة المعاصر وعلاقته بالعلوم الإنسانية، ط2008، دار الكتاب الحديث، ص:38.

3 ابن سينا: القانون في الطب، 302/2.

4 الخليل: كتاب العين، 393/3.

- **تشريح ومنافع القصبة الهوائية:**

قال ابن سينا: (وأما قصبة الرئة؛ فهي عضو مؤلف من غضاريف كثيرة دوائر يتصل بعضها على بعض، فما لاقى منها منفذ الطعام الذي خلفه؛ وهو المريء وجعل ناقصا وقريبا من نصف دائرة، وجعل قطعة إلى المريء، ويماس المريء منه جسم غشائي لا غضروفي، بل الجوهر الغضروفي منه إلى قدام، وِالتفَّت هذه الغضاريف برباطات يجللها غشاء، ويجري على جميع ذلك من الباطن غشاء أملس إلى اليبس والصلابة ما هو وكذلك أيضا من ظاهره، وعلى رأسه الفوقاني الذي يلي الفم والحنجرة، وطرفه الأسفل ينقسم إلى قسمين، ثم ينقسم أقساما تجري في الرئة مجاورة لشعب العروق الضاربة والساكنة، وينتهي توزعها إلى فوهات هي أضيق جدا من فوهات ما يشاكلها، ويجري معها ... ويكون انطباقها بركوب الغضروف المتكئ على المجرى، وكذلك الذي يسمى الذي لا اسم له، وإذا كان الازدراد والقيء يحوجان إلى انطباق فم هذا المجرى، لم يكن أن يكونا عندما يتنفس وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى لسان المزمار...)[1]

ذكر ابن سينا عددا من المصطلحات، اختلفت تسمياتها بينه وبين المحدثين مما أدى إلى غموضها منها:

أ- (الغضروف المتكئ على المجرى):[2] هو غضروف لسان المزمار الذي يعمل كصمام أمان لمجرى النفس، وظاهر أن الشيخ الرئيس قد راعى في تسمية هذا العضو الوظيفة التي يؤديها.

1 ابن سينا: القانون في الطب، 2/301-302.

2 ابن سينا: القانون في الطب، 2/302.

ب- (الذي لا اسم له):[1] وهو الغضروف الحلقاني Le cartilage cricoïde،[2] وله دور مهم في عملية التصويت، ويسمى كذلك بالغضروف الأدنى -أي الأسفل- لأنه قاعدة الحنجرة، وهو الغضروف التام الاستدارة في قناة النفس، وارتفاع جداره من الخلف أعلى بكثير من ارتفاع سائر محيطه؛ إذ يبلغ من الخلف نحو 2 سم، ومن الأمام نحو 0.1 سم،[3] وللغضروف الحلقاني دور هام في عملية ضبط الأوتار الصوتية أوجزها فيما يلي:

1-تقوم المفاصل الحلقانية الدرقانية (تشكل القرن السفلي للغضروف الدرقاني والسطح الخارجي للغضروف الحلقاني)[4] بحركة دورانية؛ إذ يرتفع قوسه الأمامي في اتجاه الغضروف الدرقاني وبذلك تميل الصفيحة الحلقانية إلى الخلف بطريقة تشبه حركة مسند الكرسي، عند الاستناد عليه وتحريكه إلى الخلف مع الارتكاز على رجلي الكرسي الخلفيتين، ويترتب على هذه الحركة تطويل وشد للوترين الصوتيين وزيادة في توترهما.

2-أما حين يهبط القوس الأمامي للغضروف الحلقاني ويتحرك بعيدا عن الغضروف الدرقاني، فإن الصفيحة تعود إلى وضعها الأصلي بتحريكها

---

1 ابن سينا: القانون في الطب، 302/2.

2 انظر: محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، دون ذكر لسنة النشر.، ص: 58-59.

3 انظر: محمد حسن حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية و تطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة ط 2008/1، ص: 35.

4 سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص: 94.

إلى الأمام؛ وبذلك يرتخي الوتران الصوتيان ويرجع معدل توترهما إلى درجته الطبيعية.[1]

3- (وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى لسان المزمار)[2] سمى ابن سينا الوترين الصوتيين الصادقين بلسان المزمار، في حين سمى غطاء الحنجرة الذي نسميه غضروف لسان المزمار؛ **الغضروف المتكئ على المجرى**،[3] وهذا تصحيحا لما أورده محمد صالح الضالع، الذي ظن أن ابن سينا لم يذكر غضروف لسان المزمار Epiglotte، قال: (...يرجع إلى عدم ذكر ابن سينا لغضروف لسان المزمار Epiglottisعند تشريحه للحنجرة، سواء في كتابه أسباب حدوث الحروف أو في كتابه القانون)[4] وكل ما في الأمر أن ابن سينا ذكر هذا الغضروف في كتابه القانون بمصطلح آخر وهو "**الغضروف المتكئ على المجرى**" وذكر وظيفه الحيوية بعبارة صريحة لا يتطرق إليها الاحتمال، قال: (والازدراد يُحْوِج إلى انطباق مجرى قصبة الرئة من فوق؛ لئلا يدخلها الطعام المار فوقها، ويكون انطباقها بركوب **الغضروف المتكئ على المجرى**، وكذلك الذي يسمى **الذي لا اسم له**، وإذا كان الازدراد والقيء يحوجان إلى انطباق فم هذا المجرى، لم يكن أن يكونا عندما يتنفس)،[5] وهذا النص فيه ذكر **للغضروف الذي لا اسم له Le cartilage a nommé** وهو

---

1 انظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص: 94-95.

2 ابن سينا: القانون في الطب، 301/2.

3 ابن سينا: المرجع نفسه، 301/2.

4 محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، ص: 59.

5 ابن سينا: القانون في الطب، 301/2.

الغضروف الحلقاني Le cartilage cricoïde[1] وهذا تصحيحا لما أورده بعض المحدثين، حيث اشتبه عليهم ايراد ابن سينا للذي لا اسم له، وظنوا أن ابن سينا أطلق على غضروف لسان المزمار Epiglottis مصطلح الذي لا اسم له، ويقول عبد الحميد قدوع الأصبعي: (غير انه يسمي غضروف لسان المزمار "عديم الاسم" أو "الذي لا اسم له" لعدم الانتفاع بالترجمة الحرفية للمصطلح اللاتيني Epiglottis)[2] وقالت نصيرة شيادي: (الغضروف الذي لا اسم له أو عديم الاسم، يسميه المحدثون Epiglottis، وابن سينا حين ظهر له أن المقطع السابق "Epi" لا يعني أكثر من "فوق"، وان كلمة "Glottis" بالإغريقية معناها "اللسان" تكون الترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي الإغريقي هي: "فوق اللسان" ... وقد أطلق ابن سينا على هذا الغضروف مصطلح "**لا اسم له أو عديم الاسم**" لأنه لم يجد له اسما في حينه يطلقه عليه، أو أنه لم يجد علاقة شبه بينه وبين الخاتم أو الحلقة مثلما وجدها الأوروبيون، فاسم Cricoid مشتق من الكلمة اليونانية Kricos بمعنى خاتم أو حلقة)[3]

وبعد التدقيق والمقارنة بين النصوص المذكورة ونصوص ابن سينا، ألاحظ مايلي:

---

1 انظر: محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، ص: 58-59.

2 عبد الحميد قدوع الأصبعي : الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين، ص:23.

3 نصيرة شيادي: المصطلح الصوتي عند ابن سينا، رسالة ماجستير في الصوتيات العربية، أشرف عليها المهدي بوروبة، نوقشت في 2010، مخطوطة في كلية الآداب واللغات-جامعة أبي بكر بلقايد، ص: 58.

1- غضروف لسان المزمار لم يسمه المحدثون Epiglottis بل ورد هذا المصطلح في كتابات جالينيوس (ت100م)، وترجمه حنين بن اسحـــق العبادي (264هـ) بلسان المزمار.[1]

2- الغضروف الذي لا اسم له أو عديم الاسم يسميه المحدثون Le cartilage cricoïde، وليس Epiglottis، والترجمة الحرفية؛ اللاحقة oïde تعني شبه، والجذر cric مشتق من الكلمة اليونانيةKricosبمعنى الحَلَقة أو الخاتم.[2]

3- لا يوجد شبه بين غضروف لسان المزمار Epiglottis والخاتم.

4- أشارت الطالبة نصيرة شيادي أنها نقلت عن د/محمد صالح الضالع، قوله: (وقد أطلق ابن سينا على هذا الغضروف مصطلح "**لا اسم له أو عديم الاسم**" لأنه لم يجد له اسما في حينه يطلقه عليه، أو أنه لم يجد علاقة شبه بينه وبين الخاتم أو الحلقة مثلما وجدها الأوروبيون، فاسم Cricoid مشتق من الكلمة اليونانية Kricos بمعنى خاتم أو حلقة)[3] وهذا النقل فيه مغالطة والتفاف على النص، فالسياق الذي ورد فيه كلام د/محمد صالح الضالع، هو الكلام عن الغضروف الحلقاني Le cartilage cricoïde، وحاول تعليل تسمية ابن سينا له بعديم الاسم ولم يذكر

---

1 انظر: عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر2007، ج62/2، وخلافا لما ذكر أعلاه، أشير إلى أن لفظة Glottis ترجع إلى اللفظة Glôtta وهي تعني في اللغة الإغريقية "لسان" فقط ( voir: Claude Dubois et autre: pluridictionnaire Larousse, p :492 et 618) ومن هذا يظهر أن حنين بن اسحق ترجم المصطلح السابق ترجمة بتصرف.

2 انظر: محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، ص: 58

3 محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، ص: 58

مطلقا غضروف لسان المزمار، وأشار إلى خطأ بعض المحدثين في حسبانهم الغضروف عديم الاسم عند ابن سينا أنه غضروف لسان المزمار عند المحدثين.[1]

5- يرجع الوهم في حسبان الغضروف عديم الاسم الذي ذكره ابن سينا، أنه غضروف لسان المزمار عند المحدثين، هو أن ابن سينا لم يذكر هذا الغضروف عند حديثه عن تشريح غضاريف وعضلات الحنجرة سواء في رسالة أسباب حدوث الحروف أو كتاب القانون،[2] وأخرّ ذكره في كتاب القانون ونعته **بالغضروف المتكئ على المجرى** عند حديثه عن البلعوم،[3] وهذا خلافا لما ذهب إليه د/ محمد صالح الضالع، قال: (...يرجع إلى عدم ذكر ابن سينا لغضروف لسان المزمار Epiglottis عند تشريحه للحنجرة سواء في كتيبه "**أسباب حدوث الحروف**" أو في كتابه "**القانون في الطب**")[4] والصحيح أنه ذكره في كتاب القانون باسم **الغضروف المتكئ على المجرى**.[5]

6- ذكر ابن سينا الغضروف المتكئ على المجرى وذكر أن وظيفته منع دخول الطعام، وذكر أن الغضروف الذي لا اسم له يغلق كذلك المجرى التنفسي مع الغضروف المتكئ على المجرى عند القيئ والسعال، وهذا دليل أن الغضروف الذي لا اسم له هو الغضروف الحلقاني

---

1 انظر: محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، ص: 59.

2 انظر: ابن سينا: القانون في الطب، 1/65-66,

3 ابن سينا: القانون في الطب، 2/301.

4 محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، ص: 58

5 انظر: ابن سينا: القانون في الطب، 2/301.

**Le cartilage cricoïde** الذي يتحكم في حركة الأوتار الصوتية،[1] حيث تقوم الأوتار الصوتية الصادقة والكاذبة، بقفل المجرى عند خطر دخول الأجسام الغريبة والقيئ والسعال وبناء الضغط اللازم عند حمل الأثقال وإخراج الفضلات بتعسر وفي أثناء الطلق والولادة،[2] قال: (والازدراد لا يجامع النفس، لأن الازدراد يحوج إلى انطباق مجرى قصبة الرئة **من فوق** لئلا يدخلها الطعام المار فوقها، ويكون انطباقها **بركوب الغضروف المتكئ على المجرى**، وكذلك **الذي يسمى الذي لا اسم له**، وإذا كان الازدراد والقيء يحوجان إلى انطباق فم هذا المجرى، لم يكن أن يكونا عندما يتنفس)[3] وذكر في رسالة أسباب حدوث الحروف أن حركات الغضروف الذي لا اسم له والغضروف الدرقي مسؤولة عن تضييق وفتح الحنجرة في أثناء الكلام.[4]

7- في كلام ابن سينا وصف هام يفرق بين الغضروف الذي لا اسم له والغضروف المتكئ على المجرى، وهو نعته للأخير بأنه **من فوق**، وهذه حقيقة تشريحية فلسان المزمار يتموقع فوق الحنجرة والغضروف الحلقاني يشكل قاعدتها السفلى.[5]

---

1 انظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص: 94-95.

2 انظر: جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، تر: محيي الدين حمدي، دار الشرق العربي، دون ذكر للطبعة، ص: 143 بتصرف، وديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ط1/1988 القاهرة، ص: 46-47، وتمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

3 ابن سينا: القانون في الطب، 301/2.

4 انظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص: 66.

5 انظر: محمد حسن حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية، ص: 35.

### 4- الحُلْقُوم: La glotte /La pomme d'Adam /la trachée artère

اختلَف أهل المعاجم في تحديد المراد **بالحلقوم**، فالخليل بن أحمد (ت175هـ) جعله اسما للحنجرة حيث أطلقه على الحرقدة[1] -تفاحة آدم- إذ جعله موضع الذبح والذكاة، قال: (الحلق مساغ الطعام والشراب ومخرج النفس من الحلقوم، وموضع المذبح من الحلقوم أيضا).[2]

وهو بهذا يفرق بين الحلق والحلقوم، وقد فرق ابن فارس (ت395هـ) بينهما أيضا؛ إذ أطلق الحلق على مجرى الطعام، والحلقوم على الحنجرة، وأطلق مصطلح الحنجرة على الحرقدة -تفاحة آدم- قال: (ثم الحلق، يقال لما أقبل على الصدر الجران[3]... والحلقوم متصل بالرئة وهو مخرج الريح،[4] والمجرى مجرى الطعام من الحلق وأعلاه متصل بعكدة اللسان،[5] **والحنجرة ما غالظ من أعلى الحلقوم وأسفل اللسان**[6]).[7]

---

1 وهذا مجاز مرسل وعلاقته الجزئية، فالحرقدة جزء من الحنجرة.

2 الخليل: كتاب العين، 347/1.

3 الجران مقدم العنق من مذبح البعير أي منحره، وبهذا المعنى فمصطلح الجران يقترب من معنى الحنجرة في زماننا، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 335/1

4 معنى قوله متصل بالرئة -كما يفهم من سياق الكلام-متصل بقصبة الرئة، إذ الجزء الموجود في الرقبة متصل بالقصبة هو الحنجرة.

5 الحلق هنا مجرى الطعام من الحلق المتصل بعكدة اللسان إلى المريء.

6 الجزء الغليظ الواقع بين أقصى اللسان وأعلى الحلقوم -كما يفهم من سياق الكلام-هو الحرقدة أو تفاحة آدم.

7 ابن فارس (ت395هـ): مقالة في اسماء أعضاء الإنسان، ص17.

وجعل الخوارومي (ت387هـ) الحلق مرادفا لقصبة الرئة، قال: (**قصبة الرئة هي الحلقوم** وهو مجرى النفس المتصل بالرئة فقط، وهو إلى قدام المريء؛ وهو مجرى الطعام والشراب إلى المعدة وهو إلى القفا)،[1] أما الحنجرة فقد جعلها قسما مستقلا عن الحلق (قصبة الرئة) وهذا هو مذهب المحدثين، قال: (الحنجرة هي العظم الناتىء في العنق تحت اللحى وهي آلة الصوت)،[2] وفي هذا تصحيح لما أورده الدكتور عادل إبراهيم عبد الله أبو الشعر، الذي ذهب إلى أن الخليل جعل الحلق مرادفا للقصبة الهوائية،[3] فالذي جعلها كذلك هو الخوارزمي.

استعمل ابن رُشدٍ (ت595هـ) لفظَ الحُلقوم للتعبير عن الحنجرة، ووصفه بأنه آلة التنفُّس والتصويت، قال: (**والحلقوم هو آلة التنفس والتصويت**، وهذا العضو من أجل الرئة، وإنما وجد هذا العضو للحيوان السيار؛[4] لأنه يفضل غيره من الحيوان في الحرارة، فهو يحتاج للتنفس بهذا العضو لموضع تبريد القلب بإدخال الهواء البارد من خارج وإخراج ما قد سخن منه، وإذا كان هذا هكذا فيجب أن يكون قرع الهواء الذي يتنفس به الموجود من النفس في هذه الأعضاء للعضو المسمى قصبة الرئة هو التصويت، إذا كان مع تخيل وإرادة)[5]

---

1 الخوارزمي أبي عبد الله محمد بن أحمد: مفاتيح العلوم، ص : 182، وقوله إلى القفا يعني المريء يقع خلف الحنجرة التي تقع غلى الرقبة من الأمام، والقفا مؤخر الرأس.

2 الخوارزميُّ: مفاتيح العلوم، ص : 182، وقوله العظم الناتئ، هو الحرقدة أو تفاحة آدم، وقوله: آلة الصوت، يعني أنه أطلق الحنجرة على الصندوق الغضروفي المولد للصوت، وليس على العظم الناتئ فقط، فالعظم الناتئ ذكره لتحديد الموقع الفسيولوجي للحنجرة لا غير.

3 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 133.

4 ذو الرئتين.

5 ابن رشد: تلخيص كتاب النفس، ص: 83-84.

أما أحمد علي الفيومي (ت770هـ) فقد جعله اسما جامعا لمجرى النفس والطعام قال: (الحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس، وفيه شعب تتشعب، ومنه مجرى الطعام والشراب)[1] وجعل الحنجرة عضوا من جهاز التنفس وجهاز التصويت، أمر تقره الدراسات الحديثة.[2]

- **ثانيا عضو الحنجرة:** **la glotte**

الحَنجرة من الحَجْر وهو المنع، والحنجرة والحنجور: الحلقوم: بزيادة النون،[3] ولم يستعمل الخليل وسيبويه –واللغويين من بعدهم– مصطلح حنجرة دلالة على أول نقاط الاعتراض لهواء الزفير في أثناء عملية النطق، لكن الخليل أورد عددا من الكلمات دالة عليها منها: الصدر،[4] أقصى الحلق،[5] الغلصمة،[6] كما أورد كلمات أخرى تدل على جزء

1 أحمد بن محمد، أحمد علي الفيومي المقرئ: المصباح المنير، ص: 56.

2 انظر: الإدارة العامة لإدارة وتطوير المناهج: تخصص أجهزة طبية التشريح ووظائف الأعضاء، رقم المقرر 220، ط1429هـ، المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني–السعودية، 21/2، واكاديميا أنترناشيونال: معجم أكاديميا للمصطلحات العلمية والتقنية، انكليزي–فرنسي–عربي، بيروت 1993، ص: 337.

3 الجوهري: الصحاح، 187/3.

4 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 383/2، واستعمل عدة مصطلحات للصدر بمعنى الجزء الواقع بين أعلى البطن والترقوة منها؛ الرُّغامى، الكلكل، المنسِم، ، انظر: الخليل: المصدر السابق، 134/2، 45/4، و 219/4، على التوالي.

5 ذكر هذا المخرج مرتين، مرة في المقدمة عند تحديد مخرج الهمزة المحققة وتمييزها عن الهمزة الملينة، قال: (وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من **أقصَى الحَلْق** مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح) الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1، ومرة عند شرحه لمعنى الهت (الشدة) وتعليله الصرفي لسبب إبدال الهمزة هاء قال: (الهَمْز صوتٌ مَهتوتٌ في **أقصَى الحَلْق**، فإذا رُفِّهَ عن الهَمْز صار نفسا، تحوّل إلى مخرج الهاء، ولذلك استخفّتِ العربُ إدخال الهاءِ على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهَراقَ، وأيهات وهيهات، وتقول: يَهْتُّ الإنسانُ الهمزة هتّاً إذا تكلّم بها) الخليل بن أحمد: كتاب العين، 289/4.

6 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، . 287/3.

معين من الحنجرة منها: الحرقدة (تفاحة آدم)،[1] شوارب الحنجور[2] (الوتران الصوتيان)، وقد ذكر بعض الكلمات الدالة على أجزاء قريبة من الحنجرة منها؛ اللغاديد، اللغانين، النغانغ.[3]

وقد ذهب الأستاذ آرتور شاده إلى أن قول سيبويه: **(صوت الصدر)**[4] يتضمن إشارة إلى **الرئة**، وهي مصدر النفس الذي هو جوهر الصوت اللغوي، وحجب عن سيبويه معرفته بالحنجرة وأجزائها كالمزمار والأوتار الصوتية، قال: (ويخالف هذا التدقيق معاملته للحلق، فإن سيبويه وإن قسمه إلى أقصى الحلق، وأسط الحلق، وأدنى الحلق، لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها؛ كالمزمار والأوتار الصوتية).[5]

وهذا القول جانبه الصواب، لأنه مبني على احتمال غير مؤسس، ويظهر ذلك من خلال النقطتين التاليتين:

- **النقطة الأولى:**

لم يرجع د/آرتور شاده إلى المعاجم العربية وبالخصوص معجم العين –الذي أثر في سيبويه– ولم يطلع على معنى كلمة "الصدر" التي تعني مكان النحر عند الحنجرة، قال الخليل: (ويوم النَّحْر: يَوم الأَضْحَى والنَّحْر: ذَبْحُكَ البعيرَ بطَعْنةٍ في النَّحْر، حيثُ يبدو

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 307/1.

2 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 318/2.

3 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 91/4–92–276 على التوالي.

4 ذكر الخليل بن أحمد قبل سيبويه " **صوت الصدر**" مرة واحدة في كتاب العين، (322/4).

5 آرتور شاده (1883– 1952م): علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، محاضرة برؤية إستشراقية ومراجعة حديثة، تح: ودراسة: صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين–عدد 58، 2010، ص: 19.

الحُلْقُوم من **أعلى الصَّدْر)**[1] والحلقوم هنا يقصد به الحرقدة أو تفاحة آدم، التي تبدوا بارزة في أعلى الصدر، و**أعلى الصدر** هو مكان الذبح عند الحنجرة.

ونسب قدامى الصوتيين العرب الهمزة القطعية إلى الصدر وشبهوها بالتهوع – القيء، قال سيبويه: (واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها؛ لأنه بعد مخرجها، ولأنها **نبرةٌ في الصدر** تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم ذلك لأنه **كالتهوع)**[2] وقال ابن الجزري: (الحرف المهتوف وهو الهمزة سميت بذلك لخروجها **من الصدر كالتهوع)**،[3] وليس الصدر هنا الرئتين كما توهم ذلك د/آرتور شاده، لأنهم أحسوا بالضغط الذي يحصل في الصدر (الحنجرة) عند نطق الهمزة، وهذا الضغط سببه سد الوترين الصوتيين الصادقين والكاذبين لمجرى الهواء،[4] وهذا السد يحصل عند التهوع والسعال ورفع الأجسام الثقيلة وطرد الفضلات بإجهاد وضغط عضلات الرحم عند الولادة.[5]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 198/4.

2 سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، 548/3.

3 محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري: التمهيد في علم التجويد، خرج أحاديثه: فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم ط2006/1. ص: 40.

4 أظهر منظارُ الحَنجرة أنَّ الهمزة هي الحرفُ الوحيد من بين حروف النُّطق الأخرى التي تشتركُ في نطقِها الأوتار الصوتيَّة الحقيقيَّة والكاذبة مع الغضروفَين الطِّرْجِهاليَّين، حيث تقوم هذه الثلاثة بغَلْقِ فتحةِ الحَنجرة تماماً مسبِّبةً الجهد العضليَّ الذي نَعرِفه في نُطقِ الهمزة، ومن هنا كانت أشق الحروف في النُّطق، وأشبه ما تكون بالتهوع والسعال، انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 141-142بتصرف يسير.

5 انظر: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، بحث علمي لنيل شهادة الدراسات العليا في أمراض الأذن والأنف والحنجرة وجراحتها، قسم أمراض الأذن والأنف والحنجرة، عام 2004-2005، اشرف عليها الدكتور يوسف يوسف، ص: 63، وجلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 143 بتصرف، و ديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46-47، وأندري مارتيني: مبادئ ألسنية عامة، تر: ريمون رزق الله، ط1990/1، دار الحداثة-بيروت، ص: 46، وللإشارة فقد شبه أندري مارتيني نطق الهمزة بالسعال، قال: (...نضيف إلى ذلك ان انغلاق الحنجرة الذي يحدث قبل السعال؛ هو انغلاق أو انسداد كغيره أي صامت يكتب بـ [?])، أندري مارتني: المرجع نفسه، ص: 62-63، لقد كان الخليل بالغ العبقرية إذ شبه الهمزة القطعية بالسعال والتهوع وسيبويه إذ شبهها بالإجهاد، وهذا الوصف سابق لأوانه ويفوق ما قدمه المحدثون من وصف، وهذا=

لهذا شبه الخليل الهمزة بالسعال والتهوع[1] وسيبويه بالاجهاد –وسيزيد البحث تفصيلا في ذلك فيما بعد عند تحليل العمليات الفسيولوجية المذكورة– إن تصور خروج الأصوات من الرئة أمر لا يصح عند النظر، فلا أحد يحس أن الحروف تخرج منها، في حين أن الأعضاء التي تتحرك وتعمل تقع في الحنجرة وما فوقها، لقد نبه القدامى؛ لغويون وأطباء إلى أن الرئة موضع التنفس لا غير[2] وأكدوا أن الصوت لا يتم إنتاجه حتى يحصل له الضغط والمصاكة في أسفل الحلق.[3]

صحيح أن بعض علماء العرب المتقدِّمين قد نسَب إلى الرئة بعضَ الأصواتِ، قال الكنديُّ: (نقول في نعت الهاء أنها تحتاج إلى نفس يخرج من عمق الرئة[4] بفتحة وهمز اللهوات بمبدأ نغمة ووقفة...)،[5] ولا شك أن إطلاق مصطلح الرئة هنا على المجاز والتوسع والمقصود هو أعلى الصدر أو الحنجرة، وعلى احتمال أن المقصود هو الرئة التي تمتلئ

---

=التشبيه أو الوصف دليل قاطع على إدراكهم لموضع الحنجرة وكيفية نطق الهمزة إلا أن عبارتهم تختلف شيئا ما عن عبارة المحدثين، إن الإجهاد الذي تكلم عنه سيبويه –حسب رأيي–لا يدل على صعوبة نطق الهمزة الذي يتخلص منه بالتسهيل والإبدال فقط، بل يدل على إدراكه للشبه الحاصل بين عملية رفع جسم ثقيل فيؤدي إلى إغلاق حنجري لحظي لزيادة الضغط تحت حنجري لدعم العضلات البطنية؛ وبين عملية الغلق المصاحبة لنطق الهمزة القطعية، وهذا ليس بغريب فقد لاحظ شيخه الشبه الحاصل بين السعال والتهوع ونطق الهمزة.

1 انظر: مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية في لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: محمد هاشم عبد العزيز، المكتبة التوقيفية–مصر، دون ذكر للطبعة، ص: 56.

2 انظر: الخليل: كتاب العين، 366/4، وابن سينا: القانون في الطب، 302/2.

3 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 130–132.

4 من معاني العمق اللغوية؛ أطراف الشيء ونواحيه، الخليل: كتاب العين، 230/3، ويحمل النص أعلاه على أن الهاء تخرج من ناحية أو جزء من الرئة التي هي الصدر على المجاز والتوسع؛ فالقصبة الهوائية والحنجرة جزء من الجهاز التنفسي، وهي متصلة بالرئة، فيكون المجاز مرسلا وعلاقته المكانية أي الجوار بالمكان.

5 الكندي: رسالة في اللُّثغة، تح: محمد حسان الطيان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3 المجلد 60–1985م، ص 524.

بالهواء عند الشهيق، فليس هذا بقول قدامى الصوتيين العرب، وهذا يرد زعم د/آرتور شاده السالف الذكر، وقد أشار ابن الطحان الموسيقي (ت450هـ) إلى أن مخرج جميع الأصوات الرئة وهو يقصد بذلك الهواء المولد للصوت، ونسب الصوت الجهير إلى الحنجرة، وفي هذا دلالة على أن الحنجرة أو أعلى الصدر هي مكان توليد الصوت وليس الرئة، قال: (قال الحكماء أن الصَّوتُ هَوَاءٌ يَخْرُجُ من الرِّئةِ، فيَصْدِمُ اللِّسانَ والحنكَ والأسنانَ ويَرتَقِي في بَاطِنِ المَنَاخِرِ، ويَجْرِي نحوَ اللِّسانِ والشَّفَة، فيَصِير نَغَماً مُؤلَّفَةً، فما كانَ جهيراً فهو مَنسُوبٌ إلى الحَنجرَة، وما كان دقيقاً نُسِبَ إلى الصَّدر، وجميع الأصوات إنما تخرج من الرئة إلى الحلق ثم إلى الفم، فمنها الصدرية، ومنها ما يخرج من الرأس[1] والحنجرة، واختلافها في الغلظ والدقة فهو منسوب إلى سعة المجاري وحنيقها، وإلى الآلة المصوتة والحروز التي في قصبة الرئة، والله اعلم).[2]

فالذي يخرج من الرئة إلى الحلق هو الهواء الخام، والآلة المصوتة هنا هي الوتران الصوتيان وليس جهاز الكلام كما تعارف المحدثون على هذا المصطلح.

ومما يزيدنا يقينا أن **الصدر** عند الخليل ومن تبعه هو الحنجرة، هو نعتهم **لصوت الجهر بصوت الصدر**، قال الخليل: (الهمس حس الصوت في الفم؛ مما لا إشراب له من ***صوت الصدر*** ولا جهارة في المنطق ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر)[3] وقال سيبويه:

---

1 يقصد بالرأس هنا، كما يفهم من سياق الحديث؛ الأنف والفم لوقوعهما في جملة الرأس.

2 ابنُ الطحان الموسيقيّ:حاوي الفنون وسلوة المحزون، تح: زكريا يوسف، وزارة الثقافة والأعلام–الجمهورية العراقية 1971م،ص: 17.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 322/4.

(وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخٍ؛ لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر وإنما تَنْسَلّ معه)[1]

وفي تقديري يرجع الاضطراب في فهم مصطلحات القدامى الدالة على الحنجرة (الصدر، أقصى الحلق) –بالإضافة لما سبق ذكره– إلى عدم تأصيل المصطلح، ومعرفة دلالاته والتطورات التاريخية لاستعمالاته في العصور السابقة ،[2] فالخليل بن أحمد (ت175هـ) لم يستعمل كلمة حنجور التي أوردها في معجمه بمعنى غضروف لسان المزمار –سيأتي بيان ذلك بعد قليل– بالمعنى نفسه المتعارف عليه اليوم، لسبب بسيط هو أن المعنى اللغوي لكلمة حنجرة في زمن الخليل لا ينصرف إلا للسان المزمار بالإضافة إلى أن المعنى المعاصر لكلمة حنجرة لم تعرفه العربية إلا على يد الطبيب السرياني حنين بن اسحق العبادي (ولد عام194هـ –ت264هـ)،[3] وهذا يدل دلالة كافية على أن الخليل لم يتأثر بأي معطيات علمية خارجة عن المعارف اللغوية السائدة في المجتمع العربي آنذاك أي أن الخليل اعتمد على الثقافة اللغوية الشعبية (شعر، أمثال، أساطير...) والمعارف الإسلامية – (تفسير، قراءات، علم الكلام، أعمال النحاة واللغويين الذين سبقوه...)، ولهذا نجده لا يعرف عن الوظائف الحيوية لأعضاء النطق أكثر مما يعرفها أي إنسان في عصره، فهو لا يعرف أن الوترين الصوتيين (شوارب الحنجور) دور في عملية الشرق (منع الماء من الدخول إلى الجهاز التنفسي) كما لا يعرف أن صوت الصدر الذي لاحظه مخالطا لبعض الأصوات

---

1 سيبويه الكتاب، 175/4. ومعلوم أن موجات الصوت المهموس تنتج في مخرج الصوت لا غير، بخلاف نظيره المجهور الذي يتم إنتاج موجاته في الحنجرة بالإضافة إلى الاحتكاك أو الانفجار الحاصل في المخرج، قال د/ إبراهيم أنيس: (هناك ذبذبات مع كل من المجهور و المهموس غير أن مصدر الذبذبات مع المجهورات هو الحنجرة، على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الحلق والفم وتضخمها الفراغات الرنانة، ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوي في السمع ومن هنا جاء خفاؤها أو همسها، ومن هنا أيضا تميز المجهور من المهموس) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 122.

2 صناعة المعاجم التاريخية والذخائر اللغوية، من شأنه أن يذلل هذه الصعوبات.

3 انظر: عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر 2007، ج62/2.

سببه اهتزاز شوارب الحنجور، كما لا يعرف أي دور للحجاب الحاجز في أثناء الكلام بله أن يدرك أنه عضلة تسهم في عملية التنفس، وسيزاد الأمر وضوحا بعد تحليل المصطلحات الدالة على الحنجرة أو جزء منها.

- **النقطة الثانية:**

عرف قدامى الصوتيين العرب الوترين من ناحية التسمية اللغوية دون أن يدركوا وظائفهما، ويدلنا على ذلك لفظ شوارب الحنجور،[1] وعرفها الموسيقيون باسم الآلة المصوتة،[2] وعرفها الأطباء من ناحيتي التسمية والوظيفة باسم الآلة الأولى للصوت، طبق الحنجرة ولسانها، الجسم الشبيه بلسان المزمار[3]...الخ، لكن تنبه قدامى الصوتيين العرب لوجود

---

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 318/2 و246/4، ولأزهري: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، الطبعة2001/1، دار إحياء التراث العربي–بيروت، 241/11.

2 انظر :ابنُ الطحان الموسيقيّ: حاوي الفنون ص: 17.

3 شبه ابن جني (ت393ه) جهاز النطق بالمزمار وهو الناي FLÛTE (سر صناعة الإعراب، تح: علاء حسن أبو شنب، المكتبة التوقيفية،–القاهرة، دط، دس، 30/1–31)، وهذا التشبيه حاضر في تسمية أبي بكر الرازي (ت313ه) والشيخ الرئيس(ت428ه) للوترين الصوتيين: **بالجسم الشبيه بلسان المزمار**، وعند ابن ابن مَلْكا البغداديُّ (ت560ه) الذي قال عن الحَنجرة والأوتار الصوتيَّة: (وهي آلةُ التصويت كرأس المزمار، ولها لسانٌ كلسان المِزمار؛ ليَقْتَطِع الهواءَ في التصويت)، المعتبر في الحكمة 2/ 264. والمزمار أو الأنبوب الصوتي ،آلة من أقدم آلات النفخ الموسيقية الأنبوبية العديدّة، وفي المزمار العادي (القديم) يهتز جزء مسطح رفيع، يسمى **اللسان**، ملتصق بفتحة الفم. عندما ينفخ العازف، مما يجعل عمود الهواء، داخل المزمار، يهتز، فوظيفة هذا اللسان هي توليد التذبذب، ووظيفة الحبال الصوتية الاهتزاز وتوليد التذبذب، وتسمية ابن سينا تراعي الجانب الوظيفي لا الشكلي، لأن الحبال الصوتية في شكلها تشبه الشفاه، لهذا يسميها بعض المحدثين الشفاه الصوتية، وهي تهتز مثل أوتار العود والقيتارة، لذا سماها بعض المحدثين الوتران الصوتيان، كما يسميها بعض المحدثين الرقائق أو الأغشية الصوتية منظورا في هذا المصطلح؛ للتكوين التشريحي من نسج ضامة، وفي المزامير الحديثة التي تصنع من الخشب توضع فيها خشبة صغيرة نصف أسطوانية لا تهتز كليا كخشبة لسان المزمار، وتقوم بالوظيفة عينها التي تقوم بها خشبة لسان المزمار، حيث يضطرب الهواء المنفوخ عند الاصطدام بها منتجا امواجا صوتية، ولا بد للزامر من وضع المزمار الحديث بشكل مائل قليلا ليتمكن الهواء من الاصطدام بالخشبة نصف اسطوانية، انظر: عبد الحميد مشعلا: دراسة الناي بالطريقة العلمية، ديوان المطبوعات الجامعية 1984، ص: 9، ومكتبة لبنان: الموسوعة العلمية الميسرة الضوء والبصر والصوت، ط1984/1 مكتبة لبنان–بيروت، ص: 50–51 =

صوت الصدر مع المجهورات دون المهموسات،[1] كما تفطن سيبويه للضغط الذي يمنع خروج الهواء الكثير مع المجهور، وسماه الاعتماد[2] –وسيناقش البحث هذه النقاط بأدلتها فيما بعد– دليل كاف وناقض لتصور الأستاذ آرتور شاده السالف الذكر.

وقد حوت العربية عددا هائلا من المترادفات بعد جمع اللغة، فالقدامى استعملوا ما رأوه مناسبا للغة تخصصهم في عصرهم، مثل: (الحرقدة) عند الخليل وتفاحة آدم عندنا.

كما أن للقدامى لغتهم التي تتماشى وعصرهم، فالصدر في اللغة مقدم كل شيء وموضع الذبح من الغلاصم...، **ومصطلح حنجرة** يدل في اللغة على المنع أو لسان المزمار –العضو الغضروفي الذي يغلق الحنجرة عند البلع–، ولم يعرف **مصطلح حنجرة** بمعناه الحديث المطابق لمصطلح أقصى الحلق أو أعلى الصدر القديم إلا على يد الطبيب المسيحي السرياني حنين بن اسحق العبادي (ت264هـ)؛ الذي نقله من معنى خاص يدل على جزء من أقصى الحلق (الحنجرة) إلى معنى يشمل كل أجزاء أقصى الحلق.[3]

- **المصطلحات الدالة على الحنجرة:**

استعمل لغويو العرب عدة مصطلحات ترادف مصطلح حنجرة في درسنا الحديث منها: الصدر، أول الصدر، أقصى الحلق، أول الحلق، آخر الحلق، وسيقوم البحث بدراستها في مواضعها.

---

=بتصرف يسير، وفي المزمار الشعبي المعروف عندنا في الجزائر بأسماء مختلفة بحسب المناطق "القصبة" أو "الزرنة" أو "الجَوَّاق" ، لا توجد بفمه أي خشبة، ويستعين الزامر (ضرّاب الزرنة) بشفتيه، حيث يقوم بوضعهما وضعا يشبه وضع الصفير وينفخ بقوة ملائمة يتعلمها من خلال الدربة والمراس، ويمسك المزمار بطريقة مائلة قليلا، وهذه الزرنة من أهم أدوات الغناء الشعبي التقليدي وتستعمل في الأعراس والافراح، ويستطيع الماهر بالعزف أن يصدر بها ألوانا عديدة من الأنغام والأصوات، التي تشعر السامع بالبهجة أو الحزن، بل هناك من يجعلك تحس أنك تسمع كلمات الأغنية، من خلال تقليد تنغيم الجمل.

1 انظر :الخليل بن أحمد: كتاب العين، 322/4.

2 انظر: سيبويه الكتاب، 434/4.

3 انظر: عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2/ 62 بتصرف يسير.

## أ- أقصى الحَلْق (الحنجرة): Le Larynx

استَعمل الخليل لفظ: **أقصى الحلق** كمخرجٍ للهمزة المحقَّقة، قال: (وأمَّا مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالخلق، وأما الهمزةُ فمخرجُها من **أقصى الحلق** مهتوتةً مضغوطةً فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف؛ عن غير طريقة الحروف الصحاح)[1]

ولم يذكر الخليل بن أحمد الألف ضمن أصوات الحلق؛ لأنها حرف علة لا معتمد له، قال مكي (ت437هـ): (ولم يذكر الخليل معهن الألف؛ لأنها تخرج من هواء الفم وتتصل إلى **آخر الحلق**، فلما لم تقتصر في خروجها على الحلق دون الفم لم يذكرها مع حروف الحلق).[2]

واستَعمل سيبويه: **أقصى الحروف مخرجاً**، لتعيين مخرج الهمزة والألف والهاء، قال: (لأن الهمزة أقصى الحروف وأشدها سفولاً وكذلك الهاء، لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها وإنما الألف بينهما)[3]؛ أي أن الألف بين الهمزة والهاء.[4]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

2 مكي: الرعاية، ص: 60، ولمزيد من التفصيل راجع مصطلحات؛ الجوف والهوائية في الفصول القادمة.

3 سيبويه: الكتاب، 102/4.

4 انظر: أبي عمر الداني: التحديد في الاتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمدن ط2000/1، دار عمار-الأردن، ص: 102.

وأشار سيبويه إلى أنَّ مخرجَ الفتحةِ من مخرجِ الألِف، قال عَن سبَبِ فَتْحِ عَيْنِ الفِعْلِ المُضَارعِ إن كان حرفاً حلقيّاً: (وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق[1] فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف **فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف وإنما الحركات من الألف والياء والواو** وكذلك حركوهن إذ كن عيناتٍ ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء لأنهما من الحروف التي ارتفعت والحروف المرتفعة حيزٌ على حدةٍ فإنما تتناول للمرتفع حركةً من مرتفع وكره أن يتناول للذي قد سفل حركةٌ من هذا الحيز)[2]

---

1 السفول والارتفاع لقب أطلقه سيبويه على حروف الحلق والفم والشفتَين، فالسفول لحروف الحلق الستة والارتفاع لباقي حروف الفم والشفتين، (عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص:155و 280 بتصرف)، وجاء هذا في معرِض حديث سيبويه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً، كما هو موضح في النص أعلاه، وقال سيبويه عن الغَين والخاء: (لأنَّهما أشدُّ الستَّةِ **ارتفاعاً**) الكتاب 102/4، وذكَر ابنُ دريدٍ أنَّ العَين تَتْلُو الحاءَ في المَدْرَجِ **والارتِفاعِ**، الجمهرة 1/ 6، وسيبويه يعني بالستَّة؛ حروفَ الحلق، من هذه النصوص يستنتج أن السفول والارتفاع يكون بحسب تتابع الأصوات في المخارج من أبعد نقطة في الحلق إلى أدناها في الشفتين، فتكون بذلك حروف الشفاه أعلى الحروف وحرف الحلق أسفل الحروف، وهذا يجعلنا نفرق بين مصطلحي سفول وارتفاع، وبين مصطلحي الاستعلاء ومقابله الاستفال، حيث يشير الاستعلاء إلى كفية نطق تصاحب بعض الأصوات التي مخرجها من أقصى اللسان، وهي الخاء والغين والقاف، أو تكون حركة اقصى اللسان مصاحبة لنطق بعض الأصوات الأمامية وهي حروف الإطباق (ض، ص، ط، ظ) واللام والراء المفخمتين، وباقي حروف الفم مستفلة، والذي يجعلني أطمئن لهذا القول (كون السفول ليس الاستفال المقابل للاستعلاء، وليس الارتفاع هو الاستعلاء) هو جعل سيبويه في النص أعلاه الياء من الحروف المرتفعة، ولوكان السفول الذي وصف به حروف الحلق الستة هو الاستفال المقابل للاستعلاء لكان حريا به أن يصف الياء بالسفول لأنها ليست من حروف الاستعلاء.

وقريب من هذا التقسيم الذي أتى به سيبويه، تقسيم بعض علماء الصوت المحدثين المخارج إلى قسمين كبيرين:

1- **مواضع النطق العمودية**: وهي مجموعة مواضع النطق الممتدة من البلعوم إلى الحنجرة.

2- **مواضع النطق الأفقية**: ويشمل مواضع النطق الممتدة من الشفتين حتى اللهاة، انظر سلمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص 93.

2 سيبويه: الكتاب، 101/4.

يرجع الخلاف بين سيبويه والخليل بن أحمد في عد الألف من حروف أقصى الحلق أم لا، لاختلاف وجهات النظر والأهداف المسطرة والمتوخاة من درس الأصوات –وقد تم القول والتدليل على هذه النقطة فيما سبق[1]– فالخليل يبحث عن تصنيف للأصوات يساعده على تحديد الأصيل من الدخيل والمهمل من المستعمل، أما سيبويه فيبحث عما يخدمه في تفسير الظواهر الصرفية تفسيرا صوتيا كالإدغام.

ومن هنا يظهر أن عدَّ الألف من أصوات الحلق من الناحية المنهجية والوظيفية عند الخليل عبثا؛ إذ لا علاقة للألف بالتنافر مع أي حرف آخر بالإضافة إلى أن وجوده أو عدمه ليس دليلا على أصالة الكلم العربي فهو ليس من حروف الذلاقة.

أما عند سيبويه، فمن اللزوم عدّ الألف حرفا حلقيا؛ إذ حروف الحلق ليست بأصل للإدغام[2] وإنما الأصل في الإدغام لحروف الفم واللسان لكثرتها، [3] ومعلوم أن الياء والواو في أحد صورتيهما –أنصاف صوائت– تدغمان مع نفسيهما، وتدخلان مع حروف أخرى في علاقات إدغامية.

- **استعمال مصطلح الحلق بين اللغويين والأطباء:**

قال الخليل: (الحلق مَساغُ الطَّعام والشَراب. ومَخرَجُ النَفَس من الحُلْقُوم، ومَوضع المَذْبَح مِن الحَلْق أيضاً ويُجْمَع على حُلُوق...وحَلَّقَ الطائر تحليقاً: إذا ارتَفَعَ).[4]

---

1 انظر صفحة 70 و 71 من هذا الفصل.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 451/4.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4.

4 الخليل: كتاب العين، 347/1.

وقد ارتضى هذا المعنى للحلق الأطباء العرب، قال الشيخ الرئيس: (يعني الحلق الفضاء الذي فيه مجرى النفس والغذاء، ومنه الزوائد التي هي اللهاة واللوزتان والغلصمة).[1]

يتضح من هذين التعريفين معنى الحلق ووظيفته، وهي كما يلي:

أ- الحلق لغة هو جهاز التنفس والهضم (من الفم إلى الرئتين والمعدة)

ب- الحلق لغة هو الحنجرة أيضا، فهو موضع الذبح، قال الخليل: (ويوم النَّحْر: يَوم الأَضْحَى، والنَّحْر: ذَبْحُكَ البعيرَ بطَعْنةٍ في النَّحْر، حيثُ يبدو الحُلْقُوم[2] من أعلى الصَّدْر)[3]

ت- الحلق هو الارتفاع، ومنه قيل للطائر المرتفع حلّق، ولهذا جعل الخليل من المصطلحات الدالة على الحنجرة "أعلى الصدر" فهي تقع في أعلى مكان في القصبة الهوائية -سيشار إلى "أعلى الصدر بعد قليل- قال الخليل: (ويوم النَّحْر: يَوم الأَضْحَى، والنَّحْر: ذَبْحُكَ البعيرَ بطَعْنةٍ في النَّحْر، حيثُ يبدو الحُلْقُوم من **أعلى الصَّدْر**)[4]

ث- استعمال الأطباء لمصطلح الحلق بالمفهوم نفسه الذي جاء عند اللغويين، دليل على أن الحلق في استعمال اللغويين يشمل الحنجرة والأوتار الصوتية، وأن الأطباء تأثروا باللغويين في استخدام هذا المصطلح.

---

1 ابن سينا: القانون في الطب، 2/ 285.

2 تفاحة آدم.

3 الخليل: كتاب العين، 198/4.

4 الخليل: كتاب العين، 198/4.

**ب- الصدر (الحنجرة): Le Larynx**

يطلق الصدر في أصل اللغة على الحنجرة، قال الخليل بن أحمد (ت175هـ): (الحَشْرَجَةُ: تَرَدُّدُ صوتِ النَّفَس، وهو الغَرْغَرَةُ في الصّدر)[1] وقال: (والغَرْغَرَةُ: التَّغَرْغُرُ في الحلقِ)[2]

من هذه النصوص يستنتج أنه عند الغرغرة لا يمر الماء إلى قناة الهضم ولا إلى مجرى التنفس الذي يستمر في زَفْر الهواء لدفع الماء، حيث تنغلق الحنجرة كآلية دفاع من خطر الاختناق ومنعا لتسرب المواد الضارة للرئتين، وعليه فالصدر هو الحنجرة التي لا يجاوزها الماء عند الغرغرة. ويعد الخليل أول من أشار إلى صوت الجهر الذي تنتجه الحنجرة، وسماه صوت الصدر، قال: (الهَمْسُ: حسَ الصّوت في الفم ممّا لا إشرابَ له من صَوْتِ الصَّدر، ولا جَهارة في المنطق، ولكنّه كلامٌ مَهْموسٌ في الفم كالسَرِّ)[3]

وتابعه سيبويه (185هـ): (ومن المشربة حروفٌ إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى وهي الزاي والظاء والذال والضاد لأن هذه الحروف إذا خرجت **بصوت الصدر** انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة وبعض العرب أشد صوتاً، وهم كأنهم الذين يرومون الحركة والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس ... وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخٍ لأنهن يخرجن مع التنفس لا **صوت الصدر** وإنما تنسل معه وبعض العرب أشد نفخاً كأنهم الذين يرومون الحركة فلا بد

---

1 الخليل: كتاب العين، 319/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 274/3.

3 الخليل: المرجع نفسه، 322/4.

من النفخ لأن النفس تسمعه كالنفخ)[1] وسمى الهمزة المحققة "**نبرة في الصدر**" مشيرا إلى أنها تخرج من أبعد نقطة في الصدر (الحنجرة)، قال: (واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها، لأنه بعد مخرجها ولأنها **نبرةٌ في الصدر** تخرج باجتهادٍ وهي **أبعد الحروف مخرجاً** فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع)[2]

ولقَّب مكِّيّ (ت437هـ) الهمزةَ بـ: "**الحرف المَهْتُوف**" لخروجها من **الصَّدر** كالتهوُّع، فتحتاجُ إلى ظهور صوت قويٍّ شديد،[3] وذكر أنها تخرج من **آخر الخلق مما يلي الصدر**.[4]

واستعمل الدانيُّ (ت444هـ): "**أوَّل الصَّدر وآخر الحلق**"، و"**المخرج الأوَّل**"عند تحديده لمخرج أصوات الحلق، قال: (فأقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء، **فالهمزة من أول الصدر وآخر الحلق** ثم الألف تليها؛ وهي صوت لا يعتمد اللسان فيها على شيء من أجزاء الفم، ثم الهاء فوق الألف وهو آخر المخرج الأول).[5]

واستعمل ابن الطحان الأندلسي (ت بعد 560هـ) لفظ **مما يلي الصدر**، قال: (من أقصاه أخره **مما يلي الصدر**، تخرج الهمزة والألف والهاء).[6]

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/174-175. ومعلوم أن موجات الصوت المهموس تنتج في مخرج الصوت لا غير، بخلاف نظيره المجهور الذي يتم إنتاج موجاته في الحنجرة بالإضافة إلى الاحتكاك أو الانفجار الحاصل في المخرج، قال د/ إبراهيم أنيس: (هناك ذبذبات مع كل من المجهور و المهموس غير أن مصدر الذبذبات مع المجهورات هو الحنجرة، على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الحلق والفم وتضخمها الفراغات الرنانة، ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوي في السمع ومن هنا جاء خفاؤها أو همسها، ومن هنا أيضا تميز المجهور من المهموس) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 122.

2 سيبويه: الكتاب، 3/548.

3 انظر: مكي: الرعاية ص: 56..

4 انظر: مكي: الرعاية ص: 65.

5 أبي عمر الداني: التحديد، ص: 102.

6 ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها، ص: 80.

يستنتج من هذا أن مخرج: **الصدر، أول الصدر، آخر الحلق،** عند الصوتيين القدامى يقابله مخرج **الحنجرة** عند الصوتين المحدثين، وأن **صوت الصدر** هو صوت الجهر الذي تنتجه الحنجرة.

والسؤال الذي يطرح الآن هو لماذا لم يستعمل قدامى اللغويين مصطلح "**حنجرة**" للدلالة على أول نقطة لانتاج الأصوات اللغوية؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من معرفة استعمالات هذا المصطلح وتطورات المعنى التي أصابته خلال الزمن.

- **<u>التحليل التاريخي لاستعمال لفظ "حنجرة_" وتطور معناها:</u>**

**أ- عند قدامى اللغويين العرب:**

الحنجرة في اللغة، جوفُ الحلقوم، والحُنْجُور: الحَنْجَرة،[1] والنون عوض التشديد؛ جاء في الصحاح: (الحَنْجَرَة والحُنْجُور: الحُلْقُوم بزيادة النون)[2] والحَجْرُ هو المنع؛ لذا ينصرف معنى الحنجرة اللغوي إلى ما يعرف عندنا بلسان المزمار؛ لأنه هو الذي يمنع مرور الطعام أو الأجسام الغريبة إلى الحنجرة، أو إلى فراغ المزمار الذي عبر عنه الخليل بجوف الحلقوم، قال د/ عبد الرحمن الحاج صالح: (أما عدم استعمال الخليل وسيبويه للفظ الحنجرة؛ فهو لاختلاف معاني هذه الكلمة في زمانهم فهي تارة طبقان –أي منطقة أو قسم[3]– من أطباق الحلقوم مما يلي الغلصمة، وهذه هي الـEpiglottis أو رأس الغلصمة –لسان المزمار– حيث

---

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

2 الجوهري: الصحاح، 187/3.

3 هذا تفسير الأستاذ عبد الرحمان حاج صالح لكلمة "طبقان"، والصحيح أن من معانى "طبق" ومشتقاتها؛ الغطاء اللازم، (انظر: الخليل: كتاب العين، 36/3) وهذا يتطابق مع الوظيفة المنوطة بغضروف لسان المزمار، الذي يعمل كغطاء للحنجرة ملازما لها ولهذه الوظيفة؛ عند خطر دخول الأجسام الغريبة، انظر: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

يحدد، وقيل هي جوف الحلقوم، واستقر معناها عند الأطباء العرب بعد أن اختارها حنين بن اسحق العبادي (264هـ)؛ أي بعد زمان الخليل وسيبويه، لترجمة كلمة: Larynx،[1] التي وردت في كتاب جالينيوس وترجم كلمة Glottis ترجمة حرفية ألا وهي لسان المزمار).[2]

ويظهر كذلك من مفهوم الحلق عند الخليل؛ أنه يشمل عنده الحنجرة قال: (الحَلْقُ: مَساغُ الطَّعام والشَراب. ومَخرَجُ النَفَس من الحُلْقُوم. ومَوضع المَذْبَح مِن الحَلْق أيضاً).[3]

ومعلوم أن الذبح عند العرب يكون من أقرب مكان إلى الحنجرة؛ أي مباشرة أسفل منها، قال الزبيدي في تاج العروس: (حَنْجَرَه: ذَبَحَه ... والمُحَنْجِرُ والحَنْجَرَةُ: طَبَقَان من أَطْبَاقِ[4] الحُلْقُومِ ممّا يَلِي الغَلْصَمَةَ، وقيل : الحَنْجَرَة: رَأْسُ الغَلْصَمَةِ حيث يُحَدد، وقيل: هو جَوْفُ الحُلْقُومِ وهو الحُنْجُور والجمع حَنَاجِرُ وقد تَقَدَّم في حجر).[5]

قال ابن منظزر: (الحُنْجُورُ الحَلْقُ والحَنْجَرَةُ طَبَقَانِ من أَطباق الحُلْقُوم مما يلي الغَلْصَمَةَ وقيل الحَنْجَرَةُ رأْس الغَلْصَمَةِ حيث يحدد وقيل هو جوف الحلقوم وهو الحُنْجُورُ

---

1 كلمة: Larynx، التي وردت في كتاب جالينيوس والتي ترجمها حنين بحنجرة؛ ترجع إلى الأصل larugx وهي تعني في اللغة الإغريقية القسم الداخلي للرقبة.

Voir : Claude Dubois et autre: pluridictionnaire Larousse, librairie Larousse 1977, p : 781.

2-عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج62/2، وخلافا لما ذكر أعلاه، أشير إلى أن لفظة Glottis ترجع إلى اللفظةGlôtta وهيتعني في اللغة الإغريقية "لسان" فقط( Claude Dubois et autre: pluridictionnaire Larousse, p :492 et 618voir) ومن هذا يظهر أن حنين بن اسحق ترجم المصطلح السابق ترجمة بتصرف.

3 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 347/1.

4 الطَبَقُ: كل غطاء لازم ... والسموات طباقٌ بعضها فوق بعض، الواحدة طبقةٌ، ويذكر فيقال: طَبَقٌ واحد، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

5 الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، 97/11.

والجمع حَنْجَرٌ... وفي حديث القاسم سئل عن رجل ضرب حَنْجَرَةَ رجل فذهب صوته قال عليه الدية، الحنجرة رأْس الغلصمة حيث تراه ناتئاً من خارج الحلق والجمع حناجر، ومنه : ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ الأحزاب10 أَي صَعَدَتْ عن مواضعها من الخوف إِليها، ... الحُلْقُوم والحُنْجُور وهو مَخْرَجُ النَّفَسِ لا يجري فيه الطعامُ والشرابُ المَرِيءُ وتمامُ الذكاة قَطْعُ الحلقوم والمَرِيءِ والوَدَجَيْن[1]...الحُلْقُوم الحَلْقُ ... الحُلْقُومُ مَجْرى النَّفَس والسُّعال من الجوف وهو أَطْباقُ غَراضِيفَ ليس دونه من ظاهر باطن العُنُقِ إلاَّ جِلْدٌ وطرفُه الأسفل في الرئةِ وطَرَفُهُ الأعلى في أَصل عكَدَةِ اللسان ومنه مخرج النَّفَس والريح والبُصاق والصوت، وجمعه حَلاقِمُ وحَلاقيم، ... الحُلْقُوم والحُنجور مَخْرَجُ النَّفَس ... وتمام الذكاة قطع الحُلْقُوم والمَرِيء والوَدَجَيْنِ).[2]

إن المدقق في هذه النصوص يلاحظ ما يلي:

1- الحنجرة طبق (غطاء) من أطباق الحلقوم، وهو لسان المزمار عندنا.

2- مخرج النفس والسعال من الحنجرة.

3- مخرج الصوت من الحنجرة.

4- الحنجرة في الاستعمال الأسلوبي للقرآن الكريم؛ تطلق على البروز المسمى تفاحة آدم.

لذا ليس صائبا الظن بأن الخليل بن أحمد (-ت175هـ) جانبه الصواب عندما جعل الهاء والهمزة من أقصى الحلق بدلا من الحنجرة، وهذا زعم أغلب من اطلعت على بحوثهم[3]؛

---

1 انظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر-بيروت 1288هـ-1968م، 216/4.

2 ابن منظور: لسان العرب، 150/21.

3 انظر: أحمد محمد قدور: جهاز النطق عند اللغويين العرب القدامى، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (76) الجزء (1)، ص: 59، وكمال بشر: علم الأصوات، ص: 192، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 345.

لأن معنى الحنجرة عنده وفي زمانه لا ينصرف إلى المعنى المعروف عندنا اليوم، كما أن معنى الحنجرة بالمفهوم العلمي اليوم لم تعرفه العربية إلا على يد الطبيب السرياني حنين بن إسحق (ت264هـ) عندما بدأ بترجمة كتب الطب اليونانية حوالي سنة 205 إلى 264هـ، وهذا بعد وفاة الخليل (ت175هـ) بحوالي سبعين سنة، لذا يتعين أن مصطلح أقصى الحلق عند الخليل ومن تبعه؛ يقابل مصطلح الحنجرة في الدرس الصوتي الحديث.

إن مصطلح الحلق اللغوي أوسع بكثير مما ضمنه الخليل من معنى اصطلاحي؛ لأنه يقتصر على مخارج بعض الأصوات، جاء في الكليات: (الحلقوم أصله الحلق؛ زيد الواو والميم، وهو مجرى النفس لا غير... والمريء مهموز اللام؛ مجرى الطعام)،[1] ومجرى النفس يشمل الحلق والقصبة الهوائية كما أن مجرى الطعام –المريء– يشمل الحلق الفموي إلى الفتحة النجمية بأعلى المعدة.

وقد ارتضى الأطباء العرب المعنى اللغوي لمصطلح الحلق –كما أورده الخليل– في لغتهم الطبية، قال الشيخ الرئيس: (يعني الحلق الفضاء الذي فيه مجرى النفس والغذاء، ومنه الزوائد التي هي اللهاة واللوزتان والغلصمة).[2]

وما يزيدنا ثقة أن أقصى الحلق هو الحنجرة، تشبيه الخليل لنطق الهمزة القطعية بالسعلة والتهوع،[3] قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ): (قال الخليل في الهمزة إنها كالتهوع، وقال مرة أخرى كالسعلة)[4]

---

1 أبي البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ط2/2011، ص:340.

2 ابن سينا: القانون في الطب، 2/ 285.

3 التهوع على وزن تفعل، هو خروج القيء بتكلف، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 4/ 331.

4 الرعاية في لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: محمد هاشم عبد العزيز، المكتبة التوقيفية–مصر، دون ذكر للطبعة، ص: 56.

وشبهها تلميذه سيبويه بالتهوع، قال: (واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها، لأنه بعد مخرجها ولأنها نبرةٌ في الصدر تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم ذلك لأنه **كالتهوع**).[1]

وتبعهم ابن الجزري، قال: (الحرف المهتوف وهو الهمزة، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع).[2]

والذي قُصِد بتشبيه الهمزة بالسعال والتهوّع، هو التأكيد على صفتي الوقف والانفجار فيها، والصدر بمعناه اليوم –الحاوي للرئتين والقلب– ليس مخرجا للسعال والقيء، بل الحنجرة يخرج منها السعال ويمر عليها القيء عندما يسدها لسان المزمار والأوتار الصوتية منعا لدخوله لمجرى النفس،[3] ويظهر ذلك من خلال التحليل الفسيولوجي لظاهرتي السعال والقيء أو التهوع.

---

1 سيبويه: الكتاب، 548/3.

2 ابن الجزري: التمهيد، ص: 40.

3 تنبه ابن سينا غلى أن الأوتار الصوتية تقوم بغلق فتحة المزمار عند البلع والقيء إلى جانب غضروف لسان المزمار الذي أسماه الغضروف المتكئ على المجرى، ويظهر ذلك ن ذكره للغضروف الذي لا اسم له، وهو الغضروف الحلقاني المسئول عن حركة الوترين الصوتيين، قال: (ويكون انطباقها –أي الحنجرة عند البلع–بركوب **الغضروف المتكئ على المجرى**، وكذلك **الذي يسمى الذي لا اسم له** وإذا كان **الازدراد والقيء** يحوجان إلى انطباق فم هذا المجرى، لم يكن أن يكونا عندما يتنفس، وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى لسان المزمار...) ابن سينا: القانون في الطب، 301/2–302. وأشار بعض المحدثين إلى أن الذي لا اسم له هو الغضروف الحلقاني، انطر: محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، ص: 58–59. ولمعرفة وظيفة الغضروف الحلقاني في التصويت، انظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الادارك،، ص: 94–95.

فالوتران الصوتيان الصادقان بالإضافة لدورهما في التصويت، يؤديان وظائف حيوية أخرى؛ فهما يغلقان ممر الهواء في أثناء البلع وفي أثناء القيء وارتداد الطعام –مع الوترين الكاذبين وغضروف لسان المزمار–؛ منعا لأي تسرب جسم غريب إلى الرئتين ويغلقان ممر الهواء كذلك لبناء الضغط اللازم في القفص الصدري:

- ✓ طرد الأجسام الغريبة في أثناء السعال.
- ✓ رفع الأجسام الثقيلة.
- ✓ طرد الفضلات عند تعسر عمليتي التغوط والتبول.
- ✓ لبناء الضغط اللازم لإخراج الجنين في أثناء الولادة.[1]

وقد أظهر منظارُ الحَنجرة أنَّ الهمزة هي الحرفُ الوحيد من بين حروف النُّطق الأخرى التي تشتركُ في نطقِها **الأوتار الصوتيَّة الحقيقيَّة والكاذبة مع الغضروفَين الطِّرْجِهاليَّين**، حيث تقوم هذه الثلاثة بغَلْقِ فتحةِ الحَنجرة تماماً مسبِّبةً الجهد العضليَّ الذي نَعرِفه في نُطقِ الهمزة، ومن هنا كانت أشق الحروف في النُّطق، وخفِّفت بأنواع التخفيف من إبدال وحذفٍ وتسهيلٍ، وجاء النَّهي من القراء عن المبالغة في إخراجِها.[2]

لقد أحسن الخليل الوصف عندما شبه عملية نطق الهمزة القطعية بالسعال والتهوع، حيث يسد الوتران الصوتيان الصادقان والكاذبان ممر الهواء كما يفعلان في أثناء السعال والتهوع، وهذا دليل قاطع على أن الخليل قصد بأقصى الحلق الحنجرة التي تساهم في إحداث هاتين العمليتين، وواضح أنّه على وعي تام بالفروق النطقية بين الألف اللينة والهمزة القطعية، وأنه جعل الهمزة من الأصوات الجوفية والهوائية لدواعي صرفية تتعلق بإمكانية

---

1 انظر: جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 143 بتصرف، وديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46–47، وتمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

2 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 141–142.

تحويل الهمزة إلى الألف أو الواو أو الياء لأسباب صوتية–وسيعالج البحث هذه الظاهرة في الفصول القادمة–

وجعلها مرة أخرى من مخرج الغين والخاء لدواعي الإبدال الصوتي اللهجي، جاء في رواية النظر بن شميل لمقدمة كتاب العين: (ثم **الهمزة والغين والخاء**؛ هذه الثلاثة **في حيز واحدينوب بعضها من بعض** في كلمة يقال: زأته في معنى زغته، وترأه بمعنى ترعه، **وتميم تبدل الهمزة من العين والعين من الهمزة**، فتقول: عنَّى بمعنى أنَّى، وخبأ بمعنى خبع، وعَدِر بمعنى أَدِر).[1]

لاحظ كيف ربط بين إبدال الغين المعجمة والعين المهملة والهمزة وبين لهجة تميم، بإعمال الجانب الصرفي أو السياقي للأصوات في عملية التصنيف حتى وإن خالف التصنيف المبني على الجوانب العضوية؛ من حيث العلاقات الصوتية بين المبدل والمبدل منه في المخرج والصفات.

ولعل الذي سبق ذكره عن الحنجرة ومكوناتها ووظيفتها العضوية والصوتية، يدل على أن قدامى اللغويين العرب والأطباء كانوا على دراية عميقة بها، لا كما زعم بعض المحدثين.[2]

إن المنهجية العلمية تقتضي تحديد مصطلحات العلوم في زمانها؛ لأن المصطلح الواحد قد يتغير مدلوله جذريا، وهذا ما تدرسه عندنا اليوم اللغة العلمية وعربية التخصص؛ التي تسلط الضوء على مدلول المصطلحات في علم من العلوم في عصر معين وربما عند عالم واحد.

---

1 أبو حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، تح عفيف عبد الرحمن، ط1/1986 مؤسسة الرسالة، ص: 27.

2 انظر: آرتور شاده (1883– 1952م): علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، محاضرة برؤية استشراقية ومراجعة حديثة، تجقيق ودراسة: صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين–عدد 58، 2010، ص: 19.

**ب- عند قدامى حكماء وأطباء العرب:**

أول من استعمل مصطلح **حنجرة** بالمعنى المعروف اليوم، هو حنين بن اسحق العبادي (ت264هـ) لترجمة كلمة: Larynx، التي وردت في كتاب جالينيوس (ت100م).[1]

ثم استعمل الرازيُّ (ت313هـ)[2] هذا المصطلح، ثم الخوارزمي (ت 387هـ) وأشار إلى أنها مصدر الصوت، قال: (الحنجرة هي العظم الناتىء في العنق تحت اللحى وهي آلة الصوت)،[3] وتبعهم ابن سنا (ت428هـ)، عند تشريحه للحنجرة ودراسة فسيولوجية أجزائها.[4]

ورغم شيوع مصطلح "**حنجرة**" في القرن الخامس الهجري في كتب الطب والموسيقى،[5] فقد استمر اللغويون –في حدود اطلاعي– على عدم استعمال هذا المصطلح، وتفضيل مصطلح أقصى الحلق وأشباهه، متابعة لما الفوه في كتب اللغويين المتقدمين.

1- **مصطلح الصدر ( الحنجرة)**

الصدر لغة أعلى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ، وصَدْرُ القَناةِ أعلاها، وصَدْرُ الأمر أوَّلُه وصُدْرةُ الإنسان: ما أَشَرفَ من أعلى صَدْره.[6]

---

1 انظر: عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج62/2.

2 أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي: الحاوي في الطبّ، اعتنى به: هيثم خليفة طعيمي، ط1/ 2002، دار إحياء التراث العربي–بيروت، 3/ 254.

3 الخوارزميُّ: مفاتيح العلوم، ص: 182.

4 انظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، ص: 64 وما بعدها.

5 انظر: ابنُ الطحان الموسيقيّ (450هـ): حاوي الفنون وسلوة المحزون، ص: 17.

6 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 383/2.

قال الخليل مبينا أن النحر هو أعلى الصدر وأن منتهاه هو الحلق (=الحنجرة): (والنَّحْرُ ذَبْحُكَ البعِيرَ بطعنة في النحر؛ حيثُ يَبْدو الحُلْقُومُ من أعْلَى الصدْر)،[1] إذن الحلقوم هو الحرقدة أو تفاحة آدم.

ويؤكد لنا هذا المعنى الأزهري (ت370هـ) –بشيء من التفصيل– قال: (الصدر فيه النحر، وهو موضع القِلادة، واللَّبّةُ[2] مَوضِعُ النَّحْر، والثُّغْرَةُ[3] ثُغْرَةُ النَّحْر، وهي الهَزْمَةُ بين التَّرْقُوَتَيْن، وقال: والزَّعْفَرَانُ على تَرائِبها شَرِقٍ به اللَّبّاتُ والنَّحْرُ والتَّرْقُوَتَان العَظْمَان المُشْرِفان في أعلى الصَّدر من رأْسَ المَنكِبَيْن إلى طَرَفِ ثُغْرَةِ النَّحْر ، وباطِن التَّرقُوَتَين الهواءُ الذي يهوي في الجوف لو خُرِق، ويقال له القَلْتَانُ وهما الحافِنَتَانِ[4] أيضاً، والزَّاقِنَةُ طَرفُ الحُلْقُوم)[5] وقال(النَّحْرُ : الصَّدْرُ والنُّحُور: الصدُور قال: والنَّحْرُ ذَبْحُكَ البعِيرَ تطعنُه في مَنْحَرِه حيثُ يَبْدو الحُلْقُومُ من أعْلَى الصدْر).[6]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 198/4.

2 يقصد الحنجرة بمعناها الحديث، ومنها اشتق فعل التلبيب، وهو أخذك بثوب الشخص من أعلى صدره ضاغطا على حنجرته، قال الخليل بن أحمد: (واللَّبّةُ من الصَّدْر: مَوْضعُ القِلادة، وهي واسطةٌ حواليها اللُّؤلُؤ وخَرَزٌ قليل وسائرها خيط. والتَّلبيب: مَجْمَعُ ما في مَوْضعُ اللَّبَب من ثياب الرَّجل، يقال: أخذ فلانٌ بتَلْبيب فلانٍ. ولَبَّبْتُهُ، إذا جعلتَ في عُنُقِهِ ثوباً أو حَبْلاً، وقبضتَ على مَوْضع تَلْبيبه، وأنت تَعْتِلُهُ)، العين، 66/4.

3 الثغرة مبدأ الرقبة من أعلى الصدر ، حيث يمكنك أن تحس بفراغ عند ملتقى عضام الصدر والترقوة، قال الخليل بن أحمد: (والثُّغْرَةُ: نقرة النحر) العين،202/1.،وقد شبه الثغرة بالسرة في الخلق، قال: (العَنْدَقةُ: مَوْضِعٌ في أسفل البَطْنِ عند السُرَّةِ كأنَّها ثَغْرةُ النَّحْر في الخِلْقَةِ)، العين، 236/3.

4 القلتان والحافنتان، اسمان لثغر النحر –كما يفهم من نص الأزهري–والحفن والقلت لغة الحفرة،،انظر: الخليل بن أحمد: العين،337/1، 421/3.

5 الأزهري: تهذيب اللغة، 196/14.

6 الأزهري: تهذيب اللغة، 95/5.

قال العلامة أحمد الفيومي (ت770هـ) بعد حديثه عن النحر: (وتطلق النحور على الصدور).[1]

ويستعمل الصدر من باب التعميم على كامل المنطقة التي يغطيها القفص الصدري، قال الازهري (ت370هـ): (وسُمّيَ القَلْبُ جَناناً لأن الصَّدرَ أجَنَّة).[2]

من النصوص أعلاه يتبين لنا أن "**الحنجرة**" عرفت عند القدامى باسم "**الصدر**" و"**النحر**"، كما ينصرف معنى كلمة **حلق** في أحد معانيه إلى **الحنجرة**.

أورد الخليل كلمات تدل على معنى الصدر كما نعرفه اليوم منها؛ الكَلْكَل،[3] المَنْسِم،[4] الرُّغامى،[5] وأورد كلمة "الزور"[6] –بمعنى وسط الصدر– وهو المعنى الذي نمنحه نحن اليوم لكلمة صدر أو على الأقل ما يتبادر إلى أذهاننا عند سماعنا لهذه الكلمة، هذا سببه ما تراكم عندنا من درس العلوم الطبيعية جراء استعمال مصطلح القفص الصدري أو من جراء ترجمة المصطلح الأجنبي la poitrine الدال على المنطقة الصدرية المحصورة بين الرقبة والبطن والنهدين.[7]

---

1 الفيومي: المصباح المنير، ص: 227.

2 الأزهري: تهذيب اللغة، 267/10.

3 انظر: الخليل: كتاب العين، 45/4.

4 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 219/4.

5 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 134/2.

6 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 200/2.

7 voire: Larousse arabe –français arabe, p : 661, et dictionnaire le motken , 324.

ومما يزيدنا يقينا أن الصدر عند الخليل ومن تبعه هو الحنجرة، هو وصفهم صوت الجهر بصوت الصدر، قال الخليل: (الهمس حس الصوت في الفم؛ مما لا إشراب له من ***صوت الصدر*** ولا جهارة في المنطق ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر)[1]

قال سيبويه: (وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخٍ لأنهن يخرجن مع التنفس لا **صوت الصدر** وإنما تنسل معه)[2]

قال ابن جني (ت393هـ): (فأما حروف الهمس فإن الصوت الذي يخرج معها نفس وليس من صوت الصدر)[3] وسمَّاه ابن جنيّ في مَوضعٍ آخَر "الصَّدى المنبعثَ من **الصَّدر**"، قال: (فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة[4] اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك وقولك في الألف أاو في الياء إي وفي الواو أو)[5]

يتضح مما سبق ذكره، أن من وظائف الحنجرة إحداث صفتي الهمس والجهر كالآتي:

أ- الهمس حس الصوت في الفم، والحس لغة هو ما سمعته من حركة جسم ما والجرس هو الصوت المسموع، قال الخليل: (ويقال ما سمعت له حسا ولا جرسا، فالحس من الحركة والجرس من الصوت)،[6] وبهذا فالصوت المهموس تحس صوته وأنت تحرك أعضاء النطق وبخاصة مع الأصوات الفموية المهموسة كالتاء والثاء وغيرهما.

---

1 الخليل: كتاب العين، 322/4.

2 سيبويه: الكتاب، 175/4،

3 ابن جني: سر صناعة الإعراب، 85/1.

4 أي حروف المد.

5 ابن جني: سر صناعة الإعراب، 30/1.

6 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 316/1.

ب- الهمس هو الصوت المهموس الذي لا يخالطه (لا إشراب له) صوت الصدر (صوت الجهر).

ت- شبه الخليل الكلام المهموس بالكلام المسرور به قال: (ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر)،[1] وفي حالة الإسرار بالكلام أو الوشوشة[2] Le chuchotement تكون الأوتار الصوتية في وضع يقرب من وضعها حالة الجهر؛ ولكن مع فارق مهم، هو تصلبها وتجمدها بحيث تمنع حدوث أية ذبذبة، نتيجة تجاذب الغضروفين الهرميين بالرأس وبذلك يكون ممر الهواء من الحنجرة محصورا في المسافة المحصورة بين هذين الغضروفين[3] والمعروف أن الأصوات المجهورة في الكلام العادي تستبدل بأصوات مسرة whispered/Chuchoter في حالة الوشوشة على حين تبقى الأصوات المهموسة على حالها دون تغيير،[4] لهذا عندما يهمس أحد في أذني فإني أفهم تماما ما يريد وأفرق بين تزلق/ تسلق؛ لأن الزاي صوت موشوش والسين تبقى مهموسة، ويصبح التقابل الفيزيائي موشوش/مهموس يحمل القيمة الفونولوجية نفسها للتقابل الفيزيائي مجهور/مهموس، قال د/ارنستبولجرام: (والكلام الموشوش أيضا يتم دون أن تنشط الشفتان الصوتيتان، وفي هذه الحالة نجد أن عملية تعرُّف السامع إلى ما يمكن أن يكون تقابلا دالا في أصوات الكلام بين المجهور والمهموس...تحتاج إلى ما يكملها؛ ويـــتـم

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 322/4.

2 والوشوشةُ: كلامٌ في اختلاط، وكذلك التّشويش، الخليل بن أحمد: العين، 374/4، وقد ارتضى ترجمة مصطح whispered بالوشوشة عدد من الصوتيين العرب المحدثين، انظر: ارنست بولجوام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ترجمة سعد مصلوح، ص: 24، ديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46.

3 وهي حال الهمس يجد الهواء مجالا واسعا بين الغضروفين الهرميين والغضروف الدرقي –تفاحة آدم–أي اتساعا في فتحة المزمار.

4 انظر: عبد العزيز احمد علام وعبد الله ربيع محمود: علم الصوتيات، ص: 112، و ارنست بولجوام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ص: 24 و234.

تكميلها بمجموعة من الخصائص المميزة المصاحبة[1] وعلى ذلك يهمل وجه التمايز الأساسي والتقليدي في بعض الظروف غير العادية، ليحل محله خاصية ثانوية، ويعني هذا ضمنا أن ألوان التمايز بين الأصوات لا بد أن تزيد...كما يعني ذلك أيضا أن هذه الألوان هي انحرافات مسموح بها عن المعيار، يتعرفها السامع ويمنحها قبولا ويتكيف معها تلقائيا )[2] وقال ديفيد أبروكرومبي: (يمكن أن يضيق المزمار فتقترب الأوتار الصوتية بعضها من بعض؛ لكن ليس إلى حد أن يتذبذبا، ومع ذلك يعرقل بهـذا التضييق تيار الهواء خلال مروره من المزمار، كما تقل قوته وينتج أيضا ضوضاء[3] ذات هسيس ناعم، تسمى اصطلاحا الوشوشة whisper.... وتعني كلمة وشوشة في

---

1 تتمايز الفونيمات عن طريق التضاد أو التقابل فيما بينها في الصفات أو المخارج، فوجود صفة أو فقدانها في فونيم ما يؤدي إلى تمييزه، كوجود الجهر في الزاي وفقدانه في السين، ويعرف تروبتسكوي التضاد بقوله: (إنه كل تضاد فونولوجي بين صوتين مختلفين؛ يمكن أن يميز بين معان فكرية في لغة معينة)، أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، صك 143، وكل صفة تسمى سمة مائزة إذا كانت قادرة على وصف مستوى التجريد النظامي للصوت أي الوظيفة الصوتية، سانفورد، انظر: أ.سشيان: النظام الصوتي التوليدي، تر: نوزاد حسن احمد، ط1/2010، الدار العربية للموسوعات، ص: 50، وقد سبق علماء العرب إلى التعرف إلى القيمة التمايز بين الأصوات، قال المرادي (ت643ه) عند تقسيمة للصفات إلى مميز ومحسن وذي قوة وضعف: (هذه الصفات المذكورة تميز الحروف المتشاركة في المخرج، لولاها لاتحدت أصواتها، ولم تتميز ذواتها... إلي فصل بين الحروف التي ائتلف منها الكلام بسبعة أشياء: الجهر والهمس والشدة والارخاءوالاطباق والمد واللين، فإذا جهرت أو همست أو أطبقت أو شددت أو مددت أو لينت، اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد)، المرادي ابن أم قاسمك المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للنشر 2005، ص: 25.

2 ارنست بولجوام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ص: 24، ويقوم مقام الجهر والهمس في الكلام الموشوش، صفات أخرى كالارتخاء التوتر على الترتيب، نفسه ص:234.

3 تحدث الضوضاء أو الاحتكاك فيزيائيا عن طريق؛ تأثير جسم ما في حالة حركة، وهو على اتصال بجسم آخر يعيق حرية حركته، مما ينتج عنه مقاومة للحركة، أي هو قوة تعمل على إيقاف الحركة تدريجيا، انظر: عبد القادر عبد الرحمان بابي: الجملة في المصطلح و العملة، دار الهدى عين مليلة – الجزائر، دون ذكر للطبعة، ص: 37، وفي حالة الوشوشة، تؤثر جزيئات الهواء على حواف فتحة المزمار، فيسمع لهذا احتكاكا.

والاحتكاك الذي يصحب الأصوات اللغوية نوعان: =

معناها العامي؛ أن تنطق كلاما لا يحتوي ألبتة على امتدادات مجهورة، فعندما يهمس الناس بهذا المعنى يبقى كما هو أي جزء من أجزاء الكلام يحدث أن يكون في العادة مهموسا، لكن يستبدل بهذه الأجزاء الأخرى من الكلام التي قد تكون في العادة مجهورة أجزاء موشوشة)،[1] ومهما يكن من أمر فليس من شأن علماء الأصوات أن يعرضوا للكلام في حالة الوشوشة هذه بالدراسات المفصلة؛ لأن الكلام العادي لا وشوشة فيه،[1] وقد أشار سيبويه عند حديثه عن الصوت المجهور والمهموس، أن المهموس يمكن تكريره بخفاء صوته (نطقه بالإسرار والمناجاة أو الوشوشة) فلا تتغير صفته الفيزيائية؛ أي أن الصوت المهموس في الكلام المسرور أو الموشوش يبقى مهموسا، أما المجهور فلا يمكن معه ذلك لأنه يتحول إلى صوت موشوش، قال:: (وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها وإن

---

= 1-**احتكاك حجرة**: وهو الذي يحدث عند احتكاك جزيئات الهواء بالجدران الداخلية للقناة النطقية لا في مخرج الصوت؛ فالهواء يحتك مثلا عند النطق بصوت الفاء على طول المجرى الحلقي والفموي، وهذا الاحتكاك لا يشكل الذبذبات المميزة لصوت الفاء، بل يشكلها احتكاك الهواء في منطقة التضييق بين الشفة السفلى والأسنان العليا.

2-**احتكاك موضعي**: وهو الذي يحدث عند احتكاك الهواء في مخارج الأصوات وهذا الاحتكاك مسموع، وهو الذي يؤخذ به لتصنيف الأصوات في زمرة الاحتكاكيات ولو لم يكن الأمر كذلك لكان كل صوت في لغات العلم احتكاكيا؛ لأن جزيئات الهواء يحتك بعضها ببعض عند نطق أي صوت، حتى الأصوات الوقفية الانفجارية وهي مما يستحيل وصفها بأنها احتكاكية، كما أن الصوائت وهي أكثر الأصوات حظا من الرنين، تشتمل على احتكاك لا يمكن تجنبه، يحدث على طول الأجزاء السطحية للحلق والفم حين يلمسها الهواء عند تحركه (انظر: ارنست بولجرام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ص: 96، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 38، و سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 137، و خلدون أبو الهيجاء: فيزياء الصوت اللغوي و وضوحه السمعي، ص: 69).

1 ديفيد أبروكومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46.

شئت أخفيت)،[2] ومعنى الترديد تكرير الحرف مع إدخال الحركات أو حروف المد عليه،[3] فالحرف المهموس المتحرك إذا وشوشته بقي مهموسا وهمست حركته والمجهور إذا وشوشته تحول إلى نظيره المهموس، فلا تقدر على المحافظة على قيمته الفونولوجية، قال السيرافي (368هـ) (اعلم أن ترديد الحرف الذي يعرف به المجهور من المهموس لا يمكن إلا بتحريكه؛ لأن الساكن لا يمكن ترديده، ومعنى كلامه –أي كلام سيبويه– أن ترديد الحرف على الوصف الذي ذكر يعرف به المجهور من المهموس سواء رفعت صوتك أو أخفيت)،[4] وذكر الأعلم الشنتمري أن المهموس إذا رددته برفع الصوت – بجهر– في الحركات أو حروف المد يضعف أو يقل الهواء الكثير المصاحب للمهموس عند الوقف بسبب تأثره بجهر الحركة، أما المجهور فيبقى على حاله من قوة الإسماع وقلة الهواء المصاحب له، فالجهر يبدد جزء كبير من الهواء سواء مع الحر وف الصحاح أو العلل،[5] قال: (المجهورة سماها بذلك لما فيها من إشباع الاعتماد المانع من جري النفس معه عند الترديد؛ لأن قوة الصوت باقية...وسمى الحروف الأخر مهموسة؛ لأنها حروف أضعف الاعتماد فيها، **وجرى النفس مع ترديد الحرف يضعف**)[6]

---

1 انظر: محمود السعران: علم اللغة، ص: 138.

2 سيبويه: الكتاب، 434/4.

3 انظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية–لبنان، ط2008/1، 393/5–394، والأعلم الشنتمري (ت476هـ): النكت في تفسير كتاب سيبويه، ص: 681.

4 السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 394/5.

5 قرر بعض الدارسين قدامى ومحدثين على السواء أن الأصوات المهموسة يصاحبها عند النطق بها هواء كثير إذا قورنت بنظائرها المجهورة (عبد المعطي نمر موسى: الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، ص:51.)، قال أبو يحيى زكريا الأنصاري (ت1520هـ) معرفا الجهر: (...سميت حروفه مجهورة للجهر بها ولقوتها، ومنع **النفس أي الكثير** أن يجري معها)( الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص:36).

6 الأعلم الشنتمري (ت476هـ): النكت في تفسير كتاب سيبويه، ص: 681.

وعلى هذا فالمجهور عند الإسرار به يفقد قيمته الفونولوجية ويتحول إلى نظيره المهموس، قال إبراهيم أنيس: (فسيبويه يرشدنا هنا إلى وسيلة أخرى لتمييز المجهور من المهموس، وذلك عن طريق إخفاء الصوت؛ وأنه يمكن هذا الإخفاء مع المجهورات فيترتب عليه أن الحرف تضيع صفته المميزة، فلا تسمع الدال دالا حينئذ وإنما نسمع صوتا آخر هو التاء)[1]

ث- الصوت المنبعث من الصدر في النصوص أعلاه، هو صوت الجهر المنبعث من الحنجرة، فالصدر لغة هو النحر حيث توجد الحنجرة، كما سبق ذكرة.

ج- لقد نسب القدامى مخرج الهمزة إلى الصدر، قال سيبويه: (واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها لأنه بعد مخرجها، ولأنها نبرةٌ في الصدر تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً؛ فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع)،[2] والتهوع هو القيء، ولا شك أن الهمزة نبرة في الحنجرة؛ تنطق بقفل المزمار وانطباق الأوتار الصوتية على بعضها؛ مما يزيد في رفع ضغط الهواء تحت الحنجرة، وهذا ما يحدث عند محاولة رفع جسم ثقيل أو إخراج الفضلات حال تعسر خروجها، ولا شك أن هذا فيه إجهاد،[3] وقد أحس سيبويه بوجود عائق في الصدر (الحنجرة)

---

1 إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 122.

2 سيبويه الكتاب، 548/3.

3 الوتران الصوتيان -بالإضافة لدورهما في التصويت- يؤديان وظائف حيوية كثيرة: فهما يغلقان ممر الهواء -إلى جانب لسان المزمار والوترين الصوتيين الكاذبين-في أثناء البلع وفي أثناء القيء وارتداد الطعام؛ منعا لأي تسرب جسم غريب إلى الرئتين، ويغلقان ممر الهواء كذلك لبناء الضغط اللازم في القفص الصدري:

أ- لطرد الأجسام الغريبة في أثناء السعال.

ب- لرفع الأجسام الثقيلة.

ت- لطرد الفضلات عند تعسر عمليتي التغوط والتبول.

انظر: جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 143 بتصرف، وتمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63، وديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46-47.

يسبب نوعا من الاجهاد، وقد ذكَر ابنُ سينا أنَّ الدَّفْع القويَّ للهواء من الحِجاب الحاجز ومقاومة عضَلِ الصَّدر؛ يُحدِث الهمزةَ بفتح الممر بضغط الهواء وفتح العضل الفاتحة معا،[1] وهذا يدل على أن المقصود من الصدر الحنجرة؛ فعضلاتها المقربة والمبعدة للوترين هي التي تسهم في إنتاج الهمزة، ولقَّب مكِّيّ (ت437هـ) الهمزةَ بـ: "الحرف المَهْتُوف" لخروجها من **الصَّدر** كالتهوُّع، فتحتاجُ إلى ظهور صوت قويٍّ شديد،[2] وذكر أنها تخرج من آخر الخلق مما يلي الصدر.[3]

**2-مصطلح غلصمة:**

اختلف اللُّغويون والأطباء في تحديد المراد **بالغلصمة** على خمسة آراء:[4]

- **أولا اللغويون:**

جعلوا الغلصمة مصطلحا يدل على الحنجرة، فالغلصمة تشمل عندهم: الهيكلُ الخارجيُّ للحَنجرة مع ما تحويه من أوتار صوتية ولسان المزمار، قال الخليل بن أحمد (ت175هـ): (الغَلْصَمةُ رأسُ الحُلقُوم بشَوارِبه وحَرْقَدته، والجميعُ الغَلاصِمُ، وغَلْصَمْتُ الرَّجلَ: قطعت غَلْصَمَتَهُ)،[5] وجعل الأصمعيّ (ت215هـ) الغلصمة رأس المريء -غضروف لسان المِزمار- قال: (والغَلْصَمةُ: العُجْرَةُ التي على ملتقى اللَّهاة والمريء، إذا ازدرد الآكِلُ اللُّقمةَ فزلَّت عن الحلق دخَلَت في فَم الغلصمة)[6]

---

1 ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص: 9.

2 انظر: مكي: الرعاية ص: 56.

3 انظر: مكي: الرعاية ص: 65.

4 انظر: عادل إبراهيم أبو الشعر: المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي العربي، ص:187-189.

5 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 287/3.

6 أبو علي القال (ت356هـ): البارع في اللغة، تح: هاشم الطعان، دار الحضارة العربية-بيروت 1975، ص: 459.

فالواضِح أنه يصف عملية البَلعِ وانطباق الغضروف المسمَّى بلسان المزمار على فم القصبة الهوائيَّة لتدخُل إلى المريء.

وأطلق الثعالبي (ت429هـ) الغلصمة على أصلُ اللِّسان، قال: (الغَلْصَمَةُ والعَكَدَةُ أَصْلُ اللِّسَانِ).[1]

أما ابن منظور (ت711هـ) فقد جمع الأقوال السابقة قال: (الغَلْصَمَةُ رأْس الحُلْقوم بشواربه وحَرْقدته، وهو **الموضع الناتئ في الحَلْق** والجمع الغَلاصِمُ، وقيل الغَلْصَمةُ اللَّحم الذي بين الرأْس والعُنُق، وقيل **مُتَّصَلُ الحلقوم بالحلق** إذا ازْدَرَدَ الآكلُ لُقْمَته فَزَلَّتْ عن الحلقوم، وقيل هي **العُجرةُ** التي على مُلْتَقَى اللَّهاةِ والمَرِيءِ)[2]

من هذه النصوص يفهم أن **الغلصمة** عند قدامى علماء العربية تطلق على شيئين، هما؛ **الحرقدة** (تفاحة آدم) **وغضروف لسان المزمار**.

- **ثانيا الأطباء و الفلاسفة:**

قال الشيخ الرئيس (ت428هـ): (أما الغلصمة فهي لحم صفاقي لاصق بالحنك تحت اللهاة، متدل منطبق على رأس القصبة وفوق الغلصمة الفائق –ما يصل الرقبة بالرأس– وهو عظم ذو أربعة أضلاع اثنان من أسفل).[3]

قال الدكتور محمد عبد الرازق استشاريّ أمراض الأنف والأذن والحنجرة عند قراءته هذا النصّ: إن وصفَ ابن سينا ينطبق على الحنك اللَّين.[4]

---

1 الثعالبي أبي منصور: فقه اللغة وأسرار العربية، تح: يحيى مراد، مؤسسة المختار، ط2009/1، ص: 117.

2 ابن منظور: لسان العرب، 441/12.

3 ابن سينا: القانون في الطب، 286/2.

4 انظر: عادل إبراهيم أبو الشعر: المصطلحات الصوتية في التراث العربي، ص: 142.

وبهذا المعنى استعمل الكنديُّ **الغَلْصَمة** في وصف انفتاح مخرج العين، قال: (نقولُ في نعتِ العَين؛ تَحتاجُ إلى نَغْمَةٍ مع نفَسٍ يَمتدُّ إلى اللَّهاة ويَقِفُ معها، بهَمْزَةِ اللِّسَانِ إلى اللَّهوات وفتحةٍ **بالغَلْصَمة**)،[1] وكذلك استعملَها في وصف مخرج القاف حيث قال: (تحتاجُ إلى إلْزامِ **الغَلْصَمَةِ** الخَيَاشيمَ لُزُوماً شديداً، وتَفَرُّقٌ فيما بين ذلك بدَفعِ النَّفَس بقوَّة).[2]

يطهر من خلال هذه النصوص، أنَّ **الغلصمةَ** منطقةٌ واسعةٌ تَشْمَلُ الغضروف المُسمَّى حديثاً بلسان المِزمار وما فوقَه إلى أصل اللِّسان، والحنك اللين، وهذا يتفق والمعنى اللغوي للغلصمة التي نعتت في كتب اللغة بأنها (اللَّحم الذي بين الرأْس والعُنُق، وقيل **مُتَّصَلُ الحلقوم بالحلق** إذا ازْدَرَدَ الآكلُ لُقْمَته فَزَلَّتْ عن الحلقوم، وقيل هي **العُجرةُ** التي على مُلْتَقَى اللَّهاةِ والمَرِيءِ).[3]

وأظهَر منظارُ الحَنجرة أنَّ العَين والحاء يَخرُجان من منطقة الغَلْصمة Épiglotte في إحدى معانيها وذلك برجوع الغَلْصَمَة إلى الجدار الخلفيِّ للحلق عند نطقِهما.[4]

- **الألفاظ الدالة على أجزاء الحنجرة:**

1- **الوتران الصوتيان:**

- **أولا عند قدامى اللغويين العرب:**

استعملوا مصطلح **الشوارب**، والشارب في اللغة الشعر الذي يسيل على الفم من الشفة العليا،[5] قال الخليل: (والشاربان تجمعهما السَّبَلة،[6] والشاربان أيضاً: ما طال من

---

1 رسالة في اللُّثغة، ص: 526.

2 رسالة في اللُّثغة، ص: 526-527.

3 ابن منظور: لسان العرب، 441/12.

4 انظر: عادل ابراهيم أبو الشعر: المصطلحات الصوتية في التراث العربي، ص: 149.

5 انظر: الفيومي: المصباح المنير، ص: 117.

6 السَّبَلةُ: ما على الشَّفةِ العُليا من الشَّعر تَجمَعُ الشاربَيْنِ وما بينَهما، لخليل بن أحمد: كتاب العين، 214/2.

ناحيتي السَّبَلة ومنه سُمّيَ السيف، وبعض يُسمّي السَّبَلة كُلّها شارباً واحداً، وليس بصواب، **والشوارب عروق محدقة بالحلقوم وفيها يقع الشَّرَق**، ويقال: بل هي عروق تأخذ الماء ومنها يخرج الريق)[1]

وقال: (النُّغْنُغُ: موضعٌ بين اللهاة **وشوارِبِ الحنجورِ**)[2]

وقال: (الغَلْصَمةُ رأسُ الحُلقُوم **بشَوارِبه** وحَرْقَدته، والجميعُ الغَلاصِمُ، وغَلْصَمْتُ الرَّجلَ: قطعت غَلْصَمَتَهُ)[3]

قال الأزهري (ت370هـ): (**والشَّوارب** مَجاري الماء في الحَلْق ، ويقال للحمار إذا كان كثير النَّهْق: إنَّه لَصَخِبُ الشَّوارِب، وقال أبو ذؤيب:

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يزالُ ... كأَنَّه عَبْدُ لآلِ أَبِي رَبِيعَة مُسْبَعُ)[4]

وقد شبه ابن جني (ت393هـ) الأوتار الصوتية بأوتار العود، وأطلق مصطلح أول الحلق الذي يعني به الحنجرة وما تحويه، قال: (...شبه بعضهم الحلق والفم بالناي...ونظير ذلك أيضا وتر العود ... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق).[5]

يفهم مما سبق أن الشوارب تعني:

---

1 الخليل: كتاب العين، 318/2.

2 الخليل: المصدر نفسه، 246/4.

3 الخليل: المصدر نفسه، 287/3.

4 الأزهري: تهذيب اللغة، 241/11.

5 ابن جني: سر صناعة الإعراب، 30/1-31.

أ- لغة شعر الشفة العليا وما تدلى منه ناحيتي الشدقين، وهناك شبه بينها وبين الوترين الصوتيين؛ إذ يقعان على جانبي الحنجرة من الخلف مرتبطان بالغضروفين الهرميان ومن الأمام بتفاحة آدم (الحرقدة).

ب- نسب الخليل الشوارب للحنجور –وهي ما يشمل الشوارب والحرقدة أو تفاحة آدم– أي الشوارب في هذه المنطقة، ومعلوم أن الوترين الصوتين الكاذبين يقعان تحت لسان المزمار ويغطيهما عند البلع والسعال والقيء...الخ، والوتران الصادقان يقعان تحت الكاذبين،[1] والخليل لا يدرك أن هناك أكثر من شاربين في الحنجرة، لعدم تخصصه واطلاعه على كتب التشريح والطب، ناهيك عن إدراكه أن الشوارب مصدر الصوت الذي سماه بصوت الصدر (الجهر)، فالمعرفة العلمية عند الخليل أساسها التراث الشعبي الذي ساد العراق حيث عاش الخليل بالإضافة للعلوم الإسلامية واللغوية التي ازدهرت في عصره.

ت- جعل الخليل الغلصمة (موضع الذبح أو الحنجرة عندنا) رأسا للحلقوم (مخرج النفس) بشواربها وحرقدتها (تفاحة آدم)، وبهذا المعنى فالشوارب جزء من الغلصمة وهي الأوتار الصوتية.

ث- جعل الخليل الشَّواربُ عروقٌ مُحْدِقةٌ بالحُلقوم –محيطة به من الداخل– وفيها يقع الشرق، ومعلوم عندنا أن الأوتار الصوتية ولسان المزمار يسدون فتحة المزمار عند دخول الماء،[2] وهذا هو الشرق في لغة العرب، قال الخليل: (شرق: شَرِقَ

---

1 انظر: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

2 إضافة لدور الوترين الصوتيين في التصويت، فهما يؤديان وظائف حيوية أخرى؛ حيث يغلقان ممر الهواء –إلى جانب لسان المزمار والوترين الصوتيين الكاذبين–في أثناء البلع وفي أثناء القيء وارتداد الطعام؛ منعا لأي تسرب جسم غريب إلى الرئتين)، انظر: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63. واشارة الخليل إلى أن شوارب الحنجور يقع فيها الشرق، لنص واضح أنه يقصد الأوتار الصوتية.

فلان بريقه، والشَّرَقُ بالماء كالغص بالطعام، وهو أن يقع في غير مساغه، يقال: أخذته شَرْقةٌ فكاد يموت)،[1] فالخليل يدرك أن الشوارب هي موضع الشرق.

ج- إطلاق الخليل والأزهري على الشوارب مصطلح عروق في باطن الحلق من باب التشبيه وتقريب المعنى، وفي الدرس الحديث أيضا تسمى بعدة أسماء منها:

1-الشفاه الصوتية؛ تشبيها لهما بالشفتين من الناحية التشريحية.

2-الأوتار الصوتية؛ تشبيها لها بأوتار العود من ناحية كيفية الاهتزاز.

3-الرقائق أو الأغشية الصوتية؛ من حيث التكوين التشريحي من نسج ضامة.[2]

د- قول الخليل: (بل هي عُروقٌ تأخذُ الماء ومنها يَخرُجُ الرِّيق)، الأبحاث العلمية اليوم لا تنسب للشوارب خروج الريق، الذي يخرج من عدد من الغدد يقع أهمها في الفم،[3] كما أن الشوارب لا تأخذ الماء بل الماء يذهب إلى المريء -هذا إن

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 326/2.

2 أنظر: سمير شريف استيتية: اللسانيات، ص: 371.

3 الغدد اللعابية هي غدد قنوية في الثدييات تفرز العاب وهي تكوينات صلبة تتكون من ملايين الخلايا الإفرازية وتسري بين هذه الخلايا قنوات رقيقة تجمع اللعاب وتحمله وتوجهه إلى قناة مفردة تقوم بدورها بحمل اللعاب إلى الفم، للعاب وظائف حيوية كثيرة؛ فهو يرطب القناة الهضمية والنطقية لتكونا على كامل الجهورية لأداء وظائفهما، كما يحميهما من الالتهاب. وهناك ثلث أزواج من الغدد اللعابية les glandes salivaires؛

1- الغدتان النكفيتان les glandes parotides: تعتبر الغدتان النكفيتان أكبر الغدد اللعابية، وتقع إلى الأسفل والأمام من المجرى السمعي الخارجي ويمتد أنبوب هذه الغدة على السطح الخارجي للعضلة الماضغة، ومن ثم يمر عبر العضلة الخدية؛ في وعاء صغير يسمى ستنسن، ويصب في دهليز الفم على الغشاء المخاطي للخد.

2- الغدتان تحت الفك les glandes sous maxillaires: وتتموضع تحت حجاب الفم في الحفرة الفكية، ويقع أنبوب هذه الغدة على السطح العلوي لحجاب الفم، ويصب في جوف الفم الخاص تحت اللسان على الحلمة اللعابية؛ إذ تمتد قنوات غدد تحت الفك إلى الأمام مخترقة الأنسجة في قاع الفم وتفتح بواسطة فتحة يمكن رؤيتها بسهولة عند قاعدة القيد الصغير للسان.

3- الغدتان تحت اللسان les glandes sous linguales: و تعتبر الغدد تحت اللسان أو اللسانية أصغر الغدد اللعابية، تقع تحت اللسان على حجاب الفم ويغطيها غشاء مخاطي يشكي فوقها ثنية (الثنية تحت اللسان)،=

قصد الخليل ما فهمته من كلامه– والحق أن هناك غدد لعابية في سقف الحلق تحمي الحلق من الجفاف– لكنها ليست في الحنجرة أو الوترين.

ذ– أدرك ابن جني أن أقصى الحلق (الحنجرة) مصدر الصوت، وأن هناك جسما ما يولد هذا الصوت، يعمل عملا مشابها لوتر العود.

- **ثانيا الوتران الصوتيان أو الجسم الشبيه بلسان المزمار عند قدامى حكماء وأطباء العرب:**

لفهم طبيعة تسمية الوترين الصوتيين **بلسان المزمار أو الجسم الشبيه بلسان المزمار** عند أطباء العرب، لا بد من استحضار تصورهم للآلة الناطقة وأجزائها.

فالعرب كانوا يشبهون الألة الناطقة بالمزمار (الناي)، والأوتار الصوتية بأوتار العود، وأقدم نص عثرت عليه، يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وذلك

---

=وللغدة أنبوب واحد كبير وعدة أنابيب صغيرة، ويصب الأنبوب الخارجي الكبير مع أنبوب الغدة تحت الفك السفلي على الحلمة اللعابية، والأنابيب الصغيرة تصب على الثنية تحت اللسان، والذي يميزها عن الغدد اللعابية الأخرى أنها بدلا من أن تكون لها قناة كبيرة منفردة مثل الغدد النكفية وغدد تحت الفك فإن لها صفا كاملا من القنوات الأصغر بكثير والتي تفتح في الفم على طول الحافة المستعرضة الصغرى الموجودة في أرضية الفم تحت اللسان.

بالإضافة للغدد الأصلية توجد غدد في جدار الفم؛ في الشفة والأشداق واللثة وسقف الحلق والمريء وفؤاد المعدة وفتحة البواب، والفم يفرز من اللعاب ما بين 1000–1500سم مكعب/24سا، وهو دائم الإفراز؛ لهضم كل ما يدخل من طعام أو ما يتبقى منه في الفم، ويساعد على قتل عدة أنواع من الجراثيم، ويعمل على ترطيب الفم وتزليج أجزائه وتسهيل حركات اللسان في أثناء الهضم، وهذا الترطيب من شانه تسهيل عملية النطق والكلام على هذه الأعضاء.

واللعاب يتكون أساسا من الماء بنسبة 99بالمائة، وواحد بالمائة أنزيم أميلاز Amylase الفم ومخاطين وملح، ولولا وجود هذه الكمية الهائلة من الماء لفقد الجهاز الهضمي والنطقي الكثير من فعاليته ومرونته، انظر: صبحي عمران شلش: الدراسات العلمية في علم وظائف الأعضاء العام، صك 98بتصرف، وانظر: صبحي شلش وهاني العزاوي: علم النسج العام، ص: 108–109.

جين ترجم حنين ابن اسحق العبادي (ت264هـ) مصطلح الطبيب جالينيوس (ت100م) Glottis –الذي أطلقه على الغضروف الذي يحمي مدخل الحنجرة– بلسان المزمار.[1]

والجدير بالذكر، أن لفظة Glottis ترجع إلى اللفظة Glôtta وهي تعني في اللغة الإغريقية "لسان" فقط،[2] ومن هذا يظهر أن حنين بن اسحق ترجم المصطلح السابق ترجمة بتصرف،[3] ومن هذه الترجمة يمكن أن يعد أول عالم عربي تنبه لدور الحنجرة في إصدار الاهتزازات، وشبهها لأجل ذلك بالمزمار، وسمى الغضروف الذي يحي مدخها بلسان المزمار، هذا المصطلح الأخير تغير مدلوله فيما بعد عند الأطباء العرب الذي أصبح يعني عندهم الوتران الصوتيان[4] وأطلقوا على الغضروف الذي يحمي مدخل الحنجرة: "**الغضروف المتكئ على المجرى**".[5]

---

1 انظر: عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج62/2 بتصرف يسير.

2–Claude Dubois et autre: pluridictionnaire Larousse, p :492et 618.

3 هذا خلافا لما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمان حاج صالح، من أن ترجمة حنين بن اسحق لهذا المصطلح كانت حرفية، انظر: عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج62/2.

4 تشبيها لهما من حيث الوظيفة بخشبة **لسان المزمار**، فوظيفة كل من خشبة لسان المزمار والوتران هي انتاج النغمة الأساسية، وسيعالج البحث هذه القضية بعد قليل، وهذه الخشبة مسطحة رفيعة توضع في فم المزمار أو الناي، تهتز إذا نفخ الزامر وتولد أنغاما، وتسمى هذه الخشبة في عرف الموسقيين "**اللسان**" أو "**لسان المزمار** (مكتبة لبنان: الموسوعة العلمية الميسرة، ط1984/1 مكتبة لبنان–بيروت، ص: 50–51 بتصرف يسير).

5 انظر: القانون في الطبّ 2/ 1121.

وثاني نص صريح عثرت عليه يرجع للقرن الرابع الهجري، حيث شبه أبو بكر الرازي (ت313هـ) الأوتار الصوتية بلسان المزمار قال: **(آلَات الصَّوْت الحنجرة والعضل المحرك لَهَا والجسم الشبيه بِلِسَان المزمار** والعصب الرَّاجِع إِلَى فَوق).[1]

ولعل هذا النص أثَّر في ابن جني (ت393هـ) الذي شبه آلة النطق البشرية بالناي (المزمار) والأوتار الصوتية بوتر العود، وتنبهه إلى العلاقة بين علم الأصوات وعلم الموسيقى، قال: (ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تباين أصدائها، **ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي** فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا[2] أملس ساذجا كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع **الزامر** أنامله على **خروق الناي** المنسوقة، وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة، ونظير ذلك أيضا **وتر العود ... فالوتر**[3] في هذا التمثيل **كالحلق** والخفقة بالمضراب عليه **كأول الصوت من أقصى الحلق** وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا، وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب، وإن لم

---

1 أبو بكرٍ الرازيّ، الحاوي في الطب 455/1.

2 أي تصل الأجزاء من دون انقطاع يتخلله، وهكذا أصوات الكلام؛ تكون متصلة من نقطة الابتداء إلى نقطة الوقف.

3 لأن الحبال الصوتية تهتز مثل أوتار العود والقيتارة، سماها بعض المحدثين الوتران الصوتيان، انظر: سمير شريف استيتية: اللسانيات، ص: 369 وما بعدها.

يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق، ولكن هذا القبيل من هذا العلم، **أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى**، لما فيه من **صنعة الأصوات والنغم)**.[1]

وهذا النص يقارب بين علم الموسيقى وعلم الأصوات، حيث شبه القناة النطقية بالمزمار، والحلق بالوتر، والحلق هنا هو الحنجرة، حيث نسب ابن جني أول الصوت إليه، حتى وإن لم يكن ابن جني يدري أن بالحلق وتران صوتيان، فقد ادرك أن أول الصوت يكون بالحلق أو الحنجرة، وأن سببه اهتزاز يشبه اهتزاز وتر العود.

وجاء ابن سينا (ت428هـ) وشبه الوتران الصوتيان **بخشبة لسان المزمار** من حيث الوظيفة في توليد الذبذبات، قال: (وخُلِق لأجل التصويت الشيءُ الذي يسمَّى: **"لسان المزمار"**، يتضايَق عنده طرفُ القصَبة ثمَّ يتَّسع عند الحنجرة، فيبتدئ من سَعةٍ إلى ضِيق، ثم إلى فضاءٍ واسع، كما في المزمار، فلا بدَّ للصَّوت من تضييق المحْبِس. وهذا**الجِرمُ الشبيه بلسان المزمار** من شأنه أن **ينضمَّ وينفتحَ**؛ ليكون بذلك **قرعُ الصَّوت**...أما الحنجرة فإنها آلة لتمام الصوت ولتحبس النفس، في داخلها **الجرم الشبيه بلسان المزمار** من المزمار).[2]

وواضح أن ابن سينا يصف عملية اهتزاز الوترين الصوتيين، التي تتم بالتباعد والتقارب بينهما، والتي تتم في أثناء عملية الجهر أو الكلام المتصل،[3] ويزيدنا ابن مَلْكا

---

1 ابن جني: سر صناعة الإعراب، 30/1-32.

2 ابن سينا: القانون في الطب، 302/22.، ومع وضوح النصّ، فقد أكد طبيبَين استشاريَّين أن ابن سينا إنما يتحدَّث عن الأوتار الصوتيَّة. أما الغضروف الذي يسمَّى حديثاً **"لسان المزمار"**، فقد سمَّاه ابن سينا: **الغضروف المتكئ على المجرى**، وذكر من وظيفته تسهيل عملية البلع كما هو معروف طبياً. (انظر القانون لابن سينا 2/ 1121)، وعادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 132.

3 من النادر جدا أن نجد صوتا ما في سياق الكلام المتصل مهموسا مائة بالمائة؛ وهذا أمر عام تشترك فيه كل اللغات، وقد لاحظت الباحثة الروسية ر. ف. باوفوشيما ظاهرة استحالة الحفاظ على همس الصامت المهموس في سياق الكلام قالت: (من المقر به في الوقت الحاضر أن الصوامت المهموسة التي تسبق الصائت لا تخلوا من جزء مجهور) ر. ف. باوفوشيما: دراسة صوتية مخبريه للهجات الروسية ، موسكو، 1969، ص: 151، نقلا عن رضوان القضماني: تصنيف صوتيمات اللغة، مجلة الموقف الأدبي، العددان: 153 / 154، كانون الثاني / شباط، 1984، ص: 30.

البغداديُّ (ت560هـ) وضوحا إذ يفسر عملية تقطيع الهواء التي يقوم بها الوتران الصوتيان، قال في معرض حديثه عن الحنجرة والوتران الصوتيان: (وهي آلةُ التصويت **كرأس المزمار**، ولها لسانٌ **كلسان المِزمار**؛ ليَقْتَطِع الهواءَ في التصويت).[1]

ورأس المزمار كما يبدو من النص، هو فمه أو فتحته حيث يضع الزامر فمه لينفخ فيه، إذ يكون مصدر مولد للرنين بسبب اهتزاز خشبة لسان المزمار، وباقي جسم المزمار يضخم هذا الرنين، فهذا حال يشبه الحنجرة البشرية التي تولد الرنين (صوت الجهر)، وتقوم الفراغات العليا (الحلق، الفم، الانف) بتضخيم هذا الرنين.

إن الهواء في أثناء الجهر أو الكلام المتصل يخرج متقطعا على شكل دفعات متتابعة، بسبب عرقلة الوترين الصوتيين لممر الهواء، مما يسبب ارتفاعا في الضغط يؤدي إلى فتح الوتران وهكذا تتكرر العملية ما بين 60-70 مرة عند الرجال،[2] وهذا ما تؤكده دراسات حديثة، قالت جلوريا ج بوردن: (تتحرك الحبال الصوتية على نحو دوري تماما...تنفتح الحبال الصوتية وتنغلق في نمط معين في حركة تكرر نفسها، يصدر هذا العمل عددا هائلا من الدفقات الهوائية الصغيرة؛ التي تصدر هي نفسها موجة ضغط مسموعة عند المزمار)[3]

---

1 أبو البركات هبة الله ابن عليّ بن مَلْكا البغداديّ (ت 547 هـ): المعتبر في الحكمة، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1358 هـ.، 2/ 264.

2 يبلغ اهتزاز الوترين الصوتيين بين: 60-70 هرتز لأخفض أصوات الرجال، ويسمى في علم الموسيقى والأداء بصوت الباص أو القرار، ويصدر عن الحبال الصوتية الغليظة وبين 1200-1300 هرتز لأكثر الأصوات ارتفاعا؛ كما عند بعض مغنيي الأوبرا ويسمى هذا الصوت في علمي الأداء والموسيقى بصوت السوبرانتو، ويعد من أعلى أصوات النساء ويبلغ متوسط اهتزاز الأوتار الصوتية في الكلام العادي ما بين: 100-120 هرتز عند الرجال، وما بين: 200-300 هرتز عند النساء، وما بين: 300-400 هرتز عند الأطفال، انظر: بسام بركة: علم الأصوات العام، ص: 63، وفرحات بلبل: أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي، دار المعارف 1996، ص: 16.

3 انظر: جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 157.

وقد لاحظ الطبيب علي بن العباس المجوسي (ت400هـ) عملية العرقلة التي تقوم بها الأوتار الصوتية ضد الهواء في أثناء الجهر أو الكلام المتصل، وأن الهواء المنضغط هو الذي يقوم بفحتهما، قال: (وهذا الشَّحم يسمَّى **طبقُ**[1] **الحنجرة ولسانها**،[2] وهو الآلة الأولى من آلات الصوت... فإذا انطَبَق مجرى الهواء، وبقِي محصوراً اندَفع الهواء إلى ***جانبَي*** طبَق الحَنجرة، ففَتح ***الثُّقبَين اللَّذَين كانا مُطبقَين*** بانضمام ***شفاههما*** بعضِهما إلى بعض. وهذان ***الثقبان*** اللَّذان في جانبَي طبَق الحَنجرة ممدودان بالطُّول من فوق إلى أسفل، كأنهما خطَّان صغيران شبيهان **بالغِشاءين مُطبَقَين لازمي التجويف**".[3]

إن الذي يجعلنا مطمئنين إلى أن قدامى أطباء العرب إنما كانوا يصفون الأوتار الصوتية لا غير، هو وصفهم للبنية النسيجية لهما بعبارات صريحة لا يتطرق إليها الاحتمال، قال عليّ بن العباس المجوسيّ: (فأما صفةُ تجويف الحنجرة الذي يخترقُه الهواءُ إلى داخل وإلى خارج، فإنَّ فيه جسماً **شبيهاً في شكله بلسان المزمار**... وهذا الجسمُ في

---

Et A. belkhirat : précis de phonétique et de phonologie, p : 21.

1 الطبق في اللغة هو الغطاء اللازم، (انظر: الخليل: كتاب العين، 36/3)، وسماهما علي بن العباس بالغطاء فيه اشارة لدورهما في منع تسرب المواد الغريبة للقصبة الهوائية، فالوتران الصوتيان الصادقان؛ إضافة لدورهما في التصويت، فهما يؤديان وظائف حيوية أخرى؛ حيث يغلقان ممر الهواء –إلى جانب لسان المزمار والوترين الصوتيين الكاذبين–في أثناء البلع وفي أثناء القيء وارتداد الطعام؛ منعا لأي تسرب جسم غريب إلى الرئتين)، انظر: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

2 سمى الاوتار الصوتية "لسان المزمار" تشبيها لها بخشبة لسان المزمار، التي تهتز عند النفخ في ألة المزمار (الناي) فتنتج الذبذبات الصوتية، وقد سبق توضيح هذا الأمر.

3 كامل الصناعة الطبية 1/ 120، نقلا عن: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 136–137.

جَوهره ليس يُشبه شيئاً من أعضاء البدن. وذلك أن جوهرَه كأنَّه ممتزجٌ من الشَّحم والغشاء والغُدَد، وهذا الشَّحم يسمَّى **طبقُ الحنجرة ولسانها)**[1]

وهذه حقيقة تتبين في وصف البنية النسيجية عند المحدثين، فالوتران الصوتيان Les cordes vocales هما ثنيتان، تتكونان من نسيج ضام، يسمى في علم التشريح بالنسيج الضام الليفي الأصفر المرن Tissu fibroblastique jaune، وهذا النوع من الأغشية يتكون من حزم سميكة متوازية من الألياف المرنة، وتوجد حول كل حزمة طبقة رقيقة جدا من نسيج رخو هللي lâche aréolaire Tissu ذي أرومات ليفية مسطحة واقعة بين الألياف، ومن ميزات النسخ الضامة المرنة الصفراء، أنها تتمتع بمرونة عالية تشبه إلى حد بعيد مرونة المطاط،[2] وهذا من أحد العوامل المساعدة على توتر الأوتار الصوتية بدرجة عالية جدا.

وبعد الاطلاع على هذه النصوص، لا يسع الدارس إلا أن يدرك أن لعلماء العرب لغويين وأطباء معرفة عميقة بالأصوات اللغوية،[3] ولهم معرفة بأدق التفاصيل التشريحية،

---

1 كامل الصناعة الطبية 1/ 120. نقلا عن: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 136-137، وذكر الدكتور محمد عبد الرازق استشاري طب الأنف والأذن والحنجرة عند قراءة هذا الموضع أن أبا الحسن المجوسي إنما يتكلَّم بشكل أكيد عن الطيات الصوتية الحقيقية والكاذبة معاً ولا يتكلَّم عن الغضروف المعروف طبياً بـ: (لسان المزمار). وإثبات أن حديثه ليس عن لسان المزمار مأخوذ من قوله: (وهذا الجسم في جوهره ليس يشبه شيئاً من أعضاء البدن وذلك أن جوهره كأنه ممتزج من الشحم والغشاء والغدد)، ولسان المزمار عضوٌ غضروفي يشبه غضاريف الحنجرة الأخرى، انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 136-137.

كما يلاحظ أن علي بن العباس يتكلم بصيغة المثنى، وهذا ينطبق على الوترين الصوتيين لا غضروف لسان المزمار، بالإضافة إلى استعماله في وصفهما لفظي: شفاههما وغشائين، وغضروف لسان المزمار لا يشبه الشفتين وليس بغشاء.

2 انظر: صبحي شلش وهاني العزاوي: علم النسج المجهر العام، ص: 168.

3 هذه المعرفة العميقة والدقيقة هي التي جعلت –حسب رأيي–علم الأصوات يتشعب ويرفد حقولا معرفة عدة، منها؛ علم القراءات، علم العربية، العروض، صناعة النغم والموسيقى، أمراض الكلام، التي ألف فيها الكندي رسالة اللثغة، علم

التي قد يُظن أنها من منجزات العلم الحديث، قال عادل ابراهيم عبد الله: (ولا شكَّ أن معرفةَ المتقدِّمين الموسوعيَّة، ومشاركتَهم في أكثرَ من علم جعلَت المعلوماتِ الصوتيةَ متفرّقةً في علوم مختلفة، كما أنَّ عَصْرَ التخَصُّصِ الحاضِر حجَب عنَّا علمَهم الصَّوْتيّ، وجَزَّأَ الحُكْم عليه، وإنَّ تَلاَفي ذلك يَكُونُ في النَّظْرَةِ الكُلّية لمُجْمَل تراثنا[1]...كشَف المتقدِّمون عن دَورِ الوترَين الصوتيَّين في عملية التصويت، وجاء وصفهم لهما دقيقاً للغايةِ، ولا أعلمُ أحداً من الدارسين المعاصِرين قد تناوَل هذا الأمر من قبل؛ بل نفى بعضُهم معرفةَ المتقدِّمين لهذا الدَّور، ويَرجِع السببُ في ذلك إلى النظرةِ الجزئيَّةِ للتراث)[2]

إن اختلاف التسمية بين القدامى والمحدثين كانت سببا في عدم تقدير جهود القدامى، وقد أظهرت النصوص السابقة أن للقدامى –لغويين وأطباء وموسيقيين– معرفة دقيقة وعميقة بالحنجرة والوترين الصوتيين ووظائفهما الحيوية والنطقية.

إن الاختلاف في المصطلحات والتسمية، ليس ذا بال فلا مشاحة في الاصطلاح ما دام المضمون صحيحا.

---

التعمية وفك رموز الكتابات القديمة ومنها الهيروغليفية والتي ألف فيها ابن وحشية النبطي كتاب: " شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام". ولمزيد من التفصيل راجع الكتب الآتية:

الكندي: رسالة في اللُّثغة، تح: محمد حسان الطيان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3 المجلد 60–1985، وابن وحشية النبطي (ت350 هـ): شوق المستهام في معرفية رموز الأقلام، مخطوط نشر ضمن كتاب: منهج تحقيق المخطوطات، اياد خالد الطباع، دار الفكر–دمشق، ط2003/1، ومحمد مرياتي ويحي مير علم، محمد حسن الطيان:علم العمية واستخراج المعمر عند العرب، ج1، دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق دون ذكر لسنة النشر، وعلم العمية واستخراج المعمر عند العرب، ج2، التشفير وكسر التشفير، دراسة وتحقيق لثمان رسائل مخطوطة، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، ط1/ 1997.

1 عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 2.

2 عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 136.

وهذا الاختلاف بين القدامى والمحدثين، موجود بين المحدثين والمحدثين، فقد كثرت المصطلحات والأسماء التي منحها العلماء العرب المحدثون، للوترين الصوتيين منها: الوتران الصوتيان، الحبلان الصوتيان، الثنيتان الصوتيان، الشفتان الصوتيتان، الطيتان الصوتيتان، الحزامان الصوتيان، الصفيحتان الصوتيتان، الغشاءان الصوتيان،[1] وهذا الذي ذُكِر عن تعدد المصطلح للمسمى أو المفهوم الواحد ليس حكرا على العربية دون سواها من اللغات؛ فكثيرا ما نجد مثل هذه الظاهرة في اللغة التي وضع فيها المصطلح، وقد ينجم مثل هذا التعدد عن اختلاف النظرة التي روعيت عند وضع المصطلح؛ من ذلك أن الوترين الصوتيين يسميان في الانجليزية تسميات كثيرة و هي كالآتي مع مقابلاتها العربية:

1- الوتران الصوتيان Vocal cords(chords) .
2- الحبلانالصوتيان Vocal bands.
3- الثنيتان الصوتيتان Vocal folds.
4- الشفتان الصوتيتان Vocal lips.
5- الطيتان الصوتيتان Vocal ledges.
6- الحزامان الصوتيان Vocal ligaments.[2]

فالاختلاف في التسمية أمر طبيعي، لذا لا بد من مراعاته عند البحث وتحليل النصوص القديمة، كي تكون أحكامنا صحيحة ومبنية على معطيات علمية.

2- **الحرقدة/ النَّاشِزَةُ الحَنْجَرِيَّة: La Laryngale protubérance**

استعمل الخليل بن أحمد (ت175هـ) الحرقدة بمعنيين؛

أ- **الناشزة الحنجرية (تفاحة آدم):** قال: (الحرقدة عقدة **الحنجور** والجمع الحراقد)[1] والعقدة هنا هي ذلك البروز الموجود في الحنجرة الذي نسميه تفاحة آدم.

---

1 انظر: صلاح الدين صالح حسنين: المدخل إلى علم الأصوات، ص: 28، و برتيل مالبرنج: الصوتيات، ص: 60، و يد الله ثمرة: الصوتيات واللغة الفارسية، ص: 52، و سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 67.

2 انظر: سمير شريف استيتية: اللسانيات، ص: 369.

ب- **الحنجرة:** قال: (الغُصَّةُ: شجا يُغَصّ به **في الحرقدة،** قال عدي بن زيد: كُنتُ كالغَصُانِ بالماء اعتصاري)[2] والشَّرَقُ بالماء كالغص بالطعام، وهو أن يقع في غير مساغه، يقال: أخذته شَرْقةٌ فكاد يموت،[3] وقد أشار الخليل إلى الشَّوارِبُ[4] وهي عروقٌ مُحْدِقةٌ بالحُلقوم–محيطة به من الداخل– وفيها يقع الشرق، ومعلوم عندنا أن الأوتار الصوتية ولسان المزمار يسدون فتحة المزمار عند دخول الماء،[5] قال الخليل: (شَرِقَ فلان بريقه، والشَّرَقُ بالماء كالغص بالطعام، وهو أن يقع في غير مساغه، يقال: أخذته شَرْقةٌ فكاد يموت).[6]

---

1 الخليل : كتاب العين، 307/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 281/3.

3 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 326/2.

4 شوارب الحنجور، وهي الأوتار الصوتية، وقد أشير إلى هذه النقطة سابقا.

5 إضافة لدور الوترين الصوتيين في التصويت، فهما يؤديان وظائف حيوية أخرى؛ حيث يغلقان ممر الهواء –إلى جانب لسان المزمار والوترين الصوتيين الكاذبين–في أثناء البلع وفي أثناء القيء وارتداد الطعام؛ منعا لأي تسرب جسم غريب إلى الرئتين)، انظر: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63. واشارة الخليل إلى أن شوارب الحنجور يقع فيها الشرق، لنص واضح أنه يقصد الأوتار الصوتية، وقد تنبه ابن سينا إلى أن الأوتار الصوتية تقوم بغلق فتحة المزمار عند البلع والقيء إلى جانب غضروف لسان المزمار الذي أسماه الغضروف المتكئ على المجرى، ويظهر ذلك ن ذكره للغضروف الذي لا اسم له، وهو الغضروف الحلقاني المسئول عن حركة الوترين الصوتيين، قال: (ويكون انطباقها –أي الحنجرة عند البلع–بركوب **الغضروف المتكئ على المجرى،** وكذلك **الذي يسمى الذي لا اسم له** وإذا كان **الازدراد والقيء** يحوجان إلى انطباق فم هذا المجرى، لم يكن أن يكونا عندما يتنفس، وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى لسان المزمار...) ابن سينا: القانون في الطب، 301/2–302، وأشار بعض المحدثين ان الذي لا اسم له هو الغضروف الحلقاني، انظر: محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، ص: 58–59. ولمعرفة وظيفة الغضروف الحلقاني في التصويت، انظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الادارك،، ص: 94–95.

6 الخليل: كتاب العين، 326/2.

- **الألفاظ الدالة على مناطق بين الحنجرة وأصل اللسان:**

**1- النغانغ:**

قال الخليل: (النُّغْنُغُ: موضعٌ بين اللهاة وشوارِبِ الحنجورِ، ونُغْنِغَ فلان: عرض له في نُغْنُغِه داء، قال جرير: غَمَزَ ابن مُرَّة يا فرزدقُ كَيْنَها غَمزَ الطبيب نَغانِغَ المَعْذورِ).[1]

قال العطار: (...اللهاة وهي اللحمة المسترخية كالزنمة[2] في أقصى الحلق، تكتنفها النغنغة؛ وهي لحمة في أصل الأذن من باطن، والجمع نغانغ).[3]

وقد استَعمل الكنديُّ مصطلح "**النَّغَانغ**" في وصفه للغين، وأوصافُه في الغالب تَنطَبِق على اللَّهاة وما يُحيط بها من الحنك اللَّحميّ.[4] وقال عن الغَين أنَّها: (تَحتاجُ إلى إخراجِ نفَسٍ مع النَّغانِغ ووسطِ اللِّسان).[5]

2- **اللغاديد:**

قال الخليل: (اللُّغْدُودُ؛ باطنُ النَّصيلِ بين الحنك وصفقِ الغنق، وهو اللُّغْدُ والأَلْغادُ)[6] (وصَفْقا العنق جانباه، وأصل ذلك الصَّفْقُ أي السقع)[7] (النصيل مفصل ما بين العنق

---

1 الخليل: كتاب العين، 246/4.

2 االزنمة هي اللهاة، قال الخليل: (الزنمة اللحمة المتدلية في الحلق، تسمى مُلازة، والزَّنَمة والزِّنْمَة شيء واحد)، العين: 196/2.

3 االعطار: التمهيد، صك 249.

4 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 171.

5 الكندي: رسالة في اللُّثغة، ص: 528 .

6 الخليل: كتاب العين، 91/4.

7 الخليل: المرجع نفسه، 402/2

والرأس من باطن ومن تحت اللحيين).[1]

### 3- اللُّغْنون:

قال الخليل: (اللُّغْنُونواللَّغانينُ من نواحي اللَّهاة، مُشرِفٌ على الحَلْقِ، وإلغانُ النَّباتِ إذا التَفَّ، وبالعَيْنِ أيضا).[2]

وقال الجوهري(ت393هـ): (اللغنون: لغة في اللغدود، والجمع اللغانين )[3] وقال:(اللغدود: واحد اللغاديد، وهى اللحمات التي بين الحنك وصفحة العنق. واللغد مثله، والجمع ألغاد).[4]

وهذا النص يفهم منه أن اللغنون هو القوسان الأقصى حنكيان، اللذان يمثلان الحافة النهائية الخلفية للحنك اللين.

- **ثالثا أعضاء ما فوق الحنجرة:**

وتمثل دور غرف الرنين التي عرفت في التراث العربي بـ(المعينات والبواعث)[5]

### 1- الحلق: Le Pharynx

قسِّم اللغويون العرب مسمى الحلق إلى ثلاثة أجزاء:

---

1 الخليل: المرجع نفسه، 230/4.

2 الخليل: كتاب العين، 92/4.

3 الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين-بيروت. ط4/يناير 7،1990/46.

4 الجوهري: الصحاح ، 97/3.

5 انظر: ابن سينا: القانون في الطب، 322/2.

أ- أقصى الحلق، وهي أبعد نقطة فيه عند الحنجرة، وقد تم دراسة هذا القسم فيا سبق.

**ب-** وسط الحلق، وهي تقع عند الغضروف المسمَّى حديثاً بلسان المزمار، وهذ هو القسم الذي يسميه المحدثون بالحلق **Le Pharynx**، ومنه تخرج الحاء والعين.

**ت-** أدنى الحلق، وهي تقع في الجزء الخلفيّ من اللِّسان وما يقابلها من الحنك اللَّحميّ،[1] ومنه تخرج الأصوات المستعلية (القاف، الخاء، الغين)، وهذا القسم سأدرسه مع مخرج أقصى الفم.

**2- <u>وسط الحلق (البلعوم)</u>: Le Pharynx**

استعملَ سيبويه (ت185هـ) لفظَي: **أَوْسَطَ الحَلْق** و**المخرج الثاني من الحلق**، عند تحديده لمخرج العَين والحاء على الترتيب، قال:(لأنَّ العينَ أقربُ إلى الهمزة من الحاء)[2] وقال: (ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثةٌ فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف **ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء** وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء).[3]

وقال: (ولم تقو العين على الحاء إذ كانت هذه قصتها وهما من المخرج الثاني من الحلق وليست حروف الحلق بأصلٍ للإدغام ولكنك لو قلبت العين حاءً فقلت في امدح عرفة امدحَّرفة جاز، كما قلت اجبحَّنبه تريد اِجْبِهْ عِنَبَه حيث أدغمت وحولت العين حاءً ثم أدغمت الهاء فيها)[4]

---

1 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 144.

2 سيبويه: الكتاب، 102/4.

3 سيبويه: الكتاب، 433/4.

4 سيبويه: الكتاب، 451/4.

وتبعه أكثرُ علماء القراءات وعلماء اللغة مع اختلاف لفظي طفيف.[1]

يستنتج مما سبق أن مخرج وسط الحلق هو مخرج الحلق في الدرس الصوتي الحديث.

### 3- **الفم**: La bouche

الفم مدخل الطعام وهو الفراغ الواقع خلف الشفتين، بما يحتويه من أعضاء الحنكِ واللهاة واللِّسان والأسنان والشفتين'[2] وهو تحويف محاط بغشاء مخاطي يفتح إلى الخارج بفتحة أفقية تحيط بها الشفتان، والجزء العلوي من الفم يسمى سقف الحلق الذي يفصل تجويف الفم عن تجويف الأنف. ينتهي سقف الحلق بزائدة تسمى اللهاة، وبداخل الفم الأسنان واللسان وتفتح الغدد اللعابية فيه.[3]

وقديما استعمل مصطلح "**الفم**" للدلالة على الشفتين، هذا ما نلمسه عند أبي الأسود الدولي (ت68هـ)، في النص الذي صور لنا فيه ببراعة مختلف الحركات العضوية الأفقية والعمودية للشفتين المصاحبة لإنتاج الصوائت الثلاث، قال: (إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت

---

1 انظر: مكي: الرعاية، ص: 78-80، الداني: التحديد، ص: 102نوابن الجزري: التمهيد، ص: 43، الجرجاني: العمد، ص: 149، ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها، ص: 80.

2 انظر: جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 173-174،

Et A. belkhirat : précis de phonétique et de phonologie, p : 21.

3 انظر: زهير الكرمي ومحمد سعيد صباريني وسهام العقاد العارف: الأطلس العلمي فيزيولوجيا الإنسان، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ص: 12.

فأجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة فأجعل مكان النقطة نقطتين)[1] فالمقصود بالفم هنا حركات الشفتين المصاحبة لأداء الحركات الثلاث.

وتبعه الخليل بن أحمد الفراهيدي، في أثناء حديثه الحركات العضوية المصاحبة لنطق الميم فقال: (الميم مطبقة لأنها تطبق الفم إذا نطق بها).[2]

وفي موضع آخر من كتابه العين أطلق على حروف الفم؛ مصطلح "**الحروف الصتم**"،[3] مقابلة لحروف الحلق.[4]

في حين استعمل سيبويه بدل ذلك مصطلح: "**حروف الفم واللسان**" تارة ومطلح "**حروف الفم**" تارة أخرى، كمخرج جامع لبعض الحروف، لخصائص صرفية تتعلق بالإدغام، في مقابل **حروف الحلق**، وحروف الفم هي التي يُشارِكُ اللِّسانُ في إنتاجِها مع الحنك أو مع الأسنان، قال: (إنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف).[5]

---

1 السيرافي: أخبار النحويين البصريّين، ص: 12.

2 الخليل: كتاب العين، 42/1.

3 قال الخليل: (والحروف الصتم التي ليست من الحلق) الخليل بن أحمد: كتاب العين، 378/2-379، وحروف الحلق "ه، ع، ح، خ، غ" وما عدا الهمزة كذلك لأن الخليل يعدها ضمن حروف الجوف (ا،و،ي،ء) القسيم الثاني للحروف الصحاح، وواضح أن الخليل يعامل الهمزة معاملة العلل (لأنها كثيرة التغير) وهذا أمر ملحوظ فيه خصائصها الصرفية.

4 انظر: الخليل: كتاب العين، 379/2.

5 سيبويه: الكتاب، 448/4، ويقصد بكثرة حروف الفم واللسان في هذا النص أمران؛

1- كثرة دخول الادغام في حروف الفم واللسان وقلة دخوله على حروف الحلق، قال: (لكثرة الإدغام في حروف الفم) الكتاب، 448/4. وقال الداني: (أصلُ الإدغامِ لحُرُوفِ الفَمِ واللِّسانِ لكثرتِها في الكلام وقربِ تَنَاوُلِها)، الإدغام الكبير، ص: 41 .

ومن ألقاب سيبويه لحروف الفم والشفتَين أيضاً مصطلح: "**الحروف المُرتَفِعة**"، حين تحدث عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً.[1]

## 4- أقسام الفم:

قسم القدامى الفم إلى عدة مناطق؛ نسبوا إليها بعض الأصوات اللغوية، وجعلوا مناطق الحنك الأعلى من اللهاة إلى الأسنان معلما هاما للتقسيم مع ما يقابلها من اللسان، مستعملين مصطلحات: أقصى الفم، وسط الفم أو شجره، الشدق أو الشق، أول الفم.[2]

### 1- أقصى الفم/أقصى اللسان/ أدنى الحلق:

ظهر مصطلحان يدلان على مخرج **أقصى الفم (أقصى اللسان)**، وهما مصطلح **أقصى الفم** واستعمله الخليل بن أحمد (ت175هـ) وابن دريد (ت321هـ)، ومصطلح **أدنى الحلق** واستعمله سيبويه (ت185هـ) والنحاة من بعده، وهذا الاختلاف في التسمية مرده – كما سنرى بعد قليل– الاختلاف في منهجية الدراسة وأهداف التحليل الصوتي، وكان سببا في الخلاف في عدد أصوات هذا المخرج عند كل فريق.

---

2- أنها أكثر عددا، وذلك في مقابل قلة حروف الحلق التي لا تتعدى ستة حروف (ء، هـ، ع، ح، غ، خ) وبقية الحروف للفم واللسان، قال: (ولأن حروف الحلق ليست بأصلٍ للإدغام لقلتها والإدغام فيها عربيٌ حسن) الكتاب، 449/4،وقال الداني: (ضَعْفُ الإدغامِ في حُرُوفِ الحَلْقِ والشفَتَين؛ لقِلَّتِها وبُعْدِ تَنَاوُلِها)، الإدغام الكبير، ص: 41 .

1 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 101.

2 لمزيد من التفصيل انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 157.

أ- **مصطلح أقصى الفم:**

جعل الخليل بن أحمد (ت175هـ) **أقصى الفم**، الحيز الثاني بعد حيز الحلق يضم؛ **القاف والكاف والجيم**، ولا غرابة في ضمه الأصوات الشجرية للأصوات اللهوية في حيز واحد، فقد جعل الخليلُ الجيم والقاف والكاف من مخرج **أقصَى الفَم**، قال: (وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة[1] اللِّسان وبين اللَّهاة في **أقصى الفَم**).[2]

والجيم التي عناها الخليل هي الجيم المركبة التي تخرج من مخرج الشين والياء من شجر الفم، ويعضد هذا القول صنيع ابن دُرَيد (ت321) حيث أضاف إلى حروف **أقصى الفم** -السابقة- حرف الشين ولقَّبَها بـ "**حروف أقصى الفم من أسفل اللِّسان**"، قال: (وأما جنس حروف أقصى الفم من أسفل اللسان، فهن **القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين**، فلذلك لم تأتلف الكاف والقاف في كلمة واحدة إلا بحواجز؛ ليس في كلامهم قك ولا كق، وكذلك حالهما مع الجيم؛ ليس في كلامهم جك ولا كج، **إلا أنها قد دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عكدة اللسان بل هي مجاوزة للعكدة إلى الفم**،[3] فقد جاء في كلامهم قشّ، ...وقد جمعوا بين الشين والكاف فقالوا: شُكَّ في الأمر وكشّ البعير...وجمعوا بين الشين والجيم في الشّج والجشّ).[4]

وغير خاف أن الخليل لم يضم الشين إلى **حروف أقصى الفم؛ ق، ك، ج**، لأنه جمع الحروف من حيث إمكانية تنافرها، قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا

---

1 عقدة اللسان أو عكدته، هي أصله وأوله؛ وبالتعبير الصوتي الحديث هو جذره، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 38/1.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 38/1.

3 المفهوم من كلامه هذا أن الشين حرف من وسط الفم فهو حسن الموقع بين حروف أقصى اللسان وحروف أدنى الفم، ولتفشيه تألف مع كلا الصنفين.

4 ابن دريد: الجمهرة: 44/1.

تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع).[1]

وقال: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم، وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية).[2]

في حين ضم ابن دريد لحروف أقصى الفم حرف الشين، وهذا الحرف يمكن أن يأتلف مع حروف؛ ق، ك، ج، في الكلام العربي دون حاجز، ويظهر ذلك من خلال الأمثلة التي جاء بها ابن دريد؛ قش، شك، كش شجّ، جشّ (وهو طحن السُّويق [3] ويمكن إضافة؛ شق، جشأ، جشع...الخ.

لكن القاف والكاف والجيم لا تأتلف في كلمة واحدة إلا بحواجز؛ فليس في كلام العرب قك ولا كق وكذلك حالهما مع الجيم؛ ليس في كلامهم جك ولا كج.[4]

ومن هذا نفهم أن ابن دريد فسر لنا كيفية ائتلاف حروف أقصى الفم مع كونها ليست بعربية إذا كان هناك فاصل وتكون عربية محضة دون فاصل، وبهذا وضع لنا قانونا جديدا، قال: (فقد جاء في كلامهم قشّ، ...وقد جمعوا بين الشين والكاف فقالوا: شُكَّ في الأمر، وكشّ البعير...وجمعوا بين الشين والجيم في الشّج والجشّ).[5]

---

1 الخليل: كتاب العين، 43/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 43/1.

3 انظر: ابن دريد: الجمهرة: 44/1.

4 المفهوم من كلامه هذا أن الشين حرف من وسط الفم فهو حسن الموقع بين حروف أقصى اللسان وحروف أدنى الفم، ولتفشيه تألف مع كلا الصنفين.

5 ابن دريد: الجمهرة: 44/1.

وتكون صفة التفشي عند ابن دريد هي مدار الائتلاف، فتأتلف مع؛ القاف (قش، شق، شقلب، شقأ، شقبن شقر...)، ومع الكاف (شك، شكر، شكسن شكل، شكم...)، ومع الجيم (شج، شجب،شجر، شجع...).

وقد نبه الخليل إلى أن (ليس في كلام العرب شين بعد لام مع القاف إلا دخيل قلش: الأقلَشُ اسم أعجمي).[1]

وباستقراء ابن دريد لكلم العربية؛ وضع يده على سر عدم تتابع الشين واللام ومعهما القاف، فوجد من كلام العرب ما فيه الشين والقاف والكاف والجيم؛ لكن دون فاصل، ولهذا جعل الشين من ضمن حروف أقصى اللسان ليحدد بذلك ما في كلام العرب من الدخيل عن طريق ملاحظة الفاصل أو عدمه.

### ب- مصطلح أدنى الحلق (أقصى الفم):

استعملَ سيبويه (ت185ه) لفظَي: "**أَدنى الحلق مخرجاً من الفم**" و "**المخرج الثالث من الحلق**" كمخرج للغَين والخاء وقال: (وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء).[2]

وفي نصّ دقيقٍ جعلَهما في منطقة متوسِّطة بين الحلقِ والفم، قال:(والخاءُ والغينُ بمنزلةِ القَافِ، وهما من حُروفِ الحلْقِ بمَنزلةِ القافِ من حُروفِ الفم، وقُرْبُهُمَا من الفَمِ كقُرْبِ القَافِ من الحَلْقِ).[3]

وفي نص آخر يفاضل فيه بين أصوات الخاء والغين ويوضح فيه التداخل بينهما من حيث البيان والإدغام مبينا أنهما من أدنى الحلق، قال: (الغين مع الخاء البيان أحسن

---

1 الخليل : كتاب العين، 423/3.

2 سيبويه: الكتاب، 433/4.

3 سيبويه: المرجع نفسه، 480/4.

والإدغام حسنٌ...والخاء مع الغين البيان فيهما أحسن لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق، وقد خالفت الخاء في الهمس والرخاوة فشبهت بالحاء مع العين وقد جاز الإدغام فيها؛ **لأنه المخرج الثالث وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان**، ألا ترى أنه يقول بعض العرب منخلٌ ومنغلٌ فيخفى النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم لقرب هذا المخرج من اللسان وذلك قولك في اسلخ غنمك اسلغنمك ويدلك على حسن البيان عزتها في باب رددت).[1]

وتبعه جل علماء القراءات القرآنية وعلماء اللغة مع اختلاف لفضي يسير.[2]

والسؤال الذي يمكن أن يطرحه المتأمل، هل الخاء والغين حرفان لهويان؟

وإذا كان هذا صحيحا، فالقاف كذلك حرف لهوي، فلماذا جعل كل من الخليل وسيبويه، الخاء والغين في مخرج أقصى الحلق قبل مخرج القاف، ولما لم يجعلوا الاصوات الثلاثة من مخرج واحد.

قبل الإجابة عن هذه الإشكالات، أُذَكِّر بأن القدامى صنفوا الأصوات اللغوية، وفق منهج يخدم أغراض بحثهم كل بحسب تخصصه، فالخليل جمع الأصوات في أحواز بحسب قانوني التنافر والائتلاف وهذا يساعده على التعرف على امكانات اللغة في بناء معجمها، أما سيبويه فقد جمع الأصوات في مخارج بحسب قانون الادغام، ليعلل الظواهر الصرفية.

فالحلق واللهاة ليسا مخرجين فسيولوجيين فقط، بل هملا مخرجين منظور فيهما لاعتبارات تصنيفية وفونولوجية، لذا نرى أن الخليل بن أحمد عزل الخاء والغين عن مخرج

---

1 سيبويه: المرجع نفسه، 451/4.

2 انظر: مكي: الرعاية، ص: 83-84، الداني: التحديد، ص: 102نوابن الجزري: التمهيد، ص: 43، الجرجاني: العمد، ص: 149، ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها، ص: 80.

أختهم القاف اللهوية وضمهما إلى مخرج الحلق الكلي،[1] وجعل القاف والكاف من مخرج اللهاة، وذلك لأن القاف والكاف يتنافران عند بناء الكلم العربي،[2] أما القاف وأختيها في المخرج الخاء والغين فيجتمعان في كلمة واحدة بوجود فاصل، مثل؛ خنق، غرق،...أو بعدمه كالأخقوق[3] الخ، وكذلك النون تخفى عند الخاء والغين وقد تظهر بخلاف القاف واجبة الإخفاء، ومن هذه الناحية تشبه الخاء والغين باقي حروف الحلق التي تظهر عندها النون.[4]

فلأجل هذه الأحكام المعجمية والصرفية، جعل الخليل وسيبويه الخاء والغين من الحلق والقاف من اللهاة، وسبب تقديمهما في المخرج كان لعلة الاخفاء، هذا ما يمكن استنتاجه، فبسبب التفخيم الدائم للقاف أخفيت النون عنده، وبسبب تعاور التفخيم والترقيق على الخاء والغين بحسب السياق[5] اختار بعض العرب الإخفاء وغيرهم الإظهار، وقد وردت

---

1 قال الخليل: (وأما مَخْرَجُ العَيْنِ والحاء والهاء والخاء والغين فَالْحَلْقُ وأمّا الهَمْزة *فَمَخْرَجُها* من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح) الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1. وسيأتي في الفصل القادم أن المخرج والمبدأ مصطلحان غير مترادفين، حيث قسم مبدأ الحلق الكلي ( إلى حيزين، حيز أقصى الحلق (ع، ح) مسقطا منه الهاء وحيز الحلق (غ، خ) وهو يقابل مخرج أدنى الحلق عند سيبويةّ، ومن هذا نتبين ان الخليل يقوم باسقاط أو عزل بعض الأصوات عمدا عن مخارجها الحقيقية لأغراض صرفية معجمية.

2 قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية) قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع)، لهذا جمع الحروف المتنافؤة (ق، ك، ج) في مخرج كلي واحد سماها المخرج اللهوي، قال(وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم)، كتاب العين، 43/1.

3 الأخقوق لغة في اللُّخقوق، جاء في الحديث: "فوقصت به ناقة في أخاقيق جرذان' وهي شقوق في الأرض، انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة: خ ق ق، ص: 97.

4 انظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 392/5.

5 للغين والخاء مخرجان متقاربان بحسب السياق الذي يردان فيه:

قراءات قرآنية بإظهار النون عند الخاء والغين وبإخفائها بغنة، قال الشيخ العطار: (فأما الإظهار فعند الأحرف الحلقية لتباعدها منها، وأشد الحلقية منها تباعدا الهمزة، والهاء والعين والحاء، وأخفاها بعضهم عند الغين والخاء)،[1] وقد أخفى النون الساكنة والتنوين أبو جعفر يزيد بن القعقاع واسحاق بن محمد البستي عن نافع، وابن الباذش من طريق الأهوازي لابن شنبوذ عن أبي نشيط، وبه أخذ الخزاعي لأبي نشيط من جميع طرقه.[2]

وقد تنبه بعض القراء القدامى، أن التحديد الفسيولوجي البحت يحتم جعل الخاء والغين والقاف من مخرج واحد، قال سبطٌ الخياط (ت541هـ): (وثلاثةٌ تَخرجُ من أعلى الحلق وأصل اللِّسان متواليةً، وهي: الغَين، والخاء، والقاف)[3] وقال الشيخ السنهوري (ت894هـ): (**والقاف** تخرج من **المخرج الأول من مخارج الفم مما يلي الحلق من أقصى اللسان** وما يحاذيه من الحنك الأعلى ... إن مخرجها من **اللهاة، مما يلي الحلق** ومخرج **الخاء**).[4]

---

أ- مخرج طبقي: يتحقق هذا المخرج إذا نطقنا بالخاء أو الغين مرققين، ويحدث ذلك عادة إذا وليهما صوت صائت أمامي –الكسرة–فيضعف فيهما أثر التفخيم ويبقى هذان الصوتان محافظان على هويتهما؛ أي لا يتحولان بسبب الترقيق إلى صوت آخر كما يحدث ذلك مع القاف؛ إذ يتحول بسبب الترقيق إلى مخرج أكثر أمامية، فنسمع صوتا آخر له قيمته الفونولوجية وهو صوت الكاف.

ب- مخرج لهوي: يتحقق هذا المخرج إذا نطقنا بالغين أو الخاء مفخمين فيتحول مخرجهما من الطبق إلى اللهاة، وعادة ما يحدث ذلك عندما يجاوران صوتا مفخما كالطاء والصاد. انظر: حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص : 70 ، و سمير شريف استيتية: اللسانيات، ص : 49 ، و له أيضا : الأصوات اللغوية، ص :146.

1 أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 271-272.

2 انظر: أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 272.

3 السنهوري زين الدين ابي الفتح جعفر بن إبراهيم(ت894هـ): كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، ص:245.

4 ابن سينا: القانون في الطب، 286/2.

إن القدامى كانوا على دراية بأن المخرج الحقيقي للخاء والغين هو اللهاة، ولا أدل على ذلك من وصفهم لهذين الصوتين بالتفخيم –الاستعلاء،[1] بل أصر بعض علماء التجويد على وجوب المبالغة في تفخيمهما،[2] والاستعلاء هو ارتفاع اللسان نحو اللهاة.[3]

2- **وسط الفم (شجر الفم):** **Le loin de palais dure**

يأتي استعمال وسط الفم باعتبار معلم سقف الحنك فقط، ويمكن استعمال معلم وسط اللسان، لذا فحروف وسط الفم هي حروف وسط اللسان.

استعمل الخليل بن أحمد (ت175هـ) مصطلح الشجر بدلا من مصطلح وسط الفم، ونسب إليه حروف الجيم والشين والضادقال: (والجيم والشِّين والضاد شَّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم، أي مَفرج الفَم)[4]

وظاهر أن تحديد الخليل –في هذا النص– لشجر الفم كان دون اعتماده معلم اللسان، وقد ذكر في نص آخر –في رواية المقدمة التي أثبتها أبو حيان الأندلسي– معتمدا على معلم اللسان وما يقابله من الحنك والأضراس، أن الضاد من حافة المنباس –أي اللسان– وما يليها من الأضراس، قال: (الضاد من حافة المنباس وما يليها من

---

1 انظر: ابن جني : سر صناعة الإعراب، 83/1 ، وابن الجزري: التمهيد، ص: 59/50، والمرعشي: جهد المقل، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة بطنطا 2005، ص: 47، وسعيد بن سعد بن نبهان: هداية الصبيان، ضمن سلسلة متون التجويد، تح / حمد الله حافظ الصفي، ص: 45.

2 انظر: المرعشي: جهد المقل، ص : 151 / 152 ، وابن الجزري: التمهيد، ص: 59/50.

3 يرى العلامة المرعشي: أن الراء و اللام في حالة تفخيمهما من الحروف المستعلية؛ لأن أقصى اللسان يستعلي إلى جهة الحنك اللين عند أدائهما وعلى هذا يكون معنى الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان سواء ارتفع معه بقية اللسان-كما في أصوات الإطباق-أم لم يرتفع كما في باقي أصوات الاستعلاء، انظر محمد بن بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 44-45.

4 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

الأضراس...لأن بعض الناس يخرجها من الشدق الأيمن وبعضهم يخرجها من الشدق الأيسر).[1]

وقد اعتمد سيبويه (ت185هـ) معلمي الحنك واللسان معا مخالفا الخليل الذي أعمل معيار المناوبة؛ فجعَل مخرجَ الجيم والشين والياء من وسط اللِّسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى[2] وهي منطقة وسط الفم أو شجره كما حددها الخليلّ، وجعل الضاد ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس،[3] وهي بهذا التحديد شجرية، حيث جعل من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء –غير المدية–[4] وهذه المنطقة قريبة من مخرج الضاد كما حدده سيبويه، وسيفصل القول في مخرج الشجر بعد قليل.

ذكَر ابنُ دُرَيد (ت321هـ) أنَّ السِّينَ تَخرُجُ مِن **وسَطِ الفَم** مُطْمئِنَّةً على ظَهْرِ اللِّسَان،[5] وسيناقش البحث مفهوم الاطمئنان وعلاقة الانحراف وبظهر اللسان فيما يأتي من البحث.

وذكَرَ أبو البركات الأنباريُّ (557هـ)؛ أنَّ حركةَ الكسرة تخرجُ من وسط الفم؛ وهو يقصد وسط اللسان قال: (والجر من وسط الفم)،[1] وهذا يفهم من كلام سيبويه الذي جعل الياء من وسط اللسان[2] والكسرة بعض الياء.

---

1 أبي حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 24–25، وأحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 111، وهذا النص يقرر سبق الخليل إلى ارتجال المصطلحات وتحديد المخرج الحافي أو الشدقي للضاد، كما يعود له الفضل في إرساء معظم المصطلحات التي قام عليها الدرس الصوتي العربي القديم وهذا ما سيشار إليه في متون هذا البحث.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4.

4 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 433/4.

5 انظر: ابن دريد: الجمهرة، 50/1–51.

3- **أدنى الفم: L'alvéole ou le pré palais**

استَعمَل ابن دُرَيد (ت321): "**أدنى الفم**" في مجموعةٍ لقَّبَها بـ "**جنس حروف أدنى الفم**" قال: (ومن جِنْسِ حروفِ أدنى الفم: التاءُ، والطاءُ، والدالُ. وأَدْنَى مِنْهَا أيضاً ممَّا هُو شَاخِصٌ إلى الغَارِ الأعلَى: وهو الظاءُ والثاءُ والذال والضاد)[3]

وهذا المخرج يقابله مخرج النِّطع عند الخليل، وسيأتي بيانه بعد قليل.

4- **شجر الفم:Le loin de palais dure**

هذا المخرج يلي اللهاة في تريب الخليل، وقد استعمل عدة مصطلحات للإشارة إليه متمثلة في قوله؛ (**الشجر** مفرج الفم، وقيل مؤخرته، وقيل ما انفتح من منطبق الفم)،[4] كما سمى هذه المنطقة **بالغار الأعلى** حيث نسب الشين صراحة للغار قال: (مخرج الشين بين **الغارِ** الأعلَى وبين ظَهْر اللِّسان).[5]

وهو هنا اعتمد على معلمين هما: اللسان وسقف الفم، أما باعتماد معلم واحد فقط، فالشين شجرية والطاء وأخواتها حروف نطعية.

---

1 ابن الأنباري: أسرار العربية، ص: 32.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4.

3 ابن دريد: الجمهرة، 44/1، وربما كان ذكره للضاد هنا من حيث منتهى محرجها المستطيل عند مخرج الظاء، قال مكي (ت437هـ): (وقد ذكر بعض العلماء؛ "الضاد" مع "الشين"، وقال: الشين تتفشى في الفم حتى تتصل بمخرج الظاء **والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام...وسمي هذان الحرفان المخالطين**؛ لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان) مكي: الرعاية، ص:57و90.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1، وقاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 110.

5 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

وهو يقصد بشجر الفم أو الغار الأعلى؛ منطقة أقصى الحنك الصلب مع استثناء النطع واللثة اللذان هما مخرج لأصوات أخرى لم ينسبها الخليل لشجر الفم (الحنك)، كالطاء والدال... وهذا تنبيها لكون الحنك الصلب –تشريحيا–[1] منطقة أوسع بكثير مما حددها بها الخليل.

وقد نسب الخليل لمخرج الشجر أصوات: الجيم والشين والضاد' قال: (والجيم والشِّين والضاد شّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم، أي مَفرج الفَم).[2]

غير أنَّ الخليلَ في مَوضعٍ آخَر نسَب الطاءَ إلى شَجْرِ الفم، قال: (ويقال: اظَّأَرْتُ لولدي ظِئْراً، أي اتخَذْتُ، وهو افتَعَلْتُ فأُدغِمَت التّاء في باب الافتعال فحُوِّلَتْ مع الظاء طاءً لأن ***الطاءَ من فِخام حروف الشَّجْر التي*** قَرُبَت مخارجها من التاء، فضَمّوا إليها حرفا فِخماً مِثلَها ليكونَ أيْسَرَ على اللسان ***لتبائِن مَدْرَجة الحروف الفِخام من مَدارج الحروفِ الخُفْتِ***، وكذل تحويل تلك التّاء مع الضاد والصاد طاءً لأنّها من الحروف الفِخام).[3]

من هذا النص نجد الخليل قد جعل النَّطع من ضمن الشجر، وهذا تصحيحا لما اعتقده د/عادل إبراهيم عبد الله، أن مصطلح شجر الفم عند الخليل يضم كل حروف الفم بعد مخرج القاف والكاف إلى مخرج الظاء[4] بين أسنانية ويعتر هذا المخرج آخر مخارج الفم مما يلي الشفتين.

---

1 يحده من الأمام الرف اللثوي والقوس الحامل للأسنان العليا، ويحده من الخلف الحنك اللين، أنظر: يد الله ثمرة: الصوتيات و اللغة الفارسية،ص: 60، و جلوريا ج. بوردن و كاثرين س. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 173–174 بتصرف.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 3/ 72.

4 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 160.

لقد بنى رأيه السابق على نص مُصَحَّف للخليل جعل فيه بدل "الطاء" كما في النص الأصلي 'الظاء" قال: (غير أنَّ الخليلَ في مَوضعٍ آخَر نسَب الظاءَ إلى شَجْرِ الفم، قال: "والظاءُ من فِخَام حروفِ الشَّجْر" فأوقَعَنا في حَيرَةٍ إذا حَمَلْناهُ على التفسير الأوَّل –أعني وسطَ الفَم– لأنَّ الظاءَ من طرف اللِّسان مع أطراف الثنايا العُلْيا، وهنا يَبْرُزُ السُّؤال التالي: هل مُصْطَلَحُ: (شَجْر الفم) عند الخليلِ مصطلحٌ واسعٌ يشمل جميعَ الحروفِ التي تكونُ ضِمْنَ جَوْف الفَم بعد القاف والكاف، أم نِسبةُ الظاء إلى شَجْرِ الفَم بسبب تفخيمها الذي يَستَلْزِم تقَعُّرَ وسَطِ اللِّسان معه، وهذا التقعُّرُ يتِمُّ في وسَط الفم؟ والله أعلم).[1]

أشار سيبويه في نص يذكر فيه علاقة الشين بالطاء عند حديثه عما يندغم وما لا يندغم من الحروف وعلل ذلك، قال: (والشين لا تدغم في الجيم لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء).[2]

فتفشي الشين واستِطالت مخرجها حتى النطع الذي هو مخرج للطاء، مسوغ كاف لجعل الخليل الشجر يمتد من مخرج وسط الفم حتى النطع، كما أن الفاء الشفوية الأسنانية المتفشية،[3] مسوغ كاف للخليل لعدها شفوية كالباء، قال الخليل: (وثلاثة شفوية: ف، ب، م، ***مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة***).[4]

إن تحديد الخليل لشجر الفم كان دون اعتماده معلم اللسان، وهذا جعله يحدد أدنى ما لحروف الشجر من أصوات؛ الجيم والشين والضاد، أما سيبويه فقد اعتمد معلمي الحنك

---

1 عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 160.

2 سيبويه: الكتاب، 448/4.

3 وصف مكي ابن الجزري الفاء بالتفشي، وزاد مكي ان الشين أكثر تفشيا، انطر: مكي: الرعاية، ص: 130، وابن الجزري: التمهيد، ص: 59، ومعاملة سيبويه للفاء عند جعله لمنزلة الشين للطاء بمنزلة الفاء للباء؛ إشارة ضمنية لتفشيها واتصالها بمخرج الباء.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

واللسان معا؛ فجعَل مخرجَ الجيم والشين والياء من وسط اللِّسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى،[1] وهي منطقة وسط الفم أو شجره كما حددها الخليل.

وجعل الضاد من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، وهي بهذا التحديد شجرية[2] حيث جعل من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء،[3] وهذه المنطقة قريبة من مخرج الضاد كما حدده سيبويه.

إذن فالخلاف بين سيبويه والخليل وظيفي، سببه ما اعتمده كل منهما من معالم، بالإضافة إلى الأهداف التي سطرها كل منهما لبحث الحروف ومخارجها، فالخليل يبحث عن تجمعات صوتية (كالحلقية واللهوية والشجرية...) من حيث تنافرها وائتلافها ليستطيع تحديد المهمل من المستعمل من الكلام العربي، أما سيبويه فبحثه ينصب حول الأصوات من حيث تعلقها بالإدغام وبحوث الصرف العربي

وبهذا نفهم لماذا لم يجعل الخليل الياء ضمن أصوات الشجر لا لأنه ظنها كذلك بل لأنه جعلها ضمن حروف الجوف أو العلل (ء، ا، و،ي) دون أن يفرق بين الواو والياء كحروف مد أو أنصاف صوائت، وهذه الأصوات الأربعة تتبادل عند صرف الكلم العربي مثل:

أ- سما يسمو سموا سماء.

ب- باع بيع بيعا.

ت- قال يقول قولا...الخ.

فلا فرق من حيث قبول الإعلال بين الصوائت وأنصاف الصوائت.

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4.

2 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 433/4.

3 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 433/4.

إذن الياء نصف الصائتة حرف علة أو جوفي عند الخليل، لذا لم يدرجها ضمن مخرج حروف الشجر الصحيحة، وسيناقش البحث المسائل أعلاه بإسهاب في الفصول القادمة، إن شاء الله.

### 5- نطع الغار الأعلى (مقدم الحنك) L'alvéole ou le pré palais

قال ابن فارس (ت395هـ): (والنِّطْع النقرة في الحنك الأعلى وجلدة النطع الخليقات، واللغانين ما لصق باللهاة من لحم الحلق وهي النغانغ).[1]

والنِّطْع من المصطلحات الأساسية التي اعتمدها الخليل بن أحمد (ت175هـ) في تصنيفه لأحياز الحروف ومدارجها[2] وقد استعمل ابن دريد (ت321هـ) بدل النطع مصطلح؛ "**جنس حروف أدنى**.[3]

### 6- <u>الفم:</u>

وقد ورد هذا المخرج عند الخليل بعد مخرج الحروف الأسلية؛ ص، س، ز، التي جعلها بعد الحروف الشجرية وهذا يوحي بالتناوب في اعتماد أسس التصنيف؛ فتارة يعتمد سقف الفم أساسا لتحديد مخرج الحرف كما في الأصوات اللهوية (ق، ك) والحروف الشجرية (ج، ش، ض)، والحروف النطعية (ط، ت، د) والحروف اللثوية (ظ، ذ، ث) وتارة يعتمد اللسان أساسا لتحديد مخرج الحرف كما في الحروف الأسلية (س، ص، ز) والحروف الذولقية (ر، ل، ن) وهذا التناوب يمكن تفسيره بأن الخليل لما أراد جمع الأصوات في مجاميع وجد بعضها ينسب إلى مخرج واحد إذا اعتمد سقف الحنك وحده أو اللسان وحده

---

1 ابن فارس: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، ص17، النقرة حفرة غير كبيرة بالأرض، الخليل: كتاب العين، 256/4.

2 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

3 انظر: ابن دريد: الجمهرة، 44/1.

كمعلم أساسي للتقسيم؛ فمثلا النون تنطق بطرف اللسان وما يحاذيه من اللثة، أما اللام فتنطق بطرف اللسان وما يحاذيه من اللثة والحنك الأعلى،[1] وعلى هذا يمكن عدها لثوية إذا كان سقف الفم هو معلم التقسيم وهنا تشترك مع الحروف اللثوية –في التصنيف الخليلي– وهي: الظاء، الذال، الثاء، وبهذا العمل تجنب الخليل الغموض **بإعمال معيار المناوبة.**

وطرف اللسان –ذلقه– له دور هام في إنتاج الأصوات بين أسنانية: ( ظ، ذ، ث)؛ إذ يتم النطق بها بوضع ذلق اللسان بين الثنايا، دون المبالغة في إخراج ذلقه أو رأسه، وله دور مهم كذلك في إنتاج الأصوات اللثوية الأسنانية: (ط، د، ت) إذ يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبما جاورها من اللثة،[2] وعلى هذا يمكن تصنيف هذه الأصوات بأنها ذولقية، وبهذا تصبح الحروف اللثوية ( ظ، ذ، ث) والنطعية: (ط، د، ت) في تصنيف الخليل؛ حروفا ذلقية، ومثل هذا نجده عند بعض المحدثين في تصنيفهم لمخارج الحروف:

1- بين الأسنانية : الظاء والذال والثاء

2- الأسنانية: الضاد والطاء والدال والتاء والزاي والصاد والسين.

3- اللثوية: اللام والراء والنون.[3]

إذن فاشتراك مجموعة من الأصوات باعتبار معلم واحد للتقسيم ممكن؛ لكن لا يخدم أغراض الخليل التطبيقية التي تهدف إلى جمع الأصوات في مجاميع وفق خصائص الأصوات في علاقتها ببنية الكلم؛ من حيث التنافر والائتلاف؛ التي تهدف إلى تحديد المهمل من المستعمل من كلام العرب لبناء معجمه.

---

1 انظر: محمد بن محمد بن علي المعروف بابن الجزري: التمهيد، ص: 43.

2 انظر : سيبويه: الكتاب، 573/4ن و ابن الجزري، التمهيد، ص: 44، و محمد بن لأبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 31–32.

3 انظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص: 31، و أحمد حساني: مباحث في اللسانيات: ص: 83.

والدليل على أن إعمال معلم واحد يؤدي إلى اختلاف التصنيف فيما لو أعمل معلمين كاللسان وسقف الحنك، نلحظ أن الخليل بإعمال سقف الفم جعل: (الطاء والتاء والدال نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى)،[1] والشين شجرية قال: (والجيم والشِّين والضاد شّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم)،[2] وعندما أعمل معلمي اللسان وسقف الفم جعل الشين غارية قال: (مخرج الشين بين الغارِ الأعلَى وبين ظَهْر اللِّسان).[3]

وبناء على ما سبق يستنتج أن الاختلاف في تصيف الأصوات مخرجيا يخضع للأسباب التالية:

أ- معلم التقسيم.

ب- إعمال أو عدم إعمال معيار الإلغاء.

ت- إعمال أو عدم إعمال معيار المناوبة.

ث- الخبرة الشخصية في التعامل مع الأصوات؛ هذا بالنسبة لاختلاف أكثر من عالم في تحديد المخرج الدقيق لصوت ما.

7- **الشدق/الشق:**

الشدق لغة هو لحم باطن الخدين مما يلي الحنكين، قال الخليل (ت175هـ): (الشِّدْق طِفطِفة الفم من باطن الخدين والأَشْدَق: العريض الشِّدْقَيْنِ وما يليه[4]...والصِّمْغانِ:

1 الخليل: كتاب العين، 41/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

3 الخليل: المرجع نفسه، 37/1.

4 الخليل: كتاب العين ، 316/2.

ملتقى الشَّفَتَيْنِ مما يلي الشِّدْقَيْنِ[1]...والطَّفطَفَةُ: معروفة وجمعُها: طَفاطفُ. وبعض العرب يُسَمِّي كلَّ لحمٍ مُضطرب طَفْطَفة).[2]

والشدقان يمتدان من الشفتين إلى مفصل الفكين، قال الخليل: (والفكَان: مُلْتَقَى الشِّدقين من الجانبين)[3]

وقد قصر ابن فارس (ت395هـ) الشدقين على الصِّمْغان –ملتقى الشفتان عند العضلة المضحكة– قال: (الشدقان ملتقى الشفتَين وهما المطعمان)[4]

والشق هو جانب الفم كذلك، قال الخليل: (وجانبا كل شيء شقاه).[5]

وقد استُعمِل مصطلحُ الشدق في التراث العربي؛ في تبيين مخرجَي الكسرةِ والضَّاد،[6] ومن خلال تتبع وصف القدامى، يتبين أن الشدق والشق للحنك والحافة للسان.

ويرجع أول استعمال مسجل وصل إلينا لمصطلح الشدق/حافة، للخليل بن أحمد الفراهدي (ت175هـ)، جاء في مقدمة كتاب العين التي رواها أبو حيان الأندلسي: (الضاد من **حافة المنباس** –أي اللسان– وما يليها من الأضراس...لأن بعض الناس يخرجها من **الشدق الأيمن** وبعضهم يخرجها من **الشدق الأيسر**).[7]

---

1 الخليل: المرجع نفسه، 414/2.

2 الخليل: المرجع نفسه، 53/3.

3 الخليل: كتاب العين، 334/3.

4 ابن فارس: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، ص16.

5 الخليل: كتاب العين، 346/2.

6 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 162.

7 أبي حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 24–25، وأحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 111.

وذكَر الفرَّاء (ت207هـ) أنَّ ثِقَلَ الكَسْرَةِ ناشئٌ عن جانبية مخرجها، قال عن ثقل الضمَّة والكسرة وخفَّة الفتحة: (فإنما يُسْتَثْقَلُ الضَّمُّ والكَسْر؛ لأنَّ لمخرجَيهما مَؤونةً على اللِّسان والشفتَين؛ تَنْضَمُّ الرَّفعةُ بهما فيُثقل الضَّمَّة، ويُمَالُ أحدُ **الشِّدْقَيْن** إلى الكَسْرَة، فتَرَى ذلك ثَقيلاً، والفتحةُ تَخْرُجُ مِن خَرْقِ الفَم بلا كُلْفَةٍ).[1]

لقد وصف الفراء من خلال هذا النص الكسرة بالانحراف، وهذا الأمر لم يستسغه بعض المحدثين لأسباب ستوضح فيما يأتي من البحث: قال د/عادل إبراهيم عبد الله: (هذه أحدُ النُّصوص النادرة عن الكوفيّين الذي يُبَيِّنُ مخرجَ الحركات، ومع قيمتِه العلمية إلا أنَّ مخرجَ الكسرة فيه بعضُ الغموض؛ إذ كيف يُمال أحدُ الشِّدْقَين إلى الكسرة؟ ولماذا خصَّصَ أحدَ الشِّدقَين بالكسرة دُون الآخَر؟ وما مفهومُ الشِّدْق عنده؟؛ لعلَّ الشِّدْقَين هنا بمعنى الشفتَين؛ لأنَّ الشفتَين منهما، والشِّدْقَان . بمعنى جانبي الفم . إلى الشفتَين ينتَهِيانِ، وعلى هذا الفهم يَسهُلُ تفسيرُ إمالةِ أحد الشِّدقَين إلى الكسرة؛ لأنَّ الشَّفةَ السُّفلى . وهي أحدُ الشِّدقَين . في الكسرة تُخْفَضُ إلى تحت، وهو معنى قوله: إمالةٌ إلى الكسرة.، يُضافُ إلى ذلك أنَّ مقصودَ الفرَّاء تبيينُ ثِقَلِ الضمَّة والكسرة، ولا شكَّ أنَّ هذا يَظْهَرُ في عَمَل الشفتَين، والله أعلم).[2]

يلحظ على النص السابق بعض الأمور:

1- قوله: (إذ كيف يُمال أحدُ الشِّدْقَين إلى الكسرة؟ ولماذا خصَّصَ أحدَ الشِّدقَين بالكسرة دُون الآخَر)، إن الشدقين هما جانبا الفم من الداخل لا يمالان، بل الذي يميل هو اللسان إلى أحد جانبي الفم أو شدقيه حيث منبت الأضراس، وهناك أصوات عربية تخرج من هذه المنطقة منها الضاد العربية القديمة، أما

1 الفراء: معاني القرآن، 2/ 13.

2 عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 162.

قول الفراء (ت207هـ): (ويُمَالُ أحدُ الشِّدْقَيْن إلى الكَسْرَة، فتَرَى ذلك ثَقيلاً) فيحمل على المجاز، أما على الحقيقة فاللسان هو العضو المتحرك وهو الذي يتحرك نحو الشدق.

2- قوله: (وما مفهومُ الشِّدْق عنده؟؛ لعلَّ الشِّدْقَين هنا بمعنى الشفتَين...)، هذا الرأي يجانبه الصواب، فالشدقان لغة –كما حُدِّد أعلاه– من ملتقى الشفتين إلى الفكين، وعند ابن فارس (ت395هـ) هما ملتقى الشفتين، وعليه فالمراد بإمالة الكسرة إلى أحد الشدقين هو تقريب اللسان من الأضراس، وليس خفض الشفة إلى أسفل، لأن خفض الشفة تابع لحركة الفك الأسفل، ومعلوم أن الفك يكون في أقصى انخفاض له –والشفة السفلى تبع له– عند نطق الألف والفتحة، ورغم أن القدامى تنبهوا لهذا ووصفوا الألف بأنه أكثر الأصوات اتساعا؛ قال سيبويه: ( وهذه الثلاثة أخفى الحروف؛ لاتساع مخارجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا: الألف ثم الياء ثم الواو)[1] إلا أنهم لم يقولوا بإمالة الألف نحو الشدقين نظرا لحركة الفك السفلي والشفتين.

3- من قوله: (يُضافُ إلى ذلك أنَّ مقصودَ الفرَّاء تبيينُ ثِقَل الضمَّة والكسرة، ولا شكَّ أنَّ هذا يَظْهَرُ في عَمَل الشفتَين) نعم أراد الفراء أن يعلل ثقل الكسرة؛ لكن بوصفها أنها تمال إلى الشدقين لا لكون الشفة السفلى تعمل معها، وذلك حسب رأيي لصعوبة نطق صوت الضاد الذي وصف في كتب التراث بأنه جانبي من إحدى جافتي اللسان أو أحد الشدقين أو كلاهما معا، وسيأتي في أجزاء هذا البحث.

---

1 سيبويه: الكتاب، 4 / 435.

والظاهر أن وصف الفراء للكسرة بالجانبية، أثر في ابن جنيّ (ت393هـ)، حيث استعمل "**جَنْبَتَي اللِّسان**" في وصفه للياء الساكنة غير المدية، قال:(أمَّا الياءُ فتَجِدُ معها الأضراسَ سُفْلاً وعُلْواً قد اكْتَنَفَتْ **جَنْبَتَي اللِّسان** وضَغَطَتْهُ، وتفاجَّ الحنكُ عن ظهر اللِّسان، فجرى الصَّوتُ متصعِّداً هناك، فلأجلِ الفَجْوَة ما استَطال)،[1] ويلحظ هذا الأثر في وصف القراء للياء بالانحراف والتفشي؛[2] لأن الكسرة بعض الياء.

ويلحظ أن الضاد والشين والثاء والظاء والياء والراء، وغيرها وصفت في كتب التراث بالتفشي وهو كثرة خروج الريح حتى تتصل بمخرج غيرها وهذا هو الانحراف، قال ابن الجزري: (**الحرف المتفشي** وهو الشين، سميت بذلك لأنها **تفشت** في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء، **وقيل إن في الياء تفشيا**، فقلت والواو كذلك...ومعنى **التفشي** هو كثرة خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها **حتى يتصل الحرف بمخرج غيره)**،[3] واتصال صوت بمخرج غيره هو الانحراف، قال ابن الجزري: (حرفا الانحراف وهما اللام والراء، سميتا بذلك لأنهما **انحرفا عن مخرجيهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما)**.[4]

والراء حرف فيه تفشي وهو الانحراف والاتصال بمخرج النون، قال سيبويه: (والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة وهي تفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر)،[5] والشين عند سيبويه منحرف

---

1 ابن جني: سر صناعة الإعراب 1/ 30.

2 انظر: ابن الجزري: التمهيد، ص: 39.

3 ابن الجزري: المرجع نفسه، ص: 39.

4 ابن الجزري: المرجع نفسه، ص: 39.

5 سيبويه: الكتاب، 4 / 448.

وفيه استطالة وتفش: قال: (والشين لا تدغم في الجيم لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها والتفشي فكرهوا أن يدغموها في الجيم كما كرهوا أن يدغموا الراء فيما ذكرت لك).[1]

ومن هذه النصوص نفهم أن وصف الفراء للكسرة بالانحراف أو الميلان نحو الشدق مبني على وصف الياء بالانحراف والتفشي ضمن النصوص التي وصلته، فالكسرة بعض الياء يجري عليها من الوصف ما يجري على نظيرتها الياء، ما عدا صفة الطول، فالياء فونولوجيا أطول زمانا من الكسرة.

ولا بد من ملاحظة أن التفشي هو اتصال صوت بمخرج غيره والانحراف والاستطالة كذلك، لكن في الانحراف معنى زائد وهو النطق بجانب اللسان، فالتفشي أكثر عمومية، والاستطالة مصطلح دال على التفشي والانحراف؛ استعمل بديلا لمصطلح التفشي –حسب رأيي– لتفسير عدم إدغام الضاد أو عدم اندغام بعض الحروف فيها، وسيزاد الأمر تفصيلا في الفصول القادمة، قال سبط الخياط (ت541هـ): (واعلم أن من حروف المعجم تسعة أحرف لم تلق مثالها فتدغم فيها ولا تدغم هي فيما قاربها إلا على الشذوذ ... الخاء والطاء والظاء والصاد **والضاد والشين** والزاي).[2]

وقد ذكر ابن الجزري في النص أعلاه أن في الواو تفشيا، وذلك إذا أخذنا في الحسبان أن مخرجه من أقصى الحنك حتى الشفتين، فقد اتصل بمخارج كل الحروف الموزعة على هذا الجزء من الفم.

---

1 سيبويه: الكتاب، 4 / 448–449.

2 سبط الخياط البغدادي أبي محمد عبد الله بن علي: كتاب المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي، رسالة دكتوراه، إعداد الطالبة وفاء عبد الله قزمار، إشراف الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، 1984–1985ن مخطوطة بجامعة أم القرى، 1/ 133–134.

صحيح أن سيبويه جعل مخرج الواو من الشفتين، وذلك لعلة صرفية تتعلق بإدغام النون في غيرها، إذ تخفى النون عند حروف أقصى الحنك كالكاف والقاف، لكنها تدغم في الواو، فهل تنسب إلى أقصى الحنك أم إلى الشفتين حيث مخرج الميم التي تندغم فيها النون؟ وما دام للشفاه مع الواو عمل والأحكام الصرفية ترشحها لأن تنسب مع حروف الشفة، فقد فعل سيبويه ذلك، وهذا يتماشى مع منهجه القائم على تعليل الصفات الصوتية بحسب أحكام الصرف العربي، وقد تم تفصيل هذه القضية بأدلتها فيما سبق.[1]

أما الخليل فلم ينسب الواو للشفة، لأن منهجه قائم على مبدأ التنافر والإتلاف، والواو وأخواتها حروف الجوف أو العلل؛ (ء، ا، و، ي) لا تتنافر مع باقي الحروف، وسيفصل القول في هذه القضية في الفصول القادمة.

إن تعميم صفة الانحراف والتفشي، قائم لأغراض صرفية تتعلق بالإدغام؛ فالياء الموصوفة بالتفشي أو الانحراف؛ لدخولها في علاقة ادغامية مع حروف ظهر اللسان[(2)] أو الحروف المرتفعة.[3]

ومن هذا يستنتج أن **حروف الشدق هي حروف حافة اللسان.**

---

1 انظر صفحة 70–71 من هذا البحث، قال سيبويه: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك) سيبويه: الكتاب 4/ 436.

2 انظر فيما بعد تحليل مصطلح ظهر اللسان.

3 الحروف المرتفعة عند الخليل هي كل الحروف التي ارتفعت فوق ظهر اللسان من مخرج الشين حتى مخرج التاء، وهي: اللام، الراء، النون، الشين والجيم والضاد الصّاد والسِّين والزَّاء والطاء والدّال والتّاء و الظاء والذال والثاء، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

فقد صرح الخليل بن أحمد (ت175هـ) بأن الضاد حافية من الشدق، قال: (الضاد من **حافة المنباس وما يليها من الأضراس**...لأن بعض الناس يخرجها من **الشدق الأيمن** وبعضهم يخرجها من **الشدق الأيسر**).[1]

وتابعه سيبويه (ت185هـ)،إذ جعل مخرج الضاد من بين أول **حافة اللسان وما يليها من الأضراس**؛ وهذا معناه أنها جانبية، كما أشار إلى الضاد الضعيفة–وهي من جملة الأصوات غير مستحسنة عنده– ووصفها بأنها صوت جانبي، وذكر أنها تتكلف من **الجانب الأيمن**، أو من **الجانب الأيسر** وهو أخف.[2]

وقد تنبه ابن جني (ت393هـ) إلى بعض الفروق الفردية في نطق الضاد؛ علما أن هذه الفروق لا أهمية لها من الناحية الفونولوجية قال: (ومن **أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس** مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من **الجانب الأيمن** وإن شئت من **الجانب الأيسر**) [3]، ومن المجودين من يرى خروجها من الجانبين معا قال المرعشي (ت1150هـ): (... خروجها من **الحافة اليسرى** أيسر... أو **من الجانبين**...وهو أعسر).[4]

ومن هذه النصوص يستنتج أن نسبة الحروف إلى الشدق أو جانب الفم كان باعتبار معلم واحد، لذا فالحروف الشدقية هي حروف جانب اللسان؛ فحافة اللسان تقابل الشدق من النواجذ حتى مخرج اللام.

---

1 أبي حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 24–25، وأحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 111

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 4 / 573.

3 ابن جني: سر صناعة الإعراب،68/1.

4 المرعشي : جهد المقل، ص: 28 .

وتبين نصوص قديمة أن الحروف الجانبية ؛ ل، ن، **حروف شدقية**، وقد عرفت العربية القديمة بفرعيها الشمالي والجنوبي استعمال **الحافة اليسرى** في نطق الضاد[1] واللام والنون.

قال الأخفش الأوسط (ت 215هـ) في وصف مخرج اللاَّم (إلا أنَّ اللامَ **بالشِّقِّ** الأيمنِ أدخلُ في الفم).[2]

وقال ابنُ دُرَيد (ت321هـ) في وصفِ النُّون واللام والراء: (ثمَّ النُّونُ تحتَ حَافَّةِ اللِّسانِ من **الشِّقِّ الأيمن**، واللاَّمُ قريبةٌ من ذلك، والراء إلا أن الراء أدخل منه بطرف اللسان في الفم).[3]

وقال أبو جعفر النحَّاس (ت338هـ) في وصف الضَّاد، ناسباً ذلك إلى الخليل وسيبويه، قال: (وزعَم الخليلُ وسيبويه أنَّ الضادَ تَخرُجُ من **الشِّقِّ اليمين**، ولبعضِ الناسِ من **الشِّقِّ الشِّمال**).[4]

قال الشيخ سلطان مَزَّاحي (ت1075هـ) مبينا المخرج الجانبي لكل من الضاد واللام: (أما الضاد فتخرج من **إحدى حافتي اللسان** مستطيلة إلى ما يليها من الأضراس العليا من جهة اليسار وهو أكثر أو اليمنى وفيه عسر، وليس مرادهم بأول إحدى الحافتين

---

1 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 28.

2 الأخفش: معاني القرآن ، 573/2.

3 ابن دريد: الجمهرة 1/ 45، وعبارة "من الشق الأيمن" لم تذكر مع النص، وإنما أشار إليها المحقق في الهامش مثبتة في أحد المخطوطات التي اعتمدها.

4 النحاس: إعراب القرآن 986. وهذا القول أصلُه لا ألفاظُه في كتاب سيبويه 4/ 432، ومن عادة أبي جعفر النحاس أن يَجْمَعَ اسمَ الخليل مع سيبويه إذا كان القولُ لسيبويه على اعتبار أنَّ الكتاب من علم الخليل، انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 163، والحق أنني لاحظت أن معظم المصطلحات التي قام عليها الدرس الصوتي القديم سواء فيما يخص الصوامت أو الصوائت، قد استعملها الخليل أو استنبطت من خلال وصفه لنظام العربية الصوتي.

الأول الحقيقي، الذي هو الأقصى الذي تخرج منه القاف أو الكاف؛ إذ لو كان كذلك لذكرت قبلهما أو بينهما أو بعدهما، ففي ذكرها بعد مخرج الشجرية دليل على أن المراد بأولها الأول النسبي وأن المراد به ما هو محاذٍ لمخرج الشجرية أو ما بعدها تأمل، وأما اللام فتخرج من أدنى حافة اللسان اليمنى وهو أيسر أو اليسرى وهو أصعب، إلى منتهى طرفها مع ما يحاذي ذلك من الحنك الأعلى فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية).[1]

من هذه النصوص يتبين أن **الشدق** هو مخرج **جانب اللسان**، وأن **الأصوات المنحرفة** هي **أصوات شدقية** باعتبار معلم الحنك، **وحافيّة** باعتبار معلم اللسان، وهذا التناوب في الوصف ناتج عن استعمال معالم مختلفة، وأول من أعمل فكرة المناوبة هذه هو الخليل بن أحمد الفراهيدي كما اشار البحث فيما سبق.

والآن ننتقل إلى مخرج اللهاة

8- **اللهاة:** **La luette et le palais mou**

اللهاة في اللغة هي لحمة مشرفة على الحلق، وتسمى الزَّنَمَة والمُلازة، قال الخليل بن أحمد (ت175هـ): (الزنمة اللحمة المتدلية في الحلق، تسمى مُلازة، والزَّنَمة والزُّنْمَة شيء واحد)،[2] وقال ابن فارس(ت395هـ): (واللهاة اللحمة المتدلية من الحنك الأعلى)،[3] وهذا هو المعنى اللغوي الذي نعرفه لها اليوم، وهو نفسه المعنى الاصطلاحي الذي ارتضاه علماء التشريح والأصوات اليوم.

---

1 الشيخ سلطان مزاحي: رسالة الشيخ سلطان مزاحي في أجوبة المسائل العشرين، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة 2003، ص: 42-43.

2 الخليل: كتاب العين: 196/2.

3 ابن فارس: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، ص: 17.

وقد منح الخليل بن أحمد للهاة معنى اصطلاحيا أعم؛ يتناسب وتقسيمه الفونولوجي –الوظيفي– للأصوات فقد جعل اللهاة مخرجا لصوتين هما القاف والكاف[1] والكاف عنده أكثر أمامية من القاف، وعليه فاللهاة عنده تشمل اللهاة بمعناها المعاصر الذي أشرنا إليه آنفا، وتشمل منطقة الحنك الرخو التي يخرج منها صوت الكاف، وسيناقش البحث هذه القضية بالتفصيل في الفصول القادمة.

وقد ذكر الخليل مخرج اللهاة تاليا لمخرج الحلق، وقد نسب لها صوتي القاف والكاف قال: (والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة).[2]

ومن تصنيفه للكاف الحنكية القصية ضمن مخرج اللهاة، يتبين أنه قصد باللهاة؛ منطقة تشمل اللهاة بمعناها العلمي المعروف اليوم وتشمل أقصى الحنك حيث مخرج الكاف.

ويشفع لهذا أنه وسع مخرج اللهاة ليشمل مخرج الجيم التي تخرج من وسط الحنك قال: (وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم).[3]

ومن هذا النص يستنتج:

أ– أنه جعل كل المنطقة الممتدة من وسط اللسان إلى اللهاة؛ مخرجا واحدا لثلاثة أصوات هي؛ القاف والكاف والجيم، وهذا يعكس لنا أنه لم يقصد باللهاة ذلك المعنى المعروف لنا اليوم.

ب– منح للهاة معنى اصطلاحيا أوسع من المعنى اللغوي؛ الذي يشير إلى أنها لحمة في أقصى الفم كما أنه يدرك أن الكاف ليست من نقطة نطق القاف، قال: (ثم القاف والكاف لهَويتان، والكاف أرفع)[4]

---

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

4 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

ومن هذا يندفع زعم من رأى أن الخليل قد أخفق في تحديد اللهاة، أو أخطأ في تقدير موضع نطق الكاف؛ لأن الكاف حنكية قصية، قال قاسم البريسم: (ويبدو أن الخليل أخطأ في تحديد اللهاة، تحديدا يتفق والمفهوم الحديث لها، فهي عنده منطقة تمتد إلى الأمام لتشمل منطقة الحنك اللين؛ التي تدخل هي الأخرى في مفهوم الحلق عنده، وهذا ما يفسر لنا ضم الكاف إلى هذه المنطقة ووصفها بأنها لهوية).[1]

وفي ضوء ما وصلنا من نصوص القدامى يتبين أن:

أ- الخليل لم يخطئ في تحديد اللهاة؛ بل منحها معنا اصطلاحيا أوسع من المعنى اللغوي، وذلك لكي يتمكن من جمع الأصوات في مجاميع وأحياز؛ تساعده على ترتيب مواد معجمه، وتفسر له ائتلاف أو تنافر الأصوات في الكلمات المستعملة والمهملة؛ فإذا كانت القاف لا تتنافر مع أصوات الحلق وتتنافر مع صوتي الجيم والكاف،[2] فما وجه الصحة في أن يجعل القاف ضمن مخارج الحلق مع أختيها الخاء والغين، فقط لأنه ضم مخرج أقصى اللسان إلى مخارج الحلق وهذا للاعتبار الفسيولوجية فقط، إن وصف الخليل للقاف والكاف بأنهما لهويتان،[3] لايدل بالضرورة على أنه يجهل اللهاة بمعناها الحديث؛ بل المنحى التطبيقي في تصنيف معجمه دفعه إلى البحث عن نظرية تحدد له المستعمل من المهمل، وهذا وفق مبدأي التنافر والائتلاف؛ هو ما برر له عزل القاف عن مخرج الحلق دون أختيها الخاء والغين،

---

1 قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 109.

2 قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية) قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع)، كتاب العين،43/1.

3 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

وضمها مع الكاف إلى مخرج اللهاة.

ب- منطقة الحنك اللين لا تدخل في مفهوم الحلق عند الخليل، ولو كان هذا صحيحا لعد صوتي القاف والكاف من أصوات الحلق، أما صنيعه مع الخاء والغين اللهويين إذ عدهما من أصوات الحلق دون القاف، فهذا لأنه لم يلاحظ أي تنافر في بناء الكلمات بين هذه الأصوات،[1] ووجد القاف والكاف (والجيم) بينهما تنافر، فأعمل فكرة الإلغاء فألغى لهوية الخاء والغين وأدرجهما مع أصوات الحلق لأن بين هذه الأصوات الحلقية قد يحدث تنافر كما في: خعخع، فالخاء من أدنى الحلق والعين من أوسطه.

لقد تنبه بعض القراء القدامى، أن التحديد الفسيولوجي البحت يحتم جعل الخاء والغين والقاف من مخرج واحد، قال سبطٌ الخياط (ت541هـ): (وثلاثةٌ تَخرجُ من أعلى الحلق وأصل اللِّسان متواليةً، وهي: الغَين، والخاء، والقاف)،[2] وقال الشيخ السنهوري (ت894هـ): (والقاف تخرج من المخرج الأول من مخارج الفم مما يلي الحلق من أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى ... إن مخرجها من اللهاة، مما يلي الحلق ومخرج الخاء).[3]

- **<u>تشريح اللهاة</u>:**

قال الشيخ الرئيس: (وأمَّا **اللَّهاةُ**، فهي جَوهرٌ لحميٌّ معلَّقٌ على أعلى الحَنْجَرة كالحِجاب، ومنفعَتُه: تَدريجُ الهواء؛ لئلاَّ يَقْرَعَ ببردهِ الرِّئةَ فجأةً، ولِيَمْنَعَ الدُّخانَ والغبارَ، ولِيَكُونَ مقرعةً للصَّوْت يُقَوَّى بها ويَعظُمُ كأنَّهُ بابٌ مُوصَدٌ على مخرجِ الصَّوْتِ بِقَدْرِه؛ لذلك يضر قطعها بالصوت، ويهيئ الرئة لقبول البرد والتأذي به والسعال عنه).[4]

---

1 أي بين أصوات الحلق بما فيها الغين والخاء والأصوات اللهوية (ق، ك).

2 سبط الخياط: كتاب المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي،1/ 225.

3 السنهوري زين الدين ابي الفتح جعفر بن إبراهيم(ت894هـ): كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، ص:245.

4 ابن سينا: القانون في الطب، 286/2.

وقال في الفصل المنعقد لآفات قطع اللهاة: (من ذلك الضرر بالصوت، ومن ذلك تعرض الرئة للبرد والحرّ؛ فيعرض سعال عن كل برد وحرّ، ولا يصبر على العطش، ومن ذلك تعريض المعدة لسوء مزاج عن سبب بارد من ريح وغبار ونحوه، وكثير منهم يستبرد الهواء المعتدل، وكثيرا منهم استحكم البرد في صدره ورئته حتى مات، وقد يعرض منه نزف دم لا يحتبس).[1]

9- **اللسان**: **la langue**

اهتم العرب باللسان كعضو للنطق في حالتي الصحة والمرض.

سمى الخليل اللسان الفصيح الصحيح الخالي من العيوب؛ "**بِلَّة اللِّسان**" قال: (**وبِلّة اللِّسان** وُقُوعُه على مَواضع الحُرُوف واستمرارُه على المَنْطق، يُقال: ما أَحْسَنَ **بِلّةَ لسانِهِ**، أو ما يَقَعُ لسانُه إلاّ على **بِلّته**[2]...ويقال: بلّ فلانٌ من مَرَضه وأَبَلَّ واستبلّ، أي: برأ، والاسم منه: البِلُّ.. ويُقال للإنسان إذا حَسُنَتْ حالُه بعد الهُزال: قد ابتلّ وتبلَّلَ... والبَلْبَلةُ: بَلْبَلةُ الأَلْسُن المختلفة، يُقال واللَّه أعلم: إنّ اللَّه عزّ وجلّ لما أراد أن يُخالِفَ بين أَلْسِنة بني آدمَ بعث ريحاً فحشرتهم من كلِّ أُفُق إلى بابل فبلبل اللَّه بها ألسنتهم، ثمّ فرَّقتهم تلك الرِّيحُ في البلاد).[3]

---

1 ابن سينا: القانون في الطب، 300/2.

2 سمى مركز تطوير اللغة العربية ببوزريعة-الجزائر، علم أمراض اللغة والكلام **بعلم التبليل**، وهذا المقياس درسناه في جامعة سطيف 2003 في قسم اللسانيات التطبيقية تحت إشراف الأستاذ عز الدين صحراوي، وهذا المصطلح "علم التبليل" أفضل لأنه يشير إلى حالة الصحة التي يرجع إليها الإنسان بعد مرضه، ولا شك فالغاية من هذا العلم هي مساعدة المصابين وإعادة تأهيلهم، وكما هو ظاهر فالمصطلح مشتق من كلمة "**بلة اللسان**" التي أشار إليها الخليل أعلاه.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 161/1-162. وقد أصبح مصطلح البابلية Babélisme Le يشير في الدرس اللساني الحديث على تعدد اللغات واختلافها، انظر: وائل بركات: مفهومات في بنية النص، دار معد-دمشق، ط1996/1، ص: 14.

وإذا كان مصطلح "**البلة**" مصطلحا فسيولوجيا يتعلق باللسان كعضو، فقد جعلوا له مقابلا فيزيائيا يتعلق بصحة الأصوات الصادرة عن جهاز النطق، وهو مصطلح "**الندى**"، قال: (**وندى الصّوتِ**؛ بعد همته ومذهبه وصحة جرمه[1]... وناداه أي دعاه بأرفع الصوت... وفلان أندى صوتا من فلان؛ أي أبعد مذهبا وأرفع صوتا).[2]

وبيَّن ابنُ سينا أنواع الألسنة القادرة على الكلام، قال: (وأفضل الألسنة في الاقتدار على جودة الكلام المعتدل في طوله وعرضه المستدق عند أسلته، وإذا كان اللسان عظيما عريضا جدا، أو صغيرا كالمتشنج لم يكن صاحبه قديرا على الكلام).[3]

أشار الكنديُّ إلى دَوْرِ عضلات اللِّسان في التسبُّبِ في اللُّكنة في الكلام، قال: (وهناك علتان أخريان وهي الأخن والألكن، وإنما تعرض هاتان العلتان من غلظ آلة[4] النطق

---

1 جِرْم الصوت بصمته وجرسه الذي يميزه عن غيره، قال الخليل: (جرم الصوت جهارته، تقول: ما عرفته إلا بجرم صوته)، الخليل بن أحمد: كتاب العين، 234/1.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 209/4.

3 ابن سينا: القانون في الطب، 253/2.

4 أطلق الكندي مصطلح آلة النطق على؛ الشفتين، الأسنان، اللسان، الحنك، اللهاة، انظر: الكندي: رسالة في اللُّثغة ص: 521، وفي هذا النص قصرها على اللسان والخياشيم، لأنهما سبب الخنة واللكنة، وهذا مجاز مرسل علاقته الكلية.

وقد اهتم القدامى بدراسة أمراض الكلام، هذا ما نلمسه عند الشيخ الرئيس ابن سينا إذ عقد فصلا كاملا سماه: (فصل في استرخاء اللسان وثقله والخلل الداخل في الكلام) وقد جعل من أعراض هذا الاسترخاء: التمتمة والفأفأة، وأرجع سببه إلى خلل في الدماغ كما أرجع بعض عيوب النطق إلى خلل عضوي يصيب أحد أعضاء النطق، كما وصف علاجا ملائما لذلك، قال: ( وقد تكون الآفة في الكلام لسبب في عضل الحنجرة؛ إذا كان فيها تمددا واسترخاء، فربما كان الإنسان يتعذر عليه التصويت في أول الأمر، إلا أنه يعنف في تحريك عضل صدره وحنجرته تعنيفا لا تحتمله تلك العضلة فتعصي، فإذا يبس في أول كلمة أو لفضة استرسل بعد ذلك، **ومثل هذا الإنسان؛ يجب ألا يستعد للكلام بنفس عظيم وتحريك للصدر عظيم بل يشرع فيه بالهوينى**، فإنه إن اعتاد ذلك سهل عليه الكلام واعتاد السهولة فيه.) (ابن سينا: القانون في الطب، 255/2 وما بعدها)

وهو اللسان وسعة الخياشيم،[1] والعلة في ذلك أن العضَل المحَرّكةَ لهذا العُضوِ لا تُطِيقُ حملَهُ، وتُحَرّكُه وتَنْقُلُه عن الأماكنِ الواجبَةِ للنُّطْقِ، فيَعْرِضُ مِن ذلك اللَّكَنُ في الكلام، وأما الأخن فإن النفس يسبق إلى الخياشيم).[2]

إن اهتمام القدامى باللسان في حالتي الصحة والمرض؛ فيه إشارة منهم إلى الترابط بين الحالتين ولا يمكن تشخيص احداهما دون مقارنتها بالأخرى.

- **تشريحُ عضلات اللسان:**

جاء في كتاب القانون في الطب للشيخ الرئيس، عن اللسان ووظائفه وأهميته في حياة الإنسان: (الفم عضو ضروري في ايصال الغذاء إلى الجوف الأسفل، ومشارك في ايصال الهواء إلى الجوف الأعلى، ونافع في قذف الفضول المجتمعة في فم المعدة إذا تعذر أو عسر دفعها إلى أسفل وهو الوعاء الكلي لأعضاء الكلام في الإنسان والتصويت في سائر الحيوانات المصوتة من النفخ، واللسان عضو منه هو من آلات تقليب الممضوغ وتقطيع الصوت وإخراج الحروف، وإليه تمييز الذوق، ... **وأفضل الألسنة في الإقتدار على جودة الكلام المعتدل في طوله وعرضه المستدق عند أسلته، وإذا كان اللسان عظيما عريضا**

---

1 الخنن مرض لغوي، سببه وجود شق حنكي –وهو عيب أو عاهة خلقية يولد بها بعض الأطفال–وفي هذه الحالة يفشل قسم من الحنك اللين أو الحنك اللين بتمامه من الإتحاد–إذ لا يتمكن المصاب من التحكم في أحد شقي الحنك أو فيه كله حتى بعد إجراء العملية الجراحية في بعض الأحيان؛ وبذلك يصاحب الكلام رنين أنفي مفرط، وهنا يأتي دور الصوتي التطبيقي أو معلم النطق لتدريب المصاب على أحسن أداء ممكن للأصوات، وقد ينشأ فرط الرنين الأنفي أو ما يعرف بالخنف جراء صغر حجم اللهاة المفرط، أو عجز العضلات الحنكية اللسانية عن إغلاق المجرى الأنفي بإحكام، ويتم تشخيص الخنف بجهاز يدعى جهاز الخنف Nanomètre ، و يتم ذلك بالتقاط الطاقة الصوتية من تجويفي الفم والأنف، بواسطة مايكروفونات موجهة لهذا الغرض ويجمع الجهاز البيانات ذات العلاقة ويعرضها على شاشة الحاسوب، و تتم مقارنة البيانات بعد تحليلها إحصائيا، مع بيانات أخرى متعارف عليها لدى الأسوياء، انظر: محمد العناني: مدخل إلى الصوتيات، ص: 146، وجاوريا ج. بوردن و كاثرين س. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 207.

2 الكندي: رسالة في اللُّثغة، ص530 .

**جدا، أو صغيرا كالمتشنج لم يكن صاحبه قديرا على الكلام**، وجوهر اللسان لحم رخو أبيض، قد اكتنفته عروق صغار مداخلة دموية أحمرّ لونه بها، ومنها أوردة ومنها شريانات، وفيه أعصاب كثيرة متشعبة من أعصاب أربعة ناتئة...وفيه من العروق والأعصاب فوق ما يتوقع في مثله ...وتحت اللسان عرقان كبيران أخضران تتوزع منهما العروق الكثيرة؛ يسميان الصُّرَدين).[1]

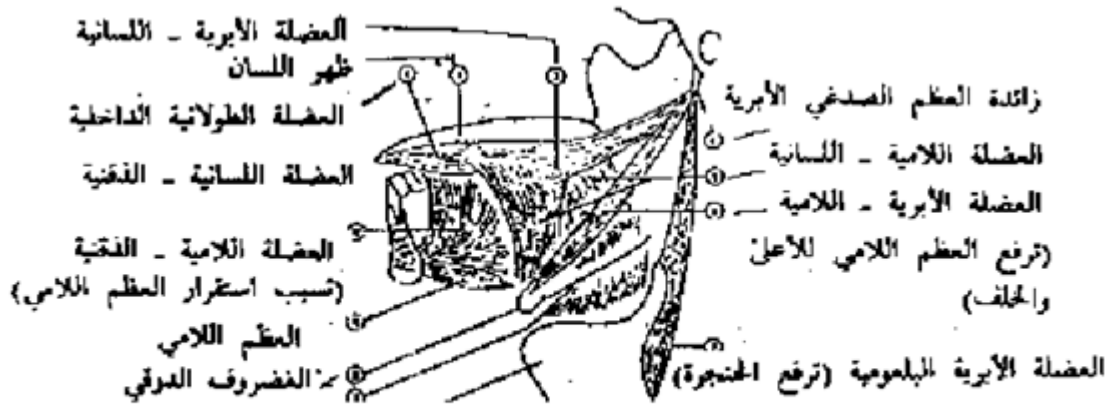


مخطط بياني جانبي يوضح عضلات اللسان الجوهرية، وبعض التراكيب الاخرى

شكل رقم 1[2]

1 ابن سينا: القانون في الطب، 253/2.

2 منقول عن جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 175.

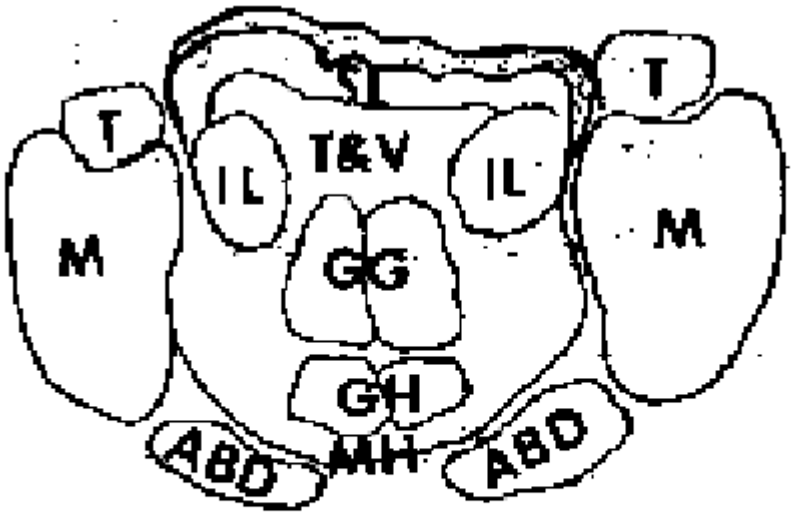


SL= العضلات الطولانية العليا، T و V=العضلات العمودية والمستعرضة، IL = العضلات الطولانية السفلية، GG= العضلات اللسانية–الذقنية، GH= العضلات اللامية–الذقنية، MH= العضلات اللامية–الفكية، ABD = جزء العضلة ذات البطين الداخلي، T = الأسنان، M = الفقم

شكل رقم: 2.[1]

واللسان من أكثر أعضاء النطق مرونة وقدرة على تنويع الحركة؛ وذلك بفضل عدد لا بأس به من العضلات التي تقوم بتنشيطه، وقد أشار الشيخ الرئيس ابن سينا[2] إلى عضلات اللسان التسع المحركة له وهي: عضلتان معرضتان، وعضلتان مطولتان، وعضلتان تحركانه على الوراب منشؤهما من الضلع المنخفض من أضلاع العظم اللامي،[3]

1 منقول عن جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 176.

2 انظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 8، و القانون في الطب ،67/1، و قد ذكر في رسالة أسباب حدوث الحروف – ألفها قبل كتاب القانون-أن عدد عضلات اللسان ثماني، ثم اكتشف عضلة أخرى-وهي العضلة المفردة المشار إليها في النص أعلاه–وذكرها في كتابه القانون وتدارك الأمر وذكر أن عدد عضلات اللسان تسع، وهذا يدل بوضوح على مدى إسهام العلماء العرب في تقدم العلوم وبخاصة الطب.

3 العظم اللامي هو قوس عظمي يشبه شكله العام الحرف V ، و هذه التسمية استعملها ابن سينا، نسبة إلى شكل حرف اللام في الكتابة اليونانية وهذا شكله: λ، انظر محمد حسن حسن جبل : المختصر في أصوات اللغة العربية، ص:39.

وعضلتان باطحتان للسان، و***عضلة مفردة*** تصل ما بين اللسان والعظم اللامي وتجذب أحدها إلى الآخر.[1]

يتفق وصف ابن سينا لعضلات اللسان التي ذكرها وأثر كل منها في إحداث حركة أو أكثر مع الدراسات الصوتية التشريحية المعاصرة، إلا أن الدراسات المعاصرة كشفت عن تفصيلات أخرى لم يكشف عنها في زمن ابن سينا، كما أن هناك فروق طفيفة في المصطلحات بين وصف ابن سينا والدراسات المعاصرة، والفرق بين المصطلحات ليس ذا بال في الحكم على قيمة دراسة أو بحث أو أهميتها من الناحية العلمية؛ فلا مشاحة في الاصطلاح ما دام المضمون صحيحا.

وإذا علمنا أن الصوتيات التشريحية من الفروع الحديثة نسبيا لعلم الأصوات، وأن علماء الأصوات المحدثين قد تنبهوا مؤخرا لضرورة الإفادة من معطيات هذا العلم الدقيق؛ تبين مدى الإضافة الجديدة التي أضافها ابن سينا لعلم الأصوات قبل نحو من ألف سنة،[2] كما أنه زاوج بين علمين مستقلين كل الاستقلال وهذا يعكس وعيه بضرورة تأسيس علوم تطبيقية تساهم في حل معضلات علوم مختلفة تتقاطع في نقطة بحثية معينة؛ كتقاطع الفيزياء والصوتيات وعلم التشريح في دراسة ظاهرة الصوت من مختلف جوانبها وبهذا يمكن أن يعد ابن سينا المؤسس الفعلي Le père fondateur للصوتيات التشريحية وأحد رواد الصوتيات التطبيقية، إذ عقد فصلا كاملا سماه: فصل استرخاء اللسان و ثقله و الخلل الداخل في الكلام،[3] إذ أفاد من الصوتيات والطب في وصف علاج لبعض مشكلات النطق، والصوتيات المرضية هي أحد الفروع التطبيقية لعلم الأصوات.

---

1 انظر: ابن سينا: القانون في الطب، 67/1.

2 انظر سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 34-35.

3 انظر: ابن سينا: القانون في الطب: 255/2 وما بعدها.

عرف اللغويون العرب اللسان وجعلوه أحد المعالم لتحديد مخارج الحروف، فقد لقَّب سيبويه الحروف التي تخرجُ منه بـ: **(حروف اللِّسان)**، وتبدأ هذه الحروف من مخرج القاف والكاف، وتنتهي بمخرج الظاء والذال والثاء.[1]

- **أقسام اللِّسان:**

قسَّم أكثرُ العلماء اللِّسان إلى مناطق نسبوا إليه بعضَ الحروف، ويرجع أول تقسيم –دقيق وشامل– معروف إلى العلامة سيبويه، قال: (ومن **أقصى اللسان** مما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن **أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً** ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن **وسط اللسان** بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن **أول حافة اللسان** وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، ومن **حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان** بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ومن **طرف اللسان** بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في **ظهر اللسان** قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، ومن بين **طرف اللسان** وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء، ومن بين **طرف اللسان** وفويق الثنايا مخرج الصاد والزاي والسين، ومن بين **طرف اللسان** وأطراف الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال)[2]

وقد تبع ابن جني مذهب سيبويه مع خلاف لفضي قليل،[3] وهذا الجدول يوضح ذلك:

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 4 / 433.

2 السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 5/390–391.

3 انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/68–69.

| مصطلح سيبيويه | مصطلح ابن جني | ملاحظة |
| --- | --- | --- |
| وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء | ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء | |
| **أقصى اللسان** مما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف | | لم يذكر ابن جني مخرج القاف عند كلامه عن مخارج الأصوات (انظر: سر صناعة الاعراب، 47/1)<br><br>لكنه جعل القاف تلي الخاء والغين مخرجا، عند ترتيبه للأصوات مخرجيا، قال: (ذكر الحروف على مراتبها في الاطراد، وهي الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف...فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها) (السابق،45/1)<br><br>إذن فلا خلاف بينه وبين سيبويه في جعل القاف من أقص اللسان، وربما سقط نصه عن مخرج القاف سهوا أو بسبب النساخ، أو لم يثبت في النسخة المحققة المعتمدة في هذا البحث.<br><br>إن الغين والخاء والقاف من مخرج واحد، وهو مخرج اللهاة.<br>إن التحديد الفسيولوجي البحت يحتم جعل الثلاثة من مخرج واحد، وهذا ما نص عليه بعض القدامى، فقد نسب ابن سينا (ت428هـ) القاف إلى اللهاة صراحة.[1] وكذلك سبطٌ الخياط (ت541هـ) قال: (وثلاثةٌ تَخرجُ من أعلى الحلق وأصل اللِّسان متواليةً، وهي: الغَين، والخاء، والقاف)[2] والشيخ السنهوري (ت894هـ) قال: (والقاف تخرج من المخرج الأول من مخارج الفم مما يلي الحلق من أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك |

1 انظر : ابن سينا : رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص : 10 .

2 سبط الخياط: كتاب المبهج في القراءات الثمان، 1/ 225.

| | | |
|---|---|---|
| | | الأعلى ... إن مخرجها من اللهاة، مما يلي الحلق ومخرج الخاء) [1] |
| ومن**أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً** ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف | ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف | |
| ومن**وسط اللسان** بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء | ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء | |
| ومن**أول حافة اللسان** وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، | ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر | |
| ومن **حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان** بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام | ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام | |

1 السنهوري (ت894هـ): كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، ص:245.

| | | |
|---|---|---|
| | | |
| ومن **طرف اللسان** بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون، | ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون | |
| ومن مخرج النون غير أنه أدخل في **ظهر اللسان** قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، | ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء | |
| ومن بين **طرف اللسان** وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء، | ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء | |
| ومن بين **طرف اللسان** وفويق الثنايا مخرج الصاد والزاي والسين، | ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين | |
| ومن بين **طرف اللسان** وأطراف الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال | ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء | |

وقد تبع أغلب القدامى تقسيم سيبويه،[1] لأن تقسيمه جاء محددا المخرج الدقيق لذي يتولد فيه كل حرف (يقابله المبدأ عند الخليل) وهذا يوقف العلماء على حقيقة التقارب والتباعد بين الحروف في باب الإدغام.

1 انظر: الداني: التحديد، ص: 102-104، العطار: التمهيد، ص: 248، الجرجاني: العمد، ص: 149-150، ابن الجزري: التمهيد، ص: 43-44.

## 10- أقصى اللسان/عُكدة اللِّسان:

أطلق الخليل بن أحمد (ت175هـ) عل أقصى اللسان "**عكدة اللسان**" و"**عقدته**"، وهو أقصاه مما يلي اللهاة حيث مخرج القاف، قال: (عكد: العَكَدَة: أصل اللسان وعُقدته[1]... وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة اللَّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم)[2]

جمع الخليل هذه الحروف (ج، ق، ك) في مخرج واحد لأنها تتنافر ولا تأتلف، لا لأنه كان يصف الجيم القاهرية،[3] قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية)[4] وقال: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق،[5] وجِلَّق اسم موضع)[6]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 206/3.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

3 يلحظ أن الجيم المركبة تسلك سلوك الجيم القاهرية من حيث تنافرها مع القاف والكاف ومن حيث القيمة القمرية، فلام التعريف لا تندغم في الجيم المركبة، رغم أنها من مخرج الشين وهي حرف شمسي، فالجيم تسلك سلوك الحروف الخلفية، وهذا يدعم فرضية تطورها عن الجيم القاهرية.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 43/1.

5 الجوسق هو القصر وهو دخيل، انظر: لخليل بن أحمد: كتاب العين، 272/1

6 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 43/1، والظاهر من هذا النص أن الجيم في كلام العرب لا تأتلف مع القاف، وفي حال تعريب بعض الكلمات لا بد وأن يكون هناك فاصل؛ اللام في مثلك جلق، جلاهق، والسين كما في جوسق، والحق أن القول بلزوم هذين الحرفين كفاصل مبعثه الاستقراء، أي أن الخليل ما وجد كلمة دخيلة من بنات الجيم والقاف إلا وفيها اللام أو السين فاصلا، وقد تتبعت مواد باب القاف، فلم أجد أي كلمة سبق فيها القاف الجيم سواء كانت عربية أو دخيلة، وعُلِم من القوانين التي وضعها الخليل أنه يستثنى في باب الممنوعات من الائتلاف الرباعي المضاعف لحكاية الأصوات وما شابهها، كجقجق حكاية لصوت الخف عند عوامنا، وسيأتي بيان هذه القواعد في الفصول القادمة إن شاء الله، انظر الخليل: كتاب العين:، 1-40.

ومن هذا نفهم أن الجيم ليست من مخرج أقصى اللهاة حقيقة، بل وسع الخليل هذا المحرج لأغراض تتعلق ببناء معجم من حيث تآلف الأصوات وتنافرها ليسهل عليه معرفة الدخيل من الأصيل من الكلم، وهذه إحدى وظائف المعجم.

استعمل ابن دريد (ت321) مصطلح "**حروف أقصى الفم من أسفل اللِّسان**"، في مقابل حروف العَكَدَة عند الخليل وأضاف إليها الشين،قال: (وأما جنس حروف أقصى الفم من أسفل اللسان، فهن **القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين** فلذلك لم تأتلف الكاف والقاف في كلمة واحدة إلا بحواجز؛ ليس في كلامهم قك ولا كق، وكذلك حالهما مع الجيم؛ ليس في كلامهم جك ولا كج، **إلا أنها قد دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عكدة اللسان بل هي مجاوزة للعكدة إلى الفم**،[1] فقد جاء في كلامهم قشّ، ...وقد جمعوا بين الشين والكاف فقالوا: شُكَّ في الأمر، وكشّ البعير...وجمعوا بين الشين والجيم في الشّج والجشّ)[2]

## 11- وسَطُ اللِّسان أو المخرج الشجري: Le milieu de la langue

هذا المخرج نسب إليه الخليل أصوات: الجيم والشين والضاد' قال: (والجيم والشِّين والضاد **شّجْريّة** لأن مَبْدَأها من **شجْر الفم**، أي مَفرج الفَم)[3]

وهذا باعتبار معلم سقف الفم لوحده، فهذه الأصوات تنطق باعتماد وسط اللسان على ما يقابله من الحنك بما في ذلك الأضراس، قال سيبويه: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من

1 المفهوم من كلامه هذا أن الشين حرف من وسط الفم فهو حسن الموقع بين حروف أقصى اللسان وحروف أدنى الفم، ولتفشيه تأتلف مع كلا الصنفين.

2 ابن دريد: الجمهرة: 44/1.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

الأضراس مخرج الضاد)[1] **فالضاد شجرية** لأنها من الأضراس وهذه المنطقة تسمى عند الخليل **شجر الفم.**

وتابعَ ابن دُرَيد الخليل وسيبويه، في خروج الضاد من **وسط اللِّسان،** قال ابن دُرَيد (ت321هـ): (والياء من وسط اللسان بينه وبين ما حاذاه من الحنك الأعلى[2]...ثمَّ الضادُ من **وسطِ اللِّسان** مِمَّا يليه إلى الحافَّة اليُمنى)،[3] أي مما يليه من الحنك الأعلى وهو شجر الفم.

وضمَّ السين والصاد والزَّاي لحروف وسط اللسان، قال: (حروف **وسط اللسان** مما هو منخفض؛ السين والزاي والصاد)،[4] وتعبيره بالانخفاض قد يوحي بتقدم مخرج هذه الأصوات قليلا إلى مقدم الفم، أو إلى اعتماد اللسان على لَثَة الأسنان السفلى – تقدم ذكر هذه المسألة قبل قليل– وقد يكون عنى الأمرين معا ولا يخفى التقارب الشديد في مخرج الأصوات التي نسبت لشجر الفم ووسط اللسان وأسلته وحافته في التراث العربي لذا كان تحديد العلماء العرب يتوسع عند بعضهم حتى يشمل حروفا جعلها غيره من مخرج خاص.

### 12- حَافَّةُ اللِّسَان: Le Bord Latérale de La Langue

هذا المخرج يقابل مخرج الشدق، فالشدق باعتبار معلم الحنك وحافة اللسان باعتبار معلم اللسان وحافة اللسان وما يقابلها من الحنك الأعلى أو الأضراس باعتبار المعلمين معا.

ويوصف الصوت الذي يخرج من حافة اللسان أو الشدق بالانحراف، لذا فهناك علاقة بين **التحديد المخرجي والوصف الفيزيائي** (كيفية الخروج) للأصوات الحافية **(ض، ل).**

---

1 سيبويه: الكتاب 4/ 433 .

2 ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

3 ابن دريد: المرجع نفسه، 46/1.

4 ابن دريد: المرجع نفسه، 44/1.

**أ- من حيث التحديد المخرجي:**

استعمَل سيبويه؛ "**أوَّل حافَّة اللِّسان**" بعدَ ذِكْرِهِ لمخرج الجيم والشين والياء، كجزءٍ مشاركٍ مع الأضراس في مخرج الضاد، وهذا تمييزا للضاد التي ليس لها نظير إذا زال عنها الإطباق صارت إليه عن باقي حروف الشجر قال: (ومِن بَين أوَّلِ حَافَّةِ اللِّسانِ، وما يَلِيهَا مِن الأضراس تَخرُجُ الضَّادُ)،[1] وقال: (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها).[2]

لقد جاء هذا التمييز الدقيق في المخارج والصفات مع إعمال فكرة الإلغاء أحيانا، ليتناسب الوصف المخرجي والوصف الفيزيائي(كيفية الخروج) مع معطيات النظام اللغوي، فسيبويه يبحث عما يخدمه في **باب الإدغام** ليقف على حقيقة القوانين المنظمة له ولغيره من الظواهر الصرفية الصوتية كالإعلال والإمالة والوقف...قال: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك).[3]

واستَعمَل سيبويه بعدَ وصفهِ للضاد مصطلح: **(أدنى حافَّةِ اللِّسان إلى منتهى طرفِه)** كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللاَّم، قال: (ومِن **حافَّةِ اللِّسانِ** مِن أدناها إلى مُنتهى طرفِ اللِّسان، ما بَينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُوَيقَ الضَّاحِكِ والنَّابِ والرَّباعيَّة والثنيَّة مخرجُ اللاَّم).[4]

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 433 .

2 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 436.

3 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 436.

4 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 433.

وذكَر ابنُ الوزَّان النحويّ (ت346هـ) أن اللاَّم والرَّاء تخرُجان من **(حافَّة اللِّسانِ)**، قال: (ولا اللام تدغم في الراء...لأنهما**من حافة اللسان** متقاربان، ولا تدغم الراء في اللام لأن الراء فيها تكرير).[1]

**ب- من حيث الوصف الفيزيائي (كيفية الخروج):**

فرق سيبويه بين مخرج اللام الذي يكون بطرف اللسان وبين مكان خروج الهواء الحامل للصوت من ناحيتي مستدق اللسان، لهذا استَعمَل عبارتي؛ ***المنحرف، ناحيَتَي مُستَدَقِّ اللِّسَان***، لتعيين مكان تسرب الهواء المنحرف بعيدا عن المخرج أو نقطة الاعتراض المركزية، قال: (ومنها المنحرف وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام، وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة لأن **طرف اللسانلا يتجافى عن موضعه** وليس يخرج الصوت من **موضع اللام** ولكن من ناحيتي مستدقٌ اللسان فويق ذلك)،[2] وقد أكد هذا ابن عصفور، قال: ( وأما اللام فإن الصوت يمتد فيها؛ لأن ناحيتي مستدق اللسان تتجافيان -أي ترتخيان- فيخرج الصوت منها، ولا يخرج من موضع اللام؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى)[3] فالهواء لا يخرج من موضع أو مخرج اللام لأن اللسان مازال يصنع حبسة تمنع الهواء من الخروج منها، وتدفعه للانحراف إلى موضع آخر.

وهذا تصحيحا لما ذهب إليه د/ عادل إبراهيم عبد الله، الذي ظن أن عبارة "**ناحيتي مستدق اللسان**" التي جاء بها سيبويه في وَصْفِهِ للمَكَان الذي يَخْرُجُ منه صَوْتُ اللاَّم.[4]

---

1 الزبيديُّ ابي بكر بن محمد الحسن الأندلسي: طبقات النحويِّين واللُّغويِّين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 دار المعارف- مصر ص 249 .

2 سيبويه: الكتاب 4/ 435.

3 ابن عصفور: المقرب، 7/2.

4 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 193.

فمكان خروج صوت اللام عند سيبويه؛ من حافة اللسان؛ من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا.[1]

ولم يسم سيبويه المكان الذي ينجرف إليه الهواء مخرجا، فالنون المظهرة والميم التي ينحرف هوائها إلى الخيشوم لم توصفا عنده بأن مخرجهما الخيشوم أو الأنف، بل نسب ذلك للرنين الأنفي المسمى عنده "غنة" وهو عبارة عن النون المخفاة التي قال عنها أن مخرجها الخيشوم، والنون الخفيفة أو المخفاة هي عبارة عن الرنين الأنفي المصاحب لأحد حروف الإخفاء، وهذا دليل على أن الغنة في تصوره غير الميم والنون، وبالتالي فالغنة لا تنحرف، والذي ينحرف هو هواء النون والميم الفمويان، قال: (وتكون النون مع سائر **حروف الفم** – أي حروف الإخفاء– حرفاً **خفياً مخرجه**[2] من الخياشيم وذلك أنها من حروف الفم وأصل الإدغام لحروف الفم[3] لأنها أكثر الحروف فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم لأنه ليس حرفٌ يخرج من ذلك الموضع غيرها فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبس وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم وذلك قولك من كان ومن قال ومن جاء).[4]

واستعمل ابن جنيّ (ت393هـ): "**جَنْبَتَي اللِّسان**" **Les deux bords latéraux**

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 433.

2 أي ذهب وفقد مخرجه في الحجرة الفموية؛ وبالتالي لا انحراف إلا لحرف له نقطة نطق فموية تحبسه ثم ينحرف باحثا عن منفذ آخر غير نقطة الحبس الفموية.

3 سيبويه هنا يعد الإخفاء أحد أنواع الإدغام الناقص، لأنه جعل الإخفاء أصلا لحروف الفم، وبمفهوم المخالفة فالإظهار أصل لحروف الحلق وكذلك فك الإدغام أصل فيها.

4 سيبويه: الكتاب، 454/4.

**de la langue** في وصفه للياء الساكنة غير المدية، قال: (أمَّا الياءُ فتَجِدُ معها الأضراسَ سُفْلاً وعُلْواً قد اكْتَنَفَتْ **جَنْبَتَي اللِّسان** وضَغَطَتْهُ، وتفاجَّ الحنكُ عن ظهر اللِّسان، فجرى الصَّوتُ متصعِّداً هناك، فلأجلِ الفَجْوَة ما استَطال)[1]

إن تعبير القدامى بأول الحافة يقصدون به أول الحافة عند الأضراس، أي أول حافة وسط اللسان، قال الشيخ سلطان مَزَّاحي (ت1075هـ): (أما الضاد فتخرج من إحدى حافتي اللسان مستطيلة إلى ما يليها من الأضراس العليا ... وليس مرادهم بأول إحدى الحافتين الأول الحقيقي، الذي هو الأقصى الذي تخرج منه القاف أو الكاف؛ إذ لو كان كذلك لذكرت قبلهما أو بينهما أو بعدهما، ففي ذكرها بعد مخرج الشجرية دليل على أن المراد بأولها الأول النسبي وأن المراد به ما هو محاذٍ لمخرج الشجرية)[2]

والأصوات الجانبية لا تتوقف عند العربية فقط بل تتعداها إلى لغات أخرى، كالسامية الأم واللغات الهندية الأوروبية، وعلى سبيل المثال نذكر:

أ- **<u>السين الجانبية</u>**: و مخرجها من شجر الفم، لها وجود في اللغة السامية الأم، والشين العربية نشأت عن هذه السين الجانبية، أما السين العربية فقد نشأت عن السين اللثوية في بعض الكلمات، وعن الشين في بعضها الآخر.[3]

ب- **<u>الياء الجانبية</u>**: لها و جود في الفرنسية القديمة، ويرمز لها في الكتابة الصوتية الدولية بالرمز: [λ]، ولا يزال مستعملا الآن في كثير من اللغات، كالإسبانية كما في calle ، caballo، llorare والايطالية كما في: meglio، figlio، gli، paglia، كما نجد هذه الياء الجانبية في بعض الكلمات الفرنسية الحديثة مثل: fille، piller، mouillé،[4] ولهذه الياء وجود في لهجتنا المحلية كما في: يلعب [λal?ab]

---

1 ابن جني: سر صناعة الإعراب 1/ 30.

2 الشيخ سلطان مزاحي: رسالة الشيخ سلطان مزاحي في أجوبة المسائل العشرين، ص: 42-43.

3 انظر: ج. برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ص: 24.

4 انظر: برتيل مالبرج: الصوتيات، ص: 93 – 94، و مصطفى حركات: الصوتيات و الفونولوجيا، ص: 56،

إذ تتأثر الياء بجانبية اللام فيخرج هواءها جانبيا، ووجود هذه الياء الجانبية في هذه اللهجة وجود ألوفوني فقط، أي ظهورها مشروط بسياق تجاور فيه صوتا جانبيا كما في المثال السابق.

ت- **<u>اللام المقعرة</u>: concave**[1] **أو اللام** المستعلية vélaire، كان لها وجود في الفرنسية الكلاسيكية لكنها تحولت إلى صوت صائت: [u]، نتيجة لفقدانها للنطق

---

Et jean Dubois et autre : dictionnaire de linguistique, p: 284.

1-ترجمها د/ محمد حلمي هليل، في كتاب الصوتيات لد/ برتيل مالبرج، ص: 93 – 94، باللام المطبقة، كما نجد مثل هذا في ترجمة د/ رمضان عبد التواب لكتاب الأستاذ ج. برجشتراسر ( التطور النحوي، ص: 19.)، و هذه الترجمة غير دقيقة في نظري، لأن الإطباق هو ارتفاع ظهر اللسان محدبا نحو سقف الفم، أما اللام المفخمة فيتقعر بها وسط اللسان ( سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 144.)، و لهذا لم يجعل القدامى اللام المفخمة في زمرة المطبقات، و مادام الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان نحو ما يحاذيه من الحنك اللين، و ما دام حال اللام المفخة كذلك، و مادام العلامة المرعشي ( في جهد المقل، ص: 44 – 45.) قد جعل اللام والراء المفخمين، من أصوات الاستعلاء، فأفضل ترجمة المصطلح السابق ذكره، باللام المستعلية، وللإشارة فإن كلمة vélaire، تعني الحنك اللين، ولأن بعض المؤلفين العرب (كتمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص: 89، وحسام البهنساوي: الدراسات الصوتية، ص: 69) يستعملون مصطلح الطبقية، للدلالة على الأصوات التي يتم إنتاجها من الطبق (الحنك اللين) وهي: الكاف والخاء والغين المرققتين، تمييزا لها عن الأصوات المطبقة، وعليه فإنه من الخطأ ترجمة كلمة vélaire بالمطبقة، إذا كانت وصفا لبعض الأصوات للدلالة على أنها مفخمة، كاللام التي وصفها برتيل مالبرج أعلاه بأنها vélaire، أما إن كانت وصفا لموضع نطق صوت معين كالكاف، فيتعين ترجمتها بأقصى الحنك أو الحَفّاف، وأفضل استعمال مصطلح اللام المقعرة concave؛ لأن التفخيم في اللام والراء يكون بسبب استعلاء مؤخرة اللسان وتقعره –متخذا بذلك شكل تجويف في وسطه–إذا فالتقعير أو التجويف هو سبب تفخيم اللام والراء، والتفخيم في العربية يتخذ أربعة أشكال:

أ- لإطباق Le Contre palais: ويكون برفع مؤخرة اللسان نحو اللهاة ووسطه نحو الغار الأعلى وبذلك يحاذي جسم كل اللسان الحنك الأعلى؛ وتسمى الأصوات التي تفخم بهذه الطريقة بالأصوات المطبقة، ومعنى المحاذاة يتحقق في اللفظة الفرنسية Contre التي تعني حرفيا أمام، قدام، مقابل، وهكذا يكون اللسان أمام الحنك مقابلا له، فترجمت مصطلح اطباق بـ le Contre palais

ب- الإستعلاء L'uvulation: ويكون بارتفاع مؤخرة اللسان نحو اللهاة أو أقصى الحنك، ويسمى الصوت الذي يفخم بهذه الطريقة؛ صوتا مستعلى كالام والراء المفخمتين، القاف، والخاء والغين المفخمتين.

3. التقعير Le concave: ويتحقق بتقعير وسط اللسان –عكس الإطباق الذي يكون برفع وسط اللسان––ورفع مؤخرته نحو اللهاة أو أقصى الحنك؛ ويسمى الصوت الذي يفخم بهذه الطريقة؛ صوتا مقعرا؛ وفي العربية صوتان يفخمان بالتجويف هما صوت اللام والراء المفخمان. =

الطرفي الأمامي، و كان لهذا التطور أثر على تصريف بعض الكلمات، مثال ذلك أن كلمة cheval المفردة، كانت صورة جمعها في القديمchevalz, ولما تحولت اللام المستعلية إلى صائت خلفي مدور: [u]، تولدت حركة ثنائية [aw]، تحولت هي الأخرى إلى صائت خلفي مفخم: [o] وأصبح هذا الأخير يمثل صورة الجمع في بعض الكلمات كما في: chevaux.[1]

مما سبق نستنتج أن وجود عدد من الأصوات المنحرفة، في اللغة العربية كما وصفها القدامى يحتم علينا إعادة النظر في وصف بعض الأصوات، وفهم تراث الأجداد فهما عميقا فمدلول مصطلح الانحراف عندهم أوسع بكثير مما هو عليه الأن في الدرس الصوتي العربي الحديث.

13- **ظَهْر اللِّسان:**[2]

استعمال الخليلُ بن أحمد (ت175هـ) **ظَهْرَ اللِّسان**، لتحديد:

---

= 4- التقصية Postériorité: اشتقت هذا المصطلح من "أقصى الحنك-وسماه د/ سمير شريف استيتية في كتابه اللسانيات بـ؛ خلفية الفتحة والألف-والتقصية تحدث بإرجاع اللسان إلى الوراء La poussée (extrême) vers l'arrière وبذلك يتراجع مخرج الصوت إلى الخلف تبعا لحركة اللسان، والتقصية سبب تفخيم الفتحة والألف؛ وقد سمى القدامى الفتحة والألف المفخمان "**المُشَمَّان ضما**"، والتقصية تقابل التغوير أو التحنيك كما يسمية بعض اللغويين -جذب الأصوات الخلفية نحو الغار وهو مقدم الحنك تحت تأثير الكسرة فيكون سببا في ترقيق الصوت-وقد سمى القدامى الفتحة والألف المرققان بالممالين نحو الكسر.

1 انظر: برتيل مالبرج: الصوتيات، ص: 93 – 94،

Et jean Dubois et autre : dictionnaire de linguistique, p: 284.

2 يلحظ أن هناك علاقة وطيدة بين المصطلحات المخرجية (ظهر اللسان، الشدق، الاستطالة) ومقابلاتها المصطلحات الدالة على الصفات الفزيائية (الانحراف، التفشي).

أ- **الجزء الأوسط من اللسان،** المقابل لشجر الفم -الغار الأعلى- حيث نسب الشين صراحة للغار قال: (مخرج الشين بين الغارِ الأعلَى وبين ظَهْر اللَّسان).[1]

ب- **المنطقة الممتدة من مخرج الشين إلى مخرج التاء**، وذلك لوصف انحراف اللام والنون والراء عن غيرها من حروف اللِّسان، واختصاصها بالذَّلاقة في المنطق، قال: (وأمَّا سائرُ الحُروف فإنَّها ارتَفَعَتْ فوقَ **ظَهْرِ اللِّسانِ** من لَدُن باطِنِ الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين **ظَهْرِ اللِّسان،** ليس للِّسَان فيهنَّ عَمَلٌ أكثرُ من تحريك الطبقتَين بهنَّ، ولم يَنحرفْنَ عن **ظَهْرِ اللِّسَان** انحرافَ الرَّاءِ واللاَّم والنون).[2]

واستعمل سيبويه (ت185هـ) مصطلح **ظهر اللسان** مرة واحدة في كتابه لوصف انحراف الراء؛ وهو بهذا تابع للخليل ويصبح **ظهر اللسان** المقابل الفسيولوجي أو المخرجي لصفة الانحراف الفيزيائية، قال: (ومِن مَخرجِ النُّونِ غيرَ أنه أدْخَلُ في **ظَهْرِ اللِّسَانِ** قليلاً؛ لانحرافِهِ إلى اللاَّمِ مخرجُ الراء).[3]

وذكَر ابنُ دُرَيد (ت321هـ) أنَّ السِّينَ تَخرُجُ مُطْمئِنَّةً على **ظَهْرِ اللِّسَان،**[4] وأظن أنه تنبه للعلاقة بين ظهر اللسان والانحراف، فجاء بمفهوم الاطمئنان، وباعمال فكرة الالغاء تكون صفة الانحراف مخصصة لحروف الذلاقة الثلاثة "ل، ر، ن".

وهو بهذا التحديد متأثر بالخليل (ت175هـ)، الذي جعل منطقة ظهر اللسان تمتد من مخرج الشين إلى مخرج التاء.

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

3 سيبويه: الكتاب، 433/4.

4 انظر: ابن دريد: الجمهرة، 50/1-51.

تابع علماء اللغة والتجويد سيبويه في تحديد محرج الراء من ظهر اللسان، قال مكي (ت437هـ): (الراء تخرج من المخرج السابع من مخارج الفم من مخرج النون، غير أنها **أدخل لظهر اللسان** قليلا)[1] وقال الجرجاني (ت471هـ): (وداخل من ذلك إلى **ظهر اللسان** منحرفا مخرج الراء)،[2] وقال ابن الجزري (ت764هـ): (ومن ظهره ومحاذيه من اللثة الراء).[3]

إن متابعة القدامى للخليل وسيبويه في ربط العلاقة بن ظهر اللسان والانحراف دليل على فهمهم واستيعابهم للأمور وليسوا مجرد نقلة، إذ لو كانوا كذلك لوقعوا في الاضطراب، ولما وصفت **السين بالاطمئنان** بعد وصف مخرجها من **ظهر اللسان**.

ويظهر ذلك جليا من تحليل لفظي "**الظهر**" و"**الاطمئنان**"، قال الخليل: (اطْمأَنّ الرّجل، واطمأنّ قَلْبُهُ واطمأنَّتْ نَفْسُه إذا سَكَنَ واستأنس، والمُطْمَئِنُّ من الأرض، أرضٌ مُنْخَفِضة، وهي: المُتَطَأْمِنة).[4]

وقال: (الظَّهْرُ: خلافُ البطْنِ من كلِّ شَيْءٍ، والظَّهْرُ من الأَرضِ: ما غَلُظَ وارْتَفَع، والبَطْن ما رَقَّ منها واطْمَأَنَّ).[5]

من النصوص أعلاه يستنتج:

1- الاطمئنان هو السكون والاستقرار، وهذا مخالف للانحراف الذي يعني الميل عن الشيء والتغيير وعدم الاستقرار.[6]

2- الاطمئنان هو الانخفاض.

---

1 مكي: الرعاية، ص: 106.

2 الجرجاني: العمد، ص: 105.

3 ابن الجزري: التمهيد، ص: 43.

4 الخليل: كتاب العين، 61/3.

5 الخليل: المرجع نفسه، 80/3.

6 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 305/1-306.

3- الظهر هو الارتفاع.

4- الحروف المرتفعة عند الخليل هي كل الحروف التي ارتفعت فوق ظهر اللسان من مخرج الشين حتى مخرج التاء، فبعضها منحرف؛ اللام، الراء، النون،[1] والباقي غير منحرف؛ الشين والجيم والضاد الصّاد والسِّين والزَّاء والطاء والدّال والتّاء و الظاء والذال والثاء، وهذه الحروف بهذا الترتيب أخذتها من ترتيب الخليل للمبادئ، قال الخليل: (والجيم والشِّين والضاد[2] شَجْريّة؛ لأن مَبْدَأها من

---

1 النون ينحرف هواءها نحو الخياشيم، وقد وأدرك ابن سينا وابن الجزري، أن الهواء مع الميم والنون يمر إلى الفم أولا؛ ثم يتسرب إلى الأنف بفعل الغلق الموجود في الفم، قال ابن سينا: (وأما إذا كان حبس تام غير قوي وكان كله عند المخرج من الشفتين، ولكن بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم، حتى يحدث الهواء عند اجتيازه الخيشوم والفضاء الذي في داخله دويا؛ جدث الميم وإن كان بدل الشفتين طرف اللسان وعضو آخر، حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفة يقاوم الهواء بالحبس ثم يتسرب أكثره إلى ناحية الخيشوم كان النون) (ابن سينا: أسباب حدوث الحروف ، ص: 83) وقال ابن الجزري: (الحرف الراجع وهو الميم الساكنة؛ سميت بذلك لأنها ترجع في مخرجها إلى الخياشيم لما فيها من الغنة، وينبغي أن تشاركها في هذا اللقب النون الساكنة؛ لأنها ترجع أيضا= =إلى الخياشيم للغنة التي فيها.)( ابن الجزري: التمهيد، ص: 40) وهذان القولان يتطابقان مع ما جاءت به الدراسات الصوتية الحديثة، التي تقر أن الهواء مع الميم والنون يمر إلى التجويف الفموي أولا، حتى إذا صادف سدا لمجراه عند نقطة الغلق ولى راجعا لينفذ من التجويف الأنفي، وبالرغم من أن فتحتي التجويف الفموي والأنفي مفتوحتان؛ فإن الهواء يدخل إلى فتحة التجويف الفموي أولا، وربما كان ذلك بسبب أن فتحة التجويف الفموي من الناحية التشريحية أقرب؛ فمدخل التجويف الفموي يقع فوق فتحة الحنجرة مباشرة مما يجعلها –أي فتحة التجويف الفموي–ممرا للهواء الخارج من الرئتين عبر الحنجرة، وربما حدث الأمر نفسه مع النون، إلا أنه مع الميم أوضح؛ وذلك لاتساع التجويف الفموي بفعل ابتعاد نقطة اعتراض الهواء سهل الإحساس بدخول الهواء عبر الفم، في حين أن الاعتراض مع النون في موضع أقرب –في منتصف الفم تقريبا–فلم نستطع الإحساس بدخول الهواء إلى التجويف الفموي(انظر: محمود فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، ص : 210)

2 الضاد صوت انحرافي، لكن الخليل لم يصفه بالانحرافية بل نفاها عنه، وهذا حسب رأيي لا يعني أنها ليست كذلك عنده، فالخليل اعمل فكرة الإلغاء –سيتم تفصيلها في الفصول القادمة–لأغراض تتعلق ببناء معجمه، من حيث معرفة أصيل الكلم العربي من الدخيل والمهمل والمستعمل، فوجد صفة الانحراف تتمتع بها الضاد وللام والراء والنون، لكن الأصوات الثلاث الأخيرة تدخل في علاقة مع أصوات الشفة (م، ب، ف) لتميز الكلم العربي في بناء ما فوق الثلاثي فيما يعرف بخروف الذلاقة، إذن فصفة الانحراف صفة فائضة أو زائدة لا عمل لها في صوت الضاد لذا فإسقاطها من مقتضيات منهج الخليل، وهذه الفكرة تأخذ بها الصوتيات التوليدية في العصر الحديث، من ذلك مثلا لا توصف الباء العربية بالجهر، لا لأنها كذلك بل لأنه لا يوجد مقابل مهموس يلعب دورا تمييزيا على مستوى الفونولوجيا في نظام العربية الصوتي، لمزيد من التوضيح والمناقشة حول هذه النقطة انظر: مصطفى حركات: الصوتيات و الفونولوجيا، ص: 85، إن صفة الانحراف شاركت فيها الضاد الشين والثاء والظاء، فهذه الأصوات وصفت في كتب التراث بالتفشي وهو كثرة خروج الريح حتى تتصل بمخرج غيرها وهذا هو الانحراف، انظرك مكي: الرعاية، ص:57و90، وابن الجزري: التمهيد، ص: 39، والراء حرف فيه تفشي وهو الانحراف لاتصاله بمخرج النون، قال سيبويه: (والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة وهي تفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر) الكتاب، 448/4, والشين=

شجْر الفم أي مَفرج الفَمِ والصاد والسين والزاء أسلية؛ لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان –وهي مُستدَقّ طرف اللّسان– والطاء والتاء والدال نِطْعيَة؛ لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة؛ لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة، والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة؛ لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان –وهو تحديدُ طَرفَي ذلق اللّسان)[1]

- **الحروف المرتفعة عند سيبويه:**

أما سيبويه فقد خالف الخليل قليلا، حيث استعمل مصطلح الحروف المرتفعة بمعنى أعم، وهي عنده كل الحروف ما عدا حروف الحلق، وبهذا التحديد تكون **الحروف المرتفعة** عنده تتطابق مع **الحروف الصتم** عند الخليل، قال سيبويه في معرِض حديثه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً: (وإنمَّا فتَحُوا هذه الحروفَ لأنَّها سَفلتَ في الحلْق، فَكَرِهُوا أن يتناوَلُوا حركةَ ما قبلَها بحركةِ **ما ارتَفَعَ من الحروف**[2] فجعَلُوا حركتَها من الحرفِ الذي في حيّزِها، وهو الألف، وإنَّما الحركاتُ من الألفِ والياءِ والواوِ، وكذلك حرَّكُوهنَّ إذ كُنَّ عَيْناتٍ، ولم يُفعَل هذا بما هو مِن مَوْضِعِ الواو والياء؛ لأنَّهما من

---

=عند سيبويه منحرف وفيه استطالة وتفش: قال: (والشين لا تدغم في الجيم لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها والتفشي فكرهوا أن يدغموها في الجيم كما كرهوا أن يدغموا الراء فيما ذكرت لك) الكتاب، 448/4–449، فلا شك أن الخليل يدرك تفشي وانحراف الحروف المذكورة، لكن منهجه حمله على الغاء هذه الصفة في هذه الحروف عن وعي تام بأهمية هذه صفة الانحراف في حروف الذلاقة دون غيرها، إن ربط المخارج والصفات بالوظيفة الصرفية التي تؤديها الحروف نجده عند سيبويه وابن جني ... متأثرين بمنهج الخليل ، وهذا الأمر سيشرح في الفصول القادمة، إن شاء الله.

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1–42.

2 ظاهر أنه يقصد بحركة ما ارتفع من الحروف، الضم والكسر، لأنهما بعض الواو والياء، اللتان تعدان من الحروف المرتفعة كما جاء في النص أعلاه، أما الألف فهي من حروف الحلق والفتحة بعض منها، قال: (ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثةٌ فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف) سيبويه: الكتاب، 433/4.

الحروف التي **ارتَفعَتْ، والحروف المرتفِعةُ** حَيِّزٌ على حدةٍ، فإنَّما تَتَنَاوَلُ **للمُرتَفِع** حركةً من **مُرْتَفِع**، وكُرِهَ أن يُتناوَلَ للَّذي قد سَفل حركةٌ من هذا الحيِّز).[1]

فمن نسبة الراء لظهر اللسان، ومن معنى الظهر الارتفاع يستنتج أن الراء تنطق بطرف اللسان وما يحاذيه من الثنايا العليا، وهنا يلحظ أن الخليل بتعبيره: " ارتَفَعَتْ فوقَ **ظَهْرِ اللِّسانِ**" يشير إلى حركة اللسان المرتفعة نحو الأعلى عند نطق هذه المجموعة من الحروف.

- **الحروف المنخفضة:**

والسين المطمئنة عند ابن دريد (ت321هـ)؛ تنطق بذلق اللسان والأسنان السفلى، بدلا من العليا –في نطق بعض الاشخاص–[2] وقد وصف ابن دريد حرف الصفير بالانخفاض، قال: (حروف وسط اللسان مما هو منخفض؛ السين والزاي والصاد)[3] وقد نص العلامة عثمان بن سليمان (ت1382هـ) على أن مخرج أصوات الصفير الثلاثة، هو الأسنان السفلى وذلك في تجويد القرآن الكريم إذ يقول:

**والصاد والسين وزاي تجلى *** منه ومن فوق الثنايا السفلى**[4]

إن نفي صفة الانحراف عن السين المطمئنة كان لأغراض تتعلق بقواعد الصرف العربي، فهو متابع للخليل في إعمال **فكرة الإلغاء**، ويدلنا على ذلك أنه وصف السين وأختاها بالانحراف، قال: (ثم السين والصاد والزاي **بجنب اللسان** الأيمن من أصول الأضراس إلى

---

1 سيبويه: الكتاب 4/ 101 .

2 لاحظ د/ محمود السعران، أن أصوات الصفير تنطق بذلق اللسان والأسنان السفلى عند بعض الأشخاص، انظر كتابه: علم اللغة مقدمة القارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2/1998، ص: 146.

3 ابن دريد: الجمهرة، 44/1.

4 عثمان بن سليمان مراد علي آغا: السلسبيل الشافي، ضمن سلسلة متون التجويد، جمع وتحقيق حمد الله حافظ الصفي، مكتبة أولاد سيد الشيخ للتراث، دون ذكر للطبعة ولا سنة النشر، ص: 11.

أصول الثنايا العليا، ثم النون تحت **حافة اللسان اليمنى** واللام قريبة من ذلك، والراء إلا أن الراء أدخل منه **بطرف اللسان** في الفم)[1] وهو بجعله المخرج يبدأ من الأضراس منتهيا بالثنايا يصف ضمنا السين وأختاها بالاستطالة والتفشي.

إن وصف **حروف ظهر اللسان** بالانحراف والتفشي وبعضها بالاستطالة أمر شائع في التراث العربي وهذا يقودنا للقول بمستويين من الوصف:

أ- **الأول:** وصف فسيولوجي بحت يذكر كل صفات الحرف دون اعمال لفكرة الالغاء.

ب- **الثاني:** وظيفي له علاقة بالبنية الصرفية يعمل فكرة الإلغاء الخليليةّ، ويعمل على مناسبة الوصف المخرجي والفيزيائي مع معطيات النظام اللغوي.

لقد وصف غير واحد من العلماء حروف ظهر اللسان بالصفات المذكورة أعلاه، قال سيبويه: (والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة وهي تفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر)،[2] والشين عند سيبويه **منحرف** وفيه **استطالة وتفش:** قال: (والشين لا تدغم في الجيم لأن **الشين استطال مخرجها** لرخاوتها **حتى اتصل** بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها و**التفشي** فكرهوا أن يدغموها في الجيم كما كرهوا أن يدغموا الراء فيما ذكرت لك)[3] إن صفة الانحراف تشاركت فيها: الضاد، الشين، الثاء، الظاء،[4] فهذه

---

1 ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

2 سيبويه: الكتاب، 448/4.

3 سيبويه: الكتاب، 448/4-449.

4 القول بأن الظاء متفشية يسنده أنها وصفت بالانحراف، قال العلامة ابن الجزري: ( ... و الظاء أضعفها في الإطباق، لرخاوتها **وانحرافها إلى طرف اللسان** مع أصول الثنايا العليا. ) ابن الجزري: التمهيد، ص: 36، لاحظ بعد قليل أن معظم الحروف التي نسبت إلى ظهر اللسان عند الخليل وسيبويه وغيرهما، وصفت بالانحراف والتفشي. و القول بأن في الظاء انحراف، قول تسنده عدة أمور: **أولا:** وصف سيبويه للضاد الضعيفة (= الظاء)، بأنها تتكلف من أحد الجانبين انظر: سيبويه: الكتاب، 4 / 432، **ثانيا:** وينص العلامة محمد بن أبي بكر المرعشي، صراحة أن الضاد=

الأصوات وصفت في كتب التراث بالتفشي وهو كثرة خروج الريح حتى تتصل بمخرج غيرها وهذا هو الانحراف، قال مكي (ت437هـ): (الحرف المتفشي وهو الشين، سميت بذلك؛ لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها **حتى اتصلت بمخرج الظاء**، وقد قيل إن في الثاء تفشيا، ومعنى التفشي هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها، وقد ذكر بعض العلماء؛ "الضاد" مع "الشين"، وقال: الشين تتفشى في الفم حتى تتصل بمخرج الظاء والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، قال: **وسمي هذان الحرفان المخالطين؛**[1] لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان... الشين.. فيها تفش لانتشار الصوت بها عند النطق بها؛ فذلك الانتشار هو التفشي الذي فيها وهو شدة الريح الخارجة عند النطق بها...وهي تتصل بمخرج الطاء).[2]

---

=الضعيفة ما هي إلا ظاء أو ما يشبهها قال: ( إنها في لغة قوم ليس في لغتهم ضاد، فإذا احتاجوا إلى التكلم بها في العربية اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها ظاء معجمة... وربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء... )، محمد بن أيبي بكر المرعشي: جهد المقل،ص: 61. **ثالثا:** تنبه بعض القدامى، إلى أن: الظاء والضاد تشتركان في كل الصفات، ما عدا الاستطالة، كما يختلفان مخرجا، انظر: الحسن بن قاسم المرادي: المفيد في شرح عمدة المجيد، 56 – 57، و ابن الجزري: التمهيد، ص: 55 – 56، و محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 52، قال العلامة المرعشي (ت 1150هـ): (الضاد شابهت الظاء المعجمة في التلفظ وشاركتها في جميع الصفات، إلا المخرج والاستطالة.) محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 52، وهذا يعني أن الظاء تشارك الضاد في صفة الانحراف، وإن كانت الضاد أقوى انحرافا؛ لأن مخرجها من أحد حافتي اللسان و ما يحاذيه من الأضراس كما أنها تتكلف من أحد الجانبين أو من كليهما معا، انظر: سيبويه: الكتاب، 4 / 573، و ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1 / 68، و ابن عصفور: المقرب، 2 / 5.

1 هذه الصفة مستنبطة من ذكر سيبويه لها عدة مرات في كتابه، قال: (ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشرة حرفاً لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام وكثرة موافقتها لهذه الحروف من طرف اللسان وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان، وحرفان خالطا حروف اللسان، فلما اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام لم يجز إلا الإدغام، ... والأحد عشر حرفاً النون والراء والدال والتاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والذال، **واللذان خالطاها الضاد والشين** لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء)، سيبويه: الكتاب، 457/4.

2 مكي: الرعاية، ص:57و90.

وقال الداني: (والمتفشي حرف واحد، وهو الشين تفشت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج الظاء وكذلك الفاء تفشت حتى اتصلت بمخرج الثاء، ويذلك تبدل منها، فيقال: جدف وجدث).[1]

وقال ابن الجزري: (الحرف المتفشي وهو الشين، سميت بذلك؛ لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها **حتى اتصلت بمخرج الظاء**، وقيل إن في الثاء تفشيا، فقلت والواو كذلك، وقال قوم حروف التفشي ثمانية؛ الميم والشين والفاء والراء والثاء والصاد والسين والضاد، تفشى الميم بالغنة، والشين والثاء بالانتشار والفاء بالتأفف والراء بالتكرير، والصاد والسين بالصفير، والضاد بالاستطالة، قلت: ومن جعل الميم حرف تفش بالغنة يلزمه النون؛ لأنه حرف أغن، ومن لقب الصاد والسين بالتفشي لصفيرهما يلزمه الزاي؛ لأن فيه ما فيها من الصفير ومعنى التفشي؛ هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها حتى يتصل الحرف بمخرج غيره).[2]

### 14- ذَلَق اللسان: Apex ou pointe de la langue

ورد هذا المخرج عند الخليل بن أحمد (ت175هـ) بعد مخرج اللثة، وقد نسب إليه عددا من الأصوات قال: (والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرفَي ذلق اللّسان).[3]

ولا بد من التفريق هنا بين **الذلاقة**؛ كمصطلح صرفي صوتي، يتعلق بتردد ورود: ل، ر، ن، ف، ب، م، في معظم الأبنية الرباعية والخماسية ذات الأصل العربي، **والذلقية** كمصطلح دال على مخرج لمجموعة من الأصوات: ل، ر، ن، إذن **الذلاقة** غير **الذلقية**؛ لذا لا يصح القول بأن حروف الذلاقة مخرجها ذلق اللسان، بل بعضها من ذلق اللسان وبعضها

---

1 الداني: التحديد، ص: 107-108.

2 ابن الجزري: التمهيد، ص: 39.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

من الشفتين كما لا يصح القول بأن الباء والفاء والميم ذولقية، بل من حروف الذلاقة، قال الخليل موضحا الفرق بين الذلقية والذلاقة: (اعلم أنَّ الحروف ***الذُّلْقَ والشَّفَوِيَّةَ***[1] ستَّة وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن؛ ***الذلاقة*** في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللِّسان والشفتين وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة، منهما ***ذليقة: ر ل ن، تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة***، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء، من الحُرُوف الصَّحاح إلاَّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللِّسانُ إلا بالرَّاء واللّام والنون).[2]

وقد ذكر الخليل تعليلا **للذلاقة**، من خلال دور حروفها في بناء الكلمات الرباعية والخماسية: (فلمَّا ذَلَقَتِ الحُروفُ السِّتَّةُ، ومَذَلَ بِهِنَّ اللِّسان وسَهُلَتْ عليه في المَنْطِقِ كَثُرَتْ في أَبنِيَةِ الكلام فليس شَيْءٌ من بِناء الخماسيِّ التَّامِّ يَعْرَى منها أو من بعضها. قال الخليل: فإن وَرَدَتْ عليك كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة معرَّاة من حروف الذَلَق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدَعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعيَّة أو خماسيَّة إلاَّ وفيها من حروف الذَلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر[3]...وأما البناءُ الرباعيُّ المُنبَسطِ فإنَّ الجُمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذُلْق أو من بعضها، إلاَّ كلمات نحوا من عشر[4] كن شواذَّ؛ ومن هذه الكلمات: العَسْجَدُ والقَسْطوس والقُداحِس

---

1 لاحظ كيف قرن الحروف الذلق بالشفوية، ولم يقل الذلق فقط ثم عد بعده الحروف الستة المذكورة أعلاه، وهذا يدل صراحة أن الحروف الذلق غير حروف الذلاقة، فالتشابه فقط في اشتقاق المصطلح.

2 الخليل: كتاب العين، 37/1.

3 الخليل: المرجع نفسه، 37/1.

4 يفهم من هذا الاستثناء، أن كل بناء رباعي فما فوق يعرى من أحد حروف الذلاقة فهو غير عربي، ما عدا الكلمات العشر فهي مستثناة من هذه القاعدة، وعلى هذا فكلمة الدعشوقة المعدودة في الكلمات العشر كلمة عربية أصيلة، لكن الخليل نص في موضع آخر على عجمتها، قال: (الدعشوقة دويبة شبه خنفساء...وليست بعربية محضة؛ لتعريتها من=

والدُعشُوقةُ والهُدْعة ُوالزُهْزُقَةُ... وليس في كلام العَرَب دُعْشوقة ولا جُلاهِق، ولا كلمة صَدْرُهَا "نَرَ" وليس في شيء من الأَلْسن ظاءً غير العربية ولا من لِسانٍ إلا التَنُّور فيه تَنُّور، وهذه الأحرف قد عَرينَ من الحروف الذُلْق، ولذلك نَزَرْنَ فَقَلَلْنَ، ولولا ما لزمَهُنَّ من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال، ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنَصاعتهما، فإنْ كان البناءُ اسماً لَزِمَتْهُ السِّين أو الدَّال مع لزوم العَيْن أو القاف، لأن الدَّال لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكزازتها وارتَفعت عن خُفُوت التّاء فَحَسُنَتْ، وصارت حالُ السِّين بين مَخْرَجِ الصَّاد والزاي كذلك، مهما جاء من بناء اسم رباعي مُنْبَسِط معرّى من الحُرُوف الذُلْق والشَّفَويَّةِ فإنّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَي الطَّلاقةِ أو كليهما ومن السين والدال أو أحدهما، ولا يضُرُّ ما خالف من سائر الحروف الصُتْم).[1]

وعلى هذا فالذلاقة مصطلح صرفي بالأساس، وليس صفة نطقية أو مخرجا لصوت إنها تتعلق بورود أو عدم ورود صوت ما في بناء رباعي أو خماسي؛ فيحكم له بالأصالة أو الدخالة.

ويُشْعِرُنا هذا النصُّ الأخيرُ بأمرَين: جَانِبيَّة هذه الأحرف (ر، ل، ن)، وخاصَّةً في قوله: (طرَفَي **ذَلَقِ** اللِّسان)، والثاني: أنَّها تخرجُ بنهاية الجزء الأماميّ من اللِّسان، لاستعماله لفظ: (تحديد)، يعني بعبارةٍ أخرى: تخرُجُ اللام والنُّون والراء من حافَّتي نهاية الجزء الأمامي،[2] وقد تم التفصيل في دراسة الحروف الجانبية.

---

=حروف الذلق والشفوية)، كتاب العين، 28/2، وباقي الكلمات المذكورة لم ينص على عجمتها في ثنايا الكتاب، فهي عربية محضة، إلا الهدعة فلم يرد لها ذكر في متن الكتاب.

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 38/1-39.

2 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 195.

## 15- طَرَفُ اللِّسَان: le plat de la langue

والطرف في اللغة الطائفة من الشيء، ومنتهى كل شيء طرفه،[1] ويسمى طرف اللسان في لغة العرب "**اللهجة**"، قال الخليل: (واللّهجة: طَرَفْ اللّسان، ويُقالُ: جَرْس الكلام، ويُقال: فصيح اللَّهْجَة واللَّهَجة. وهي لغته التي جُبِلَ عليها فاعتادها ونشأ عليها)،[2] وذكر الخليلُ بن أحمد (ت175ه) **طرفَ اللِّسان** في شرحِه لمعنى: المصمصة والنَّقْر –وهو الصوت الحاث للدَّابَّة على السير– قال: (والمَصْمَصَةُ: غَسْلُ الفَم بطَرَف اللسانِ دونَ المَضْمَضَةِ).[3]

وقال: (النَّقْرُ: صوتُ اللسان يُلزَقُ **طَرَفُه** بمُخْرَجِ النّون فيُصَوَّتُ به، فَيُنْقُرُ بالدابَّةِ لِتَسِيرَ).[4]

من هذه النصوص يستنتج، أن **طرف اللسان** هو ذلك الجزء الممتد من رأسه المقابل للأسنان إلى أدنى أدخل منطقة على ظهره؛ المستخدم في نطق النون، أو في صوت النَّقْر.

واستعمَل سيبويه (ت185ه) **طرفَ اللِّسان** كجزء مشاركٍ مع الحنكِ أو الأسنانِ في خروج الأصوات التالية: النُّون والراء/ والطاء والدال والتاء/ والصاد والسين والزاي/ والظاء والذال والثاء، قال: (ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، ومما بين **طرف اللسان** وأصول الثنايا

---

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 43/3.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 104/4، ما زال عوامنا يستعملون كلمة لهجة بمعنى طريقة الكلام التي يتميز به سكان منطقة ما، فبمجرد سماع الأمازيغي أو الصحراوي يتكلم باللغة العربية المحلية، تتعرف على انتمائه الجغرافي.

3 الخليل: كتاب العين، 146/4.

4 الخليل: المصدر نفسه، 255/4.

مخرج الطاء والدال والتاء، ومما بين **طرف اللسان** وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد، ومما بين **طرف اللسان** وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء).[1]

جعل سيبويه "**حروف طرف اللسان**" حروفا يفسر بها علاقة الإدغام القائمة بينها قال: (اللام مع الراء نحو اشغل رحبة لقرب المخرجين ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً وقاربتها في **طرف اللسان** وهما في الشدة وجرى الصوت سواءٌ، وليس بين مخرجيهما مخرجٌ والإدغام أحسن...النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على **طرف اللسان** وهي مثلها في الشدة وذلك قولك من راشدٍ ومن رأيت وتدغم بغنةٍ وبلا غنةٍ وتدغم في اللام لأنها قريبةٌ منها على **طرف اللسان** وذلك قولك من لك فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة فتكون بمنزلة حروف اللسان وإن شئت أدغمت بغنةٍ لأن لها صوتاً من الخياشيم فترك على حاله لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيبٌ فيغلب عليه الاتفاق وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد وهما مجهوران قد حالفا سائر الحروف التي في الصوت حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى تتبين فصارتا بمنزلة اللام)[2]

فذكَر سيبويه أن اللاَّم أدغِمت في الرَّاء للمقاربَة في **طرف اللِّسان**، وأنَّ النُّون أدغِمت مع الرَّاء لقرب المخرجَين على **طرف اللِّسان**، وجعَل هذا القُرْبَ بين النُّونِ والراءِ العلَّةَ الصوتيَّةَ في إدغام النُّون في الياء؛ لأنَّه ليس مخرجٌ **من طرفِ اللِّسان** أقرب إلى مخرجِ الرَّاء من الياء، وكذلك إلى اللام؛ إذ الياءُ أقرب الحروف إليهما فساغَ لذلك إدغامُ النُّونِ في الياء.[3]

---

1 سيبويه: الكتاب 4/ 433.

2 سيبويه: الكتاب 4/ 452.

3 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 452-453.

وتعليلُ سيبويه يُعدُّ من القواعد الصَّوتيَّة المحددة للإدغامُ بسببِ قُرْبِ المُجَاوِر.[1]

ولقَّب سيبويه الحروفَ التي يَشْتَرِكُ فيها **طرفُ اللِّسان** مع الحنك والأسنان: "**حروف طرف اللِّسان**" عدَّ منها أحدَ عشر حرفاً، وهي: النُّونُ والراءُ، والطاءُ والدال والتاء، والصاد والسين والزَّاي، والظاء والذال والثاء.[2]

ولقَّب سيبويه الحروفَ التي يَشْتَرِكُ فيها طرفُ اللِّسان مع الأسنان الأماميَّة بـ: "**حروف طرف اللِّسان والثنايا**" وهي تسعةُ أحرف: الطاءُ والدالُ والتاءُ، والصَّادُ والسينُ والزَّايُ، والظاءُ والذالُ والثاء.[3]

وعند مكِّيّ (ت437هـ): **طرفُ اللِّسَان**: أسَلتُه[4] وقد ذكر أنَّه حين النطق بالراء يرتعد **طرف اللِّسان**،[5] وعند ابن الجزري هذا الجزء؛ "**رأس اللسان**.[6]

ولم يذكر القدامى أن حروف الشفة من طرف اللسان، كما توهم ذلك د/ عادل إبراهيم عبد الله قال: (وعند ابنِ دُرَيد: **حروفُ طرفِ اللِّسان**، هي الحروف الذُّلْق، وهي: اللام والنون والراء والميم والباء والفاء).[7]

---

1 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 196.

2 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 457.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 465.

4 انظر مكي: الرعاية، ص: 61.

5 انظر: مكي: المرجع نفسه، ص: 54.

6 انظر: ابن الجزري: التمهيد، ص: 43.

7 عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 197.

وهذا الذي أورده يخالف ما ورد في الجمهرة، فالراء والنون واللام من ذلق اللسان،[1] والباء والفاء والميم من الشفتين، قال ابن دريد (ت321) مفصلا مخرجي حروف الذلاقة ومشددا على عدم خروج الباء وأخواتها من اللسان: (أما المذلقة من الحروف فهي ستة ولها جنسان؛ **جنس الشفة وهي الفاء والميم والباء، لا عمل للسان في هذه الأحرف الثلاثة، وإنما عملهن في التقاء الشفتين، وأسفلهن الفاء ثم الباء ثم الميم والجنس الثاني من المذلقة بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى، وهي الراء والنون واللام)**[2] والذي حمل د/عادل إبراهيم عبد الله على توهم الباء وأخواتها من طرف اللسان، هو قول ابن دريد حاكيا مقالة للأحفش: (سمعت الأشناداني يقول: سمعت الأخفش يقول: سميت الحروف مذلقة لأن عملها في طرف اللسان وطرف كل شيء ذلقه، وهي أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها)[3] وقول الأخفش هذا يحمل على التغليب، أي غلب حروف الذلاقة التي مخرجها ذلق اللسان؛ على باقي حروفها التي من الشفة.

### 16- أسلة اللسان: Le bout ou la tête de la langue

**الأسلة** في اللغة **طرف شباة اللسان**، قال الخليل: **(وأَسَلَةُ اللِّسان: طرف شَباته**، أي: مُسْتَدقُّه وأَسَلَةُ الذِّراع: مُسْتَدقّ السّاعد ممّا يلي الكفّ)،[4] وقال: (وحَدُّ كلِّ شيءٍ: طَرَف شَباتِه كحَدِّ السِّنان والسَّيف ونحوِه)،[5] وقال: (حدُّ كل شيء: شباتُه، والجميع: شبوات)[6]

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 41/1-42.

2 ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

3 ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

4 الخليل: كتاب العين، 41/1.

5 الخليل: المصدر نفسه، 293/1.

6 الخليل: المصدر نفسه، 305/2.

من هذه النصوص يستنتج أن أسلة اللسان هي الجزء الدقيق في مقدم اللسان، أو حده ونهايته مما يلي الأسنان.

ميز الخليل بين أسلة اللسان وذلقه؛ فنسب الصاد، السين، الزاي، إلى أسلة اللسان، ونسب الراء واللام والنون إلى الذلق،[1] قال: (اعلم أنَّ الحروف الذُّلْقَ والشَّفَوِيَّةَ ستَّة وهي: ر ل ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن ***الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللَّسان*** والشفتين، وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة، منهما ***ذليقة: ر ل ن، تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم،*** وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة)[2]

من هذا النص يستنتج أن أسلة اللسان أوسع فهي تشمل الذلق؛ لأن الذلق هو طرف أو جانب أسلة اللسان، قال الخليل موضحا مخارج الحروف الأسلية والذلقية: (***والصاد والسين والزاء أسلية، لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستدَقّ طرف اللّسان،*** والطاء والتاء والدال نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة، لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة، ***والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة، لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرَفَي ذلق اللّسان***).[3]

وأفهم ضمنيا من جعله مخرج (ر، ل، ن ) من طرفي ذلق اللسان؛ أن الراء واللام والنون جانبية، وهذا ما أكده قول الخليل: (ولم ينحرفْنَ –أي الحروف اللسانية– عن ظهر اللَّسان انحراف الرَّاء واللّام والنَّون).[4]

---

1 انظر: وقاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 111.

2 الخليل: كتاب العين، 37/1.

3 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

4 الخليل: المرجع نفسه، 37/1.

ونسب ابن دُرَيد(ت321) اللام والراء والنون إلى أسلة اللسان ومقدم الغار الأعلى،[1] في حين نسب الصافرات لوسط اللسان، قال: (حروف وسط اللسان مما هو منخفض؛ السين والزاي والصاد).[2]

إن التمييز بين مخرج حروف الذلق؛ اللام والراء والنون، وبين مخرج الصافرات عند علماء المعاجم العرب ضرورة تقتضيها المنهجية؛ التي رأت أن لحروف الذلق خصائص تميز على أساسها الكلم العربي الأصيل من الدخيل.

أما النحاة فجعلوا مخرجا عاما لحروف الذلق والصافرات متمثلا في طرف اللسان، وهذا الجمع مبرر في ضوء منهجهم الذي يبحث عن تفسير لظواهر الإدغام وغيرها من الظواهر الصوتية الصرفية، فهذه الحروف تدخل في علاقة ادغامية كما حددها سيبويه في هذا النص:(ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشرة حرفاً **لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام** وكثرة موافقتها لهذه الحروف من **طرف اللسان** وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف **طرف اللسان** وحرفان خالطا حروف اللسان فلما اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام **لم يجز إلا الإدغام** ... والأحد عشر حرفاً؛ **النون والراء** والدال والتاء و**الصاد** والطاء و**الزاي والسين** والظاء والثاء والذال، واللذان خالطاها الضاد والشين لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء، وذلك قولك النعمان والرجل وكذلك سائر هذه الحروف).[3]

إن التحديد المخرجي والصفاتي للحروف عند القدامى؛ لم يتم بعيدا عن معطيات النظام اللغوي وهذه ميزة حسنة للصوتيات العربية؛ إذ أصبح للعربية قواعد هامة، على

---

1 انظر: ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

2 ابن دريد: الجمهرة، 44/1.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 457.

أساسها نفهم ميكانيزم أو طريقة اشتغال اللسان العربي، ونفسر مختلف التغيرات الصرفية – المشروطة بالسياق– الطارئة على الكلم العربي.

وعند مكّيّ (ت437هـ): **طرفُ اللِّسَان:** أسَلتُه[1] وقد ذكر أنَّه حين النطق بالراء يرتعد **طرف اللِّسان،**[2] وعند ابن الجزري هذا الجزء؛ "**رأس اللسان**".[3]

17- **الأسنان:** **Les dents**

الأسنان هي السلسلة العاجية البيضاء المثبتة بالفكين الأعلى والأسفل وتظهر للعين المجرد عند فتح الفم أو عند الضحك والابتسام، وهي قطع صغيرة صلبة منغرسة في الحافة الحرة من عظام الفكين، داخل حفر تسمى كل منها بالسِّنْخ،[4] يبدأ ظهور الأسنان عند الأطفال في الشهر السادس من عمرهم عادة، وتسمى بالأسنان اللبنية وعددها عشرون، وعندما تتساقط بالتدريج ابتداء من السنة السادسة من عمرهم تقريبا، تبرز مكانها الاسنان الدائمة وعددها اثنان وثلاثون سنا، ولا يكتمل بروز الأسنان الدائمة إلا بعد سن الثامنة عشرة.[5]

---

1 انظر مكي: الرعاية، ص: 61.

2 انظر: مكي: المرجع نفسه، ص: 54.

3 انظر: ابن الجزري: التمهيد، ص: 43.

4 وردت في كتاب: زهير الكرمي وآخرون: الأطلس العلمي فيزيولوجيا الإنسان، ص: 13، كلمة النسخ، بدلا من السنخ التي أثبتها، والنسخ كلمة لا علاقة لها بالأسنان ومنابتها وهي تعني النقل والإزالة، أما السِّنْخ وجمعها الأسناخ فتدل على أصل الشيء ومنبته، قال الخليل بن احمد: (السِّنْخُ أصل كل شيء. وسِنْخُ السكين: طرف سيلانه الداخل في النصاب. ورجع فلان إلى سِنْخه الكريم أو الخبيث. **وأَسْناخُ الثنايا: أصولها**. وسِنْخُ الكلمة: أصل بنائها) الخليل: كتاب العين، 282/2-283.

5 انظر: زهير الكرمي وآخرون: الأطلس العلمي فيزيولوجيا الإنسان، ص: 13، عبد الحميد قدوع الأصبعي : الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين، ص:29.

والأسنان من أعضاء النطق الثابتة غير المتحركة، ومعنى هذا أن لا حركة ذاتية لها وبهذا التحديد يندفع الوهم الناتج عن الربط بين حركة الفك السفلي والأسنان السفلي؛ وعليه لا يحسن أن توصف الأسنان السفلي بأنها متحركة، تمييزا لها عن الإنسان العليا وهي مطلقة الثبوت لثبات الفك الأعلى.

والأسنان اثنانِ وثلاثون سناً، فصَّلَتْها العربُ بأسماء مختلفة، قال ابن فارس (ت395هـ): (وأما الأسنان فأربع ثنايا وأربع رباعيات وأربع أنياب، وأربع ضواحك واثني عشر رحى ثلاث في كل شق وأربع نواجذ وهي في أقصاها).[1]

استعمَل المتقدِّمون أجزاءَ الأسنانِ في تعيين المخارجِ وحدودها، أمَّا عند أصحاب الدَّرس الصوتيِّ المعاصر فالغالِبُ عليهم استعمالُ لفظِ: "**الأسنان**" دون أجزائها.[2]

ومن المعروف أن الدرد –سقوط الأسنان الكلي أو الجزئي– يؤدي إلى إخلال في بنى بعض عضلات الفم؛ فيعلوا جراء ذلك اللسان ويتمدد الخدان –كي يقتربا ليعدلا فقدان الارتفاع الناجم عن سقوط الأسنان– وقد يؤدي ذلك إلى أن يقوم اللسان والشفتان بحركات عشوائية دائمة التأرجح.

وفي حالة الدرد يتغير حجم حجرة الرنين الفموية؛ وهذا يؤدي إلى تغييرات متعددة في الطبيعة النطقية للأصوات اللغوية، ولئن كان الدرد الجزئي مؤثرا تأثيرا بالغا على سلامة النطق، فإن الدرد الكلي أخف ضررا؛ وذلك أن الفم عند سقوط جميع الأسنان يطور عادات نطقية بصورة أسرع مما هي عليه عند سقوط بعض الأسنان دون بعض، وكذلك فإن اللسان يتخذ أوضاعه اللازمة لإنتاج الكلام، بصورة أيسر عند سقوط كل الأسنان منها عند سقوط

---

1 ابن فارس: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، ص: 17.

2 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 201.

بعضها،[1] وإن كان هذا من منجزات العلم الحديث في مجالي الأصوات وجراحة الأسنان، فإنه من الطريف أن يحدثنا العلامة أبو عثمان الجاحظ (ت250هـ) عن الدرد بنوعيه، كما يقدم لنا تفسيرا عن النشاز الذي يصيب النطق جراء الدرد الجزئي، ويرجعه إلى عدم التوازي –في عدد الأسنان وترتيبها وتوزيعها على كل فك– في غرفة الرنين الفموية، قال: (قد صحت تجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان؛ أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الآخر، وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم وبعد أن بقي منها الثلث والربع...وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه، ولم يمر في هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة فمه، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل... وضرب الذين زعموا أن ذهاب جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين في ذلك فقالوا: الحمام المقصوص جناحاه جميعا أجدر أن يطير من الذي يكون جناحاه أحدهما وافرا والآخر مقصوصا؛ قالوا: علة ذلك التعديل والاستواء، وإذا لم يكن ذلك كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يجدف ولم يطر).[2]

وتعد الأسنان من الأعضاء المنظمة لنطق بعض الأصوات؛ ومن ثمة فإن أي عيب في نظمها الطبيعي ولاسيما الأسنان الأمامية من حيث وضعها والمسافة بين كل منها وكذا عددها، يؤثر سلبا على كيفية الأصوات المنطوقة؛ حيث تؤدي هذه العيوب –في بعض الحالات– إلى نطق أصوات ناقصة أو معيبة Défective.[3]

---

1 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 37–42.

2 أبي عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، دون ذكر للطبعة 58/1 وما بعدها.

3 انظر: يد الله ثمرة: الصوتيات واللغة الفارسية، ص: 64.

- **الوظائف النطقية للأسنان:**

تقوم الأسنان بعدة وظائف نطقية؛ فثمة أصوات لا يتم نطقها بصورة صحيحة في حال عدم وجود الأسنان مثلما يتم نطقها مع وجود الأسنان، وفي هذا دليل على أن النطق ليس وظيفة ثانوية تقوم بها أعضاء النطق؛ فاقتراب القاطعتان الأماميتان مثلا: له تأثيرا ملحوظ على نطق الأصوات الصفيرية؛ فإذا كان الاقتراب بين القاطعتين شديدا كانت الأصوات الصفيرية الناتجة أقل وضوحا مما لو كانت بين القاطعين فسحة؛ فالفسحة الموجودة بين القواطع غاية في الأهمية لنطق الأصوات الصفيرية Les sons sifflantes نطقا صحيحا، ويمكن التأكد من ذلك بوضع أحد أطراف الأصابع بين القاطعتين الأماميتين، لسد الفرجة الموجودة بينهما ثم النطق بأحد أصوات الصفير: سين، صاد، زاي، فإنها لن تخرج كما لو نطقت على غير ذلك الحال؛ لأن سد الفسحة من شأنه أن يسد المنفذ المباشر لهواء هذه الأصوات وبذلك ينتشر الهواء ويتوزع على الجوانب، ومع توزعه وانتشاره تخف حدته وتوتره، الأمر الذي يؤدي إلى أن تخف صفيرية هذه الأصوات إلى حد كبير.[1]

ولاحظ الجاحظ أهمية القواطع في سلامة النطق قال: (لو عرف الزنجي فرط حاجاته إلى ***ثناياه*** في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان، لما نزع ***ثناياه*** ...وقال خلاد بن يزيد الأرقط: خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام، وكان في كلامه ***صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة***، فأجابه زيد بن علي بن الحسن بكلام في جودة كلامه؛ إلا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير، فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد لسلامة أسنانه فقال في كلمة له:

قلت قوادحها وتم عديدها *** فله بذلك مزية لا تنكر).[2]

---

1 انظر: سمير شريف استيتية: الاصوات اللغوية، ص: 38/37.

2 الجاحظ: البيان والتبيين، 58/1-59 والقادح أكال يقع في الأسنان، نفسه: 59/1.

وقد لاحظ سيبويه أنَّ حروف النفخ –النَّفَسِيَّة– التالية؛ الضَّاد والزايَ والظاء والذال تَجِدُ المَنْفَذَ لصوتِها ونفخها من **بين الثنايا**،[1] ووصف السين والشين بالانسلال من بين الثنايا، قال في باب اطراد الإبدال في الفارسية، واضعا بعض قواعد تعريب الأعجمي: (وأما ما لا يطرد فيه البدل فالحرف الذي هو من حروف العرب نحو سين سراويل وعين إسماعيل أبدلوا للتغيير الذي قد لزم فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالإضافة فأبدلوا من **الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا** وأبدلوا من الهمزة العين لأنها أشبه الحروف بالهمزة).[2]

وقد استَعمل العرب الأضراس في وصف الأصوات مما لا نجد له مثيلا في درسنا الحديث، ويرجع أقدم استعمال إلى الخليل بن أحمد (ت175هـ) حين وصف الضاد، قائلا: (ثم الضاد وهي حافِيَّة؛ لأنها من حافة اللسان وما يليها من الأضراس).[3]

وقد ذكر سيبويه(ت185هـ) "**الأضراس**" كجزءٍ مشارك مع حافة اللِّسان في وصف مخرج الضاد، قال: (ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد)[4] ولاحظ أنَّ الضادَ تجِدُ المَنْفَذَ لِصَوْتِها مِن بَين **الأضراس**.[5]

واستعمل ابنِ دُرَيد (ت321هـ) "**أصول الأضراس**" كجزءٍ مشاركٍ مع أصول الثنايا وجَانب اللِّسان، في التعبير عن مخرج الصاد والسين والزاي، قال: (ثم السنين والصاد والزاي، من أصول الأضراس إلى أصول الثنايا العليا).[6]

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 174.

2 سيبويه: الكتاب 4/ 306.

3 ورد في رواية الليث لمقدمة كتاب العين التي أثبتها أبي حيان الأندلسي في: تذكرة النحاة، ص: 27.

4 سيبويه: الكتاب 4/ 433.

5 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 174.

6 ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

وذكَر ابنُ جنيّ أنَّ الأضراسَ العُلْيا والسُّفْلَى تشاركُ في مخرجِ الياء، قال: (أمَّا الياءُ فتَجِدُ معها **الأضراسَ سُفْلاً وعُلْواً** قد اكْتَنَفَتْ جَنْبَتَي اللِّسان وضَغَطَتْهُ...).[1]

ونظرا لأهمية الأسنان البالغة في عملية النطق، فقد اعتنى العرب في القديم بإصلاحها وتسديدها ووضع الحشوات فيها،[2] فقد روى لنا الجاحظ أن العرب في عصره أولعوا بشد أسنانهم ليبين كلامهم؛ وهذا يعكس مدى وعيهم بأهمية الأسنان اللغوية، قال: (وقال أبو حسن المدائني: لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال: لو لا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت).[3]

للأسنان وظائف مهمة في نطق بعض الأصوات اللغوية، فقد يعتمد عليها اللسان لنطق أصوات: الدال والتاء والطاء، كما تلتقي الأسنان السفلي بالشفة العليا لنطق صوت الفاء.[4]

وقد لوحظ أن بعض الأشخاص يعتمدون ذلق اللسان وأسنانهم السفلى، بدلا من العليا في نطق أصوات الصفير الثلاث: (س، ص،ز)،[5] وقد نص عثمان بن سليمان (ت1382هـ) على أن مخرج أصوات الصفير الثلاثة، هو الأسنان السفلى وذلك في تجويد القرآن الكريم إذ يقول:

والصاد والسين وزاي تجلى *** منه ومن فوق الثنايا السفلى[6]

---

1 ابن جني: سر صناعة الإعراب 1/ 30.

2 انظر: أوتوشييس: طب الأسنان عند العرب، صحيفة معهد الدراسات في مدريد، مج 14/1967-1968، ص: 212.

3 الجاحظ: البيان والتبيين، 60/1.

4 انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات الغوية، ص: 46، وكمال بشر: علم الأصوات، ص: 141.

5 انظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة القارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2/1998، ص: 146

6 عثمان بن سليمان مراد علي آغا: السلسبيل الشافي، ص: 11.

18- **الشفتان**: **les lèvres**

الشفة لغة من الشفو؛ وشفا كل شيء حده وحرفه ومنتهاه وجمعه شُفِيّ وأشفاء وشفاه ،[1] ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ آل عمران 103 والشفتان هما حد الفم من الخارج ومنتهاه.

تنبه قدامى الصوتيين العرب لأهمية الشفتين في إنتاج الأصوات اللغوية؛ بدءا بالمرحلة الجنينية لظهور النحو أو علم العربية، هذا ما نلمسه عند أبي الأسود الدولي (ت68هـ) في النص الذي صور لنا فيه ببراعة مختلف الحركات العضوية الأفقية والعمومية للشفتين المصاحبة لإنتاج الصوائت الثلاث قال: (إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فأجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة فأجعل مكان النقطة نقطتين).[2]

من هذا النص نفهم سبب تسمية الحركات القصيرة بالفتحة والضمة والكسرة؛ وذلك منظور فيه لعمل الشفتين، التي كنى عنها أبي الأسود الدؤلي بلفظ الفم. مستعملا ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث منهج الملاحظة.

---

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 344/2.

2 السيرافي: أخبار النحويين البصريّين، ص: 12.

وربما أثر هذا في الخليل الذي استعمل لفظ الفم كناية عن الشفتين في وصفه نطق الميم[1] واستعمل مصطلحات الفتحة والضمة والكسرة في ثنايا كتاب العين، وسيأتي بيان ذلك في الفصول القادمة إن شاء اللهّ.

ولقَّب الخليلُ الفاء والباء والميم من الحروف الصَّحيحةِ بـ: "**الشَّفَهِيَّة**"[2] و"**الشَّفَوِيَّة**"، ونبَّه أنَّ الشفتَين لا تَعمَلُ في غير هذه الثلاثة من الصِّحاح، قال: (وثلاثةٌ **شَفَوِيَّة: (**ف ب م)، مخرجُها مِن بَين الشَّفَتَين خَاصَّةً، لا تَعْمَلُ الشَّفتان في شَيءٍ من الحُرُوفِ الصَّحَاحِ إلاَّ في هذه الأحرفِ الثلاثةِ فقط).[3]

ووصف الفاء بالشفوية ووضعها مع الباء والميم، ليس بالضرورة أن الخليل لم يدرك الدور الذي تقوم به الأسنان عند إنتاج صوت الفاء، بل لأن الخليل جمع الأصوات في مجاميع سماها الأحياز، كل حيز يضم مجموعة من الحروف وفق خصائص الائتلاف والتنافر أو وفق الخصائص المعجمية للحروف –سيفصل البحث هذه المسائل في الفصول القادمة– فالفاء شفوية أي أنها من مخرج الشفاه لا من عضو الشفتين، فهذا التحديد فونولوجي يراعي إمكانية تجميع الأصوات في مخارج وفق رؤية محددة.

---

1 قال واصفا كيفية إنتاج صوت الميم: (قال اللَّيثُ:"وكان الخليلُ يسمِّي الميمَ: مُطْبِقةً؛ لأنها تُطْبِقُ **الفمَ** إذا نُطِق بها)، الخليل: كتاب العين، 42/1

2 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 42/1.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1. وبإعمال مفهوم المخالفة، نجد أن هذا النص يعكس تنبه الخليل لدور الشفتين في إنتاج حروف اللين والحركات لأنه قيد عمل الشفتين مع الحروف الشفوية في إطار الحروف الصحاح، وهذا يعني أن للشفتين دور مع حروف الجوف التي لا يعنيها هذا الحكم.

أما الوصف القائل بأن الفاء شفوية أسنانية ففسيولوجي يراعي التحديد التشريحي للعضو، وهذا هو الفارق بين عمل الخليل وأعمال من تلوه من العلماء –من الذين لم يراعوا نظريته– إلى اليوم.

وهذا يشير إلى أن المخارج في منهجية الخليل تم تحديدها فونولوجيا –وظيفيا– بحسب إمكانات تجميع الأصوات وفق خصائصها داخل أبنية كلام العرب، فعلى سبيل المثال قام الخليل بن أحمد بجمع ستة أصوات بعضها من مخرج اللثة وبعضها من مخرج الشفاه؛ وهي أصوات الذلاقة: ل، ر، ن، ف، ب، م، والذي سوغ للخليل جمعها تحت مصطلح واحد هو خصائصها الفونولوجية الصرفية، إذ لا يعرى بناء عربي ما فوق الثلاثي من هذه الأصوات إلا نادرا، وهذا هو السبب الذي جعل الخليل يعد صوت الفاء شفويا؛ لأن للفاء خصائص الميم والباء الفونولوجية الصرفية (واللام والنون والراء كذلك) –كما أشير إليه أعلاه، والدليل على أن الخليل واع تمام الوعي بما قام به تجاه صوت الفاء وغيره، وأنه مدركلدور الأسنان في إنتاج صوت الفاء، هو وصفه لها بأنها شفوية أسنانية في رواية النظر بن شميل لمقدمة كتاب العين التي أثبتها أبو حيان الأندلسي، قال: (الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا، ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين).[1]

وقد ربط العلماء العرب بين أصوات الشفتين ومدى العلاقة بين النمو الجسمي وتطور اللغة عند الإنسان، فقد ذكَر الجاحظُ أنَّ الميمَ والباءَ أوَّلُ حرفين ينطقُهما الطِّفلُ؛ لسهوله ملاحظة عملهما، قال:(والميمُ والباءُ أوَّلُ ما يَتَهَيَّأُ في أفواهِ الأطفال، كقَولِهِمْ: مَامَا وبَابَا؛ لأنهما خَارِجَان مِن عَمَلِ اللِّسَانِ، وإنَّما يَظْهَرَانِ **بالتقاءِ الشَّفَتَين**).[2]

1 أبي حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 30.

2 الجاحظ: البيان والتبيين 1/ 62.

ويرى العلماء المحدثون أن الأصوات الشفوية أولى الأصوات ظهورا في النظام الصوتي عند الطفل ويرجعون ذلك للمرونة العالية للشفتين جراء عملية لقم الثدي.[1] ويمكن اضافة عوامل أخرى.

1- سهولة ملاحظة الطفل لعمل الشفتين في أثناء كلام الكبار
2- المرونة العالية التي تتمتع بهما الشفتان بأصل الخِلْقَة.
3- كثرة سماع هذه الأصوات، فقد تنبه الخليل بن أحمد إلى أن حيز أصوات الذلاقة (م، ب، ف، ل، ر، ن) كثير التردد في أبنية الكلم العربي،[2] وسبب ذلك كما يقول الخليل سهولة نطقها، وقد جعل ورود صوت **ذليق** على الأقل في بناء الرباعي وما فوقه دليلا على أصالة الكلمة في العربية[3] –وسنوسع هذه القضية دراسة في الفصول القادمة– والأصوات الشفوية واحد على الأقل لا تخلوا منها أكثر اللغات المعروفة حتى اليوم،وهذه تعد من العالميات اللغوية.[4]

وقد بلغ اهتمام العرب بحركات الشفتين مبلغا ذا شأن؛ فسجلوا حركاتهما حتى فيما لا يغير طابع الصوت من الناحيتين الفونولوجية والفوناتيكية، وقد سموا هذه الحركة بالروم وفرقوا بينها وبين الإشمام فالروم presque voyelle/voyelle muette، حركة مرئية لا مسموعة؛ لأنها تتم بعد تمام النطق بالصوت، أما الإشمام mixte/soupçon de voyelle

1 انظر: احمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص: 104بتصرف.

2 قد تكون بعض الأصوات عالية التردد، بما يفوق تردد بعض أصوات الذلاقة، وبحسب إحصاء خاض قمت به لاحظت أن الهاء مثلا بلغ ترددها في القرآن الكريم (رواية حفص) 14966 مرة، وبذلك احتلت المرتبة الرابعة ضمن مجموعة الحروف الصحيحة حسب التصنيف الخليلي، بعد اللام 38758 والنون 27421 والميم 27110، ولكنه كان متفوقا على باقي حروف الذلاقة (ر، ف، ب)، وهذا يدل دلالة واضحة، أن كثرة التردد تتعلق بمجموع تكرار أصوات الحيز ككل، حيث أن معدل تكرار حروف الذلاقة احتل نسبة 60.62% من مجموع تكرار أحياز الحر وف الصحيحة في القرآن الكريم الذي بلغ 126348 مروة، ثم يأتي حيز الحلق تاليا لحيز حروف الذلاقة بمعدل تكرار15.59%، فرغم أن صوت الهاء كان تكراره أعلى من بعض أصوات حيز الذلاقة. إلا أن هذا لم يؤهله كي يكون ضمن حروف الذلاقة. لأنه ليس للهاء أي دور في تمييز الكلم العربي ذي الأصل الرباعي والخماسي، من الكلام الأعجمي.

3 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

4 انظر: محمود احمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 147–150.

voyelle فهو حركة مسموعة مرئية.[1] واستعمل الخليل مصطلح الإشمام بمعنى الاختلاس voyelle Incomplète[2] عند الوقف قال: (والإشمام أن تشم الحرف الساكن حرفاً كقولك

---

1 هناك خلاف لفظي بين الكوفيين والبصريين، فالكوفيون يلقبون ما سماه البصريون روما إشماما وما سموه إشماما روما، فابن كيسان ومن وافقه من الكوفيين ترجموا عن الإشمام بالروم وعن الروم بالإشمام؛ واحتجوا عن ذلك بالاشتقاق فقالوا في المعروف من كلامهم: إنك إن قلت رمت الشيء فمعناه أنك رمته ولم تصل إليه وإذا قلت أشتمت الفضة والذهب فمعناه أنك خلطتها بشيء منه، انظر: أبو عبد الودود مصطفى بن بلقاسم شاب الله: السيل العرم العوام في تجويد كلام الله العلام بطريق الأئمة الأعلام، منشورات زاوية إسماعيل جوامع، ط2، ص: 201، وعلى القول الأخير يتعين ترجمة مصطلح الإشمام بـ soupçon de voyelle أو mixte voyelle، ويتعين كذلك ترجمة مصطلح روم بـ voyelle muette أو presque voyelle، وتعكس هذه الترجمة على القول الأول؛ الذي يرى أن الإشمام حركة مرئية فقط والروم حركة مسموعة، وهي أن تعير الحركة أو الحرف رائحة (=بعض صفات) غيره من الحركات والحروف، وقد ترجم الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي؛ مصطلح الإشمام ( على أنه حركة مرئية غير مسموعة) بـ soupçon de voyelle، كما استعمل نفس المصطلح المترجم للدلالة على للإشمام بمعنى إعارة الحركة أو الحرف رائحة (=بعض صفات) غيره وهو بهذا جعل مصطلح soupçon de voyelle يدل على مفهومين مختلفين؛ الأول مفهوم الإشمام والثاني مفهوم الروم كما ذكر أعلاه، وقد علم في فن المصطلح أن يجعل في علم من العلوم، لكل مصطلح مفهوما محددا لا يتعداه إلى غيره؛ أمنا من اللبس في الدلالة والاستعمال، وعليه لا يصح أن نجعل لمفهومين مختلفين مصطلحا واحدا.

2 يقابل مصطلح: الحركة المختلسة La voyelle Incomplète، الحركة الكاملة La voyelle accomplie، والحركة المختلسة هي فاريفون للحركة الكاملة التي من جنسها، وعليه تتقابل الحركة المختلسة فونولوجيا –وظيفيا–مع الحركة الطويلة التي من جنسها. ومعنى أن الحركة المختلسة فاريفونا أو صوتا سياقيا حرا، أن لقارء القرآن أن يأتي بها في سياق الوقف أو لا يأتي بها، وليس للاختلاس سياق معين يوجبه دون الوقف بالسكون، فكل سياق يحوز فيه الاختلاس يحوز فيه السكون. والفاريفونVari phone هو كل صوت قابل للتبادل مع صوت آخر أو مجموعة من الأصوات دون أن يكون لهذا التبادل أي أثر على المعنى، كما لا يكون هذا التبادل مشروطا بسياق معين(انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 263.)، وهذا القيد الأخير غاية في الأهمية، للتفريق بين الفاريفون والألوفون؛ إذ هذا الأخير مشروط بسياق يرد فيه، مثال ذلك: فونيم النون في اللغة العربية، إذ تتعدد صوره –ألفوناته –النطقية بحسب ما يجاوره من أصوات–أي بحسب السياق الذي يظهر فيه –فالنون الساكنة تنطق لثوية قبل أصوات الحلق الستة: ( ء، هـ، ع، ح، غ، خ )( انظر: إبراهيم محمد نجا: التجويد و الأصوات، دار الحديث القاهرة 2006–8، ص: 105–106–107) وتعرف هذه الظاهرة في علم التجويد بالإظهار، و تنطق شفوية قبل صوت شفوي كالباء – تعرف هذه الظاهرة بالاقلاب – كما تتحول النون الساكنة إلى مخرج الصوت الذي يليها –تعرف هذه الظاهرة بالإخفاء–وذلك إذا تلاها أحد الأصوات التالية: (ق، ك، ض، ج، ص، ز، س، ش، د، ط، ت، ذ، ث، ظ، ف )( انظر: أبو عبد الودود مصطفى بن بلقاسم: السيل العرم العوام في تجويد نلام الله العلام، ص:57–58) ولا يمكن للناطق العربي أن ينطق النون مظهرة قبل أصوات الإخفاء ولا قبل أصوات الشفاه والعكس صحيح (انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص: 92بتصرف)، لذا فصوت النون الشفوي وأصوات النون المخفاة...الخ، هم ألوفوناتلفونيم النون وليسوا فاريفونات، ومن أمثلة الفاريفون في العربية: نطق الهمزة؛ فهي تؤدى بطرق مختلفة إما مسهلة وإما محققة وإما بين بين(انظر: عبد الكريم بورنان: الإبدال في اللغة العربية دراسة صوتية، ص: 99–100، و التهالالزيدي: علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة 2005، ص: 67إلى 73) وللمتكلم أن يستعمل هذا التنوع دون أي قيد.

في الضمة؛ هذا العمل وتسكت، فتجد في فيك اشماماً للام لم يبلغ أن يكون واواً، ولا حريكاً يعتد به، ولكن شمة من ضمة خفيفة، ويجوز ذلك في الكسر والفتح أيضا).[1]

قال أبو الحسن الحصري (ت 488هـ)

يرى رومنا والعمي تسمع صوته *** وإشمامنا مثل الإشارة بالشفر[2]

وقال العلامة محمد بن أبي بكر المرعشي: (الإشمام أن تضم شفتيك بعد الإسكان إشارة إلى الضم وتترك بينهما بعض الانفراج ليخرج النفس فيراهما المخاطب مضمومتين؛ فيعلم أنك أردت بضمهما الإشارة إلى حركة الآخر قبل الوقف، فهو شيء يخص بإدراكه العين دون الأذن؛ هو ليس بصوت يسمع وإنما هو تحريك عضو فلا يدركه الأعمى، والروم لا يدركه الأصم).[3]

والروم حركة تخص المضموم دون غيره من الالفاظ، وقد علل السرَّاج (ت316هـ) ذلك بقوله –مستعملا مصطلح الروم بمعنى الاشمام–: (إنَّما لم يكن الإشمامُ في النَّصب

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 357/2، والدليل على ان مصطلح الإشمام عند الخليل هو الاختلاس عند القراء، وسماه الداني روما، قال: (والروم أتم من الإشمام، لأنه تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، فيسمع لها صوت خفي يدرك معرفته الأعمى بحاسة سمعه، ويستعمل في الحركات الثلاث، إلا أن عادة القراء أن لا يرووا المنصوب والمفتوح لخفتهما وسرعة ظهورهما إذا حاول الإنسان الإتيان ببعضهما فيبدو الإشباع لذلك) التحديد، ص: 169، وظاهر أنه جعل الاشمام شاملا للمضموم والمفتوح والمكسور، وما عرف عند النحاة بالإشمام –إشراب الصوت الصائت صفة صوت آخر– لا يكون في شيئ من الفتح والكسر، وقد علل السرَّاج ذلك بقوله –وقد سمى الروم إشماما–: (إنَّما لم يكن الإشمامُ في النَّصب والجَرّ عند الوقف؛ لأنَّه لا آلةَ للألف والياء يُمْكِنُ فيها ذلك، بينما **للمَرفوعِ آلةٌ، وهي الشفتان**)، الدانيُّ: جامع البيان 3/ 949–950.

2–أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري: القصيدة في قراءة الإمام نافع، تح: توفيق بن أحمد العبقري، مكتبة أولاد الشيخ، ط2002/1، ص: 120.

3 محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 139.

والجَرِّ عند الوقف؛ لأنَّه لا آلةَ للألف والياء يُمْكِنُ فيها ذلك، بينما **للمَرفوعِ آلةٌ، وهي الشفتان.**[1]

والعلة الفيزيائية في سماع صوت حركة الروم هو أن تدوير الشفتين في أثناء النطق من شأنه أن يضيف تجويفا رنينيا آخر للهواء في الجزء الأمامي من جهاز النطق؛ له بعض الترددات الخاصة به وهو ما يؤدي إلى تضخيم بعض الترددات دون أخرى وبسبب هذه الآثار الطيفية السمعية للشفتين، فإنه بإمكاننا سماع الأثر الأكوستيكي الناجم عن تدويرهما حتى دون أن نرى المتكلم، أو عندما نتحدث مع إنسان سعيد في الهاتف فإننا نكاد نسمع حرفيا بسمته.[2]

أما حركة الإشمام فلا أثر أكوستيكي للشفتين في أثناء أدائها؛ وذلك راجع لكون تدوير الشفتين تم بعد نطق الصوت ساكنا والتمام منه، قال العلامة المرعشي: (الإشمام أن تضم شفتين بعد الإسكان إشارة إلى الضم).[3]

وقال الشيخ محمود خليل الحصري: (هو –أي الإشمام– ضم الشفتين بلا صوت عقب إسكان الحرف إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة، ويؤخذ من هذا أنه لا بد من اتصال الشفتين بإسكان الحرف من غير تراخ، فلو تراخى فإسكان مجرد).[4]

وبما أن حركة الإشمام voyelle muette لا تسمع؛ فهذا يعني أن تدوير الشفتين فيه ليس له قيمة فونولوجية –أي لا يؤثر على المعنى –ولا قيمة فوناتيكية –أي لا أثر أكوستيكي لهما يمكن أن تلتقطه الأذن أو آلات التسجيل الصوتية –لهذا يرى د/ سمير

---

1 انظر: الدانيُّ: جامع البيان، 3/ 949–950.

2 انظر: ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار المريخ 2000، ص: 213–214 بتصرف.

3 محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 139.

4 محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، مكتبة السنة، ط1/2002، ص: 203.

شريف استيتية أن هذه الحركة ما هي إلا عادة اجتماعية، شأنها شأن العادات الاجتماعية الأخرى التي تصاحب الكلام[1]– كتحريك الرأس يمينا وشمالا للدلالة على الرفض في أثناء قول القائل: لا لا، في لهجتي المحلية– ولهذا أرى أن يتم دراسة هذه الحركة –إلى جانب دراستها في علم التجويد – ضمن بحوث علم الحركة الجسمية.

- **تشريح الشفتين:**

هما ثنيتان لحميتان تغطيان عند انطباقهما الفم، يحتويان على عدد الأوعية الدموية والأعصاب والغدد بالإضافة إلى النسيج الضام، والأجزاء الخارجية من الشفتين مبطنة بجلد يندمج عند خط الالتحام الأحمر مع الأغشية المخاطية الداخلية.[2]

أما الأجزاء الباطنية فتتميز بوجود غشاء رطب رقيق، تتضام تحته مجموعة من الخلايا ضمن نسيج واحد يسمى النسيج الضام Tissu conjonctif وهو الذي يساعد الشفتين على أداء الحركات اللازمة للوظائف النطقية وغيرها من الوظائف الحيوية الأخرى.[3]

تمتد الأوعية الدموية إلى الجزء الباطن من الشفة؛ لتضفي عليه اللون الأحمر ويمتاز هذا الجزء من الشفة بالحساسية الشديدة، لأن النهايات العصبية Terminaisons nerveuses تقترب كثيرا من النسيج الضام، وهذا من شأنه أن يجعل الشفتين شديدي الطواعية لداعي الحركة المستمرة التي تصاحب بعض الأصوات اللغوية؛ كالواو والشين وحركة الإشمام في بعض القراءات القرآنية –وسيأتي بيان ذلك– والشفتان ترتبطان بعدد كبير من العضلات التي تنتمي إلى مجموعة عضلات الوجه التعبيرية؛ وهي عضلات ذات أهمية

---

1 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 24–25.

2 انظر سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص: 140.

3 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص 19–20.

كبيرة في التعبير عن الانفعالات، وتستخدم على أوسع نطاق في التمثيل والخطابة والإلقاء، كما أنها قد تكفي وحدها أحيانا بنشاطها التعبيري؛ فتقوم مقام الكلام المنطوق المسموع.[1]

لاحظ العلماء العرب القدامى خاصية المطاوعة لمختلف الحركات النطقية وغبر النطقية[2] للشفتين حيث سماهما ابن سينا بـ: "الجِرمَين اللَّيِّنَين"،[3] وهذا المصطلح يعكس أهم الخواص فيهما.

تنقسم كل واحدة من الشفتين في الدرس الحديث إلى حقلين deux zones: الأول داخلي ويسمى باطن الشفة والثاني خارجي ويسمى ظاهر الشفة، وما ينسب إلى الحقل الأول من الأصوات يسمى شفويا داخليا endo labiale، وما ينسب إلى الحقل الخارجي يسمى شفويا خارجيا exo labiale. [4]

جرى التقسيم عند القدامى إلى ثلاثة حقول هي: الداخلي والخارجي والوسطي médo labiale قال العلامة محمد بن أبي بكر المرعشي (1150هـ): (ولعل وجه الترتيب هنا، أن لكل من الشفتين طرفين: طرف منه داخل الفم والآخر يلي البشرة فالمطبق في الباء طرفاهما اللذان يليان داخلي الفم، والمنضم في الواو طرفاهما اللذان يليان البشرة والمنطبق في الميم وسطها؛ فآخر المخارج ما يلي البشرة من الشفتين).[5]

---

1 انظر سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص 140، وسمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 19-20.

2 كالضحك والتقبيل ومص الأشياء... الخ.

3 انظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 125.

4 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 18.

5 محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ، ص 32-33.

## 19- **الأنف والخيشوم:** **Le nez et les narines**

ومن وظائفه أنَّه استُعمِل في تقطيع الحروف وإخراج الأصوات، قال ابنُ سينا بعدَ ذِكْر وَظَائفِ الأنف الحيوية من الاستنشاقِ، وترطيبِ الهَوَاءِ: (وأمَّا الثانيةُ فإنَّه يُعينُ في تَقْطِيعِ الحُرُوفِ، وتَسهيلِ إخراجِها في التقْطِيعِ، لئلاَّ يَزْدَحِمَ الهواءُ كلُّه عند المواضعِ التي يُحَاوَلُ فيها تقطِيعُ الحُرُوفِ بمِقْدَارٍ، فهاتان مَنفَعَتان في واحدةٍ. ونظيرُ ما يفعلُه الأنف في تقدير هواءِ الحروفِ هو ما يفعلُه الثُّقبُ المَثْقُوبُ مُطْلَقاً إلى خَلْفِ المِزمار[1] فلا يتعرَّضُ له بالسَّدِّ أي الأنف).[2]

عرف ابنِ دُريدٍ الخيشوم، قال: (لأنَّ الغُنَّةَ صوتٌ مِن أصواتِ **الخَيشوم، والخَيْشُومُ** مُرَكَّبٌ فَوقَ الغَارِ الأعْلَى، وإليه يَسْمُو هذا الصَّوت).[3]

- **استعمال الأنف والخيشوم عند علماء الأصوات القدامى:**

استعمل الخليل الخيشوم **les narines** لتعيين الغنة والخنة وهما صوتان من الأنف قال: (نَخَرَ الحِمارُ بأنفِه نخيراً، أي: مدَّ نفَسَهُ في **الخَياشيمِ** كأنَّهُ نَغْمَةُ خَاءٍ مُضْطَرِبةٍ)[4] ويظهر لي أنه يقصد بنغمة الخاء المضطربة؛ خلخلة[5] أو شدة اضطراب الهواء

---

1 المزمار هو آلة موسيقية نفخية، عادة ما يشبه بها اللغويون جهاز النطق، وهي تحوي على سبعة ثقوب؛ السابع من الأسفل إلى أقرب مكان من الفم، وباقي الثقوب من الأعلى، ووظيفة هذا الثقب السفلي جعل الهواء يضطرب لإنتاج اللحن، ولا يتأتى هذا إلا بسده جيدا بإصبع الإبهام (انظر: عبد الحميد مشعلا: دراسة الناي بالطريقة العلمية، ديوان المطبوعات الجامعية1984، ص: 19)، وكلام ابن سينا واضح، فالأنف يخرج الأصوات الأنفية وسد الأنف بالزكام أو الالتهاب يفسد الكلام.

2 ابن سينا: القانون في الطب، 46/1.

3 ابن دريد: الجمهرة، 45/1.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 203/4.

5 هناك نوعان من الأصوات المهموسة، الأصوات المهموسة المخلخلة turbulent والأصوات المهموسة المنسابة، وتتراوح سرعة الهواء عند إنتاج النوع الأول من الأصوات بين 200-300سم3/ث غالبا، وقد تزيد أحيانا حتى تصل إلى نحو 1000سم3/ث، كما هو الحال في الأصوات المهموسة النفسية التالية $p^h$, $t^h$, $k^h$، أما سرعة الهواء عند إنتاج النوع الثاني من الأصوات المهموسة الضعيفة أو المنسابة، فتقل عن 200 سم3/ث، كما هو الحال في الأصوات [f, s, Š]، انظر:=

المنتج للخاء، فحين نطق الخاء ساكنة كنطقنا للراء اللهوية الباريسية[1] أو بالخرخرة –كخرخرة الماء في الجوف– يخيل للناطق أنها مجهورة بسبب احتكاك الهواء واضطرابه عند المخرج.

وقال: (خن: خَنَّتِ المرأةُ تخنُّ خَنيناً وهو دونَ الانتحابِ من البُكاء، والخَنْخَنَةُ: ألا يُبَيّنَ الكلام فيُخَنُخِنُ في **خَياشيمه**، قال:

خَنْخَنَ لي في قوله ساعةً *** وقال لي شيئاً لم أسمعِ

والخُنانُ: داء يأخُذ الطير في حلوقها، فيقال: طير مَخْنونٌ، والخُنانُ في الإبل كالزُّكامِ في الناس[2] فيقال: خن البعير فهو مَخْنونٌ، والخُنَّةُ كالغُنَّة كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم،[3] يقال: امرأة خنّاء وغَنّاء، وفيها مَخَنَّة أي: خُنّة، والمِخَنُّ: الرَّجلُ الطويل في اعتذالٍ، والخَنِينُ: الضَّحِكُ، إذا اظهرته فخرج جافياً، يقال: خنَّ يَخِنُّ خنيناً، فإذا خرج رقيقاً. فهو الرَّنينُ فإذا أخفاه فهو الهَنِينُ).[4]

---

=سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 102. والأصوات النفسية في العربية هي: : الزاي والظاء والذال والضاد، والتاء والكاف، وسماها القدامى الحروف التي يتبعها نحو النفخ، انظر: ابن جني سر صناعة الإعراب، 1 / 85–86، و أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 252، و محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 42، و سلطان مزاحي: رسالة الشيخ سلطان مزاحي في أجوبة المسائل العشرين، 44، وللأصوات النفسية القصية في اللغة العربية علاقة وطيدة بقانون غريم وقانون انحلال الأصوات المركبة، اللذان أديا إلى ظاهرة الكشكشة، انظر: بيرش رضا: قضايا نقدية في الصوتيات العربية المعاصرة، ص: 125–130.

1 تنطق الراء في اللغة الفرنسية بطريقتين؛ الأولى لثوية بتكرير ضربات اللسان على اللثة، وهذه تشبه الراء العربية، والثانية لهوية بتكرير ضربات أو خفقان battement أقصى اللسان على اللهاة.

Voire : lucilecharline et autre : phonétique, p : 164 adapté.

2 يخرج ماء الأنف عند الزكام.

3 استنبط العلماء الحرف الراجع من كلام الخليل السابق؛ وهذا تصحيحا لما أورده د/ عادل إبراهيم عبد الله، الذي ظن أن مكي (ت437هـ) استنبط مصطلح "الصوت الراجع" من كلام المبرد: قال: (ومِن كلام المبرِّد لقَّب مكيٌّ الميمَ بـ: **الحرف الرَّاجِع**)، انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 229، حيث لم يشر العلامة مكي إلى المصدر الذي استنبط منه المصطلح، فلا بد من العودة إلى أقدمها.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/ 349–350.

والغنة في اصطلاح الخليل صوت يخرج من الخياشيم عند النطق بالنون، قال: (الغُنَّةُ: صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشم يغُور من نحو الأنف بعونِ من نفسِ الأنفِ...النون أشد الحروف غُنَّةً)،[1] والغنة هي صوت الأنف عند إدغام النون في غيرها من الحروف، قال الخليل: (وأمّا ألاّ ثقيلة، فإنّها جمع أن ولا، وكذلك لئَلاّ هي: لأَنْ لا، تقول: أمرتك ألاّ تفعلَ ذلك، ولكنّ النّون تُدْغَمُ في اللاّم، وفي لغةٍ تتبيّن ولابدّ لألاّ في اللُّغَتين من غُنّةٍ).[2]

من معاني الغنة عند الخليل أن تأتي النون عوضا عن التشديد؛ وبذاك تكون زائدة غير أصلية: قال: (الحَظُّ: النَّصيبُ من الفَضْل والخير، والجميع: الحُظُوظ. وفلان حَظيظ، ولم نَسْمَعْ فيه فِعلاً. ناس من أهل حِمْص يقولون: حَنْظ، فإذا جَمَعوا رَجَعوا إلى الحُظُوظ، وتلك **النُونُ عندهم غُنَّةٌ ليست بأصلية**، وإنّما يَجري على ألْسنتهم في المُشَدَّد نحو الرُزّ يقولون: رُنْز، ونحو أُتْرُجَّة يقولون أتْرُنْجة، ونحو اجّار يقولون انّجار فإذا جَمَعوا تركوا الغُنَّة ورجعوا إلى الصِحَّة فقالوا: أجاجير وحُظوظ).[3]

والخنة كما هو ظاهر من كلام الخليل صفة مرضية للصوت، إذ يصاحب الكلام رنين أنفي مفرط وقد استعملها الكندي بالمعنى ذاته، فقال: (وأما الأخَنُّ فإن النفَس ***يَسبِق*** إلى الخياشيم)،[4] ولم يقل يرجع إلى الخياشيم؛ لأن الرجوع للغنة وهي لا تصحب كل الحروف بل النون والميم فقط، وهذا القول يتطابق مع ما جاءت به الدراسات الصوتية الحديثة، التي تقر أن الهواء مع الميم والنون يمر إلى التجويف الفموي أولا، حتى إذا صادف سدا لمجراه عند نقطة الغلق ولّى راجعا لينفذ من التجويف الأنفي، وبالرغم من أن فتحتي التجويف

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 294/3.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 78/1.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/ 331..

4 الكندي: رسالة في اللُثغة، ص 530.

الفموي والأنفي مفتوحتان؛ فإن الهواء يدخل إلى فتحة التجويف الفموي أولا، وربما كان ذلك بسبب أن فتحة التجويف الفموي من الناحية التشريحية أقرب؛ فمدخل التجويف الفموي يقع فوق فتحة الحنجرة مباشرة مما يجعلها –أي فتحة التجويف الفموي– ممرا للهواء الخارج من الرئتين عبر الحنجرة، وربما حدث الأمر نفسه مع النون، إلا أنه مع الميم أوضح؛ وذلك لاتساع التجويف الفموي بفعل ابتعاد نقطة اعتراض الهواء، في حين يكون الاعتراض مع النون في موضع أقرب.[1]

يطلق مصطلح الأنف عند سيبويه على الجزء الظاهر البارز في الوجه، والخيشوم على المنخرين أي داخل الأنف مما يلي الحلق، ويدلنا على ذلك وصفه الغنة بأنها صوت من الخيشوم، وقوله؛ لو أمسكت أنفك ولم يقل أمسكت خيشومك؛[2] لأنه من الداخل لا يتأتى الإمساك به. قال: (ومن **الخياشيم** مخرج النون الخفيفة ... إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم **والخياشيم** فتصير فيهما غنةٌ والدليل على ذلك أنك لو **أمسكت بأنفك** ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما ...ومنها حرفٌ شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت **غنةٌ من الأنف** فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك **لو أمسكت بأنفك** لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم[3]... وإن شئت أدغمت –أي النون– بغنةٍ لأن لها **صوتاً من الخياشيم** فترك على حاله لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيبٌ فيغلب عليه الاتفاق وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد وهما مجهوران قد حالفا سائر الحروف التي في الصوت حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى تتبين[4]... وتكون النون مع سائر حروف الفم **حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم** وذلك أنها من حروف الفم

---

1 انظر: محمود فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، ص : 210.

2 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 230.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 433– 434–435

4 سيبويه: الكتاب 4/ 452.

وأصل الإدغام لحروف الفم لأنها أكثر الحروف...وهي مع الراء واللام والياء والواو إذ أدغمت بغنة فليس **مخرجها من الخياشيم ولكن صوت الفم أشرب غنةً** ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام حتى تصير مثلهن في كل شيء[1]... فإن قلت أقول اصحب مطراً وهما شديدتان والبيان فيهما أحسن فإنما ذلك **لاستعانة الميم بصوت الخياشيم** فضارعت النون ولو **أمسكت بأنفك** لرأيتها بمنزلة ما قبلها)[2]

وقد تابع بعض القدامى سيبويه في استعمال الخيشوم لما والى الحلق من الأنف، قال الدانيُّ: (الخَيْشُومُ **خَرْقُ الأنفِ** المُنْجَذِبُ إلى دَاخِلِ الفَم)[3]

- **خاتمة:**

وبعد دراسة أجزاء الآلة الناطقة، ومنهج قدامى علماء العرب في تصنيف الأصوات اللغوية، يظهر للقارئ مدى العمق والإحاطة والشمول التي حظيت بها الدراسات اللغوية العربية في مهد الحضارة العربية الاسلامية في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، هذا القرن الذي شهد سقوط الدولة الأموية في المشرق وقيام الدولة العباسية.

وربما كان التمهيد لهذه الحضارة بالدراسات اللغوية،[4] سببا في تفوق العرب في مجال هذه الدراسات والعلوم الأخرى التي ترجمت إلى العربية، حيث أن حل المشاكل اللغوية (التعريب) جعل المجتمع يستفيد من مقدرات اقتصادية هامة كانت ستهدر في مجال نقل

---

1 سيبويه: الكتاب 4/ 453.

2 سيبويه: الكتاب 4/ 461.

3 الداني: التحديد، ص: 109و115.

4 الخليل بن أحمدهو أحد رواد الدراسات اللغوية، عدته منظمة اليونيسكو عام 2006م أحد الشخصيات العلمية العالمية في مجال اللسانيات التي كان لهات تأثير على العلم والحضارة، واختارت معه عائشة الباعونية في مجال الشعر، وابن خلدون في علم الاجتماع، وعدتهم من الشخصيات العالمية، ينظر: صالح بلعيد: الخليل بن أحمد عبقري العرب، كراسات المركز سلسلة يصدرها المركز العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية–الجزائر، العدد الأول 2006، ص: 5.

العلوم والترجمة ومراقبة العناصر الأجنبية التي تتحكم في زمام الدولة تبعا لسيطرة لغاتهم على دواوين الدولة ودوائر القرار السياسي.

هذا مع ملاحظة أن الدراسات اللغوية في أوروبا جاءت في أوج توسع وتطور لحضارتهم، أي في القرن العشرين منذ ظهور أعمال العلامة دي سوسير، وهذا يعكس عدم استفادة هذه الحضارة من نتائج الدراسات اللغوية المتطورة ردحا طويلا من الزمن، بدءا بالقرن الخامس عشر فجر الثورة الصناعية في أوروبا.

# الفصل الثاني

# الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف في مدرسة الخليل

## الفصل الثاني

## الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف

## في مدرسة الخليل

**- مقدمة:**

الصوتيات التسلسلية، تسمية أطلقها البحث على صوتيات الخليل، وهي تعتمد على إمكانية توزيع العناصر الصوتية في موقعية الوقف، للتعرف على كونها تنتمي إلى فصيلة الحروف أو الحركات.

فالحرف هو كل صوت يظهر في نهاية السلسلة الكلامية (موقعية الوقف).

والحركة هي كل صوت يمتنع من الظهور في نهاية السلسلة الكلامية.

ولا بد من التنبه إلى أن هناك ألوفونات، وهي صور نطقية للوقف على الحرف الساكن، قد تأخذ صورة توهم بوجود الحركات، وهي الوقف بالاختلاس، والروم والإشمام، فهذه صور للوقف على الحرف الساكن، وليست صورا من صور الوقف بالحركة، لأن العربية لا تقف على متحرك أبدا.

إذن الحرف المختلس والمشم، هو أحد ألوفونات الحرف الساكن.

وتعتمد الصوتيات التسلسلية، كذلك على رصد التغيرات التي تطرأ على الحرف في السلسلة الكلامية، كالإعلال والإبدال والحذف... وهذا يشبه التحليل التوليدي التحويلي في مدرسة تشومسكي.

سنرى بعد قليل أن تصنيف الهمزة ضمن حروف الجوف، كان بسبب تبادلها الصورة النطقية مع باقي حروف الجوف أو العلل، مثل: سماء، أصل همزتها واو في الجذر: س م و، والألف في آلَفُ، أصلها أو بنيتها العميقة أألف.

## المبحث الأول

## مفاهيم اولية

### 1- المدرسة:

المدرسة إيديولوجيا هي اتجاه فكري في أحد مجالات العلم والمعرفة الإنسانية، يتأسس على مجموعة من المبادئ والنظريات، أو هي تجمع معرفي يتأسس على تآلف فكري معين؛ يدعو إلى تحقيق وظيفة معينة من خلال إتباع سبيل معين.[1]

### 2- مدرسة الخليل:

وضع العلامة الخليل بن أحمد (ت175هـ): "كتاب العين" الذي بعج الدرس اللغوي العربي عامة والصوتي على وجه الخصوص؛ وكان المعجم أول مجال تظهر فيه الصوتيات العربية نظريا وتطبيقا.[2]

وليس غريبا أن تكون البداية الأولى لعلم الأصوات تطبيقية عند العرب،[3] فقد كانت كذلك عند قدامى الهنود الذين قاموا بتخصيص جهودا لا بأس بها لدراسة أصوات لغة كتابهم المقدس الفيدا، لتمكين أهل هذا الكتاب من فهمه ونطقه نطقا صحيحا في الطقوس والشعائر الدينية، وقد تفوقوا في هذا المجال تفوقا عظيما من الناحيتين النظرية والتعليمية (التطبيقية)، وكانت الانطلاقة الأولى لعلم الأصوات في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تطبيقية كذلك؛ حيث اشتهرت عائلة اسكتلندية بالصوتيات العامة، وكان منها

---

1 انظر: علاء جبر محمد: المداس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، ص:11.

2 انظر: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفجر–دمشق، ط2003/2، ص: 14.

3 يلحظ أن عصر الخليل بن أحمد هو بداية النهضة العربية التي انطلقت مع قيام الدولة العباسية، و من خلال عمل الخليل المعجمي يمكن أن نعد الانطلاقة النهضوية للعرب في العصر الوسيط انطلاقة تطبيقية، ومن غريب الصدف ما لاحظه الدكتور علي الزركان أن النهضة العربية الحديثة في مصر (نهاية القرن 19حتى الحرب العالمية الأولى) بدأت بتعريب العلوم التطبيقية، انظر:محمد علي الزركان: الجهود اللغوية في المصطلح العلمّي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب1998، ص:5.

الأستاذ مالفيل بيل Malville Alexander Bell الذي طور نظام كتابة للصم تتوجت بتأليف كتابه الشهير: الكلام المرئي علم الأبجدية العالمية Visible speech, (1867) the science of universal alphabetic،[1] ثم قام ابنه جراهام بيل Alexander Graham Bell باختراع جهاز الهاتف.[2]

وهكذا كان لهذه العائلة أثر بالغ في تطور الصوتيات وعلاقتها بعلوم الاتصال، وهكذا كانت الانطلاقة الأولى للصوتيات في أوروبا في القرن التاسع عشر تطبيقية محضة.

والمعجم مجال معرفي تتداخل فيه علوم كثيرة لعل أهمها علم الأصوات؛ فمن الوظائف الأساسية للمعجم هي تسجيل طريقة النطق الصحيح للكلمات، إذ ينبغي أن يكون مرجعا موثوقا به من هذه الناحية، وليس من النادر أن تعجز الأبجدية العادية عن القيام بهذا الدور كما هو الحال في كثير من اللغات كالإنجليزية والفرنسية، وبهذا يصبح من الضروري الاعتماد على رموز الأبجدية الصوتية الدولية؛ التي تكفل لنا الوصول إلى هذا الهدف بسهولة ويسر، فهذه الرموز لها قيم نطقية محددة في مقدورها تسجيل النطق تسجيلا أمينا دقيقا إلى حد كبير.

تعد الانطلاقة الخليلية في دراسة الصوت اللغوي تمهيدا لصنع معجمه ووضع قواعد العروض، انطلاقة تطبيقية بحتة بمعايير الدرس اللساني الحديث، فالمعجم والشعريات أو الأسلوبية[3] هما أحد فروع اللسانيات التطبيقية، قال د/ مكي درار: (... فالصوت هو المستوى الأول الذي تقوم على أساسه الدراسات اللغوية جميعها... إن دراسة الأصوات هي أول ما يعنى به دارس اللغة، إذا أراد أن يدرس لغة ما دراسة لغوية صحيحة، ودراسة الأصوات تتيح للدارس أن يقف على طبائع هذه الأصوات وخصائصها حين تتمازج في

1 كان هدفه من وضع كلامه المرئي؛ جعل القراءة أسهل للطفل الأجنبي وتيسير تعليم النطق للغة الوطنية والأجنبية ومساعدة الصم على تعلم الكلام، انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 76-77.

2 انظر: أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص: 12-170.

3 تهتم الأسلوبية الصوتية بالجانب الصوتي للنص الأدبي، وبالوزن والقافية خاصة في النص الشعري.

صور كلمات، ولن يستغنى عنها؛ لأنها تفسر كثيرا من الظواهر اللغوية؛ التي لولا هذه الدراسة لكان الكلام فيها نوعا من الافتراض لا يقف طويلا أمام البحث العلمي)[1]

### 3- منهج الخليل وصعوبة تذوق بعض المحدثين له:

قال د/ عبد الرحمان الحاج صالح: (إن الجهود التي بذلناها منذ أكثر من أربعين سنة؛ لفهم ما يقوله الخليل وأتباعه، قد أدتا إلى الحكم بأن أكثر ما أبدعه هؤلاء العلماء، قد اختفى واستغلق فهمه على المحدثين، وأن خطورة هذا التراث الخليلي العظيم هي على قدر خطورة ما سيصير إليه مستوانا العلمي واتجاهنا الفكري، فإما أن نبقى عالة على تراث المتأخرين[2] كما هو الحال في الوقت الحاضر، ويستمر تجاهلنا للنحاة الأولين، بل وجهلنا المطبق لمفاهيمهم ومنهجهم مع التقليد الأعمى، لا لهؤلاء المتأخرين فقط بل أيضا لما يقوله اللسانيون الغربيون بدون أي تمحيص، وإما أن نحاول المقارنة التقويمية العلمية بين كل هذه الاتجاهات، بقصد الوصول إلى مفاهيم دقيقة أصيلة ذات نجاعة كبيرة في الميدان العلمي والتكنولوجي، وهذا الاختيار الأخير هو ما اختارته ما يسمى في زماننا بالمدرسة الخليلية الحديثة)[3]

### 4- المصادر التي اعتمدها الخليل:

المصدر الذي استمد منه الخليل مصطلحات كتابه؛ مصدر عربي صرف لا أثر فيه لأي مادة لغوية دخيلة أو معربة،[4] وقد استعمل الخليل في وصف جهاز النطق مفردات استعملتها العرب في أحاديثها وأشعارها كما نجد لبعضها وجودا في نصوص القرآن والسنة،

---

1 مكي درار: المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع السانيا–الجزائر، دون ذكر للطبعة ولا سنة النشر، ص:9.

2 أي النحاة المتأخرين.

3 عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج53/2.

4 انظر: هشام خالدي: مسائل صوتية في معجم العين، مجلة "دراسات أدبية"، العدد2/جانفي2008، ص: 29.

مثل؛ لسان، شفة. أسنان، حلقوم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَٰهُ ۝ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ البلد 8-10

إن الخليل تناول اللغة بالدرس من القاعدة وليس من قمة الهرم، فبدأ الدرس اللغوي بدراسة الحروف التي تتألف منها مفردات اللغة، فمن الناحية المنهجية والواقع الإجرائي للغة يفرض هذا الأساس؛ لأن الجانب المادي من اللغة هو المدرك بالدرجة الأولى من قبل الحواس وخاصة السمع الذي يستقبل الصوت... أما من الناحية المعرفية –الإبستيمولوجية– فهذا يدل على وجود نظرية معرفية قائمة بذاتها. فالقرآن كان يحفظه الناس عن طريق التواتر السمعي في صدورهم، وكان المحدد لآليات التعامل مع اللغة العربية، فهو يسبق ذكر السمع على البصر؛ كحواس ونوافذ لعقل الإنسان على العالم الخارجي.[1]

قال د/ حلمي خليل: (فالذي لا شك فيه أن الخليل؛ عندما تناول الأصوات العربية بالدراسة والبحث، كان له منهج خاص في هذه الدراسة، يتمثل في درس الصوت اللغوي منفردا، لكنه في نفس الوقت كان ينظر إلى هذا الصوت من خلال وظيفته وعلاقته بالأصوات الأخرى؛ داخل بنية الكلمة العربية، كما أن دراسته للأصوات العربية كانت مرتبطة بالعمل المعجمي، وكل ذلك يجعل منهج الخليل منهجا مختلفا؛ عن منهج علماء الأصوات في دراسة أصوات اللغة، ولكنه يلتقي في بعض جوانبه مع دراسة هؤلاء العلماء... كل ذلك يجعل لتصنيف الخليل للصوامت منهجا مستقلا؛ ينبغي أن ينظر إليه في الإطار الذي وضعه الخليل، لا فيما يضعه علم الأصوات الحديث؛ من أطر ومناهج لدراسة الأصوات قد تختلف عما وضعه الخليل، لكن ما وضعه الخليل لا يدل بالقطع على خطأ في الفهم أو التصور، وإنما يدل فقط على الاختلاف)[2]

1 جعفر يايوش: الدرس الصوتي عند الخليل بين المعيارية والموضوعية، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، عدد2/1416هـ-1995م، ص: 21.

2 حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية–بيروت، ظ1/1998، ص: 28 وص: 56.

بدأ الخليل تصنيف مخارج الصوامت طبقا لاتجاه تيار الهوا في أثناء النطق بها، لذا بدأ بمخارج الحلق ثم التي تليها؛ أو كما عبر هو: "ثم الأرفع فالأرفع"، وقوله هذا يحدد لنا موضع نطق كل صوت صامت بدقة، أي أن مخارج الصوامت مرتبة في جهاز النطق بما يناظرها في ترتيب الخليل؛ عدا الهمزة والهاء التي بين الخليل أنها من أعمق مخرج في جهاز النطق وأخرها في الترتيب لأسباب صرفية –سأبينها لاحقا بإذن الله– وهذا ما غفل عنه كثيرون ممن انتقدوا تصنيف الخليل للصوامت؛ وتحديد موضع كل صوت بما له من صلة بالصوت الذي قبله والذي بعده.[1]

وبهذه الطريقة حصر لنا كل مواضع نطق وإنتاج أصوات العربية؛ وسمى تلك المواضع مبادئ، والمجال الذي يضم مجموعة منها سماه حيزا، والأحياز كما حددها الخليل هي:

1- حلقية؛ ه/ع/ح/غ/خ.

2- لهوية؛ ق/ك.

3- شجرية؛ ج/ش/ض.

4-ذلقية؛ ر/ل/ن.

5- نطعية؛ ط/ت/د.

6- لثوية؛ ظ/ث/ذ.

7- أسلية؛ ز/س/ص.

8- شفوية؛ ف/ب/م.

9- هوائية؛ و/ي/ء.[2]

1 انظر: حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، ص: 47.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/41-42.

إن هذا التقسيم سار عليه كل من جاء بعد الخليل؛ مع بعض التعديل عند بعضهم – كما سنرى عند مدرسة النحاة الصوتية– وبعد أن حدد الخليل مخارج وأحياز الحروف؛ تحدث في إيجاز شديد عن صفاتها، وقد كان ذلك في أثناء عرضه للبنية الصوتية الصرفية للكلمات وكل ما جاء به الخليل من الصفات له علاقة بالمخرج –من حيث ائتلاف الحروف أو تنافرها– أكثر مما له علاقة بكيفية تشكل الصوت؛ لأن المخرج تحديد فسيولوجي عضوي، والصفة المتعلقة بكيفية تشكل الصوت (كالشدة والرخاوة والجهر...) ذات تحديد فيزيائي[1] قد لا تخدم أغراض الخليل التطبيقية المتعلقة بصناعة معجمه، فهو يبحث عن قوانين ائتلاف أو تنافر الأصوات، ليحصر أبنية الكلم العربية المهمل منها والمستعمل، والصفات الفيزيائية تتعدل تلقائيا في السياق؛ كما يحدث عند القلب والإعلال والإبدال وغيرها؛ فهي لا تحدد لنا مهملا من مستعمل وتميل للائتلاف تلقائيا وفق قوانين المماثلة والمخالفة وقانون السهولة والتيسير وغيرها، لهذا أهمل الخليل بحثها **بالتفصيل** وهذا لا يدع مجالا لقول بأن الخليل كان يجهل بعض الصفات التي تناولها بالدرس تلميذه سيبويه فيما بعد.

1 انظر: مكي درار: الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد)، منشورات إتحاد الكتاب العرب–دمشق2007، ص:23.

## المبحث الثاني

## النظرية التسلسلية و تصنيف الحروف

للحروف (صوامت وحركات طويلة) مخارج وصفات، والصفات نوعان: صفات نطقية كالشدة والرخاوة والجهر...الخ، وصفات صرفية توزيعية، كالذلاقة والإصمات.

سيدرس هذا المبحث مصطلحات الخليل الصوتية، وهي نوعان:

أ- مصطلحات الصفات.

ب- مصطلحات المخارج.

ت- كما سيمهد لدراسة المصطلحات بتوضيح المنهج الكامن وراء وضع المصطلحات.

- **أولا منهج الخليل في وضع المصطلح الدال على المخارج:**

لا شك أن الخليل استعمل في وصف جهاز النطق؛ مفردات استعملتها العرب في أحاديثها وأشعارها كما نجد لبعضها وجودا في نصوص القرآن والسنة، مثل؛ لسان، شفة، حلقوم، هذه الألفاظ سجلتها لنا كتب خلق الإنسان وكتب فقه اللغة.[1] لذا لا بد من الأخذ في الحسبان أمرين:

أ- يجري تقسيم المخارج وفق أسس فسيولوجية وفونولوجية، مثلا يقسم الحنك إلى حنك صلب وحنك لين؛ وهذا التقسيم يستند إلى اعتبارات تشريحية بحتة، فالحنك الصلب يحوي عظم الخُلَيْقاء لذا عُدَّ جزءا عظميا، والحنك اللين لا عظم فيه لذا فهو جزء عضلي، لكن تقسيم علماء الأصوات في بعض اللغات قد لا يلائمهم هذا التقسيم؛

1 انظر على سبيل المثال: الثعالبي أبو منصور: فقه اللغة وأسرار العربية، تح: يحيى مراد، مؤسسة المختار، ط2009/1، ص: 94 وما بعدها، ورسالة ابن فارس: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، تح فيصل دبدوب، مطبعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1967.

فالخليل مثلا قسم الحنك إلى لثة ونطع غار ولهاة...الخ، وهذا التقسيم أكثر ملائمة لدارس الأصوات، والأمر نفسه ينطبق على اللسان؛ فالتقسيم الفسيولوجي البحت يقتضي تقسيمه إلى أربع مناطق ذوقية، كل منطقة تتخصص في ذوق معين؛ حامض، حلو، مر، مالح، لكن التقسيم الفونولوجي للسان يقتضي تقسيمه بحسب إمكانات كل لغة في استغلال مخارج هذا العضو الناطق، وقد وفق د/ يد الله ثمرة حين قسم اللسان بحسب إمكانات اللغة الفارسية الصوتية قال: (ووفقا لمواضع نطق أصوات اللغة –الفارسية– وعلاقتها مع أقسام الحنك، يمكن تقسيم اللسان إلى ستة أقسام...)[1]

ب– يلجأ الخليل بن أحمد إلى هذه الثروة اللغوية؛ ويضفي عليها طابعا اصطلاحيا، وهذا ما أثَّر على مدلول هذه الألفاظ، فلكل عصر مصطلحاته بمفاهيمها الخاصة به؛ لذا يجب علينا ألا نسقط مصطلحات عصرنا ومفاهيمها على أعمال القدامى؛ لأن هذا قد يؤدى بنا إلى تجهيل الخليل أو تخطئته، ولو تذوقنا نظرتيه الفونولوجية وعلمنا أن بعض المصطلحات لم تكن معروفة بمعناها الحديث في زمانه؛ لكان أجدى وسأضرب مثالين موضحين لما أصبو إليه:

- **المثال الأول مصطلح لهاة:**

اللهاة في اللغة هي لحمة مشرفة على الحلق، وهذا هو المعنى اللغوي الذي نعرفه لها اليوم، أما الخليل فقد منح للهاة معنى اصطلاحيا أعم؛ يتناسب وتقسيمه الفونولوجي –الوظيفي– للأصوات، فقد جعل اللهاة مخرج لصوتين هما القاف والكاف،[2] والكاف عنده أكثر أمامية من القاف، وعليه فاللهاة عنده تشمل اللهاة بمعناها المعاصر الذي أشرنا إليه آنفا وتشمل منطقة الحنك الرخو التي يخرج منها صوت الكاف، وقد خَطَّأ الدكتور كمال بشر الخليل بن أحمد لجعله الكاف لهوية بناء على أمرين:

---

1 يد الله ثمرة: الصوتيات و اللغة الفارسية، ص: 62.

2 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

- **الأول:** اللهاة –في البحث المعاصر– هي تلك اللحمة المتدلية في أقصى الحنك اللين وهي مخرج لصوت القاف دون الكاف.
- **الثاني:** ربما لم يفطن الخليل لموضع اللهاة في جهاز النطق فلم يوفق في تحديد موضع نطق القاف.[1]

إن وصف الخليل للقاف والكاف بأنهما لهويان،[2] لا يدل بالضرورة على أنه يجهل اللهاة بمعناها الحديث؛ فقد جعل الخليل الكاف لهوية لا لأنه ظنها كذلك، بل لأنه –كما أعتقد– عندما بحث عن الصوت الذي يمكن أن تتنافر معه ويكون مخرجه قريبا لم يجد إلا صوت الكاف الحنكي القصي، قال: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم، وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية)[3]

ومثل هذا نجده في صنيعه مع الفاء والباء والميم إذ نعتها الخليل بأنها شفوية،[4] وليست الفاء شفوية بل شفوية أسنانية،[5] والذي سوغ للخليل بن أحمد أن يجعلها شفوية – حسب رأيي– أمران:

أ– القرب المخرجي، وهو المسئول عن بعض التنافر بين أصوات الحيز الواحد، وسيأتي بيان هذه النقطة بأمثلتها بعد قليل.

ب– الخصائص التوزيعية، حيث جمع ستة أصوات بعضها من مخرج اللثة وبعضها من مخرج الشفاه؛ وسماها أصوات الذلاقة[6] والذي سوغ للخليل جمعها

---

1 انظر: كمال بشر: نفسه، ص: 277.

2 انظر: الخليل: كتاب العين، 41/1.

3 الخليل: كتاب العين، 43/1.

4 الخليل: المرجع نفسه ، 41/1.

5 انظر: سيبويه : الكتاب، 573/4، وابن الجزري: التمهيد، ص : 44 . و كمال يشر: علم الأصوات، ص : 297 .

6 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

تحت مصطلح واحد هو خصائصها التوزيعية، إذ لا يعرى بناء عربي ما فوق الثلاثي من هذه الأصوات إلا نادرا، وهذا هو السبب الذي جعل الخليل يعد صوت الفاء شفويا؛ لأن للفاء خصائص الميم والباء التوزيعية نفسها (واللام والنون والراء كذلك).

**1- الإلغاء l'annulation وسيلة تصنيفية، تفسر لنا أسباب عدم إعماله للمعيار الفسيولوجي:**

أعمل الخليل بن أحمد فكرة الإلغاء،[1] حيث ألغى المخرج اللهوي لكل من الغين والخاء، لأنه جمع الحروف من حيث إمكانية تنافرها، قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع.... القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم، وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية)[2]

فالحلق واللهاة ليسا مخرجين فيسيولوجيين فقط، بل هما مخرجان منظور فيهما لاعتبارات توزيعية، لذا نرى أن الخليل بن أحمد عزل الخاء والغين عن مخرج أختهم القاف

1 الإلغاء هو أحد قوانين نظام اللغة، مثلا وزع نظام اللغة العربية في موقعية الوقف الحروف (الصحاح والعلل) ومنع هذا الموقع على الحركات القصيرة التي وزعها على موقعية الابتداء (ألف الوصل)، في حين **ألغى** موقعية الحشو التي وزع فيها الحروف والحركات، ونظام اللغة ألغى كل قيود الائتلاف التي وضعها للجذور الثلاثية فما فوق عن الجذور الثنائية والرباعية المضاعفة مما كان حكاية للمسموع، وعلى هذا فالخليل استنبط قوانين النظام اللغوي واستثمرها في بناء نظريته، والنظام هو الذي يلغي لا الخليل الذي ينحصر دوره في الوصف والتعليل.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 43/1.

اللهوية وضمهما إلى مخرج الحلق الكلي،[1] وجعل القاف والكاف من مخرج اللهاة، وذلك لأن القاف والكاف يتنافران عند بناء الكلم العربي،[2] أما القاف وأختيها في المخرج الخاء والغين فيجتمعان في كلمة واحدة بوجود فاصل، مثل: خنق، غرق،...أو بعدمه كالأخقوق[3] الخ، إضافة إلى أنّ النون تخفى عند الخاء والغين وقد تظهر بخلاف القاف واجبة الإخفاء، فالقاف من هذه الناحية تشبه الخاء والغين باقي حروف الحلق التي تظهر عندها النون.[4]

فلأجل هذه الأحكام المعجمية والصرفية، جعل الخليل –وتبعه سيبويه– الخاء والغين من الحلق والقاف من اللهاة، وسبب تقديمهما في المخرج كان لعلة الإخفاء، هذا ما يمكن استنتاجه، فبسبب التفخيم الدائم للقاف أخفيت النون عنده، وبسبب تعاور التفخيم والترقيق

1 قال الخليل: (وأما مَخْرَجُ العَيْنِ والحاء والهاء والخاء والغين فَالْحَلْقُ وأمّا الهَمْزة *فَمَخْرَجُها* من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح) الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1. وسيأتي أن المخرج والمبدأ مصطلحان غير مترادفين، حيث قسم مبدأ الحلق الكلي ( إلى حيزين، حيز أقصى الحلق (ع، ح) مسقطا منه الهاء وحيز الحلق (غ، خ) وهو يقابل مخرج أدنى الحلق عند سيبويهّ، ومن هذا نتبين أن الخليل يقوم بإسقاط أو عزل بعض الأصوات عمدا عن مخارجها الحقيقية لأغراض صرفية معجمية.

2 قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية) قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع)، لهذا جمع الحروف المتنافؤة (ق، ك، ج) في مخرج كلي واحد سماها المخرج اللهوي، قال(وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم)، كتاب العين، 43/1.

3 الأخقوق لغة في اللُّخقوق، جاء في الحديث: "فوقصت به ناقة في أخاقيق جرذان' وهي شقوق في الأرض، انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة: خ ق ق، ص: 97.

4 انظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 392/5.

على الخاء والغين بحسب السياق،[1] اختار بعض العرب الإخفاء وغيرهم الإظهار، وقد وردت قراءات قرآنية بإظهار النون عند الخاء والغين وبإخفائها بغنة، قال الشيخ العطار: (فأما الإظهار فعند الأحرف الحلقية لتباعدها منها، وأشد الحلقية منها تباعدا الهمزة، والهاء والعين والحاء، وأخفاها بعضهم عند الغين والخاء)[2] وقد أخفى النون الساكنة والتنوين أبو جعفر يزيد بن القعقاع وإسحاق بن محمد البستي عن نافع، وابن الباذش من طريق الأهوازي لابن شنبوذ عن أبي نشيط، وبه أخذ الخزاعي لأبي نشيط من جميع طرقه.[3]

وقد تنبه بعض القراء القدامى إلى أنّ التحديد الفسيولوجي البحت يحتم جعل الخاء والغين والقاف من مخرج واحد، قال سبطٌ الخياط (ت541هـ): (وثلاثةٌ تَخرجُ من أعلى الحلق وأصل اللِّسان متواليةً، وهي: الغَين، والخاء، والقاف)[4] وقال الشيخ السنهوري (ت894هـ): (**والقاف** تخرج من **المخرج الأول من مخارج الفم مما يلي الحلق من أقصى اللسان** وما يحاذيه من الحنك الأعلى ... إن مخرجها من **اللهاة، مما يلي الحلق** ومخرج **الخاء**)[5]

---

1 للغين والخاء مخرجان متقاربان بحسب السياق الذي يردان فيه:

أ- مخرج طبقي: يتحقق هذا المخرج إذا نطقنا بالخاء أو الغين مرققين، ويحدث ذلك عادة إذا وليهما صوت صائت أمامي –الكسرة– فيضعف فيهما أثر التفخيم ويبقى هذان الصوتان محافظان على هويتهما؛ أي لا يتحولان بسبب الترقيق إلى صوت آخر كما يحدث ذلك مع القاف؛ إذ يتحول بسبب الترقيق إلى مخرج أكثر أمامية، فنسمع صوتا آخر له قيمته الفونولوجية وهو صوت الكاف.

ب- مخرج لهوي: يتحقق هذا المخرج إذا نطقنا بالغين أو الخاء مفخمين فيتحول مخرجهما من الطبق إلى اللهاة، وعادة ما يحدث ذلك عندما يجاوران صوتا مفخما كالطاء والصاد. انظر: حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص : 70 ، و سمير شريف استيتية: اللسانيات، ص : 49 ، و له أيضا : الأصوات اللغوية، ص :146.

2 أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار: التمهيد في معرفة التجويد، تح: جمال الدين محمد شرف، و مجدي فتحي السيد، دار الصحابة، دون ذكر للطبعة، ص: 271-272.

3 انظر: أبو العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 272.

4 السنهوري: كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، ص:245.

5 ابن سينا: القانون في الطب، 286/2.

إن القدامى كانوا على دراية بأن المخرج الحقيقي للخاء والغين هو اللهاة، ولا أدل على ذلك من وصفهم لهذين الصوتين بالتفخيم –الاستعلاء–[1] بل أصر بعض علماء التجويد على وجوب المبالغة في تفخيمهما،[2] والاستعلاء هو ارتفاع اللسان نحو اللهاة.[3]

والذي حمل د/كمال بشر على الظن بأن الخليل بن أحمد إما أنه أخطأ في تقدير مواضع الغين والخاء والكاف وأصاب في تعيين موضع القاف، أو أنه لم يفطن إلى موضع اللهاة في الجهاز النطقي فأخطأ في تقدير موضع القاف،[4] هو عدم تذوقه لهذه النظرية الفونولوجية –التي كان الخليل سباقا إليها– والتي تقتضي أن يتم تجميع الأصوات في مخارج مشتركة لا على أسس فسيولوجية وفيزيائية فقط بل أيضا على اعتبارات توزيعية.

- **المثال الثاني مصطلح الحنجرة:**

الحنجرة في اللغة، جوفُ الحلقوم، والحُنْجُور: الحَنْجَرة،[5] والنون عوض التشديد؛ جاء في الصحاح: (الحَنْجَرَة والحُنْجُور: الحُلْقُوم بزيادة النون)[6] والحَجْرُ هو المنع؛ لذا ينصرف معنى الحنجرة اللغوي إلى ما يعرف عندنا بلسان المزمار –لأنه هو الذي يمنع مرور الطعام أو الأجسام الغريبة إلى الحنجرة– أو إلى فراغ المزمار الذي عبر عنه الخليل بجوف الحلقوم، قال د/ عبد الرحمن الحاج صالح: (أما عدم استعمال الخليل وسيبويه للفظ الحنجرة؛ فهو

---

1 انظر: ابن جني : سر صناعة الإعراب، 76/1 ، وابن الجزري: التمهيد، ص: 59/50، والمرعشي: جهد المقل، ص: 47، وسعيد بن سعد بن نبهان: هداية الصبيان، ضمن سلسلة متون التجويد، تح / حمد الله حافظ الصفي، ص: 45.

2 انظر: المرعشي: جهد المقل، ص : 151 / 152 ، وابن الجزري: التمهيد، ص: 59/50.

3 يرى العلامة المرعشي: أن الراء و اللام في حالة تفخيمهما من الحروف المستعلية؛ لأن أقصى اللسان يستعلي إلى جهة الحنك اللين عند أدائهما وعلى هذا يكون معنى الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان سواء ارتفع معه بقية اللسان- كما في أصوات الإطباق- أم لم يرتفع- كما في باقي أصوات الاستعلاء، انظر محمد بن بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 44–45.

4 انظر: كمال بشر: علم الأصوات، ص : 277 .

5 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

6 الجوهري: الصحاح، 16/1.

لاختلاف معاني هذه الكلمة في زمانهم فهي تارة طبقان –أي منطقة أو قسم[1]– من أطباق الحلقوم مما يلي الغلصمة، وهذه هي الـEpiglottis أو رأس الغلصمة –لسان المزمار– حيث يحدد، وقيل هي جوف الحلقوم، واستقر معناها عند الأطباء العرب بعد أن اختارها حنين بن اسحق العبادي (264هـ)؛ أي بعد زمان الخليل وسيبويه، لترجمة كلمة: Larynx،[2] التي وردت في كتاب جالينيوس، وترجم كلمة Glottis ترجمة حرفية ألا وهي لسان المزمار)[3] ويظهر كذلك من مفهوم الحلق عند الخليل؛ أنه يشمل عنده الحنجرة، قال: (الحَلْقُ: مَساغُ الطَّعام والشَراب. ومَخرَجُ النَفَس من الحُلْقُوم. ومَوضع المَذْبَح مِن الحَلْق أيضاً)[4] ومعلوم أن الذبح سنة متبعة عند المسلمين، ولا زلنا إلى اليوم نذبح أضاحينا يوم العيد من أقرب مكان إلى الحنجرة؛ أي مباشرة أسفل منها.

---

1 هذا تفسير الأستاذ عبد الرحمان حاج صالح لكلمة "طبقان"، والصحيح أن من معانى "طبق" ومشتقاتها؛ الغطاء اللازم، (انظر: الخليل: كتاب العين، 36/3) وهذا يتطابق مع الوظيفة المنوطة بغضروف لسان المزمار، الذي يعمل كغطاء للحنجرة ملازما لها ولهذه الوظيفة؛ عند خطر دخول الأجسام الغريبة، انظر وظيفة لسان المزمار في: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

2 كلمة: Larynx، التي وردت في كتاب جالينيوس والتي ترجمها حنين بحنجرة؛ ترجع إلى الأصل larugx وهي تعني في اللغة الإغريقية القسم الداخلي للرقبة.

Voir : Claude Dubois et autre: pluridictionnaire Larousse, librairie Larousse 1977, p : 781.

3 عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج62/2، وخلافا لما ذكر أعلاه، أشير إلى أن لفظة Glottis ترجع إلى اللفظةGlôtta وهيتعني في اللغة الإغريقية "لسان" فقط( Claude Dubois et autre: voir pluridictionnaire Larousse, p, 492 et 618)، ومن هذا يظهر أن حنين بن اسحق ترجم المصطلح السابق ترجمة بتصرف، ويظهر أن جالنيوسراعيى في بناء مصطلحه الشبه القائم بين اللسان والغلصمة بخلاف حنين بن إسحاق الذي راعى الشبه ومكان تركيبه حين سماه لسان المزمار، فالمزمار –كما يظهر لي– هو فراغ الحنجرة الذي يصدر الأصوات عند اهتزاز الأوتار الصوتية.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 347/1.

لذا ليس صائبا القول بأن الخليل أخطأ عندما جعل الهاء والهمزة من أقصى الحلقّ بدلا من الحنجرة، وهذا زعم أغلب من اطلعت على بحوثهم؛[1] لأن معنى الحنجرة عنده وفي زمانه لا ينصرف إلى المعنى المعروف عندنا اليوم، كما أن معنى الحنجرة بالمفهوم العلمي اليوم لم تعرفه العربية إلا على يد الطبيب المسيحي السرياني حنين بن إسحق (ولد عام194هـ) عندما بدأ بترجمة كتب الطب اليونانية حوالي سنة 205-265هـ، وهذا بعد وفاة الخليل (ت175هـ) بحوالي سبعين سنة، لذا يتعين أن مصطلح أقصى الحلق عند الخليل ومن تبعه؛ يقابل مصطلح الحنجرة في الدرس الصوتي الحديث، علما أن مصطلح الحلق اللغوي أوسع بكثير مما ضمنه الخليل من معنى اصطلاحي؛ يقتصر على مخارج بعض الأصوات، جاء في الكليات: (الحلقوم أصله الحلق؛ زيد الواو والميم، وهو مجرى النفس لا غير... والمريء مهموز اللام؛ مجرى الطعام)[2] ومجرى النفس يشمل الحلق والقصبة الهوائية، كما أن مجرى الطعام –المريء– يشمل الحلق الفموي إلى الفتحة النجمية بأعلى المعدة.

ومما يزيدنا ثقة أن أقصى الحلق هو الحنجرة تشبيه الخليل لنطق الهمزة القطعية بالسعلة والتهوع،[3] قال مكي بن أبي طالب القيسي: (قال الخليل في الهمزة إنها كالتهوع، وقال مرة أخرى كالسعلة)[4]

والذي قصده الخليل بتشبيه الهمزة بالسعال والتهوّع، هو التأكيد على صفتي الوقف والانفجار فيها ويظهر ذلك من خلال التحليل الفيسيولوجي لظاهرتي السعال والقيء أو التهوع.

---

1 انظر: أحمد محمد قدور: جهاز النطق عند اللغويين العرب القدامى، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (76) الجزء (1)ن ص: 59، وكمال بشر: علم الأصوات، ص: 192، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 345.

2 أبو البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ط2/2011، ص:340.

3 التهوع على وزن تفعل، هو خروج القيء بتكلف، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 4/ 331.

4 مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص: 56.

فالوتران الصوتيان بالإضافة لدورهما في التصويت، يؤديان وظائف حيوية أخرى؛ فهما –إلى جانب الوتران الكاذبان– يغلقان ممر الهواء في أثناء البلع وفي أثناء القيء وارتداد الطعام؛ منعا لأي تسرب جسم غريب إلى الرئتين، ويغلقان ممر الهواء كذلك لبناء الضغط اللازم في القفص الصدري:

أ– لطرد الأجسام الغريبة في أثناء السعال.

ب– لرفع الأجسام الثقيلة.

ت– في أثناء الطلق، لرفع الضغط على مستوى البطن لا خراج الجنين.

ث– لطرد الفضلات عند تعسر عمليتي التغوط والتبول.[1]

إن الخليل شعر بضغط ما في أقصى الحلق –الحنجرة– عند نطق الهمزة القطعية، هذا الضغط يشعر به المرء كذلك عند السعال والتهوع بسبب سد الوترين الصوتيين ولسان المزمار لمجرى الهواء، فشبه عملية نطق الهمزة بالسعال والتهوع، وهذا دليل قاطع على أن الخليل قصد بأقصى الحلق منطقة الحنجرة، وأنه على وعي تام بالفروق النطقية بين الألف اللينة والهمزة القطعية، وأنه جعل الهمزة من ضمن أصوات الجوف والهوائية لدواعي صرفية وتوزيعية تتعلق بإمكانية إبدال الهمزة وتحولها إلى الألف أو الواو أو الياء.

إن هذا الذي ذكر أعلاه فيه رد قاطع لمن أنكر معرفة القدامى للحنجرة أو ظن أنهم أخطئوا في تحديد مخرجي الهمزة والهاء.

إن المنهجية العلمية تقتضي تحديد مصطلحات العلوم في زمانها؛ لأن المصطلح الواحد قد يتغير مدلوله جذريا، وهذا ما تدرسه عندنا اليوم اللغة العلمية وعربية التخصص؛

1 انظر: جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، تر: محيي الدين حمدي، دار الشرق العربي، دون ذكر للطبعة، ص: 143 بتصرف، وديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46–47، وتمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

التي تسلط الضوء على مدلول المصطلحات...الخ كما هي في علم من العلوم في عصر معين وربما عند عالم واحد.

من هذا يظهر أن الخليل لم يقصد بمصطلحاته (حلق، لهاة، لسان، شفاه...) أعضاء يستعملها الإنسان عند النطق وغيره –كما يفعل العلماء المحدثون اليوم– بل كان يقصد بهذه المصطلحات مخارج عامة لنطق الحروف والفرق شاسع بين استعمال مصطلح لهاة أو شفاه مثلا كعضوي نطق أو كمخارج، فعضو النطق محدد –وهذا ما فهمه بعض المحدثون خطأ من مصطلحات الخليل كما سيأتي– لا يمكن أن ننسب إليه ما ليس منه فالكاف ليست لهوية على هذا الأساس بل حنكية قصية، وكذلك الفاء ليست شفوية بل أسنانية شفوية، أما إذا اعتبرنا اللهاة والشفاه مخارج نطقية أمكن توسيع دائرتيهما أكثر من دائرة العضو النطقي الذي ينسبان إليه، وعليه يمكن عد الكاف لهوية؛ أي أنها تخرج من مخرج اللهاة لا من عضو اللهاة، وكذلك الفاء شفوية أي أنها من مخرج الشفاه لا من عضو الشفتين، فالتحديد الأول فسيولوجي يراعي التحديد التشريحي للعضو، والثاني توزيعي يراعي إمكانية تجميع الأصوات في مخارج وفق رؤية محددة، وهذا هو الفارق بين عمل الخليل وأعمال من تلوه من العلماء –من الذين لم يراعوا نظريته– إلى اليوم.

وعليه فإن المصطلحات التي سيناقشها البحث لا تنتمي إلى أعضاء نطقية محددة؛ بل هي تشير إلى مخارج نطقية تم تحديدها توزيعيا بحسب إمكانات تجميع الأصوات وفق خصائصها داخل أبنية كلام العرب، فعلى سبيل المثال قام الخليل بن أحمد، بجمع ستة أصوات بعضها من مخرج اللثة وبعضها من مخرج الشفاه؛ وهي أصوات الذلاقة –سنناقش هذه القضية بعد قليل– وهي: ل، ر، ن، ف، ب، م، والذي سوغ للخليل جمعها تحت مصطلح واحد هو خصائصها التوزيعية، إذ لا يعرى بناء عربي ما فوق الثلاثي من هذه الأصوات إلا نادرا، وهذا هو السبب الذي جعل الخليل يعد صوت الفاء شفويا؛ لأن للفاء خصائص الميم والباء التوزيعية نفسها (واللام والنون والراء كذلك) –كما أشرت أعلاه.

وبهذا يندفع قول الذين انتقدوا الخليل،[1] وهم لم ينتبهوا إلى الأسس التوزيعية التي بنى عليها نظريته قال د/ عادل محلو: (ويؤخذ على هذا التقسيم –أي تقسيم الخليل– عدم التفاته إلى دور التجويف الأنفي في صوتي الميم والنون، وكذلك اعتباره الفاء صوتا شفويا، بينما هي صوت شفوي أسناني؛ كما تذكر الدراسات الصوتية القديمة والحديثة)[2]

والذي أرد به على هذا الرأي؛ أن الخليل أهمل صفة الغنة[3] كما أهمل مبحث الصفات إجمالا –وقد ناقشت هذه النقطة فيما سبق– لأنه لا يخدمه في ترتيب معجمه؛ إذ الصفة الواحدة كالجهر مثلا تدخل على أصوات من مخارج مختلفة كالعين الحلقية والزاي اللثوية والباء الشفوية... وهذا لا يخدم ترتيب الأصوات/ لذا اعتمد الخليل على المخارج التي يمكن على أساسها ترتيب الأصوات بالتدرج؛ كما يمكن أن يجمع في المخرج الواحد الأصوات ذات الخصائص المشتركة من حيث التنافر والائتلاف –وهذا يساعده على تحديد المهمل من المستعمل والأصيل من الدخيل في كلام العرب– لذا نراه عزل الخاء والغين عن مخرج أختهم القاف اللهوية وضمهما إلى مخرج الحلق، وجعل القاف والكاف من مخرج اللهاة، وذلك لأن القاف والكاف يتنافران عند بناء الكلم العربي، قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا

---

1 كالدكتور عادل محلو في كتابه: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، مطبعة مزوار–الوادي الجزائر، ط2009/1، ص: 45.

2 عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص: 45.

3 ورد ذكر لمصطلح الغنة في ثنايا كتاب العين، والغنة في اصطلاح الخليل صوت يخرج من الأنف عند النطق بالنون، قال: (الغُنَّةُ: صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشم يغُور من نحو الأنف بعونِ من نفسِ الأنفِ، قال الخليل: النون أشد الحروف غُنَّةً. وقرية غَنّاءُ أي: جمة الأهل والبنيان، ويجمع الأغَنُّ والغَنّاء على غُنٍّ. وهو بين الغُنَّة أو الغَنَن)، الخليل بن أحمد: كتاب العين، 294/3، ومن هنا يتبين لنا أن الدكتور عادل ملحو قصر دراسته لمبحث الأصوات عند الخليل على ما ورد في مقدمة كتابه مهملا بذلك ما جاء في ثنايا الكتاب وما ورد من روايات أخرى غير رواية الليث بن المظفر للمقدمة، وهذا خطأ منهجي يؤدي إلت نتائج مغلوطة في كثير من الأحيان.

بعربية محضة ولا فارسية)[1] أما القاف وأختيها في المخرج الخاء والغين فيجتمعان في كلمة واحدة بوجود فاصل مثل؛ خنق، غرق،...أو بعدمه كالأخقوق[2] الخ.

أما الزعم بأن الفاء شفوية أسنانية، تعريضا بالخليل بأن الصواب قد جانبه في وصفها،[3] فالدليل على أن الخليل واع تمام الوعي بما قام به تجاه صوت الفاء وغيره، وأن للأسنان دور في إنتاج صوت الفاء، هو وصفه للفاء بأنها شفوية أسنانية في رواية النظر بن شميل لمقدمة كتاب العين التي أثبتها أبو حيان الأندلسي، قال: (الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا، ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين)[4]

## 2- تصنيف الأحياز والمبادئ والمخارج:

استعمل الخليل عدة مصطلحات لتحديد مواقع الأصوات في ترتيبه التصاعدي، وهي؛ الحيز والمخرج والمبدأ والمدرج.

### أ- الحيز L'espace:

يطلق مصطلح حيز في الهندسة -وهي أحد فروع الرياضيات- على الفراغ L'espace وهو أنواع كثيرة،[5] وعلى أساس هذا ترجمت مصطلح الخليل حيِّز بـ: espace، لأن الحلق -بمفهومه التراثي- مثلا مكان أو فضاء واسع يضم عد من الأصوات: ء، هـ، ح، ع، خ، غ.

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 43/1.

2 الأخقوق لغة في اللُّخقوق، جاء في الحديث: 'فوقصت به ناقة في أخاقيق جرذان' وهي شقوق في الأرض، انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة: خ ق ق، ص: 97.

3 انظر: عادل محلو في كتابه: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص: 45، وعليان الحازمي: الأصوات العربية بين الخليل وسيبوية، بحوث كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى، السنة الثانية، العدد الثاني 1404-1405، ص: 356.

4 أبو حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 30.

5 انظر: معجم الرياضيات، أنجزه المعهد التربوي الوطني بالجزائر 1972م بإشراف محمد بن قادة وآخرون، ص: 55، وموسى سويسي: لغة الرياضيات في العربية، الدار التونسية للنشر-تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات-بيت الحكمة 1989م، ص: 187.

وقد يدخل صوت واحد في حيزين لا توجد بينهما أية روابط مخرجية، حيث تجمع بينهما فقط روابط توزيعية، كالميم التي تنسب إلى حيز الشفاه وحيز الذولق، قال الخليل: (... والميم من الحروف الصّحاح السّتة المذلقة التي هي في حيّزين: حيّز الشفتين، وحيّز ذولق اللّسان.. وهي من التّأليف: الحرف الثّالث للفاء والباء، وهي آخر الحروف من الحيّز الأول وهو الحيّز الشّفويّ)[1]

إن الحيز يذكرنا بالفكرة الرياضية التي تفرق بين مفهومي الانتماء والاحتواء، فمبدأ الشفتين يحتوي؛ ب ، ف، م، ومبدأ الذولق يحتوي: ر، ل، ن، وحيز الحروف المذلقة يحتوي: ب ، ف، م،: ر، ل،ن، أي أن المبدأ الشفوي والمبدأ الذولقي كلاهما ينتميان إلى حيز أكبر هو حيز الحروف المذلقة،[2] هذا الأخير يحويهما معا، والشكل الآتي يوضح ذلك:

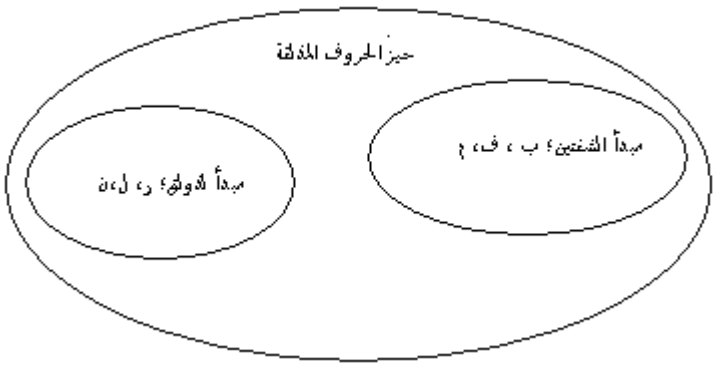


والحيز في اللغة مصدر الحوز، وهو الجمع وكل من ضم شيئا إلى نفسه فقد حازه، والحَيِّز ما انضم إلى الدار من مرافقها، والحوزة الناحية، وانحاز عدل وانحاز القوم تركوا مركزهم إلى آخر.[3]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 177/4.

2 لا يطلق الخليل على حيز الحروف المذلقة مصطلح مبدأ؛ لأن المبدأ هو مكان إنتاج وتوليد الحروف والحيز مفهوم رياضي صرفي كما سيأتي إن شاء الله.

3 انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة: خ ق ق، ص: 87.

وربما كان الخليل يقصد بمصطلحه هذا المعنى اللغوي؛ الجمع والضم، أي أن كل مكان في القناة النطقية ضم أو جمع عددا من الأصوات وفق خصائص فونولوجية معينة – كخاصيتي الائتلاف والتنافر أو خاصيتي الذلاقة والإصمات– هو حيز لتلك الأصوات، وهذا ما يمكن استنتاجه من قول الخليل: (فأقصي الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن لقُرْب مَخْرَجها من العَيْن، ثم الهاء ولولا هَتَّة في الهاءِ، وقال مَّرة "ههّة" لأَشْبَهَت الحاء لُقْرب مَخْرَج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في **حَيّزِ** واحد بعضُها أرفع من بعض ثم الخاءُ والغَيْن في حيِّز واحد كلَّهُنَّ حلقية، ثم القاف والكاف لهَويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في **حيِّز** واحد، ثم الصّاد والسِّين والزَّاء في **حيِّز** واحد، ثم الطاء والدّال والتّاء في **حيزِّ** واحد، ثم الظاء والذال والثاء في **حيِّز** واحد، ثم الراء واللام والنون في **حيّز** واحد، ثم الفاءُ والباءُ والميمُ في **حيِّز** واحد ثم الألفُ والواو والياءُ في **حيِّزٍ** واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها **حيِّز** تُنْسَب إليه)[1]

وربما قصد الخليل من مصطلحه: الحيز، المعنى اللغوي؛ جمع وضم، وعلى هذا الأساس يكون معنى الحيز هو مكان لتجميع الأصوات وفق خصائصها وقرب مخارجها، وبالتالي فالحيز أوسع مدلولا من المخرج؛ لأنه يضم عددا من المخارج.

وربما قصد الخليل المعنى اللغوي: ناحية، فيكون المصطلح حيز بمعنى ناحية وموضع توليد تلك الأصوات، وهذا يمكن استنتاجه من قول الخليل: (والياء والواو والألف والهمزة هوائية في **حَيِّز** واحد، لأنّها لا يتعلّق بها شيء، فُنسِبَ كل حرف إلى مَدْرَجَتِه ومَوْضِعُه الذي يَبْدَأ منه)[2]

وربما قصد الخليل المعنى اللغوي: عدل ومال عن الشيء أو ترك مركزه إلى مكان آخر، فيكون حينئذ معنى المصطلح حيز؛ هو إبعاد بعض الأصوات عن مخرجها الحقيقي

---

1 الخليل: كتاب العين، 41/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

(الفسيولوجي) إلى مخرج آخر مقارب[1] لأسباب توزيعية؛ تتعلق بإمكانية تجميع الأصوات في أحياز ومخارج، تسهل عليه معرفة المهمل من المستعمل والأصيل من الدخيل...الخ، وهذا من أقرب المعاني إلى منهج الخليل كما سنرى فيما بعد.

**أ- علاقة الأحياز بنظام معجم العين:**

بعد دراسة مقدمة العين، أمكن تحديد الأحياز الآتية:

1- حيز العين والحاء والهاء.
2- حيز الخاء والغين حيز كلهن حلقية.

إذن في الحلق حيزان

3- حيز القاف والكاف والجيم والشين والضاد، ولا غرابة في ضمه الأصوات الشجرية للأصوات اللهوية في حيز واحد، فقد جعل الخليل مخرج القاف والكاف والجيم واحدا قال: (وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة[2] اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم)[3]
4- حيز الجيم والشين والضاد.
5- حيز الصاد والسين والزاي.

---

1 سبق الحديث عن هذه الفكرة تحت مفهوم الإلغاء، مثاله العدول عن المخرج الشفوي الأسناني للفاء إلى المخرج الشفوي، والعدول بالخاء والغين عن المحرج اللهوي إلى الحلق والعدول بالكاف من المخرج الحنكي القصي إلى اللهوي، وقد جعل الخليل القاف والكاف من مخرج اللهاة، لأن القاف والكاف يتنافران عند بناء الكلم العربي، قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية) ، الخليل بن أحمد: كتاب العين، 43/1.

2 عقدة اللسان أو عكدته، هي أصله وأوله؛ وبالتعبير الصوتي الحديث هو جذره، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 38/1.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 38/1.

6- حيز الطاء والدال والتاء.

7- حيز الظاء والذال والثاء.

8- حيز الراء واللام والنون.

إذن في الحنك –بجزأيه اللين والصلب– خمسة أحياز.

9- حيز الفاء والباء والميم.

10- حيز الجوف: الألف والياء والواو، ولا يوجد –بعد التدقيق– أي اضطرب في وصف الخليل للهمزة، فهو تارة ينسبها للهواء وينفي عنها الحيز، قال: (الهمزة في الهواء لم يكن لها **حيز** تنسب إليه)[1] وتارة يجعلها من **حيز الجوف،** قال الخليل: (وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء ***فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ***، وكان يقول كثيرا: الألِفُ اللَّينَةُ والواو والياءُ هوائية أي أنها في الهواء)[2] وقال: (والياء والواو والألف والهمزة هوائية؛ في **حَيِّز واحد،** لأنّها لا يتعلّق بها شيء، فُنسِبَ كل حرف إلى مَدْرَجَتِه ومَوْضِعُه الذي يَبْدَأ منه)[3] فالخليل يستعمل الهواء بمعنى حيز الجوف –وسيأتي فيما بعد

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 42/1، إن وجود خلل ما في كتاب عالم معين ليس عيبا، مثلا نجد في كتاب دي سوسير تناقضات صريحة، وقد اعتذر عنها تلاميذ دي سوسير، فعندما هموا بجمع محاضراته جمعوها بطريقة ميكانيكية وكان أستاذهم قد وافاه الأجل؛ فلم يكن بوسعهم معرفة ما الثابت من آرائه وما عدل عنه؛ لذا اعتذر جامعوا محاصراته عن الخلل الذي سيلاحظه القارئ بل والتناقض أحيانا أخرى بعد أسطر قليلة من قراءته لرأي ما، ينظر مقدمة الطبعة الأولى لمحاضرات دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية–بغداد 1985.وإذا كان هناك اضطراب في وصف الهمزة عند الخليل فيمكن تفسير هذا بأن الخليل رأى رأيا ثم عدل عنه إلى رأي آخر؛ لكن الرواة الذين رووا كتابه سجلوا الرأيين معا، إجلالا لما رواه شيخهم، أو لم يتنبهوا إلى أنه عدل عن هذا الرأي فأثبتوه، لكن بعد التدقيق لاحظت أن الخليل لم يضطرب في وصف الهمزة، لأن لغة الخليل العلمية تحتاج إلى تأمل.

بيان أن مصطلح الهواء ومشتقاته يرادف مصطلح الجوف ومشتقاته- فكأنه حينما قال: (الهمزة في الهواء لم يكن لها **حيز** تنسب إليه)[1] على تقدير محذوف وهو: إلا حيز الهواء أو الجوف، وحذف لدلالة السياق عليه، ولغة الخليل في كتاب العين في عمومها تقوم على الإشارات والتلميحات والحذف والتقدير، وكأنه لا يكتب ولا يخاطب إلا فطاحل العلماء.

من هذا يظهر أن الحيز مصطلح اخترعه الخليل لأغراض تتعلق بترتيب معجمه، فالحيز يضم مجموعة من الأصوات -بعد إعمال فكرة الإلغاء- كل حيز أرفع من سابقه، وهذا يساعد الخليل على ترتيب أبواب وفصول كتاب العين.

**من هذا يستنتج أن:** غاية الخليل من استعمال الأحياز؛ هو تصنيف وترتيب مداخل الكلمات في معجمه.

**ب- المخرج L'orifice:**

المخرج على وزن مفعل؛ وهو مكان أو زمان خروج الشيء، وهو عند الخليل مكان واسع لخروج صوت أو مجموعة من الأصوات، قال الخليل: (وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللَّسان والشفتين وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة، منهما ذليقة: ر، ل، ن، ***تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم*** وثلاثة شفوية: ف، ب، م، ***مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة***...وأمَّا ***مَخْرَج*** الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة اللَّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم. وأما ***مَخْرَجُ*** العَيْنِ والحاء والهاء والخاء والغين فَالْحَلْقُ

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

وأمّا الهَمْزة ***فَمَخْرَجُها*** من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح)[1]

لاحظ كيف نسب الخليل كل مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، فالمخرج هو مكان واسع يضم مجموعة من الأصوات المتقاربة المبادئ (أي نقاط نطقها متقاربة)، والمخرج ليس نقطة نطق صوت بعينه –كما هو عند المحدثين– بل مكان يسع أكثر من صوت بشرط التقارب الشديد، فالقاف والكاف من مخرج اللهاة، والفاء وباقي الأصوات الشفوية من مخرج الشفاه؛ وبين هذه الأصوات تقارب مخرجي.

لهذا فتقسيم المخارج عند الخليل خضع لتصوره الفونولوجي التوزيعي، لا للاعتبارات الفسيولوجية التي يأخذ بها المحدثون، وقد نوقش هذا سابقا عند الكلام عن اللهاة، وفي الفصل السابق.

## 3- المخارج في تصنيف الخليل:

بحسب ما وردت مرتبة في المقدمة:

1-الذلقية: (منهما ذليقة ر ل ن، تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم)[2]

2-الشفوية: (وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء، من الحُرُوف الصَّحاح إلاَّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط)[3]

3-اللهوية ووسط اللسان: (وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم)[4]

---

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 الخليل: المرجع السابق، 37/1.

3 الخليل: المرجع السابق، 37/1.

4 الخليل: المرجع السابق، 37/1.

4-الحلقية: (وأما مَخْرَجُ العَيْنِ والحاء والهاء والخاء والغين فَالْحَلْقُ)[1]

5- أقصى الحلق: (وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق[2] مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح)[3]

فالمخارج هنا عددها خمسة، ويمكن إضافة مخرج الجوف للألف اللينة -التي رفه عنها- وللواو والياء فيصير العدد ستة مخارج.

كما يلحظ عدم الترتيب؛ وقد أشرت سابقا أن الخليل اخترع مصطلح "الحيز" لترتيب الأصوات، أما مصطلح "مخرج" فكان غايته تحديد نقاط إنتاج مجموعة من الأصوات اللغوية، ومعرفة المقارب من المباعد منها؛ لتسهل عملية معرفة ما يأتلف وما يتنافر، وهذا ما ألاحظه -في سياقات مقارنة الخليل لصوتين متناظرين- كقوله: (إن العَيْن لا تَأْتَلِف مع الحاء في كلمة واحدة لقُرْب مَخْرَجَيْهما إلا أنّ يُشْتَقَّ فِعلٌ من جمعٍ بين كلمتين مثل "حَيَّ على")[4] وكقوله: (فأقصي الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن لقُرْب مَخْرَجها من العَيْن، ثم الهاء ولولا هَتَّة في الهاءِ، وقال مَّرة "ههّة" لأَشْبَهَت الحاء لُقْرب مَخْرَج الهاء من الحاء).[5]

---

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 ظن أ.د عبد الحميد زاهيد، أن الخليل لم يجعل الهمزة من مخرج أقصى الحلق، وأرجع ذلك إلى ابن دريد، قال: (أما عن مخرج الهمزة، فقد توفق ابن دريد توفيقا لم يكن من نصيب الخليل ومن أتوا بعده، حين اعتبر الهمزة من مخرج أقصى الأصوات، وهو تحديد لم نضفر به إلا عند المبرد (ت285هـ) عندما قال: الهمزة حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف ولا يشاركه في مخرجه شيء ولا يدانيه إلا الهاء) عبد الحميد زاهيد: الجهود الصوتية لابن دريد في مقدمة كتاب جمهرة اللغة، مقالة ضمن كتاب أعمال المؤتمر الدولي السابع ماي 2007: ابن دريد الأزدي أعلم الشعراء وأشعر العلماء، المجلد1، منشورات جامعة آل البيت 2011، ص: 373، وهذا القول ليس له أساس من الصحة، فالخليل جعل الهمزة المحققة وسائر حروف العلة من أقصى الحلق.

3 الخليل: كتاب العين، 37/1.

4 انظر: الخليل: المرجع السابق، 41/1.

5 انظر: الخليل: المرجع السابق، 41/1.

فالحاء والعين من مخرج واحد في الدرس الحديث، لكن الخليل أراد بالمخرج هنا – كما هو ظاهر – النقطة الدقيقة التي ينتج فيها الصوت؛ فالعين قريبة من مخرج الحاء لا من مخرجها.

وقد يقصد الخليل بالمخرج صفة الصوت المناظر؛ وذلك في سياق مقارنة صوتين من حيز واحد، قال: (ويقال الهَمْز مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رُفِّهَ عن الهمز صار نفسا؛ تحوّل إلى ***مخرج الهاء***، ولذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة، يقال أراق وهراق وأيهات وهيهات)[1] إن تحول الهمزة إلى نفس يتحقق بتحولها من صفة الشدة إلى صفة الرخاوة.

وقد يقصد بالمخرج أول مكان لخروج النفس–المادة الأولى والخام للصوت اللغوي– قال الليث في روايته: (فدبّر ونظر إلى الحروف كلِّها وذاقَها فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق فصيَّر أولاها بالابتداء ادخَلَ حرف منها في الحلق)[2]

الحلق هنا ليس مخرجا لكل أصوات اللغة ضرورة، ولا بد من حمل معنى الحلق هنا على المعنى اللغوي؛ أي أنه مجرى النفس والطعام –كما مر سابقا– لا المعنى الاصطلاحي بمعنى أنه مخرج للهمزة والهاء والعين والحاء والخاء والغين، وإلا بطل كلام الخليل السالف الذكر.

لقد تصور القدامى أن أي صوت سواء كان مصدره الإنسان أو الحيوان، من الحلق –وهو مجرى النفس من الرئتين إلى الشفتين– قال الخليل: (أَرْزَمَتِ النّاقةُ وإرزاماً، وهو

1 الخليل: كتاب العين، مادة هتت، 289/4، وفي النص أعلاه إشارة واضحة لقانون السهولة والتيسير أو كما قال الخليل (استخفت العرب).

2 انظر: الخليل: كتاب العين، 35/1.

صوتٌ تُخرِجه من حَلْقها، ولا تَفْتَح به فاها[1]...جشأَتِ الغنمُ، وهو صوت يخرجُ من حُلُوقِها، قال امرؤ القيس:

إذا جشأت سمعتَ لها ثُغاءَ  كأنَّ الحيَّ صبَّحهُم نَعِيُّ

ومنه اشتقَّ تجشأتُ، والاسم الجُشاءُ، وهو تنفُّسُ المعِدةِ عند الامتلاءِ)[2]

لاحظ كيف تصور الخليل صوت الناقة والشاة يخرج من الحلق، فالحلق هنا ليس ذلك العضو الذي يتبادر إلى أذهاننا الذي هو مخرج للخاء والغين، بل معناه مجرى النفس بشكل عام، وكأن الخليل أراد أن يقول جهاز التنفس (=الحلق) هو جهز النطق، والله أعلم.

وعلى هذا المعنى يمكن فهم قول الخليل دون أي إشكال: (فدبّر ونظر إلى الحروف كلِّها وذاقَها فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق،[3] فصيَّر أولاها بالابتداء ادخَلَ حرف منها في الحلق،[4] وإنما كان ذَواقه إيَّاها أنّه كان يَفْتَحُ فاهُ بالألفِ[5] ثم يُظْهِرُ الحَرْفَ، نحو اَبْ، اَتْ، اَحْ، اَعَ، اَغْ، فوجد العيْن ادخَلَ الحروف في الحَلْقِ،[6] فَجَعَلهَا أوّل الكتابِ ثمّ ما قَرُبَ منها

---

1 الخليل: كتاب العين، 115/2.

2 الخليل: المرجع السابق، 241/1.

3 أي أن كلام البشر ينتج حصريا في جهاز النطق ولا يوجد مثلا صوت لغوي يكون بفرقعة الأصابع أو ما شابه ذلك

4 أي في جهاز النطق.

5 الألف الطويلة حرف ساكن عند القدامى والساكن لا يبتدأ به في كلام العرب، والألف هنا هي الفتحة أي كان يفتح فمه بالفتحة، جريا على عادة متقدمي علماء العربية الذين سموا الحركات الصغيرة بأسماء نظائرها الطويلة، قال أبو عمر الداني: (قال الداني: (وساغت العبارة عن الألف بالفتحة؛ من حيث كانت مأخوذة منها، كما عبّر النحويون القدماء عن الحركات بالحروف كذلك، فقالوا العربية على ثلاثة أحرف، وذلك مجاز واتّساع)، جامع اليان، 1148/3، والحروف الثلاث في نص الداني هي الحركات الصغيرة الثلاث، وقال ابن جني: (اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة) سر صناعة الإعراب، 17/1.

6 أي في جهاز النطق.

الأرفعُ فالأرفع حتى أتَى على آخرها وهو الميم،[1] فإذا سُئِلَتَ عن كلمة وأردتَ أن تعرِفَ مَوْضِعَهَا، فانظُرْ إلى حُرُوْفُ الكلمةِ، فمهما وَجَدتَ منها واحداً في الكتاب المقدَّم فهو في ذلك الكتاب، وقلَّبَ الخليل ا، ب، ت، ث، فوضعها على قدر مخرجها من الحلق،[2] وهذا تأليفه: ع، ح، هـ، خ، غ، –ق، ك–ج، ش، ض، –ص، س، ز–ط، د، ت– ظ، ث، ذ – ر، ل، ن– ف، ب، م– و، ا، ي، همزة)[3]

## 6– المبدأ (مكان توليد الصوت أو المخرج عند المحدثين) le point d'articulation:

بلغ عدد المبادئ في كتاب العين تسعة مبادئ، وهي:

أ– فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقيّة، لأن مبدأها من الحَلْق.

ب– والقاف والكاف لهَوّيتانِ، لأنَّ مَبْدَأهُما من اللّهَاة.

ت– والجيم والشِّين والضاد شّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم،[4] أي مَفرج الفَمِ.

ث– والصاد والسين والزاء أسلية، لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستدَقّ طرف اللّسان.

ج– والطاء والتاء والدال نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى.

ح–والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة، لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة.

خ– والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة، لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرفَي ذلق اللّسان.

د– والفاء والباء والميم شَفَويّة، وقال مّرةً شَفَهيّة لأن مبدأها من الشَفَة.

---

1 أي أن الميم آخر صوت في الحلق الذي هو جهاز النطق

2 أي جهاز النطق.

3 الخليل: كتاب العين، 34/1.

4 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

ذ- والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد، لأنّها لا يتعلّق بها شيء، فُنسِبَ كل حرف إلى مَدْرَجَتِه ومَوْضِعُه الذي يَبْدَأ منه.[1]

لاحظ أن عدد المبادئ بعدد الأحياز، وهذا يحملنا على بحث الموضوع، هل هما مصطلحان مترادفان، أم لكل وظيفة، أم عدل الخليل عن أحدهما واضطرب الرواة في معرفة الناسخ من المنسوخ، وهذا جدول يسهل المقارنة:

| المبادئ | الأحياز | ملاحظات |
|---|---|---|
| مبدأ الحلق: ع، ح، خ، غ | حيز: ع ح، هـ | سقط من مبدأ الحلق صوت الهاء |
| | حيز: خ، غ | هذا الحيز يقع ضمن مبدأ الحلق |
| مبدأ اللهاة: ق، ك<br>مبدأ الشجر: ج، ش، ض | حيز: ق، ك، ج، ش، ض | هذا الحيز جمع مبدأ اللهاة ومبدأ الشجر |
| مبدأ الأسلة: ص، س، ز | حيز:ص، س، ز | تطابق بين المبدأ و الحيز |
| مبدأ النطع: ط، ت، د | حيز: ط، د، ت | تطابق بين المبدأ و الحيز |
| مبدأ اللثة: ظ، ذ، ث | حيز: ظ، ذ، ث | تطابق بين المبدأ و الحيز |
| مبدأ الذلق: ر، ل،ن | حيز: ر، ل، ن | تطابق بين المبدأ و الحيز |
| مبدأ الشفة: ف، ب، م | حيز: ف، ب، م | تطابق بين المبدأ و الحيز |
| مبدأ الجوف أو الهواء: ي، و، والألف والهمزة | حيز: الألف، و، ي والهمزة في الهواء لم يكن لها حيزا تنسب إليه | تطابق بين المبدأ و الحيز إلا أن الهمزة عدت في أصوات مبدأ الجوف دون حيزه، وهذا شيء طبيعي فالهمزة إذا رفه عنها لانت كما قال الخليل، وصارت ألفا أو واوا أو ياء[2] |

1 الخليل: كتاب العين، 42/1.

2 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

استنتج من هذا الجدول:

أ- لم يضع الخليل للأحياز مصطلحات خاصة بكل منها مثلما فعل مع المبادئ، لذا سأسمي كل حيز باسم المبدأ المقابل له؛ حيز أقصى الحلق ع ح، هـ، حيز الحلق: خ، غ، حيز اللهاة ق، ك، ج، ش، ض، (يضم مبدأي اللهاة والشجر معا)، حيز الأسلة :ص، س، ز، حيز النطع: ط، د، ت، حيز اللثة: ظ، ذ، ث، حيز الذلق: ر، ل، ن، حيز الشفة: ف، ب، م، **حيز الجوف**: الألف، و، ي، وهذا الحيز لا علاقة له بتنافر الحروف الصحاح –لهذا بحسب رأيي أخره الخليل في تصنيفه وجعله في ذيل قائمة الأحياز– إن الصوائت العربية قصيرها وطويلها –وصوت الهمزة القطعية– تأتلف مع كل الحروف الصحاح لأنه يصيبها الإعلال فتتعدل بحسب السياق، إلا أنه يلحظ أن الصوائت تتنافر فيما بينها ككراهية توالي الضم والكسر والعكس صحيح، وامتناع سبق الواو المدية بكسر أو ياء، والياء المدية بضم أو واو، لذا عرفت العربية ظاهرة الإشمام لتقريب الصوائت المتنافرة والدلالة على الأصل الواوي في الأفعال المبنية للمجهول كسيئ، وقيل...، لهذا فجعل العلل حيز على حدة مبرر في ضوء نظرية التنافر ومنهج التوزيع اللذان بنى على أساسهما الخليل تصنيفه للأحواز.

**ب**- مبدأ الحلق يضم أصوات: ع، ح، خ، غ، وأصوات هذا المبدأ تتوزع على حيزين هما حيز أقصى الحلق: ع، ح، هـ، وحيز الحلق: خ، غ، لاحظ كيف جعل الخليل مبدأ الحلق حيزين وحذف منه الهاء –سيأتي تفسير سبب حذفه للهاء من هذا المبدأ بعد قليل– وضم إلى الحيز الأول الهاء، والسبب في تقسيم المبدأ الحلقي إلى حيزين هو تنافر أصوات كل الحيز مع بعضها، وإمكان عدم تنافر الأصوات باختلاف الأحياز –وإن كان فهو قليل إذا قورن بالأول– مثل بخع، نخع، فالخاء اجتمعت مع العين هذه الأخيرة من حيز أقصى الحلق والخاء من الحيز الموالي وهو

حيز الحلق، أما أصوات الحيز الواحد فتتنافر –وهذا بحسب دراسة إحصائية قمت بها لكتاب العين متنا وشرحا– فالتأليفات الصوتية التالية ممنوعة في العربية:

i. **في حيز أقصى الحلق:**حع، عح،[1] هح، هع، (هعر: الهَيْعَرَةُ: المرأةُ التي لا تسْتَقِرُّ مكانها نزفا من غيرِ عِفَّة. يقال: **عَيْهَرَتْ وهَيْعَرَتْ**، وهذه الياءُ لازمةٌ، إلاَّ أنَّها **لَزِمَتْ لُزُوم الحرف الأصليّ**، لأن العين بعد الهاء لا تَأْتَلِفُ إلاَّ بِفَصْلِ لازمٍ)[2] ومعنى لزومها لزوم الحرف الأصلي؛[3] أنها ليست من جذر الكلمة، لكن جيء

---

1 الهاء لا تتنافر مع العين إذا تقدمت العين مثل: عهد، عهر، عهن، وكذلك مع الغين –من حيز الحلق الموالي–مثل: غهب؛ لهذا السبب حذفها الخليل من المبدأ الحلقي إشارة لخصائص لا تؤهلها لأن تكون ضمن الصوامت وتؤهلها لتكون ضمن أصوات الجوف أو العلل وسيأتي تفصيل هذه القضية بعد قليل، وقد جعل الخليل الهاء ضمن حيز أقصى الحلق، والحيز مفهوم رياضي خليلي يضم الأصوات المتنافرة التي لا يمكن أن تأتلف منها كلمات العربية وإن بتتابعات دون أخرى، ولما كانت حروف العلل من ضمنها الهمزة لا تتنافر مع كل الأصوات، والهاء كذلك بدرجة أقل، فقد جعل الخليل هذه الحروف حيزا على حدة (حيز الجوف) وجعله آخر الأحياز في ترتيبه، إشارة إلى أن هذا الحيز يأتلف مع كل الحروف، وقد عد الهاء من الصوائت لأسباب فسيولوجية وفيزيائية سوغت له هذا الصنيع –وسيأتي بيانها فيما بعد– والهاء لا تتنافر مع أصوات حيز أقصى الحلق، لقد أنكر الخليل كلمة "العهعخ" لكن ليس لأن الهاء تتنافر مع العين بل لأن تأليف الرباعي يقضي تكرير الصدر مثل زلزل بلبل... وهذه الكلمة جاءت على خلاف ذلك، والصحيح هو "الخعخع"، قال الخليل: (سمِعْتُ كلمةً شَنعاءَ لا تَجُوزُ في **التأليف الرُباعيّ**. سُئِل أعرابيٌّ عن ناقته فقال: تَرَكْتُها تَرْعَى العُهْعُخ، فَسأَلْنا الثِقاتِ من عُلَمائهم فأنكَروا أن يكونَ هذا الاسْمُ من كلام العرب. وقال الفَذُّ –أي الشاذ الذي لا يعتد به وهو ليس من الثقات– منهم: هي شَجَرَةٌ يُتَدَاوَى بوَرَقِها. وقال أعرابيٌّ: إنَّما هو الخُعْخُعُ، وهذا موافق لقياس العربية) العين: 324/4.

2 الخليل: كتاب العين، 314/4.

3 اللزوم هو إلحاق جذر غير مستعمل بنظير له مستعمل بزيادة أحد حروف العلل، فكلمة: "**هعر**" يمكن قلبها لتصبح "**عهر**" على مثال **عهد** المستعملة، ويمكن إدخال حرف علة بين الهاء والعين فتصبح عندنا كلمة "**عيهر**" على مثال هيع وهوع المستعملتان، وهما الكلمتان الوحيدتان – وجدتهما في كتاب العين– اللتان في صدرهما هاء وفي عجزها عين لكن بفاصل من حروف العلل وحرف العلة فيهما من أصول الكلمة لا حرف لازم، و"هوع" (هاعَ يَهُوعُ هَوْعاً وهُواعاً إذا جاءه القيء ومن غير تكلّف)، و" هيع" الهاعُ: سوء الحرص. هاعَ يَهاعُ هيعة وهاعاً، إذن وكما أشرت سابقا أن العلل لا تتنافر مع الصحاح مطلقا لذا جعلها الخليل حيزا على حدة وهو آخر الأحياز، فلما كانت العلل هي من يذهب التنافر جاء بها – أي أحد حروف العلل– العربي للتخلص من الأبنية التي تحوي جذورا ذات تتابع متنافر كـ"هعر" السالفة الذكر التي تخلص العربي من تنافرها بالقلب تارة، وبالياء وهذا ما قصده –حسب رأيي– الخليل بمصطلح **اللزوم**، الذي وصف به الياء في بناء هيعر، انظر هذه الكلمات في: الخليل: كتاب العين، 258/3، و331/4 و337/4.

بهذا الحرف لمنع التتابع الفونيمي المرفوض، فلو كانت الياء هنا حرف أصلي لما كان هذا التتابع مرفوضا، بيد أن الحرف الأصلي يؤَثِّر حَذْفَه على مدلول الكلمة أما غيره فلا، فلو استعملت المصدر وقلت: ما هذا الهعر لكان المعنى مفهوما ولو قلت ما هذه الهيعرة لكان صوابا، إن الهاء والعين من مبدأ واحد وها متنافران فجيء بالياء منعا لهذا التتابع المرفوض نطقا ويبقى الجذر مبنيا من تتابع متنافر، لكن الجذر لا يستعمل حقيقة من قبل الناطقين وإنما هو تجريد لغوي لمجموعة من الكلمات المشتقة؛ لها الحروف نفسها، ومن ذكر الخليل لجواز استعمال:**عَيْهَرَتْ** و**هَيْعَرَتْ**، نفهم أن الأصل وهو أحد الكلمتين وهو: هيعر من هعر، وفرارا من التتابع المتنافر المرفوض في نظام اللغة لجأ العربي للفاصل اللازم وهو الياء أو القلب لتصبح الكلمة، عَيْهَرَتْ (عهر) على مثال التتابع المقبول مثل عهد، ومن هذا نستنتج أن كلمة عاهر مثلا هي قلب مكاني للأصل هاعر، وهناك في كتاب العين كلمات ثلاث جاءت فيها الهاء بعدها عين لكن ليس في صدر الكلمة وهي:

أ- (دهع: دَهَعَ الراعي بالنُّوقِ ودَهَدَعَ بها: إذا قال لها "دَهَاعِ أو دَهْدَاعِ" الأوَّلُ مجرورٌ. قال زائدة: ودَهْدَعَ بالسَّخْلِ إذا أشْلاَهُ) [1]

ب- (لهع: اللَّهِعُ: المُسْتَرْسِلُ إلى كلَّ شَيْءٍ. وقد لَهِعَلَهَعاًولَهَاعَةً فهو لَهِعٌ)[2]

---

1 الخليل: كتاب العين، 53/2.

2 الخليل: المرجع نفسه، 105/4.

ت- (نهع: النُّهُوعُ: تَهَوُّعٌ لا قَلْسَ مَعَه. نَهَعَ نُهُوعاً)[1]

وتفسير ذلك –من خلال ما أقره الخليل- أن الهاء أقرب الحروف الصحاح إلى حروف الجوف من الناحية الصرفية والنطقية وسيأتي بيان ذلك، لذلك فهي أقل حروف حيز الحلق تنافرا مع حروف هذا الحيز.

ث- **من حيز الحلق**:خغ، غخ. تتابع مرفوض في نظام كلام العرب.

**ومن الحيزين (أقصى الحلق وحيز الحلق) تتنافر:** (غه، هغ)، (هخ، خه)، (عخ، خع)، (عغ، غع)، (حخ،خح)، (حغ، غح)؛ لكن تتآلف العين والهاء بهذا الترتيب؛ عين ثم هاء[2] مثل: عهد، والغين والهاء تتآلفان مثل: غهب (غيهب).

**ت-** ففي حيز؛ ع، ح، ه، وحيز؛ غ، خ (مبدأ الحلق)، نجد أن الأصوات لا تأتلف فيما بينها إلا بشروط؛ قال الخليل بن أحمد (هعر: الهَيْعَرَةُ: المرأةُ التي لا تسْتَقِرُّ مكانها نزفا من غيرِ عِفَّة يقال: عَيْهَرَتْ وهَيْعَرَتْ، وهذه الياءُ لازمةٌ، إلاَّ أنَّها لَزِمَتْ لُزُوم الحرف الأصليّ، لأن العين بعد الهاء لا تَأْتَلِفُ إلاَّ بِفَصْلِ لازمٍ[3] ... وهمع: الهَيْمَعُ: المَوْتُ الوَحِيُّ، قال:

إذا بلغوا مَصْرَهُمُ عاجَلُوا  مِن المَوْتِ بالهَيْمَعِ الذَّاعِطِ

وبالغين خَطأٌ لأنَّ الهاءَ لا تَجْتَمِعُ مع الغَيْنِ في كلمة واحدة. وتَهَمَّعَ الرَّجُلُ أي تَبَاكَى وسَحابٌ هَمِعٌ)[4] وقال: (والهاء قبل الهمزة لا تحسن إذا جاءت إلا في

---

1 الخليل: كتاب العين، 273/4.

2 قد سبق بيان تنافر التتابع: هاء فعين.

3 الخليل: كتاب العين، 314/4.

4 الخليل: المرجع نفسه، 323/4.

أول بناء الكلمة فإذا فصل ما بينهما بحرف لازم حسنتا حيثما وقعتا)[1] وقال: (وليس في كلام العرب كلمة تدخل العين والهمزة في أصل بنائها إلاّ في هذه الكلمات: عِنْدأْوة وإمَّعة وعَباء، وعَفاء وعَماء، فأمّا عَظاءة فهي لغة في عَظاية، وإن جاء منه شيء فلا يجوز إلاّ بفصل لازم بين العين والهمزة)[2] وقال ابن جني: (أما إهمال ما أهمل... فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره..وكذلك حروف الحلق؛ وهي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف؛ أعني حروف الفم، فإن جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف، نحو؛ أهل وأحد وأخ وعهد وعهر)[3]، وقال السيد محمد القِنَّوْجي (ت1307هـ): (والمهمل على ضربين؛ ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة، وذاك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم، ***وكعين مع غين أو كحاء مع هاء أو غين***، فهذا وما أشبهه لا يأتلف)[4]

ويلحظ أن التنافر بين الحروف المذكور أعلاه يكون في حالة كون الكلمة عربية أصيلة، غير منحوتة ولا من باب المضاعف، قال الخليل: (ويجوز في حكاية المضاعَفة ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف، ألا تَرَى أنّ الضَّادَ والكاف إذا أُلِّفَتَا فبُدئ بالضَّادِ فقيل: "ضك" كان تأليفا لم يحسُن في أبنية الأسماء والأفعال، إلا مفصولا بين حَرْفَيه بحرف

1 الخليل: كتاب العين، 283/4.

2 الخليل: المرجع نفسه، 114/3.

3 ابن جني: الخصائص، 62/1.

4 السيد محمد صديق حسن خان القِنَّوْجي: البلغة في أصول اللغة، تح: نزير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، ص: 168.

لازم أو أكثر،[1] من ذلك الضَّنْك والضحك[2] وأشباه ذلك. وهو جائز في المضاعف نحو الضَّكضاكة من النساء. فالمضاعَفُ جائز فيه كل غَثّ وسَمين من الفصول والأعجاز والصُّدور وغير ذلك)[3]

ث- **مصطلح مبدأ:** يشير –ومن تفصيل الخليل في توزيع الأصوات على مبادئها– إلى أماكن تولد الأصوات، وكأن الخليل أراد أن يقول؛ هذه الأماكن يبدأ فيها تشكيل أمواج الأصوات المنسوبة إليها، ومن هذا يفهم أنه قد ينتهي في مكان آخر، مثل الواو القصية التي يبدأ صوتها عند أقصى الحنك وينتهي عند الشفتين.

ج- إهمال الهاء وعدم ذكرها في المبادئ يحتمل أمرين:

ب- سقط سهوا من الخليل أو من الرواة les informants أو الكتَّاب les copistes، وهذا الاحتمال أستبعده.

---

1 الحرف اللازم كما أفهمه من سياق الكلام، هو كل حرف علة (اَ، و، ي) ليس من جذر الكلمة، يؤتى به منعا للتتابع المتنافر أو المرفوض للحروف.

2 حسب رأيي النون والحاء هنا ليسا حرفين لازمين، لأن ضنك وضحك ترجعان إلى أصل ثلاثي فالنون والحاء أصل من الكلمة، وشرط الحرف اللازم أن لا يكون من أصل الكلمة وقد مر هذا عند تحليل كلمة "عيهر" قبل قليل، والخليل هنا أراد التمثيل للحال التي يمكن أن ترد فيها الضاد أولا في بنية الكلمة ثم تليها كاف مع وجود حرف لازم، لأنه لم يجد كلمة عربية يحمل جذرها التتابع "ضك" إلا كلمة ضكضاكة المضاعفة وبناء المضاعف لا يخضع لقوانين التآلف والتنافر وقول الخليل التالي يوضح ذلك، ولم أجد في كتاب العين كلمة "ضك" استعملها العرب بفاصل لازم وهو أحد حروف العلة، فلا أثر لـ: ضأك، ضيك، ضوك، ضاك. وهذا دليل قاطع أن الحرف اللازم هو أحد حرف العلة الأربعة عند الخليل، فسيبويه والنحاة من بعده لا يعتبرون الهمزة من حروف العلة.

**ملاحظة:** أورد د/ عبد الحميد هنداوي محقق كتاب العين كلمة الضكضاكة ضمن الجذر الثلاثي: ض ك ك (انظر: الخليل: كتاب العين، 22/3)، والصحيح أنها ترجع للأصل الثنائي ضك، كما نص على ذلك الخليل، قال:(وهو جائز في المضاعف نحو الضَّكضاكة من النساء. فالمضاعَفُ جائز فيه كل غَثّ وسَمين من الفصول والأعجاز والصُّدور وغير ذلك) الخليل بن أحمد: كتاب العين، 40/1. وقد أورد مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي محققا كتاب العين، كلمة الضكضاكة ضمن باب الثنائي الصحيح في باب الكاف والضاد، وهذا هو النص: (ضك مستعمل فقط، ضك: امرأة ضَكْضاكةٌ، أي: مكتنزة، صلبة اللحم) الخليل: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال– مصر، دون ذكر الطبعة وسنة النشر، 270/5.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 40/1.

ت- لهذا الصوت خاصية معينة جعلت الخليل يهمل ذكره ضمن المبادئ، فهو يرى أن الهاء نفس لا اعتياص فيها،[1] وبهذا لا يمكن أن يكون لها مبدأ محدد أو مخرج محقق، مثل بقية الصوامت أو الحروف الصحاح، ويؤيد فعل الخليل هذا ما يذهب إليه بعض الدارسين القدامى -وهذا يدل دلالة واضحة على تأثير الخليل فيهم منهجا ومصطلحا- فقد جعل مكي بن أبي طالب القيسي الهاء والألف والواو والياء ضمن زمرة واحدة سماها الحروف الخفية، قال: ( الحروف الخفية وهي أربعة؛ الهاء وحروف المد واللين... وإنما سميت بالخفية لأنها تخفي في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها وإنما لفظها هذا خفي بين حرفين أو بعد حرف أو حروف هواء... والألف أخفى هذه الحروف؛ لأنها لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها، ولا لها مخرج تنسب على الحقيقة إليه)[2] فالخفاء حسب رأيي هو خفاء العائق؛ أي عدم وجود عائق أو حاجز في مجرى نطق الحرف من شأنه أن يعيق مرور الهواء، والمحدثين يميلون إلى أن صوت الهاء ينتج عن انفتاح شديد لجهاز النطق؛ وبالتالي يكون خاليا من الحبس والتضييق ومن أي اعتراض أو تحويل لمجرى الهواء، وهذا ما دعاهم إلى إخراج هذا الصوت من زمرة الصوامت،[3] ويؤيد هذا أن الخليل رأى الهمزة والهاء -من حيث التوزيع والوظيفة الصرفية- إلى الصوائت أقرب؛ فالهمزة صوت معتل إذا سهلت لانت وصارت على غير طريقة الحروف الصحاح، قال الخليل: (وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 39/1.

2 مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، صك 51.

3 انظر: أحمد قدور : مبادئ اللسانيات، ص: 123.

غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح)[1] والهاء نفس لا اعتياص فيها، قال: (وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها، وإنما هي نفس لا اعتياص فيها)[2] وقد لاحظ الخليل أن الهاء تتغير أحوالها النطقية كالهمزة –وإن كانت بدرجة أقل وهي لا تتبادل الموقع مع حروف العلل كالهمزة– فهاء التأنيث عند الوقف عليها تنطق هاء، وعند الوصل تنطق تاء، فلها من هذه الناحية شبه بالهمزة وحروف العلل التي تتغير بحسب السياق (التوزيع)، قال الخليل: (والحروف الثمانية والعشرون على نحوين : معتلّ وصحيح . فالمعتلّ منها ثلاثة أحرف: الهمزة والياء والواو، قال: وصُوَرهنَّ على ما ترى : أوى. قال: واعتلالها تغيّرها من حال إلى حال ودخول بعضها على بعض ، واستخلاف بعضها من بعض ، قال : ***وسائر الحروف صحاح لا تتغير عن حالها أبداً غير الهاء المؤنّثة، فإنّها تصير في الاتصال تاءً*** كقولك هذه شجره فتظهر الهاء، ثم تقول هذه شجرتك شجرةٌ طيبة فتذهب الهاء وتستخلف التاء لأنّ التاء مؤنّثة . وإنّما فعلوا ذلك بهاء التأنيث ليفرقوا بينها وبين الأصليَّة في بناء الكلمة)[3] وهذا النص يهدينا إلى أن تاء التأنيث كالتي في فاطمة وحمزة، في تصور قدامى اللغويين العرب عبارة عن هاء، أي أن التاء ما هي إلا ألفون لصوت الهاء يظهر في سياق الوصل؛ وبعبارة أخرى أن البنية العميقة لصوت تاء التأنيث هو هاء، وتحت تأثير قاعدة الوصل التحويلية الوجوبية تتحول إلى تاء.

---

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 39/1.

3 أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الط1/ 2001م، ج41/1–42.

ح- الهاء صرفيا تسلك سلوك الصوامت أو الصحاح لكنها ناقصة من هذا الجانب إذ تبدل من الهمزة وتحل محلها توزيعيا، قال الخليل: (الهتُّ شِبْهُ *العَصْر* للصَّوْت، يُقالُ للبَكْر[1]: يَهِتُّ هتيتاً، ثم يَكِشُّ كشيشا، ثمّ يَهْدِرُ -إذا بزل- هديراً ويقال: *الهَمْز صوتٌ مَهتوتٌ في أقصَى الحَلْق*، فإذا رُفِّهَ عن الهَمْز صار نفسا؛ تحوّل إلى مخرج الهاء، **ولذلك استخفّتِ العربُ إدخالالهاءِ على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهَراقَ، وأيهات وهيهات)**[2].

خ- والهاء نطقيا تسلك سلوك الصوائت أو الحروف الهوائية وهي ناقصة من هذا الجانب كذلك فالهاء نفس لا اعتياص فيها؛ تشبه من حيث حرية مرور الهواء عبر اتساع كبير الصوائت لكنها لا تؤدي وظيفة توزيعية وصرفية كالتي تؤديها الصوائت الطويلة أو الحروف الجوف ومن ضمنها الهمزة. لقد شبه الخليل صراحة الهاء بحروف اللين وجعلها ألين الحروف الصحاح وأقربها لحروف اللين، قال: (وإنّما وقفوا عند هذه التّاءِ بالهاء من بينِ سائر الحروف، لأن الهاء ألينُ الحروف الصِّحاح، فجعلوا البَدَلَ صحيحا مثلها، ولم يكن في الحروف حرفٌ أَهَشُّ من الهاءِ، لأنّ الهاءَ نَفَسٌ)[3]

وقد بين لنا مكي في النص السابق أن الهاء حرف لا علاج على اللسان عند النطق به، أي لا يعترضه أي عائق يذكر مقارنة بالحروف الصحاح أو الصوامت، فهو يشبه حروف المد من هذه الناحية (خفاء الحاجز أو العائق) لذا جعل للهاء وحروف اللين مصطلحا جامعا وهو الحروف الخفية.[4]

---

1 البَكْر من الإبل التي لم تبزل أي لم يظهر لها أنياب، فإذا بزلت صارت جمالا، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/ 156.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، مادة هتت، 289/4، وفي النص أعلاه إشارة واضحة لقانون السهولة والتيسير أو كما قال الخليل (استخفت العرب).

3 الخليل: كتاب العين، مادة هنن، 328/4.

4 انظر: مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص: 51.

وفي مقارنةٍ بين الهاء والياءِ من حروف المدّ قال الخليلُ: (ألا ترَى أن الياءَ مدّةٌ **والهاءَ نَفَسٌ**، ومِن هنالك صارَ مجرى الياء والواو والألف والهاء في رويّ الشِّعر واحداً)[1] وقال: (والدَّهْدَهَةُ: قذفُك الحجارةَ من أعلَى إلى أسفلَ دَحْرَجةً. قال عمرو يصف السيوف:

يُدَهْدِهْنَ الرُّءوسَ كما تُدَهْدِي  حَزاوِرَةٌ بأيديها الكُرينا

حوّل الهاءَ الآخرةَ ياءً،[2] لأنّ الياء أقرب الحروف شبهاً بالهاء، ألا ترَى أن الياء مدّة والهاءَ نَفَس، ومن هنالك صار مجرى الياء والواو والألف والهاء في رويّ الشِّعر واحداً نحو قوله:

لمن طللٌ كالوَحْي عافٍ مَنازلُهْ

فاللاّمُ هو الرّويّ، والهاء وصل للرّويّ، كما أنّها لو لم تكن لمدّتِ اللام حتى تخرجَ من مدّتها واو أو ياء، أو ألفٌ للوصل نحو: مَنازلو، مَنازلي، مَنازلا)[3]

وهذا يدل دلالة قاطعة أن الخليل لاحظ سلوك الأصوات في سياق الكلام؛ فجعل الهمزة من حروف الجوف لأنها تتبادل معهم الموقع في تصريف الكلمة مثل: سما يسموا سماء، فالهمزة أخت للألف والواو من خلال هذا التبادل التصريفي (الإعلال).

والهاء في مجرى القافية تتبادل الموقع مع الواو والياء والألف، لذا أمكن عدها من حروف الجوف، وقد لاحظ الخليل –في النص أعلاه– أن الهاء تبدل من الياء في مثلك تدهده؛ تدهدي، فالخليل يأخذ بالحسبان المادة اللغوية الفعلية القابلة للملاحظة، وعلاقة الحرف بغيره من الحروف التي تحل محله في مختلف تصاريف الكلمة (منهج توزيعي)، وقد

1 الخليل: مرجع سابق، / 348 .

2 الأصل أن يقول: تدهده، فأبدل الهاء الآخرة ياء.

3 الخليل: كتاب العين، 2/51–52.

تأثر بهذا المنهج من جاءوا بعده على تفاوت إلى يوم الناس هذا، وسيوضح هذا الأمر في غير هذا الفصل.

إذن إبعاد الخليل لصوت الهاء من خانة المبادئ، عمل مقصود لأغراض تصنيفية تتعلق بمنهجه الذي يعمل فكرة الإلغاء ويدرس الصوت في داخل البنية الصرفية للكلمة ليحدد على إثره القوانين الفونولوجية التي تقيد عمله.

**د**- وضع الخليل منظومتين من المصطلحات؛ أحدها "المبدأ" ذا بعد صوتي فوناتيكي بحيث راعى فيه ترتيب الأصوات وفق أماكن إنتاجها، وبدأ بمجموعة الصوامت أو الصحاح ثم مجموعة الصوائت الطويلة أو العلل، والآخر "الحيز" ذا بعد فونولوجي يراعي فيه إمكانية صناعة معجمه وهذا العمل ليس غريبا على الخليل ولا على الدرس الصوتي الحديث، وسيأتي بيان ذلك عند تحليل الصفات المجملة؛ "الصحيحة/الهوائية".

**ذ**- وضع الهمزة ضمن مبدأ الحروف الهوائية أو الصوائت له ما يبرره؛ فالهمزة يصيبها ما يصيب الصوائت الطويلة من إبدال وإعلال...الخ، فهي سلكت سلوكا شبيها بسلوك الصوائت من الناحية التوزيعية الصرفية والنطقية (في حال تسهيلها)، وسيأتي بيان ذلك عند تحليل الصفات المجملة؛ "الصحيحة/الهوائية".

ر- والعمدة عند الخليل في تصنيف الحروف إلى صحاح هو الجانب الصرفي، وإلى هوائية[1] الجانب النطقي للصوائت الطويلة، أي أن الخليل لم يذكر الهاء ضمن المبادئ؛ لان المبدأ ذا بعد نطقي فوناتيكي، وصوت الهاء نطقيا لم يسلك سلوك الصوامت فلا يستحق الدخول مع أحد مبادئها، كما أنه من الناحية الصرفية لم يسلك

1 فكرة حركة الهواء أثرت على تفكير الصوتيين العرب، فسمو الحركة حركة لحرية حركة هوائها، وصنفوا الأصوات إلى مجهورة ومهموسة بحسب كمية الهواء المصاحب للصوت، وصنفوا الأصوات إلى؛ أصوات يتبعها نحو النفخ وأخرى ليست كذلك، وشبه سيبويه من يبالغ في النفخ بمن يروم الحركة، أي النفس التابع يشبه الحركة في حرية خروجه...الخ، انظر: سيبويه: الكتاب: 174/4، سأشير إلى قضية كمية الهواء في نتائج الفصل.

سلوك الصوائت حتى يتسنى للخليل وضعه ضمن مبدأ الحروف الجوف أو الهوائية، وسيأتي بيان ذلك عند تحليل الصفات المجملة؛ "الصحيحة/الهوائية".

ز- الخليل رأى الهمزة والهاء إلى الصوائت أقرب؛ فالهمزة صوت معتل إذا سهلت لانت وصارت على غير طريقة الحروف الصحاح، والهاء نفس لا اعتياص فيها، قال الخليل: (وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح)[1] وقال: (وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها، وإنما هي نفس لا اعتياص فيها)[2]

**س-** فالهمزة سلكت سلوك الصوائت توزيعا صرفيا ونطقيا (في حال التسهيل) والهاء سلكت سلوك الصوائت نطقيا؛ من حيث حرية مرور الهواء فقط، وذلك لأن الصوائت مجهورة، كما أن الهمزة قد تبدل هاء في صرف العربية مثل أراق وهراق، لذا لم يبتدئ بهما معجمه، ولم يتمكن من وضع الهاء ضمن مبدأ حروف الجوف لأن الهاء مهموسة وناقصة من الجانب الصرفي -كما أشير سابقا- وهذا لا يؤهلها لتحتل مكانا ضمن مجموعة الصوائت الطويلة أو حروف الجوف.

**ش-** مصطلح حيز يشير إلى إمكانية تجميع الأصوات؛ قصد وضع نظام لترتيبها، ويظهر لي أن مصطلح حيز لا يقصد به الخليل أماكن إنتاج الأصوات؛ من جعله الحيز الثالث -حيز اللهاة- يضم: ق، ك، ج، ش، ض،[3] وظاهر أن اللهاة بهذا المعنى ليست مخرجا أو مكانا تنتج فيه هذه الأصوات، لأنها منطقة -بهذا التحديد- واسعة وأصواتها متباعدة، إضافة إلى أن الأصوات بحسب ورودها في عمود الأحياز لم يسقط منها صوت الهاء، وبهذا الترتيب رتب الخليل أبوب معجمه، علما أن الترتيب عينه سار عليه عمود المبادئ؛ مع سقوط صوت الهاء، وإليك الترتيب الوارد

---

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 39/1.

3 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

في عمود الأحياز وترتيب المعجم، ع ح، هـ غ خ، ق، ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، ا و ي، والهمزة.[1]

**ص-** عد الهمزة في عمود الأحياز؛ أنها في الهواء لا حيز لها، والحق أنه اضطراب -ربما من الرواة لم يعلموا الناسخ من المنسوخ لتقادم عهد أراء شيخهم عليهم- فقد عد الخليل الهمزة من مخرج الجوف مع الألف والياء والواو، وقد وقع اضطراب قريب من هذا في العصر الحديث عند محاولة جمع وترتيب محاضرات العلامة سوسير،[2] وهذا بسبب إملائه المحاضرات في فترات مختلفة، وتراجعه عن بعض آرائه.

**ض-** إن جمع الخليل للأصوات المتنافرة في حيز واحد؛ لدليل قاطع على أن الحيز غير المبدأ؛ وعلى هذا فالحيز هو إجراء أو وسيلة توزيعية ينضوي تحتها مجموعة الأصوات المتنافرة أي تلك الأصوات التي لا تجتمع أو لا تتجاور في كلمة واحدة...الخ، وقد فسر لنا ابن جني ظاهرة التنافر هذه حيث قال: (أما إهمال ما أهمل... فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه، نحو؛ سص وطس وظث وثظ وضش وشض، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه، وكذلك نحو؛ قج وجق وكق وكج وجك، وكذلك حروف الحلق؛ وهي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف؛ أعني حروف الفم، فإن جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف، نحو؛ أهل وأحد وأخ وعهد وعهر وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما؛ إلا بتقديم الأقوى منهما، نحو أرل ووتد ووطد، يدل على أن الراء أقوى من اللام؛ أن القطع عليها ...[3] من القطع على اللام، وكأن ضعف اللام إنما أتاها لما

---

1 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 42/1.

2- انظر: فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، أفاق عربية-بغداد 1985، ص: 6.

3 كلام محذوف في النص المحقق.

تشربه من الغنة عند الوقوف عليها ولذلك لا تكاد تعتاص اللام، وقد نرى إلى كثرة اللثغة في الراء في الكلام، وكذلك الطاء والتاء؛ هما أقوى من الدال، وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال، وأنا أرى أنهم يقدمون الأقوى من المتقاربين؛ من قبل أن جمع المتقاربين يثقل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواهما...إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف في أول نطقه أقوى نفسا وأظهر نشاطا)[1] فسبب التنافر بين الأصوات قرب مخارجها؛ وهذا ما سوَّغ –أي التنافر– للخليل من جمع المتنافرات في حيز واحد وإن كانت تخرج من أكثر من مخرج:

- ✓ ففي حيز؛ ع، ح، هـ، وحيز؛ غ، خ (مبدأ الحلق)، نجد أن الأصوات لا تأتلف فيما بينها إلا بشروط؛ قال الخليل بن أحمد (الهَيْعَرَةُ: المرأةُ التي لا تسْتَقِرُّ مكانها نزفا من غيرِ عِفَّة يقال: عَيْهَرَتْ وهَيْعَرَتْ، وهذه الياءُ لازمةٌ، إلاَّ أنَّها لَزِمَتْ لُزُوم الحرف الأصليّ، لأن العين بعد الهاء لا تَأْتَلِفُ إلاَّ بِفَصْلِ لازمٍ[2] ... وهمع: الهَيْمَعُ: المَوْتُ الوَحِيُّ... وبالغين خَطأٌ لأنَّ الهاءَ لا تَجْتَمِعُ مع الغَيْنِ في كلمة واحدة. وتَهَمَّعَ الرَّجُلُ أي تَبَاكَى وسَحابٌ هَمِعٌ)[3] وقال: (والهاء قبل الهمزة لا تحسن إذا جاءت إلا في أول بناء الكلمة فإذا فصل ما بينهما بحرف لازم حسنتا حيثما وقعتا)[4] وقال: (وليس في كلام العرب كلمة تدخل العين والهمزة في أصل بنائها إلاّ في هذه الكلمات: عِنْدأْوة وإمَّعة وعَباء، وعَفاء وعَماء، فأمّا عَظاءة فهي لغة في عَظاية، وإن جاء منه شيء فلا يجوز إلاّ بفصل لازم بين العين والهمزة)[5] وقال ابن جني: (أما إهمال ما أهمل...

---

1 ابن جني: الخصائص، 1/62–63.

2 الخليل: كتاب العين، 4/314.

3 الخليل: المرجع نفسه، 4/323.

4 الخليل: المرجع نفسه، 4/283.

5 الخليل: المرجع نفسه، 3/114.

فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره..وكذلك حروف الحلق؛ وهي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف؛ أعني حروف الفم، فإن جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف، نحو؛ أهل وأحد وأخ وعهد وعهر)[1] وقال السيد محمد القِنَّوْجي (ت1307هـ): (والمهمل على ضربين؛ ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة، وذاك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم، ***وكعين مع غين أو كحاء مع هاء أو غين***، فهذا وما أشبهه لا يأتلف)[2]

- ✓ وفي حيز اللهاة، لا تجتمع القاف والكاف ولا الجيم والقاف، مثل: منجنيق، دخيلة، وكذلك الجيم والكاف مثل: جنكيز، كلمة دخيلة،[3] وكذلك الكاف والجيم، قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع)[4] وقال: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم[5]

---

1 ابن جني: الخصائص، 62/1.

2 السيد محمد صديق حسن خان القِنَّوْجي: البلغة في أصول اللغة، ص: 168.

3 انظر: الفاسي أبو عبد الله محمد بن الطيب : فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث–الإمارات العربي، ط2006/2، 403/1.

4 الخليل: كتاب العين، 43/1.

5 هذا نفي بما يشبه الإثبات، والاستثناء هنا غير حقيقي، والمعنى وما وجدته من كلام فيه هذه الحروف فهو أعجمي غير عربي، فالاستثناء خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي وهو توكيد النفي، وكأنه قال يستحيل مطلقا أن يكون من كلا العرب كلمات على هذا الائتلاف.

وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم،[1] وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية)[2] وقال ابن جني: (أما إهمال ما أهمل... فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه... نحو؛ قج وجق وكق وكج وجك)[3]

- ✓ وفي حيز الذلق؛ لا تجتمع الراء واللام، إلا في أحرف معدودة منها الورل وهو دابة تشبه الضب، أرل اسم جبل، جرل للحجارة المتجمعة، كما أنه ليس في كلام العرب نون بعدها راء مباشرة كنرجس.[4]
- ✓ وفي حيز النطع نجد؛ أن الطاء والتاء لا تجتمعان في كلمة عربية، مثل: طست، فهي دخيلة.[5]
- ✓ وفي حيز الشفاه؛ نجد أن الباء والميم لا تجتمعان في كلمة عربية، إلا في يَبَمْبَم وهو اسم جبل.[6]

---

1 الفصل اللازم –كما أفهمه من تتبع سياق كلام الخليل– هو أن يفصل بين الحرفين المتنافرين بحرف آخر لا يشمله التنافر، ليصبح الجذر المرفوض قابلا للاستعمال في صورة جديدة، ولا توجد في معجم العين، إلا كلمة واحدة تتكون من جيم وقاف مفصولا بينهما بالحرف اللازم الواو، (ج و ق فقط جوق: الجَوقُ: كل قطيع من الرعاة أمرهم واحد). الخليل بن أحمد: كتاب العين، 273/1، وقد نقل محقق كتاب العين عبد الحميد هنداوي في هامش الصفحة معلقا قول صاحب المحكم، الذي يرى أن الجوق يقال له الجؤق أيضا وهو يحسبه دخيلا، فالعرب لا تعرب ولا تدخل الكلمات إلى لغتها كيفما اتفق، بل تسعى لاختيار الكلمات أو تعربها بما يتوافق ونظامها اللغوي.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 43/1.

3 ابن جني: الخصائص، 62/1.

4 انظر: الخليل : كتاب العين، 1/ 38، وشوقي حمادة: معجم عجائب اللغة، دار صادر بيروت ط/2000, ص: 114–115.

5 انظر: الفاسي: فيض نشر الانشراح 403/1

6 شوقي حمادة: معجم عجائب اللغة، ص: 113.

قد يؤدي تقارب الأحياز إلى ظاهرة التنافر؛ وهذا يعكس مدى وعي الخليل في ترتيب الأحياز فيما بينها، إضافة إلى كونه جمع الأصوات المتنافرة كل في حيزها المناسب:

- ✓ فحيز اللهاة (ق، ك، ج، ش، ض) والحيز الأسلي متقاربان؛ لذا لا تجتمع في العربية جيم –وهي من حيز اللهاة– وصاد –وهي من حيز الأسلة–، فجص وصهريج وصولجان كلمات دخيلة.[1]
- ✓ وحيز اللهاة وحيز النطع متقاربان لذا لا تجتمع الجيم مع التاء في كلمة من غير حرف ذولقي، لهذا كلمة "الجبت" ليست بعربية، كما أن الجيم لا تجتمع مع الطاء لذا فكلمة الطاجن مولدة.[2]
- ✓ وحيز الأسلة وحيز النطع متقاربان، لذا ليس في العربية كلمة آخرها دالٌ بعدها زاي كـ (مهندز ) ، أو دالٌ بعدها ذال كـ ( بغداذ )[3]
- ✓ وحيز الأسلة وحيز اللثة متقاربان –بل بعض المحدثين يجعل أصوات الحيزان من مخرج واحد هو المخرج اللثوي– فلا تجتمع في العربية السين و الذال كـ ( السذَّاب ) والأستاذ.
- ✓ حيز الأسلة وحيز النطع؛ نجد أن الصاد والطاء لا يجتمعان في كلمة عربية، مثل؛ صراط كلمة دخيلة.[4]

---

1 انظر: الفاسي: المرجع نفسه، 394/1، وشوقي حمادة: المرجع نفسه, ص: 115.

2 انظر: الفاسي: فيض نشر الانشراح ، ص: 402.

3 انظر: الفاسي: فيض نشر الانشراح: 403/1، ويظهر لي أننا نستعل اليوم كلمة مهندس بدل مهندز، لجواز تأليف الدال بعدها سين في كلام العرب، مثل: دس، دهس، درس... ومن هذا نستنتج قاعدة هامة في تعريب المفردات وهو إبدال الحرف غير المؤتلف بأخر قريب منه مؤتلف إذا أمكن لتفادي النطق على غير سنن العرب. ويظهر أن بغداد لغة في بغداذ.

4 انظر: الفاسي: فيض نشر الانشراح 403/1 .

- ✓ الحيز اللهوي–الشجري: ق، ك، ج، ش، ض، والحيز الذولقي: ل، ر، ن، متقاربان، فالحيز اللهوي شمل مبدأ اللهاة (ق، ك) ومبدأ الشجر (ج، ش، ض)، لذا ليس في كلام العرب شين بعد لام مع القاف إلا دخيل قلش: الأقلَشُ اسم أعجمي.[1]

كما أن هناك قواعد صوتية أخرى تحكم بنية الكلمة العربية منها:

- ✓ ليس في اللغة العربية نون أصلية في صدر الكلمة الرباعية،[2] سوى نهسر أي الذئب، ونعنع وهو نبات معروف ذو رائحة زكية، ونهشل وهو الهرم المسن قال الخليل: (النَّرْمق فارسية معربة. ليس في كلام العرب كلمة صدرها نر نونها أصلية)[3]
- ✓ ليس في كلام العرب كلمة أولها واو وآخرها إلا حرف الواو.[4]

وقد يتعدى قانون تنافر الأحياز المتقاربة، إلى التي بينها فاصل:

- ✓ فالجيم التي هي من حيز اللهاة لا تجتمع والطاء التي هي من حيز النطع، في كلمة عربية مثل: الطاجن كلمة دخيلة.[5]
- ✓ ليس في كلام العرب واو بعدها ألف أصلية في صدر البناء إلا مهموزة، واق: الواقة من طير الماء، عراقية، ومنهم من يهمز الألف لأنه نحو؛

---

1 انظر: الخليل : كتاب العين، 423/3.

2 يستثنى من ذلك الكلمات الثلاثية أو ذات الأصل الثلاثي مثل: ناقة أصلها نوق، ونبع ونبل ونجل ونجد ونمل كلها كلمات النون فيها من أصل الكلمة، فالقاعدة السابقة تخص الكلمات الرباعية.

3 الخليل : كتاب العين، 267/4.

4 شوقي حمادة: معجم عجائب اللغة, ص: 114.

5 انظر: الفاسي: فيض نشر الانشراح: 403/1 .

الوألة والوأقة، فلين الهمزة، جاء في الرجز: أبوك نهاري وأمك واقةٌ، ويقال: قاقة.[1]

7- **المَدرَجة:** **Le** passage

يأتي الجذر د ر ج في اللغة بعدة معان منها:

5-المدرجة لغة ممرُّ الأشياء على مسلك الطَّريق ونحوه، ورجعتُ في أدراجي أي طريقي الذي مررتُ فيه.

6-الدَّرَجُ: واحده درجة، وهو عتب الدَّرَجَةِ أي مراقي السلم. والدَّرَجَةُ في الرِّفعة والمنزلة، وتجمع الدَّرَج، ودَرَجاتُ الجنان: منازلُ ارفع من منازلَ.

7-ودَرَجَ قرنٌ بعد قَرنٍ أي فنوا، وأدرجَهُم الله إدراجاً.[2]

من خلال هذه المعاني يبدو أن الخليل أطلق الدرج ليبين:

أ- ترتيب خروج الأصوات في القناة النطقية تصاعديا من الحنجرة إلى الشفتين.

ب- فناء الصوت بعد أن يندرج، أي أن الحرف يفنى مباشرة عند إدراجنا وأخذنا في نطق حرف آخر.

وعلى هذا فالمدرجة غير المبدأ، حيث يظهر أن الخليل قد ذكرهما مقترنين في سياق حديثه عن مدارج الحروف. قال: (فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقيّة؛ لأن مبدأها من الحَلْق، والقاف والكاف لَهَوِيتانِ؛ لأنَّ مَبْدَأهُما من اللّهَاة، والجيم والشِّين والضاد شَجْريّة؛ لأن مَبْدَأها من شجْر الفم أي مَفرج الفَمِ والصاد والسين والزاء أسلية؛ لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان -وهي مُستدَقّ طرف اللّسان- والطاء والتاء والدال نِطْعيَة؛ لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة؛ لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة، والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة؛ لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان، وهو تحديدُ طَرفَي ذلق اللّسان،الفاء والباء والميم شَفَويّة وقال مرّةً

1 انظر: الخليل : كتاب العين، 406/4.

2 انظر: الخليل : كتاب العين، 18/2.

شَفَهيّة؛ لأن مبدأها من الشَفَة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد؛ لأنّها لا يتعلّق بها شيء، ***تُنسِبَ كل حرف إلى مَدْرَجَتِه ومَوْضِعُه الذي يَبْدَأ منه***)[1]

وقال الخليل: (اعلم أنَّ الحروف الذُلْقَ والشَّفَوِيَّةَ ستَّة وهي: ر ل ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن؛ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللِّسان والشفتين وهما ***مَدْرَجتا*** هذه الأحرف الستة)[2]

(قال اللّيث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً صِحَاحا لها أحيزاً **ومدارج**، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّيِنَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ **في مدرجة من مدارِج** اللِّسان، ولا من **مدارِج الحَلْق**، ولا من **مدرِج اللهاة**، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ)[3]

يستشف من هذه النصوص:

أ- الأحياز مصطلح اخترعه الخليل لجمع الأصوات وفق خاصية التنافر أو خاصية أصالة الكلم (حيزي أصوات الذلاقة)، وحيز الجوف جمع الأصوات التي لا تتنافر مع باقي حروف الأحياز الأخرى، لذا أخر الخليل ذكره، **ولا يكون الحرف اللازم إلا منها.**

ب- المدرج من خواص الصحاح؛ فليس لحروف الجوف مدرج (في تصنيف الخليل لا على الحقيقة) وبدلك يكون مصطلح مدرج مخصص لتصنيف الصحاح، ومعنى أن العلل لا مدرج لها، أي ليس لها مخرج محقق كالصحاح، وإنما مخرجها الجوف أي أن القناة النطقية كلها طالحة لتكوين غرفة رنين لموجات هذه الأصوات، وسيأتي تفصيل ذلك عند دراسة مصطلح: جوف/هوائية.

---

1 الخليل: كتاب العين، 41/1-42.

2 الخليل: المرجع نفسه، 37/1.

3 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

ت- الجوفية من خواص حروف اللين.

ث- قد تعني المدرجة في بعض السياقات، طريقة نطق لا مخرجا معينا، قال: (ويقال: اظَّأَرْت لولدي ظِئْراً، أي اتخَذْتُ، وهو افتَعَلْتُ فأُدغِمَت التّاء في باب الافتعال فحُوِّلَتْ مع الظاء طاءً لأن ***الطاءَ من فِخام حروف الشَّجْر التي*** قَرُبَت مخارجها من التاء، فضَمّوا إليها حرفا فِخماً مِثلَها ليكونَ أيْسَرَ على اللسان ***لتبائن مَدْرَجة الحروف الفِخام من مَدارج الحروفِ الخُفْتِ***، وكذل تحويل تلك التّاء مع الضاد والصاد طاءً لأنّها من الحروف الفِخام)[1] فرنين الأصوات الفخام يختلف عن رنين الحروف الخفت (المنفتحة) بسبب اختلاف أوضاع اللسان وكيفية النطق بها.

- **ثانيا مصطلحات جهاز النطق:**

**1- الحلق: La cavité parmi la glotte et la racine de la langue**

قال الليث معللا سبب ترتيب الخليل للحروف: (فدبّر ونظر إلى الحروف كلِّها وذاقَها فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق فصيَّر أولاها بالابتداء أدخَلَ حرف منها في الحلق)[2] بين لنا هذا النص أن الحلق هو أول الأعضاء النطقية عند الخليل؛ وهذا خلافا وتصحيحا لما أورده د/ قاسم البريسم الذي قال: (يأتي الحلق بعد الجوف في تدرج أعضاء النطق عند الخليل)[3] والصحيح كما مر، أن الجوف هو أخر الأحياز في تصنيف الخليل.

وترتيب الخليل للحروف كما يظهر -جاء بحسب اتجاه سير الهواء من الداخل إلى الخارج- وهذا معنى كلام الليث: (فوجد مخرج الكلام كله من الحلق)؛ إذ كما هو معلوم أن الحلق مخرج لستة أصوات صحاح عند الخليل وغيره، لذا يحمل معنى هذا النص على مبدأ

---

1 الخليل: المرجع نفسه، 3/ 72.

2 الخليل: كتاب العين، 34/1.

3 قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية-بيروت ط2005/1، ص: 108.

الكلام كله من الحلق؛ وبعبارة المحدثين أقول: أول نقاط الاعتراض هو أقصى الحلق الذي تخرج منه الهمزة والهاء.

وقد وزع الخليل ستة حروف على ثلاثة مدارج في مخرج الحلق قال: (وأما مَخْرَجُ العَيْنِ والحاء والهاء والخاء والغين فَالْحَلْقُ)[1]

وهذا يعني أن الحلق عنده يشمل؛ الحنجرة والحلق –بمعناه الحديث– وأقصى اللسان مقابلا للهاة حيث تخرج الخاء والغين المفخمتين، وقد أشير سابقا أن الحنجرة بمعناها المعروف اليوم كانت تحمل معنى مختلفا زمن الخلل؛ لذا لا نجدها من مخارج الحروف عنده، وهذا يدفع ما توهمه بعض المحدثين، الذين أنكروا على الخليل توزيعه السابق، قال د/قاسم البريسم: (وهو يشمل عنده منطقة واسعة؛ تضم الحنجرة حتى الحنك اللين... وهذا التحديد الواسع للحلق، أثر في وصفه لبعض الأصوات وتحديد مخارجها فنسب العين والحاء والهاء والخاء والغين إلى الحلق ...والحقيقة أنه ليس جميع هذه الأصوات تنتج في منطقة الحلق التي أشرنا إليها، وكما يقرر علماء الأصوات المحدثون بل منها ما هو حلقي؛ كالعين والحاء، ومنها ما هو حَنْجَري؛ كالهاء، ومنها حنكي قصي كالخاء والغين)[2] وهذا الكلام فيه مخالفة واضحة لما قرره الخليل والدرس الصوتي الحديث:

أ- ما دام الحلق منطقة واسعة؛ تضم الحنجرة حتى الحنك اللين، فلم الإنكار على الخليل إذ عَدَّ؛ الهاء الحنجرية والخاء والغين القصيتان حَلْقِيات، علما أن مصطلح الحنجرة وأقصى الحنك لم يردا في كتاب العين ناهيك عن كونهما من اصطلاحات المحدثين.

ب- ليست الخاء والغين من أقصى الحنك، إلا إذا كان د/قاسم البريسم يقصد بها اللهاة، لأن المنطقة التي تلي مخرج العين والحاء هي أقصى اللسان وما يقابله

---

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 108.

من اللهاة؛ وهي مخرج للخاء والغين المفخمتين –والقاف كذلك– لأن للخاء والغين مخرجان؛ ففي حال الترقيق –إذا وليهما كسر– يخرجان من الحنك اللين عند مخرج الكاف، وفي حال التفخيم يخرجان من اللهاة عند مخرج القاف، ووصف القدامى ينصرف إليهما حال كونهما مفخمين،[1] وعلى هذا فتحديد د/قاسم البريسم للحلق عند الخليل بأنه يشمل الحنجرة والحنك اللين غير دقيق، فالحنك الين مخرج للكاف –والخاء والغين المرققتين– وقد جعل الخليل ضمن مخرج اللهاة مع القاف، وقد سبق بيان سبب عزل الخليل للقاف عن أخويها الخاء والغين وضمها للكاف.

ت- تقديم الخاء والغين على القاف كان لأسباب تتعلق بمنهج الخليل في ترتيب الأصوات؛ الذي يعتمد على معطيات النظام الصرفي و سياقات توزيع الأصوات، وقد تأثر سيبويه بهذا المنهج إذ جعل دراسة الأصوات ضمن باب الإدغام، وكما هو معلوم فالنون تخفى عند الخاء والغين وقد تظهر، بخلاف القاف واجبة الإخفاء، ومن هذه الناحية تشبه الخاء والغين باقي حروف الحلق التي تظهر عندها النون، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقدامى الصوتيين العرب؛ وبحسب طريقة ذوقهم للحروف جعلوا السياق هو الحكم على الصوت من حيث المخرج والصفة، فذوقهم للأصوات كان بمقتضى إمكانيات ما يلحقه أو بما يسبقه من الصوائت وسنزيد الأمر توضيحا عند تحليل صفات الهمس والجهر والقلقلة والنفسية، قال السيرافي: (وقال الفراء: اعلم بأن الألف والهمزة والعين والحاء أخوات؛ وذلك لتقاربهن في المخرج من أقصى الحلق إذا امتحنت ذلك وجدته، ***والذي يتلوهن في القرب منهن والبعد من غيرهن الغين والخاء، فلذلك بينت العرب النون عند الحاء وأخواتها فلم يكن إلا التبيين، وبينوها مرة وأخفوها عند***

1 انظر: حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص : 70، وسمير شريف استيتية: اللسانيات، ص: 49، و له أيضا : الأصوات اللغوية، ص:146.

***الخاء والغين فلقربهما من أخواتهما ولارتفاعهما عن درجاتهن لم يبينوا فهذا لأقصى المخارج)***[1] من هذا النص يستنتج أنه بسبب التفخيم الدائم للقاف أخفيت النون عنده، وبسبب تعاور التفخيم والترقيق على الخاء والغين بحسب السياق اختار بعض العرب الإخفاء وغيرهم الإظهار، وقد وردت قراءات قرآنية بإظهار النون عند الخاء والغين وبإخفائها بغنة، قال الشيخ العطار: (فأما الإظهار فعند الأحرف الحلقية لتباعدها منها، وأشد الحلقية منها تباعدا الهمزة، والهاء والعين والحاء، وأخفاها بعضهم عند الغين والخاء)[2] وقد أخفى النون الساكنة والتنوين أبو جعفر يزيد بن القعقاع واسحاق بن محمد البستي عن نافع، وابن الباذش من طريق الأهوازي لابن شنبوذ عن أبي نشيط، وبه أخذ الخزاعي لأبي نشيط من جميع طرقه.[3]

**2- اللهاة: La luette et le palais mou**

ذكر الخليل مخرج اللهاة تاليا لمخرج الحلق، وقد نسب لها صوتي القاف والكاف قال: (والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة)[4]

ومن تصنيف الخليل للكاف الحنكية القصية ضمن مخرج اللهاة، يتبين أنه قصد باللهاة؛ منطقة تشمل اللهاة بمعناها العلمي المعروف اليوم وتشمل أقصى الحنك حيث مخرج الكاف.

---

1 السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 392/5.

2 أبو العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 271-272.

3 انظر: أبو العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 272.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

ويشفع لهذا أنه وسع مخرج اللهاة ليشمل مخرج الجيم التي تخرج من وسط الحنك قال: (وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة[1] اللَّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم)[2] فمن فقوله: (من بين عقدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم) يفهم:

أ- أنه جعل كل المنطقة الممتدة من وسط اللسان إلى اللهاة؛ مخرجا واحدا لثلاثة أصوات هي؛ القاف والكاف والجيم، وهذا يعكس لنا أنه لم يقصد باللهاة ذلك المعنى المعروف لنا اليوم.

ب- من قوله: (اللهاة في أقصى الفم) ندرك أنه منح للهاة معنى اصطلاحيا أوسع من المعنى اللغوي؛ الذي يشير إلى أنها لحمة في أقصى الفم، كما أنه يدرك أن الكاف ليست من نقطة نطق القاف، قال: (ثم القاف والكاف لهَويتان، والكاف أرفع)[3]

ومن هنا يندفع زعم من رأى أن الخليل قد أخفق في تحديد اللهاة،[4] أو أخطأ في تقدير مواضع نطق الكاف؛ لأن الكاف حنكية قصية، قال قاسم البريسم: (ويبدو أن الخليل أخطأ في تحديد اللهاة، تحديدا يتفق والمفهوم الحديث لها، فهي عنده منطقة تمتد إلى الأمام لتشمل منطقة الحنك اللين؛ التي تدخل هي الأخرى في مفهوم الحلق عنده، وهذا ما يفسر لنا ضم الكاف إلى هذه المنطقة ووصفها بأنها لهوية)[5] هذا النص لا يخلو من إعادة النظر في ضوء الآتي:

أ- الخليل لم يخطئ في تحديد اللهاة، بل منحها معنا اصطلاحيا أوسع من المعنى اللغوي، وذلك لكي يتمكن من جمع الأصوات في مجاميع وأحياز وفق مبدأ التنافر – أشير إلى هذا سابقا- إن الحيز حسب تصنيف الخليل يقتضي أن يتم تجميع

---

1 العقدة هنا معناها وسط اللسان، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 196/3.

2 الخليل: كتاب العين، 41/1.

3 الخليل: كتاب العين، 41/1.

4 قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 109.

5 قاسم البريسم: المرجع نفسه، ص: 109.

الأصوات في مخارج مشتركة لا على أسس فسيولوجية فقط بل أيضا على أسس توزيعية،[1] تفسر له ائتلاف أو تنافر الأصوات في الكلمات المستعملة والمهملة؛ فإذا كانت القاف لا تتنافر مع أصوات الحلق وتتنافر مع صوتي الجيم والكاف، فما وجه الصحة في أن يجعل القاف ضمن مخارج الحلق مع أختيها الخاء والغين، فقط لأنه ضم مخرج أقصى اللسان إلى مخارج الحلق وهذا للاعتبارات الفسيولوجية فقط، إن وصف الخليل للقاف والكاف بأنهما لهويتان،[2] لا يدل بالضرورة على أنه يجهل اللهاة بمعناها الحديث؛ بل المنحى التطبيقي في تصنيف معجمه دفعه إلى البحث عن نظرية تحدد له المستعمل من المهمل، وهذا وفق مبدأي التنافر والائتلاف؛ هو ما برر له عزل القاف عن مخرج الحلق دون أختيها الخاء والغين، وضمها مع الكاف إلى مخرج اللهاة، وهذا هو مفهوم الإلغاء.

ب- منطقة الحنك اللين لا تدخل في مفهوم الحلق عند الخليل، ولو كان هذا صحيحا لعد أصوات القاف والكاف من أصوات الحلق، أما صنيعه مع الخاء والغين اللهويين إذ عدهما من أصوات الحلق دون القاف، فهذا لأنه لم يلاحظ أي تنافر في بناء الكلمات بين هذه الأصوات،[3] ووجد القاف والكاف بينهما تنافر، فأعمل فكرة الإلغاء فألغى مخرج الخاء والغين اللهوي وأدرجهما مع أصوات الحلق لأن بين هذه الأصوات الحلقية قد يحدث تنافر كما في: خعخع، فالخاء من أدنى الحلق والعين من أوسطه.

1 أي بحسب إمكانية تجاور الحروف في السياق.

2 انظر: الخليل: كتاب العين، 41/1.

3 أي بين الأصوات الحلق بما فيها الغين والخاء والأصوات اللهوية (ق، ك)

### 3- شجر الفم: Le palais dure

هذا المخرج يلي اللهاة في تريب الخليل، وقد استعمل عدة مصطلحات للإشارة لهذا المخرج وهي؛ شجر الفم (الشجر مفرج الفم، وقيل مؤخرته، وقيل ما انفتح من منطبق الفم)[1] كما سمى هذه المنطقة بالغار الأعلى، حيث نسب الشين صراحة للغار قال: (مخرج الشين بين الغارِ الأعلَى وبين ظَهْر اللِّسان)[2] وهذا باعتبار معلمان هما اللسان وسقف الفم، أما باعتبار معلم واحد فقط فالشين شجرية، والطاء وأخواتها حروف نطعية، وسأوضح هذه النقطة عند الحديث عن مخرج الأصوات النطعية، وهو يقصد بشجر الفم أو الغار الأعلى؛ منطقة الحنك الصلب مع استثناء النطع واللثة اللذان هما مخرج لأصوات أخرى لم ينسبها الخليل لشجر الفم (الحنك)، كالطاء والدال... وهذا تنبيها لكون الحنك الصلب (الغار الأعلى) –تشريحيا[3]– منطقة أوسع بكثير مما حددها بها الخليل.

وقد نسب الخليل لهذا المخرج أصوات: الجيم والشين والضاد.[4]

### 4- أسلة اللسان: Le Plat de la langue

أسلة اللسان مستدق طرف اللسان،[5] ومصطلح الخليل هذا يعادل المصطلح الحديث؛ طرف اللسان Le Plat de la langue وهو الجزء الأمامي من اللسان الذي يقابل اللثة.[6]

---

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1، وقاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 110.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

3 يشمل الرف اللثوي والقوس الحامل للأسنان العليا، ويحده من الخلف الحنك اللين.

4 انظر: الخليل: كتاب العين، 41/1-42.

5 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

6 انظر برتيل مالبرج: الصوتيات، ص: 72، وكمال بشر :علم الأصوات، ص: 138 ،وسعد مصلوح :دراسة السمع والكلام، ص: 136.

ميز الخليل بين أسلة اللسان وذلقه؛ فنسب الصاد، السين، الزاي، إلى أسلة اللسان، ونسب الراء واللام والنون إلى الذلق،[1] قال: (اعلم أنَّ الحروف الذُّلْقَ والشَّفَوِيَّةَ ستَّة وهي: ر ل ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن ***الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللّسان*** والشفتين، وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة، منهما ***ذليقة: ر ل ن، تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم،*** وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة)[2]

من هذا النص نستنتج أن أسلة اللسان أوسع فهي تشمل الذلق؛ لأن الذلق هو طرف أسلة اللسان أو كما عبر الخليل: تحديد –أي الجزء الحاد– طرفي أسلة اللسان، قال الخليل موضحا مخارج الحروف الأسلية والذلقية: (***والصاد والسين والزاء أسلية، لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستَدَقّ طرف اللّسان،*** والطاء والتاء والدال نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة، لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة، ***والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة، لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرَفَي ذلق اللّسان***)[3]

ويفهم ضمنا من جعله مخرج (ر ل ن ) من طرفي ذلق اللسان؛ أن هذه الأصوات جانبية، وهذا ما يؤكده قول الخليل: (ولم ينحرفْنَ –أي الحروف اللسانية– عن ظهر اللِّسان انحراف الرَّاء واللّام والنَّون)[4]

### 5- نطع الغار الأعلى (مقدم الحنك): L'alvéole ou le pré palais

ورد هذا المخرج عند الخليل بعد مخرج الحروف الأسلية؛ ص، س، ز، التي جعلها بعد الحروف الشجرية وهذا يوحي بالتناوب؛ فتارة يعتمد سقف الفم أساسا لتحديد مخرج

---

1 انظر: قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 111.

2 الخليل: كتاب العين، 37/1.

3 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

4 الخليل: المرجع نفسه، 37/1.

الحرف كما في الأصوات اللهوية (ق،ك) والحروف الشجرية (ج، ش، ض)، والحروف النطعية (ط، ت، د) والحروف اللثوية (ظ، ذ، ث) وتارة يعتمد اللسان أساسا لتحديد مخرج الحرف كما في الحروف الأسلية (س، ص، ز) والحروف الذولقية (ر، ل، ن)، وهذا التناوب يمكن تفسيره بأن الخليل لما أراد جمع الأصوات في مجاميع وأحياز وجد بعضها ينسب إلى مخرج واحد إذا اعتمد سقف الحنك وحده أو اللسان وحده كمعلم أساسي للتقسيم، فمثلا النون تنطق بطرف اللسان وما يحاذيه من اللثة، أما اللام فتنطق بطرف اللسان وما يحاذيه من اللثة والحنك الأعلى،[1] وعلى هذا يمكن عدها لثوية إذا كان سقف الفم هو معلم التقسيم وهنا تشترك مع الحروف اللثوية –في التصنيف الخليلي– وهي: الظاء، الذال، الثاء.

وطرف اللسان –ذلقه– له دور هام في إنتاج الأصوات بين أسنانية: ( ظ، ذ، ث) إذ يتم أداؤها بوضع ذلق اللسان بين الثنايا، دون المبالغة في إخراج ذلقه أو رأسه، وله دور مهم كذلك في إنتاج الأصوات اللثوية الأسنانية: (ط، د، ت) إذ يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبما جاورها من اللثة[2] وعلى هذا يمكن تصنيف هذه الأصوات بأنها ذولقية، وبهذا تصبح الحروف اللثوية ( ظ، ذ، ث) والنطعية: (ط، د، ت) في تصنيف الخليل؛ حروفا ذولقية، ومثل هذا نجده عند بعض المحدثين فهم يصنفون:

1- بين الأسنانية : الظاء والذال والثاء

2- الأسنانية: الضاد والطاء والتاء والزاي والصاد والسين.

3- اللثوية: اللام والراء والنون.[3]

والدليل على أن إعمال معلم واحد يؤدي إلى اختلاف التصنيف فيما لو أعمل معلمان كاللسان وسقف الحنك، نجد أن الخليل بإعمال سقف الفم جعل: (الطاء والتاء والدال

---

1 انظر: ابن الجزري: التمهيد، ص: 43.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 573/4ن و ابن الجزري، التمهيد، ص: 44، و محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 31-32.

3 انظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص: 31، و أحمد حساني: مباحث في اللسانيات: ص: 83.

نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى)[1] والشين شجرية قال: (والجيم والشِّين والضاد شّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم)[2] وعندما أعمل معلمي اللسان وسقف الفم جعل الشين غارية قال: (مخرج الشين بين الغارِ الأعلَى وبين ظَهْر اللِّسان)[3]

وبهذا أستنتج أن الاختلاف في تصنيف الأصوات مخرجيا يخضع لاعتبارات:

أ- عدد معالم التقسيم.

ب- إعمال أو عدم إعمال فكرة الإلغاء.

إذن فاشتراك مجموعة من الأصوات باعتبار معلم واحد للتقسيم ممكن؛ لكن لا يخدم أغراض الخليل التطبيقية التي تهدف إلى جمع الأصوات في مجاميع وأحياز وفق ما يمكن أن تتقابل معه، هذا ما نجده في صنيعه مع الفاء والباء والميم؛ إذ نعتها الخليل بأنها شفوية،[4] وليست الفاء شفوية بل شفوية أسنانية،[5] والذي سوغ للخليل بن أحمد أن يجعلها شفوية، حسب رأيي:

أ- **القرب المخرجي:** فالقرب المخرجي مسئول عن بعض التنافرات الموجود بين أصوات الحيز الواحد، وبتتبع إحصائي لجذور معجم العين والنص القرآني، وجدت أن هناك تتابعات فونيمية مرفوضة من الحيز الشفوي، وستوضح هذه النقطة بعد قليل.

ب- **الوظيفة الصرفية:** وقد تم مناقشة هذه النقطة سابقا.

لهذا السبب نجده يعمل فكرة الإلغاء، فيعزل الصوت عن مخرجه الحقيقي ويدمجه مع مخرج غيره فيستقيم له الأمر من حيث أنه يبحث في خصائص الأصوات في علاقتها

---

1 الخليل: كتاب العين، 41/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

3 الخليل: المرجع نفسه، 37/1.

4 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

5 انظر: سيبويه : الكتاب، 573/4، وابن الجزري: التمهيد، ص : 44 . و كمال يشر: علم الأصوات، ص : 297 .

ببنية الكلم من حيث التنافر والائتلاف، وهذا يخدم أغراضه التي تهدف إلى تحديد المهمل من المستعمل من كلام العرب، ليستكمل بناء معجمه.

**6- اللثة: La gencive**

ورد هذا المخرج بعد مخرج النطع، وقد نسب له الخليل أصوات: الظاء، الذال، الثاء، قال: (والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة، لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة)[1]

**7- ذلق اللسان: Apex ou pointe de la langue**

ورد هذا المخرج بعد مخرج اللثة، وقد نسب له الخليل عددا من الأصوات قال: (والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرفَي ذلق اللّسان)[2]

ولا بد من التفريق هنا بين الذلاقة؛ وهي مصطلح توزيعي، يتعلق بتردد ورود أصوات: ل، ر، ن، ف، ب، م، في معظم الأبنية الرباعية والخماسية ذات الأصل العربي، والذليقية أو الذولقية التي هي مخرج لأصوات: ل، ر، ن، إذن الذلاقة غير الذلقية؛ لذا لا يصح القول بأن حروف الذلاقة مخرجها ذلق اللسان، بل بعضها من ذلق اللسان وبعضها من الشفتين كما لا يصح القول بأن الباء والفاء والميم ذولقية، بل من حروف الذلاقة، قال الخليل موضحا الفرق بين الذلقية والذلاقة: (اعلم أنَّ الحروف ***الذُّلْقَ والشَّفَوِيَّة***[3] ستَّة وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن؛ ***الذلاقة*** في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللِّسان والشفتين وهما مَدْرَجتا هذه الأحرف الستة، منهما ***ذليقة: ر ل ن، تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن***

1 الخليل: كتاب العين، 41/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

3 لاحظ كيف قرن الحروف الذلق بالشفوية، ولم يقل الذلق فقط ثم عد بعده الحروف الستة المذكورة أعلاه، وهذا يدل صراحة أن الحروف الذلق غير حروف الذلاقة، فالتشابه فقط في اشتقاق المصطلح.

***خاصة***، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء، من الحُرُوف الصِّحاح إلاَّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللِّسانُ إلا بالرَّاء واللّام والنون)[1]

قال الخليل مبينا معنى الذلاقة ودور حروفها في بناء الكلمات الرباعية والخماسية: (فلمَّا ذَلَقَتِ الحُروفُ السِّتَّةُ، ومَذَلَ بِهِنَّ اللِّسان وسَهُلَتْ عليه في المَنْطِقِ كَثُرَتْ في أَبنِيَةِ الكلام فليس شَيْءٌ من بِناء الخماسيّ التَّامّ يَعْرَى منها أو من بعضها. قال الخليل: فإن وَرَدَتْ عليك كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة معرَّاة من حروف الذَّلَق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدَعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعيَّة أو خماسيَّة إلاَّ وفيها من حروف الذَلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر...)[2]

وقال: (وأما البناءُ الرباعيُّ المُنبَسطِ فإنَّ الجُمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذُلْق أو من بعضها، إلاَّ كلمات نحوا من عشر كن شواذَّ؛ ومن هذه الكلمات: العَسْجَدُ والقَسْطوس والقُداحِس والدُعشُوقةُ والهُدْعةُ والزُهْزُقَةُ... وليس في كلام العَرَب دُعْشوقة[3] ولا جُلاهِق، ولا كلمة صَدْرُهَا "نَرَ" وليس في شيء من الأَلْسن ظاءً غير العربية ولا من لِسانٍ إلا التَّنُّور فيه تَنُّور، وهذه الأحرف قد عَرِينَ من الحروف الذُلْق، ولذلك نَزَرْنَ فَقَلَلْنَ، ولولا ما لزمَهُنَّ من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال، ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنَصاعتهما، فإنْ كان البناءُ اسماً لَزِمَتْهُ السِّين أو الدَّال مع لزوم العَيْن أو القاف، لأن الدَّال لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكزازتها وارتَفعت عن خُفُوت التّاء فَحَسُنَتْ، وصارت حالُ السِّين بين مَخْرَجِ الصَّاد والزاي كذلك، مهما جاء من بناء اسم رباعي مُنْبَسِط معرّى من الحُرُوف

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 37/1.

3 جعل قبل قليل الدعشوقة كلمة عربية أصيلة، وهنا عدل عن ذلك، وربما هذا من توهم النساخ أو الراوي.

الذُلْق والشَّفَويَّةِ فإنّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَي الطَّلاقةِ أو كليهما ومن السين والدال أو أحدهما، ولا يضُرُّ ما خالف من سائر الحروف الصُتْم)[1]

وعلى هذا فالذلاقة مصطلح توزيعي بالأساس، وليس صفة نطقية أو مخرجا لصوت إنها تتعلق بورود أو عدم ورود صوت ما في بناء رباعي أو خماسي؛ فيحكم له بالأصالة أو أنه دخيل.

قد يغتر بعض الطلبة بما يورده بعض علماء التجويد؛ إذ يعدون الذلاقة والإصمات من صفات الحروف، وهذا لغلبة طابع الرواية على علوم العربية، واعتماد علم القراءات على علم الصرف بشكل كبير لأنه يعالج موضوع قراءة الكلمات القرآنية، فالذلاقة والإصمات من الصفات الصرفية للحروف، وهذان المصطلحان أبدعهما الخليل ليفرق بين الأبنية العربية الأصيلة من الدخيلة، وهذا يخدم أعراضه التطبيقية في بناء معجمه؛ إذ من وظائف المعجم تبيين الأصيل من الدخيل من الكلمات.

**8- الشفاه: Labial et labiodental**

ورد هذا المخرج عند الخليل بعد مخرج الذلق وقبل الجوف، وقد نسب له مجموعة من الأصوات وهي: ف، ب، م، قال الخليل: (والفاء والباء والميم شَفَويّة، وقال مّرةً شَفَهيّة لأن مبدأها من الشَفَة... وكان الخليل يُسّمِّي الميم مُطْبَقة لأنّها تطبِق الفم إذا نُطِقَ بها)[2]

وبما أن حروف الذلاقة تتكون من حروف حيز ذلق اللسان –السابق الذكر– وحروف حيز الشفة، فقد جعلهما الخليل لهذا السبب كما يبدو متتاليان في الترتيب.

---

1 الخليل: كتاب العين، 1/38-39.

2 الخليل: المرجع نفسه، 1/42.

جعل الخليل الفاء حرفا شفويا،[1] وهذا بإعمال معيار الإلغاء، أما باعتبار المعيار الفسيولوجي وحده، فقد حدد مبدأها من الشفة السفلى والأسنان العليا، جاء في رواية النظر بن شميل لمقدمة كتاب العين التي أثبتها أبو حيان الأندلسي: (الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا، ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين)[2]

إن الذي سوغ للخليل بن أحمد أن يجعل الفاء ضمن الحيز الشفوي، حسب رأيي:

1- القرب المخرجي.

2- التوزيع، وقد تم مناقشة هذه النقطة سابقا.

فالقرب المخرجي مسئول عن بعض التنافرات الموجود بين أصوات الحيز الواحد، وبتتبع إحصائي لجذور معجم العين والنص القرآني، وحدت أن هناك تتابعات فونيمية مهملة (ممنوعة) من الحيز الشفوي:

أ- التتابع: فاء ثم باء، فاء ثم ميم ممنوع. أما كلمة "فم"، أصلها "فوه" كما نص على ذلك الخليل[3] ففم كلمة جذرها ف و ه، ولا وجود لجذر في العربية يتكون من فاء بعدها باء أو ميم.

ب- التتابع باء ثم فاء، تتابع مهمل.

ت- التتابع باء ثم ميم نادر جدا (وغير موجود في النص القرآني مطلقا)، حيث وجدت جذرين فقط في كتاب العين هما: عبم[4] وشبم.[5]

ث- التتابع فاء ثم باء تتابع مهمل.

---

1 انظر الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

2 أبو حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 30.

3 انظر :الخليل بن أحمد: كتاب العين، 36/1، و348/3.

4 عبم: العبام: الرّجل الغليظ الخَلْقُ. في حمق. عَبُمَ يَعْبُمُ عَبامَةً فهو عَبامٌ. انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 88/3.

5 شبم: الشَّبمُ: برد الماء، يقال: ماءٌ شبمٌ ومطرٌ شبمٌ، أي: باردٌ ... والشَّبامُ: عودٌ يُشدُّ في فم الجدي لئلا يرضع فهو مشبوم. شبمته شبماً وشبَّمتُه تشبيماً.وشبتمٌ: حيٌّ من اليمن، وشبامٌ: اسمُ جبل. انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 304/2.

ج- التتابع ميم ثم باء وميم ثم فاء تتابع مهمل.

أما التتابعات الفونيمية من حيز الشفتين فتكون مستعملة إذا كان الصوتان المتتابعان ممتماثلان.

أ- التتابع باء باء مستعمل، ووجت له جذرا واحدا في كتاب العين. وهو الجذر: ببب، (ببّة: لقب رَجُلٍ من قريش كان كثيرَ اللَّحْم... ويوصف به الأحمق الثّقيل. ويقال: هم ببّان واحد، أي: سواء. وببّان على تقدير فَعلان، ويقال: على تقدير فعّال، والنّون على هذا أصليّة، ولا يُصرّف منه فِعْل، وهو والبأجُ بمعنىً واحد.. وقال عمر بن الخطّاب: لولا أن يكون النّاس ببّانا واحداً لفعلت كذا وكذا)[1]

ب- التتابع فاء فاء مستعمل، ووجت له جذرا واحدا في كتاب العين، وهو الجذر: أفف، (الأُفُّ والأَفَفُ: من التّأفيف. تقول: قد أفّفتُ فلاناً، إذا قلت له: أفٍّ، وفيه ثلاثُ لغات: الكسرُ والضمُّ والفتح بلا تنوين، وأَحْسَنُهُ الكَسْر، فإذا نوّنت فارفع، تقول: أفٌّ، لأنّه يصير اسما بمنزلة قولك: وَيلٌ له. والعرب تقول: أفَّةٌ له مؤنّثة مرفوعة، لا يقال ذلك إلا بالتّنوين، إمّا مرفوعاً وإمّا منصوبا، والنّصب على طَلَب الفعل كأنّك تقول: أفّفتُ أفّاً.وتقول: الأفُّ والتُفُّ: الأُفُّ: وَسَخُ الأُذُن، والتُّفُ: وَسَخُ الأظفار.ويُقال: عليهم اللّعنة والتّأفيف)[2]

ت- التتابع ميم ميم مستعمل، ووجت له جذرا واحدا في كتاب العين، وهو الجذر: أمم، (اعلم أنّ كلّ شيء يضمُّ إليه سائر ما يليه فإن العرب تُسمّي ذلك الشَّيْء أُمّاً.. فمن ذلك: أمّ الرأس وهو: الدّماغ.... ورجلٌ مأموم. والشّجّةُ الآمّةُ: التّي تبلغ أمّ الدّماغ. والأميم: المأموم...)[3]

---

1 الخليل: كتاب العين، 110/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 75/1-76.

3 الخليل: المرجع نفسه، 87/1-89.

الواو وباقي حروف الشفة لا تتنافر لذا لم يجعل الخليل الواو شفوية، ولكونها صوتا صائتا طويلا أو نصف صائت لا تتنافر مع أي حرف[1] **فقد جعلها في حيز أحرف الجوف، وهو آخر الأحياز وهذا التأخير كان بسبب عدم التنافر.**

لهذا السبب نجده يعمل معيار الإلغاء، فيعزل الصوت عن مخرجه الحقيقي ويدمجه مع مخرج غيره فيستقيم له الأمر، من حيث أنه يبحث في خصائص الأصوات في علاقتها ببنية الكلم، من حيث التنافر والائتلاف، وهذا يخدم أغراضه التي تهدف إلى تحديد المهمل من المستعمل من كلام العرب، ليستكمل بناء معجمه.

## 9- الجوف: Le creux[2]

ورد مخرج الجوف عند الخليل بعد مخرج الشفاه، وهو آخر المخارج عنده، قال الخليل: (والفاء والباء والميم شَفَويّة، وقال مّرةً شَفَهيّة لأن مبدأها من الشَفَة، ثم الألفُ والواو والياءُ في حيّزٍ واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيّز تُنْسَب إليه)[3]

وحيز الألف وأخواتها هو الجوف، جاء في رواية الليث لكتاب العين ما نصه: (قال الخليل: في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً صِحَاحا لها أحيازاً ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ وكان يقول كثيرا: الألِفُ اللَّينَةُ والواو والياءُ هوائية أي أنها في الهواء)[4]

---

1 فمن حيز الشفتين نجد الجذور التالية تحمل تتابعات مستعملة من حرف شفوي متبوع أو مسبوق بواو؛ غبول، بون، بوه، بوء، بوب،شفو، فوق، فور، جفو...الخ.

2 **La glotte la cavité pharyngale et la cavité buccale**

3 الخليل: كتاب العين، 42/1.

4 الخليل: كتاب العين، 41/1.

ومعنى الهوائية؛ أن في إنتاج هذه الأصوات يخرج الهواء حرا طليقا،[1] دون أن يعترض طريقه عائق يكون سببا في تشكيل موجات الصوت عند ذلك العائق، وسيأتي تفسير ذلك بعد قليل.

ومعنى الجوف[2] عند الخليل هو كامل فراغ الحلق –أوله وأوسطه وآخر– وفراغ الفم؛ وبعبارة المحدثين الجوف عند الخليل؛ هو كامل القناة النطقية من الحنجرة إلى الشفتين، ما عدا فراغ الأنف؛ لأنه لا دخل له في نطق الصوائت العربية، قال الإمام شهاب الدين القسطلاني (ت923هـ): (ويقال لهذه الثلاثة حروف المد؛ لأن مخرجهن من ***جوف الفموالحلق؛ وهو الخلاء*** ، وليس لهن حيز من الأحياز؛ لأنها أصوات تتصل بالهواء وتنتهي فيها)[3] وقال الشيخ عطية الأجهوري (ت1190هـ): (والجوف هو الخلاء الداخل في الفم، لا حيز محقق له، وتسمى هذه الحروف الثلاثة جوفية لخروجها من الجوف، ولأن النفس ما دام موجودا كانت موجودة؛ وإذا انقطع النفس انقطعت)[4]

إن الخليل لم ينسب الألف وأخواتها لحيز أو مخرج معين؛ بل لكامل المجرى الصوتي الفموي، لذا فلا بد أنه أدرك الفارق الرئيس بين الصوامت والصوائت؛ فالأمواج الصوتية للصوامت تتشكل بشكل أساسي في مخارجها؛ فهناك يضطرب الهواء وتتشكل

---

1 انظر: عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء–عمان، ط2009/1، ص: 119.

2 الجوف لغة هو الخلاء ثم استعمل فيما يقبل الشغل والفراغ، انظر: أحمد الفيومي: المصباح المنير، مكتبة لبنان 1990، مادة: جوف، ص: 45.

3 شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: المستطاب في التجويد المسمى هداية القراء، تح: السيد يوسف أحمد،دار الكتب العلمية–بيروت، ط2008/1، ص: 88.

4 عطية بن عطية الأجهوري: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي وأحمد بن علي، مركز التراث الثقافي المغربي– الدار البيضاء ودار ابن حزم–بيروت، ط2009/1، 821/2، ومعنى قوله: (وما دام النفس موجودا كانت موجودة) أنها أطول الأصوات؛ فما دام النفس يخرج حال النطق بها، كانت هذه الأصوات تسمع، وأطول هذه الأصوات الألف ثم الواو ثم الياء المديتين، لهذا أرجح أن القدامى سموها أصواتا هوائية لأن زمن وجودها متعلق ببقاء الهواء المشكل لها يخرج، ولا يفهم من هذا الكلام بأي حال أن النفس المشكل لأصوات المد يخرج غفلا دون مصاحبة صوت الصدر أو الجهر، فهذا محال؛ لأن صفة الهوائية تستلزم الجهر، وقد أدرك المحدثون ارتباط الصوائت بصفة الجهر (انظر :محمود السعران :علم اللغة، ص: 124–125).

الأمواج التي تميز كل صوت صامت[1] على حدة لذا أمكن نسبة الصوامت لأحياز ومخارج محددة.

أما الصوائت فالأمواج التي تشكلها لا يمكن نسبتها إلى مكان معين؛ نعم تتعدل هذه الأمواج بحسب الشكل العام الذي تكون عليه الأعضاء الناطقة، فشكل القناة النطقية مع الألف يختلف عنه مع الياء أو الواو وشكلها مع الياء يختلف عنها مع الواو وهكذا.

فعند نطق الألف تكون القناة النطقية في أقصى انفتاح لها، ويتحدب وسط اللسان، مع ملاحظة انخفاض اللسان في عمومه إلى أسفل الفم عند نطق الفتحة والألف مقارنة بوضعه مع الضمة والكسرة.

وعند نطق الكسرة تنبسط الشفتان ويرتفع مقدم اللسان نحو الحنك.

وعند نطق الضمة تتخذ الشفتان وضعا مدورا ويرتفع أقصى اللسان نحو الحنك الأقصى.

هذا ما لاحظه العلامة مكي بن أبي طالب قال: (الحروف الهوائية: وهي أيضا حروف المد واللين...وإنما سميت بالهوائية لأنهن نسبن إلى الهواء؛ لأن كل واحدة منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم، فعمدة خروجها في هواء الفم[2] وأصل ذلك: الألف؛ والواو والياء ضارعتا الألف في ذلك، والألف أمكن في هواء الفم عند خروجها من الواو والياء؛ إذ لا يعتمد اللسان عند النطق بها على موضع من الفم ألا ترى أن النطق بهذه إنما هو فتح الفم أو ضمه بصوت ممتد أو غير ممتد حتى ينقطع مخرجه في الحلق، وأصل ذلك الألف)[3]

---

1 سمى الخليل الأثر السمعي للصوت الصامت الذي يحدث في المخرج بالجرس، في مقابل عدم الجرس الذي أطلقه على الأثر السمعي للحروف الجوفية، الناتج عن التجاوب الرنيني لكامل فراغ الحلق والفم، وسيأتي بيان ذلك.

2 أي أن كل الهواء الموجود في القناة النطقية الفموية يهتز اهتزازا قسريا لاحداث الأمواج المشكلة لهذا النوع من الأصوات.

3 مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص: 121-122.

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الخليل –ومكي ببن أبي طالب وغيرهما– تقره الدراسات الحديثة؛ التي ترى أن الصوائت عبارة عن صوت الجهر تم تعديله في التجاويف العليا، أي في القناة النطقية ما فوق حنجرية لذا فكل هواء هذه التجاويف مسئول عن رنين هذا النوع من الأصوات ولا يمكن نسبة هذا الرنين إلى تجويف أو حيز بعينه وبمفهوم المخالفة فرنين الصوامت ينسب إلى تجويف بعينه وهناك يكون مخرجه، قال الأستاذ هنري سويت: (إن التفريق الأساسي بين العلل وبين الصحاح؛ يتمثل في أن تشكيلات الفم مع العلل، إنما تعدل الهواء المجهور فحسب، وهو فيما عدا هذا عنصر جوهري فيها، ولكن تضييق مجرى الهواء أو إقفاله؛ هو أساس الصوت الصحيح –الصامت– على حين تكون حالة الحنجرة شيئا ثانويا)[1] قال د/ارنست بولجرام: (وأثر الرنين أكبر في الصوائت؛ إذ يمكن أن يقال إنها جهر حنجري محض يتأثر أقل التأثر بوجود ترددات إضافية غير حَنْجَرِيَة، على الرغم من أنها تتعرض لتعديلات قوية عن طريق أنواع الرنين التي تحدث في التجاويف العليا)[2]

وبعد هذا التحليل، يمكن أن أقرر أن معنى الجوف هو كامل فراغ الحلق –بمفهومه التراثي الذي يمتد من الحنجرة إلى مخرج الخاء والغين المفخمتين– وفراغ الفم،[3] وبما أن الجوف عبارة عن مخرج كلي للصوائت والهمزة المسهلة –لأن الخليل عدها حرفا معتلا كما

---

1 محمد رشاد الحمزاوي: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، العدد: 14–1977، ص: 85، وكأن الخليل عندما نسب الصوامت لمخارج محددة دون الصوائت، أراد أن يقول إن الأعضاء الناطقة تتدخل تدخلا مباشرا لإحداث الصامت، لذا أمكن تحديد مكان حدوث موجاته لذا نسبناها لحيز معين، أما الصوائت فلا يحدث معها ذلك؛ بل تقوم الأعضاء الناطقة في منطقة الجوف أو كما سماها هنري سويت بتشكيلات الفم، بتعديل نغمة الحنجرة أو صوت الجهر لذا وجب نسبة هذا النوع من الأصوات لكامل الهواء الموجود في الجوف لذا وصفها بأنها جوفية –نسبة إلى مكان خروجها وهو الجوف– أو بأنها هوائية نسبة للهواء المهتز أي الرنين الناتج عن اهتزاز جزئيات الهواء الموجودة بالجوف اهتزازا قسريا، لذا تنعت هذه الأصوات في الدرس الحديث بأنها أصوات رنانة ولو عبرنا عنها بمصطلح القدامى لقلنا هوائية، لأن الرنين هو عبارة عن استجابة جزيئات الهواء (بالاهتزاز) داخل الفجوات: الأنفية والفموية والبلعومية لمصدر صوتي ما، انظر: جوليا ج. بوردن وكاترين س. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 169.

2 ارنست بولجرام : مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ص: 96.

3 هذا ما يشير إليه بعض علماء التجويد، انظر: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: المستطاب في التجويد، ص: 88، وعطية بن عطية الأجهوري: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، 821/2،

سنرى عند تحليل مصطلحات الصفات– فإن الهوائية هي المقابل الفيزيائي أو الصفة المقابلة للجوف، ولمزيد من التوضيح أقول: إذا كانت صفة الاحتكاكية ناتجة عن التضييق أو قل الاحتكاك هو المقابل الفيزيائي للصفة الفسيولوجية "التضييق" فإن الرنين –عدم الاحتكاك أو الهوائية عند القدامى– هي المقابل الفيزيائي لصفة الانفتاح الناتجة عن الجوف الذي يكون مهيئا لنطق الأصوات الصائتة، لذا فصفة الهوائية مرتبطة بالجهر؛ كما أن الرنين أو الوضوح السمعي يدخل في علاقة مطردة مع درجة انفتاح الآلة المصوتة[1]

1 لمزيد من التوضيح حول العلاقات الفيزيائية–النطقية بين درجة انفتاح الآلة والرنين أو الوضوح السمعي، وبين التضييق والاحتكاك، ينظر: سعد مصلوح: دراسة السمع و الكلام، ص: 232.

## المبحث الثالث

## صفات الحروف

- **أولا أهمية بعض الصفات لصناعة معجم:**

قال د/عادل محلو: (لقد انتبه أبو الأسود الدؤلي –في وقت مبكر جدا– لإحدى الصفات؛ وهي الغنة، التي تغلب على الميم والنون خاصة، كما نجد في مقدمة العين إشارات جيدة إلى صفات الأصوات، لكن يتضح أن الخليل لم يفرد لها موضعا أو مبحثا متخصصا كما فعل مع المخارج، ومن الحري بنا ألا نعجب لذلك ألبتة؛ لأن حصر وتعداد الصفات لا يخدمه فيما يهدف إليه من ضبط نظام لترتيب مواد معجمه، كما أن تحديد مخارج الأصوات يمكن أن يتم دون التطرق إلى صفاتها؛ فلذلك لم يركز اهتمامه على الصفات)[1]

هذا النص أصاب نصف الحقيقة، صحيح أن مبحث الصفات لا يخدم الخليل في ترتيب مواد معجمه، ويمكن تحديد مخارج الأصوات دون التطرق إلى صفاتها، وهذا كان دافعا للخليل للحديث عن تصنيفه المخرجي قبل حديثه عن الصفات، لكن هدف الخليل من وضع معجمه ليس ترتيب الألفاظ فقط، بل معرفة الدخيل من الأصيل والمستعمل من المهمل والمتنافر من الحروف من المتآلف...الخ، وهذا لا يتم إلا بمعرفة الصفات جنبا إلى حنب مع معرفة المخارج، وهذا ما دفع الخليل لاختراع الأحياز لتفسير الحروف المتنافرة والحروف التي يميز بها أصيل الكلم من الدخيل كصفتي الإصمات والذلاقة (التي خصص لها حيز الحروف الذليقة؛ ر، ل، ن، ب، ف، م)، وصفة الحروف الصتم مقابل حروف الحلق.

1 عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص: 57.

أهمل الخليل في مقدمة كتاب العين (لا في متنه) الصفات التي لا تخدمه فيما ذكر سابقا، كصفتي الجهر والهمس والغنة...لقد انتقى ما يخدم أغراضه؛ والانتقاء أحد سمات البحوث التطبيقية، والمعجم بحث تطبيقي لذا من العبث أن يبحث في بعض صفات الأصوات التي لا فائدة ترجى منها في العمل المعجمي.

إذن بحث الخليل الصفات الهامة التي توقفنا على خصائص الكلمة العربية من الناحية المعجمية (أصيل دخيل، مهمل مستعل...) كصفات الهت، البحة، الشخوص (الاستعلاء)، الهشاشة، وسيفصل فيها بعد قليل.

إن الذي ذكر قبل قليل هو السبب في إغفال الخليل لتخصيص مساحة من مقدمته لمبحث الحركات القصيرة (لم يهمل بحدثها في ثنايا معجمه كما سيأتي)، فالحركات القصيرة لا علاقة لها بتحديد الخصائص المعجمية للكلمات العربية، بعكس نظائرها الطوال التي يصيبها الإعلال... ولا بد من معرفة أصلها قبل الإعلال، لأن المعجم الذي وضعه الخليل يتم فيه بحث الكلمة من خلال معرفة جذرها وبالتالي معرفة الأصل الذي تعللت منه حروف الجوف (ء،ا،و،ي)، التي وقعت موقع الحروف الصحاح وأدت وظائفها (من حيث إمكانية الوقف عليها وعدم الابتداء بها) ومن هنا ساغ للخليل إلحاقها بالصحاح، حيث سماها جميعا بالحروف، أما الحركات القصيرة فلا (لأنه لا يوقف عليها ويُبتَدَأُ بها في حال همزة الوصل: اِذهب، اُقتل...)

فالحروف الصحاح الساكنة لا يبتدأ بها، والحركات الطويلة كذلك لأنها ساكنة توزيعيا (وقعت موقع الساكن في الوقف وعدم الابتداء) لا فيزيائيا.

إذن لم يهمل القدامى دراسة الحركات تقليلا لشأنها أو لأن الأبجدية العربية لم تضع لها رموزا مستقلة –حيث أن العربية قد تجاوزت هذا المشكل نهائيا بفضل جهود أبي الأسود والخليل بصفة أساسية– بل درست الحركات الطويلة مع مباحث الحروف الصحيحة، وما

يقال عن الحركات الطويلة من الناحية المادية ينطق على نظائرها القصيرة عدا الطول الزمني، وما يظهر كأنه إهمال ما هو إلا حيلة منهجية استفاد منها الخليل لعمل معجمه.

وقد قسم الخليل الحروف باعتبار مواضع حدوثها إلى قسمين:

1- حروف لها أحياز ومخارج وسماها الصحيحة.

2- حروف تخرج من الجوف؛ فلا تقع في مدرجة من مدارج الحلق ولا مدارج اللهاة، وإنما هي هاوية في الهواء؛ فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وسماها معتلة.[1]

أ- **أولا مخارج الحروف الصحيحة:**

1- الحلق: العين، الخاء، الهاء، الغين.

2- اللهاة: القاف، الكاف.

3- شجر الفم: الجيم، الشين، الضاد.

4- أسلة اللسان: الصاد، السين، الزاي.

5- نطع الغار الأعلى: الطاء، التاء، الدال.

6- اللثة: الظاء، الذال، الثاء.

7- ذلق اللسان: الراء، اللام، النون.

8- الشفاه: الفاء الباء، الميم.

9- الجوف: وقد سمى أصواته هوائية؛ الياء، الواو، الهمزة.

أ- **ثانيا مخارج الحروف الهوائية:**

وهي أربعة أحرف؛ وسميت هوائية لأن في إنتاجها يخرج الهواء حرا طليقا،[2] جاء في

---

1 انظر: مكي درار: الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد)، ص:22.

2 انظر: عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء-عمان، ط2009/1، ص: 119.

رواية الليث بن المظفر لكتاب العين ما نصه: (قال الخليل: في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً صِحَاحا لها أحيازاً ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ. وكان يقول كثيرا: الألِفُ اللَّينَةُ والواو والياءُ ***هوائية*** أي أنها في الهواء)[1]

وقال الخليل: (ثم الألفُ والواو والياءُ في حيِّزٍ واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيِّز تُنْسَب إليه)[2]

وقد جعل لكل صنف نوعان من الصفات:

ب- صفات عامة (مجملة).

ت- صفات خاصة (مفردة).

فللصوامت نوعان من الصفات:

1- صفات توزيعية: صفة الصحة، الذلاقة، الإصمات، الصتم.

2- صفات فيزيائية: صفة الجرسية.

وللصوائت نوع واحد، هي صفات فيزيائية: صفة الصرف (انعدام الجرسية)

فالصفة العامة للصوامت هي صفة "الصحيحة" في مقابل صفة "الهوائية" للصوائت، كما جعل للصوامت صفتان توزيعيتان مجملتان؛ هما الذلاقة والإصمات وصفة الصَّتْم للحروف التي مخرجها ليس من الحلق، والجرسية التي هي صفة للصوامت وانعدام الجرسية

1 الخليل: كتاب العين، 41/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 42/1.

(سماها الخليل في رواية الأزهري صفة "الصرف" وسيأتي بيانها) صفة تخص الصوائت الطويلة.

وقد عد الدكتور عادل محلو صفة الجرسية من الصفات المفردة،[1] وهذا خطأ منهجي؛ إذ الظاهر أنه اعتمد على ما ورد في المقدمة فقط،[2] فالخليل في المقدمة وصف العين والقاف بضخامة الجرس؛ وربما هذا ما حمل د/ عادل محلو على هذا القول، لكن الخليل في ثنايا كتاب العين عند شرحه للجذر (ج ر س) وصف مجمل الصوامت بالجرسية ونفى عن مجمل حروف الجوف هذه الصفة وسيبين ذلك بعد قليل.

أما الصفات المفردة فهي تلك التي وصف بها صوتا أو مجموعة من الأصوات دون غيرها، كصفة الهت للهمزة والنصاعة للعين...الخ.

**- ثانيا الصفات المجملة:**

**1- الصحيحة consonantique/ الهوائية Vocalique:**

قال الخليل: (في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً ***صِحَاحا*** لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف ***جُوْف*** وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ ***جوفاً*** لأنها تَخْرُجُ من ***الجوف*** فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا ***الجَوْف***. وكان يقول كثيرا: الألِفُ اللَّينَةُ والواو والياءُ هوائية أي أنها في الهواء)[3]

1 انظر: عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص:63.

2 هذا ما يؤكده تجاهل د/ عادل محلو لصفتي الصتم والحلقية، تماما عند حديث عن الصفات المجملة وسيأتي بيان ذلك عند تحليل هاتان الصفتان بعد قليل.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

كما وصف الخليل الألف اللينة بالهَفْو، ومن معاني الهَفْو لغة؛ هو ذهاب الشيء كالصوفة أو الورقة في الهواء،[1] قال: (ويُقال: الألف الليّنةُ: هافيةٌ في الهواء)[2] ويبدو أنه قصد بالهَافية معنى الهوائية.

هناك إذن أصوات صحيحة وأخرى هوائية؛ وقد كان فهم الخليل لحقيقة النطق بهاتين الفئتين فهما دقيقا صائبا، يقترب مما أقرته الدراسات الحديثة.

فالحروف الصحاح لها أحياز ومدارج، أي مخارج تنسب إليها كالحلق والشفتان... فهذه المخارج تمثل نقاط اعتراض كلي أو جزئي عندها تضطرب جزيئات الهواء وتتشكل أمواج الصوت، ولإدراك الخليل لهذه الخاصية في الصوامت يؤدي –حتما– إلى أنه أدرك خاصية الصوائت (الحروف الجوف أو الهوائية)، وهي حرية مرور الهواء دون عائق أو حاجز من شأنه أن يضطرب الهواء عنده وتتشكل أمواج الصوت عنده.[3]

ومعنى الجوف[4] عند الخليل هو كامل فراغ الحلق –أوله وأوسطه وآخر– وفراغ الفم؛ وبعبارة المحدثين الجوف عند الخليل؛ هو كامل القناة النطقية من الحنجرة إلى الشفتين، ما عدا فراغ الأنف؛ لأنه لا دخل له في نطق الصوائت العربية، وقد فُصِّل ذلك عند شرح مصطلح جوف قبل قليل.

---

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 315/4، بتصرف يسير.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 315/4.

3 انظر: عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص:57–58، عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء–عمان، ط1/2009، ص: 119.

4 الجوف لغة هو الخلاء ثم استعمل فيما يقبل الشغل والفراغ، انظر: أحمد الفيومي: المصباح المنير، مكتبة لبنان 1990، مادة: جوف، ص: 45.

ومصطلح **صحاح** منظور فيه لخصائص الصوامت التوزيعية الصرفية، فهو يقابل مصطلح **علل**، فالصحاح كما يقول الخليل هي التي لا تتغير عن حالها أبدا.[1]

ومصطلح **هوائية** منظور فيه لخصائص الصوائت النطقية، قال د/عبد الكريم مجاهد: (وحديثه هذا –أي الخليل– عن أصوات اللين حين تكون مدا، قريب مما قرره علم الأصوات الحديث؛ من أنها تتكون باندفاع الهواء من الرئتين، مارا في أثناء مجراه بالحنجرة والحلق والفم دون أن يعترضه حائل يضيق مجراه أو يحبسه)[2]

وقد نوقش مفهوم الهوائية بالتفصيل عند الحديث عن مصطلح الجوف قبل قليل.

والسؤال المطروح الآن لماذا جعل الخليل المصطلح الدال على الصوامت: "**الصحاح**" ذا بعد توزيعي صرفي، والمصطلح الدال على الصوائت: "**الهوائية**" ذا بعد نطقي–فيزيائي.

مر معنا أن الخليل اعتمد في ترتيب معجمه على الصوامت؛ لأنها تحمل معنى الكلمة العام من خلال الجذر، كما أن لها مخارج محددة وهذا يسهل ترتيبها، ولا تتعرض لكبير تغير عند تصريف الكلمة كما يحدث للصوائت الطويلة، وهذا يخدم الأغراض التطبيقية للخليل في بناء معجمه؛ فبالصوامت نعرف المهمل من المستعمل والدخيل من الأصيل...الخ، وهذه الأمور لا تتوفر في الصوائت، لذا جاء تحديده لهذه الأخيرة ذا بعد نطقي– فيزيائي.

وهذا الأمر –أي البعد التوزيعي الصرفي لمصطلح صحاح– يفسر لنا لماذا جعل الخليل الهمزة في مجموعة الصوائت الطويلة أو الحروف الجوف والهوائية ولم يجعلها في

---

1 انظر: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، ج1/41–42.

2 عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي فقه اللغة العربية، دار أسامة–عمان، ط2005/1، ص: 27.

زمرة الصحاح، فلو أن معترضا قال: إن كانت الهمزة صوتا صامتا بطل التفسير الذي قدِّم آنفا لمصطلحي الجوفية والهوائية، أو أن الخليل أخطأ في تقدير الأمور فحسب أن الهمزة صائتا –وستعالج هذه القضية عند الحديث عن صفة الهت عند بحث الصفات المفردة– وللرد على هذا التساؤل أقول أن الخليل رأى الهمزة والهاء إلى الصوائت أقرب؛ فالهمزة صوت معتل إذا سهلت لانت وصارت على غير طريقة الحروف الصحاح، والهاء نفس لا اعتياص فيها، قال الخليل: (وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح)[1] وقال (وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها، وإنما هي نفس لا اعتياص فيها)[2]

فالهمزة سلكت سلوك الصوائت توزيعيا ونطقيا –عند تليينها– والهاء سلكت سلوك الصوائت نطقيا؛ من حيث حرية مرور الهواء فقط، وذلك لأن الصوائت مجهورة، كما أن الهمزة قد تبدل هاء في صرف العربية مثل أراق وهراق، لذا لم يبتدئ بهما معجمه.

وقد لاحظ د/ كرم محمد زرندح؛ سلوك الهمزة التوزيعي الشبيه بسلوك الصوائت الطويلة أو حروف العلة، قال: (الهمزة من الحروف الصحيحة، إلا أنها تشبه أحرف العلة؛ لذا تقبل الإعلال مثلها)[3]

يذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أن صوت الهاء ينتج عن انفتاح شديد لجهاز النطق؛ وبالتالي يكون خاليا من الحبس والتضييق ومن أي اعتراض أو تحويل لمجرى الهواء، وهذا ما دعاهم إلى إخراج هذا الصوت من زمرة الصوامت.[4]

---

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 39/1.

3 كرم محمد زرندح: أسس الدرس الصرفي في العربية، ط2007/4، دار المقداد للطباعة–غزة، ص: 200.

4 انظر: أحمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص: 123.

## 2- ذلاقة/ اصمات:

الذلاقة والاصمات من صفات الصوامت المجملة، وهي صفات توزيعية.

### أ- الذلاقة:

والذلاقة في اللغة تأتي بمعان منها:

8-الحد والمنتهي، فحد كل شيء ذَلْقُه.

9-السرعة، فالإذْلاقُ: سرعة الرمي.

**ط**-الاستخراج، ضب مُذلقٌ أي مستخرج من حجره.[1]

يبدو من هذا التحليل المعجمي لكلمة "ذلق"؛ أن الخليل بن أحمد لمح في مصطلحه النطقي الدال على مخرج الذولق معنى الحد والنهاية، أي أنه جعل الجزء الأمامي المدبب من اللسان مخرجا للحروف الذولقية؛ (ل، ر، ن) كما لمح في مصطلحه التوزيعي؛ "ذلاقة" معنى الاستخراج، أي بهذه الحروف (ل، ر، ن، م، ب، ف) نستطيع استخراج الكلم العربي الأصيل من الدخيل.

ومصطلح الذلاقة مبني على أساس كثرة ورود حروفها في أبنية الكلمات الرباعية والخماسية ذات الأصل العربي، وسبب ذلك كما يقول الخليل سهولة نطقها[2]: (فلمَّا ذَلَقَتِ الحُروفُ السِّتَّةُ، ومَذَلَ بِهِنَّ اللِّسان وسَهُلَتْ عليه في المَنْطِقِ كَثُرَتْ في أَبنِيَةِ الكلام فليس شَيْءٌ من بِناء الخماسيِّ التَّامِّ يَعْرَى منها أو من بعضها)[3] وسهولة النطق هنا -حسب رأيي- ليست بمعنى أن غيرها صعب النطق، فالهاء مثلا سهلة النطق، لكن السهولة هنا هي

---

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 47/2.

2 تعتبر الأصوات الشفوية أولى الأصوات ظهورا في النظام الصوتي عند الطفل، لدرجة المرونة العالية للشفتين جراء عملية لقم الثدي، وتعتبر اللام والنون والراء والميم من أعلى الأصوات إسماعا، انظر: احمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص: 104بتصرف.

3 الخليل: كتاب العين، 37/1.

سهولة ائتلاف الحروف الستة مع غيرها، ويدعم هذا الرأي أن الخليل في حديثه عن هذه السهولة يتحدث عن الحروف التي لا تأتلف في لغة العرب فإن وردت كلمات منها فهي ذات أصل أعجمي.

ثم يخلص الخليل إلى أبعد مما سبق حين يذكر أن البناء الرباعي لا يعرى من الحروف الذلق أو بعضها كما تقدم.

ولا بد من التفريق هنا بين الذلاقة؛ وهي مصطلح توزيعي، يتعلق بتردد ورود أصوات: ل، ر، ن، ف، ب، م، في معظم الأبنية الرباعية والخماسية ذات الأصل العربي، والذَّلَقِيَّة التي هي مخرج لأصوات: ل، ر، ن، إذن الذلاقة غير الذلقية؛ لذا لا يصح القول بأن حروف الذلاقة مخرجها ذلق اللسان، بل بعضها من ذلق اللسان وبعضها من الشفتين كما لا يصح القول بأن الباء والفاء والميم ذولقية، بل من حروف الذلاقة، قال الخليل موضحا الفرق بين الذلقية والذلاقة: (إعلم أنَّ الحروف ***الذُّلْقَ والشَّفَوِيَّة***[1] ستَّة وهي: ر ل ن، ف، ب، م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن؛ ***الذلاقة*** في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللَّسان والشفتين وهما مَدْرَحتا هذه الأحرف الستة، منهما ***ذليقة: ر ل ن، تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة***، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء، من الحُرُوف الصَّحاح إلاَّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللَّسانُ إلا بالرَّاء واللّام والنون)[2]

قال الخليل مبينا معنى الذلاقة ودور حروفها في بناء الكلمات الرباعية والخماسية: (فلمَّا ذَلَقَتِ الحُروفُ السِّتَّةُ، ومَذَلَ بِهِنَّ اللِّسان وسَهُلَتْ عليه في المَنْطِقِ كَثُرَتْ في أَبنِيَةِ الكلام فليس شَيْءٌ من بِناء الخماسيِّ التَّامِّ يَعْرَى منها أو من بعضها... فإن وَرَدَتْ عليك

1 لاحظ كيف قرن الحروف الذلق بالشفوية، ولم يقل الذلق فقط ثم عد بعده الحروف الستة المذكورة أعلاه، وهذا يدل صراحة أن الحروف الذلق غير حروف الذلاقة، فالتشابه فقط في اشتقاق المصطلح.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة معرَّاة من حروف الذَلَق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدَعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعيَّة أو خماسيَّة إلاَّ وفيها من حروف الذَلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر...)[1]

وقال: (وأما البناءُ الرباعيُّ المُنبَسطِ فإنَّ الجُمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذُلْق أو من بعضها، إلاَّ كلمات نحوا من عشر كن شواذَّ؛ ومن هذه الكلمات: العَسْجَدُ والقَسْطوس والقُداحِس والدُعشُوقةُ والهُدْعةُ والزُهْزُقَةُ... وليس في كلام العَرَب دُعْشوقة[2] ولا جُلاهِق، ولا كلمة صَدْرُهَا "نَرَ" وليس في شيء من الأَلْسن ظاءً غير العربية ولا من لِسانٍ إلا التَثُّور فيه تَثُّور، وهذه الأحرف قد عَرِينَ من الحروف الذُلْق، ولذلك نَزَرْنَ فَقَلَلْنَ، ولولا ما لزمَهُنَّ من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال، ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنَصاعتهما فإنْ كان البناءُ اسماً لَزِمَتْهُ السِّين أو الدَّال مع لزوم العَيْن أو القاف، لأن الدَّال لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكزازتها وارتَفعت عن خُفُوت التّاء فَحَسُنَتْ، وصارت حالُ السِّين بين مَخْرَجِ الصَّاد والزاي كذلك، مهما جاء من بناء اسم رباعي مُنْبَسِط معرّى من الحُرُوف الذُلْق والشَّفَويَّةِ فإنّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَي الطَّلاقةِ أو كليهما ومن السين والدال أو أحدهما، ولا يضُرُّ ما خالف من سائر الحروف الصُتْم)[3]

---

1 الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 جعل قبل قليل الدعشوقة كلمة عربية أصيلة، وهنا عدل عن ذلك، وربما هذا من توهم الناسخ أو الراوي، والدليل على ذلك، أن الخليل لم يذكر الجذر: "د، ع، ش، ق" ضمن جذور معجمه مستعملها ومهملها، وصرح بأن دعشوقة ليست من كلام العرب عند شرحه لهذه الكلمة في باب الرباعي المضعف من حرف العين، قال: (الدُّعْشُوقةُ: دُوَيبةٌ شِبْهُ خُنْفُساء، وربَّما قالوا للصَّبيَّة والمرأةِ القصيرة: يا دُعْشُوقةُ، تشبيهاً بتلك الدُوَيْبة، وليستْ بعربيّةٍ مَحْضَةٍ لتَعْريتها من حُروف الذَّلَق والشَّفويّة)، الخليل بن أحمد: كتاب العين، 28/2.

3 الخليل: كتاب العين، 38/1-39.

وعلى هذا فالذلاقة مصطلح توزيعي بالأساس، وليس صفة نطقية أو مخرجا لصوت إنها تتعلق بورود أو عدم ورود صوت ما في بناء رباعي أو خماسي؛ فيحكم له بالأصالة أو بأنه دخيل.

هذا الجدول يوضح ذلك، وفيه معدل تكرار الصوامت في القرآن الكريم

| الحيز | تكرار الأصوات في القرآن الكريم | النسبة المئوية بالنسبة لمجموع تكرارات الصوامت |
|---|---|---|
| الحلقي؛ هـ/ع/ح/غ/خ | هـ: 14966<br>ع: 9423<br>ح: 4382<br>غ: 1224<br>خ: 2501 | |
| مجموع تكرار الحلقيات | 32496 | %15.59 |
| اللهوية؛ ق/ك | ق: 7056<br>ك: 10504 | |
| مجموع تكرار اللهويات | 17560 | %8.42 |
| الشجري؛ ج/ش/ي | ج: 3329<br>ش: 2134<br>ض: 1687 | |
| مجموع تكرار الشجريات | 7150 | %3.43 |
| الذلقي؛ ر/ل/ن | ر: 12672<br>ل: 38758<br>ن: 27421 (دون احتساب نون التنوين) | |

| | | |
|---|---|---|
| مجموع تكرار الذلقيات | 78851 | %37.83 |
| النطعي؛ ط/ت/د | ط 1280<br>ت 10371<br>د 6006 | |
| مجموع تكرار النطعيات | 17657 | %8.47 |
| اللثوي؛ ظ/ث/ذ | ظ 853<br>ث1418<br>ذ 4933 | |
| مجموع تكرار اللثويات | 7204 | %3.45 |
| الشفوي؛ ف/ب/م | ب 11617<br>ف 8770<br>م 27110 | |
| مجموع تكرار الشفويات | 47497 | %22.78 |
| مجموع التكرارت | 208415 | |
| مجموع تكرار أصوات الذلاقة (الحيز الذلقي+الشفوي) | 126348 | %60.62 |

- **التعليق على الجدول:**

1- لم أدرج الهمزة في الجدول لأن الخليل صنفها في حيز حروف العلل، وتكرارها في القرآن الكريم بلغ (19162مرة) بنسبة مؤية 8.42%.

2- تتناقص نسبة تكرار حروف الأحياز بدء من حيز الحلقيات كلما اقتربنا من حيز الذلقيات، التي حققت أعلى نسبة، ثم يتناقص كلما اقتربا من حيز الشفويات، التي حققت ثاني أعلى نسبة.

3- فاقت نسبة تكرار أصوات الذلاقة (الحيز الذلقي+الشفوي) التي بلغت 60.62% من مجموع الحروف الصحاح.

4- جاء تكرار حروف حيز الذولق (ل، ر، ن،) في المرتبة الأولى بـ 37.43%، ثم يليه حيز حروف الشفتين (ب، م، ف) بـ 22.78%، ثم يليه حيز حروف الحلق (هـ، ع، ح، غ، خ) بنسبة: 15.59%، ثم يليه حيز حروف النطع بنسبة 8.47%، ثم حيز حروف اللهاة بنسبة: 8.42%، ثم حيز حروف اللَّثَة بنسبة: 3.45%، ثم حيز حروف الشجر بنسبة: 3.43%.

هذا إذا أخذنا مجاميع الأصوات في أحيازها في الحسبان، أما تكرار الأصوات المفردة فإليك هذا الجدول:

| الصوت | تكراره | ملاحضة | الصوت | تكراره |
|---|---|---|---|---|
| ل<br>ن<br>م | 3875827<br>4212711<br>0 | تفوقت أصوات الذولق من حيث التكرار ، في حيزها ومنفردة. | ج | 3329 |
| هـ | 14966 | من أصوات الحلق وحيزها يلى حيز أصوات الذلاقة من حيث التكرار، ويمكن تفسير سبب تفوق حيز حروف الذلالقة (ل، ن، ر، ب، م، ف) على حيز حروف الحلق (هـ، ع، ح، خ، غ) هو أن معظم حروف الحيز الأول مجهورة مما يمنحها نسبة أعلى في درجة السمع، بخلاف الحيز الثاني الذي جاءت نصف أصواته مهموسة. | خ | 2501 |
| ر<br>ب | 12672<br>11617 | من أصوات الذلاقة، فكل أصوات الذلاقة حظيت بتكرار مرتفع، ما عدا صوت الفاء الذي بلغ تكراره8770 مرة ، لكن نسبته كانت جيدة، إذ يلى | ش | 2134 |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | صوت العين المائع مباشرة. | | |
| ك<br>ت | 10504<br>10371 | الكاف والتاء، بينهما علاقة وطيدة، فبالإضافة إلى تساوي معدل تكرارهما تقريبا، فهما الحرفان الشديدان الوحيدان النَّفَسِيان في اللغة العربية، والكاف تبدل منها التاء والشين أو التاء والسين في صورة من صور الكشكشة والكسكسة<br>كما أن العربية حافظت على صوت الكاف في صورته المفردة، إلا أن بعض لهجاتها كلهجة ربيعة ومضر قد حولته إلى صوت مركب، فيما يعرف بظاهرتي: الكشكشة والكسكسة، وهي عبارة عن إبدال الكاف المكسورة تشينا في الكشكشة، وتسينا في الكسكسة[1]، وقد تم التوصل في بحث سابق لقانون الأصوات النفسية، وللأصوات النفسية القصية في اللغة العربية علاقة وطيدة بقانون غريم (قانون الأصوات الأقصى حنكية) وقانون انحلال الأصوات المركبة، اللذان أديا إلى | ض | 1687 |

1 هذا ما رجحه د/رمضان عبد التواب، ود/آمنة بن صالح الزعبي وآخرون، وهذا ما يؤكده لنا قانون الأصوات النفسية تأكيدا قاطعا؛ الذي يقضي بأن يتحول الصوت القصي النفسي كالكاف العربي مثلا تحت تأثيره إلى صوت غاري –أمامي– مركب، وقد تحول إلى ذلك بالفعل إلى: ***تش، تس،*** في بعض اللهجات العربية قديمها وحديثها، ويؤيد ذلك أن الصوت التشين المركب أو الكشكشة قد انحل إلى أحد مكونيه وهو الشين، وتعرف هذه الظاهرة في كتب التراث بالشنشنة، ويمكن حسب قانون انحلال الأصوات المركبة أن ينحل إلى تاء؛ وهو المكون الآخر من مكونات صوت الكشكشة وهذا ما لم يحدث في الواقع الاستعمالي المنطوق في اللهجات العربية، كما أن الركام اللغوي لظاهرتي الكسكسة والكشكشة؛ يؤكد أنهما كانا ينطقان صوتين مركبين من تاء وسين أو من تاء وشين، لا كما فهمه بعضهم أو كما توحي بذلك كتب القدامى من أن الكسكسة والكشكشة؛ هي الحاق كاف خطاب المؤنث سينا أو شينا وكأنها تنطق: كش أو كس، أقول لو كانا ينطقان كذلك لبقى أثر هذا النطق في بعض اللهجات الحديثة لأن ظواهر اللغة القديمة لا تموت نهائيا بل يبقى ما يدل عليها؛ وهو ما تبقى منها في اللهجات الحديثة، وهذا ما يعرف بالركام اللغوي أو المتحجرات اللغوية، إن الركام اللغوي لظاهرتي الكسكسة والكشكشة؛ في بعض اللهجات الحديثة هو: تش أو تس، وهذا ينفي نفيا قاطعا أن تكون اللهجات القديمة قد نطقت بها ككاف متلوة بسين أو شين كما يفهم من جملة كتب التراث، انظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي ط6/1999، ص:145–147، وآمنة بن صالح الزعبي: في علم الأصوات المقارن، ص: 67–70.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | ظاهرة الكشكشة، انظر: بيرش رضا: قضايا نقدية في الصوتيات العربية المعاصرة، ص: 125-130. | | |
| ع | 9423 | من أصوات الحلق | ث | 1418 |
| ف | 8770 | من حروف الذلاقة | ط | 1280 |
| ق | 7056 | من حروف اللهاة، وارتفاع تردده بعد الفاء والعين، يعطيه ميزة، لذا جعله الخليل مع صوت السين ينوبان عن حروف الذلاقة في أبنية الرباعي والخماسي إذا عريا من حروف الذلاقة | غ | 1224 |
| د | 6006 | | ظ | 853 |
| ذ | 4933 | | | |
| ح | 4382 | | | |

من خلال هذا الجدول نستشف، أن اكتساب الأصوات لا يتعلق بترددها مفردة، فصوت الفاء الذي احتل المرتبة العاشرة من حيث التكرار في الجدول السابق، إلا أنه كان من أوائل الأصوات التي يكتسبها الطفل في لغته الأم –كما مر قبل قليل– وهذا يدل دلالة واضحة:

أ– أن الخليل بن أحمد درس الأصوات اللغوية داخل النظام اللغوي دراسة توزيعية، أي من خلال علاقة الصوت ببنية الكلمة، من خلال قانون التنافر والائتلاف.

ب– أن الطفل لا يكتسب الصوت من خلال ارتفاع تكراره، بل من خلال تكرار حيزه، أي أن اكتساب الأصوات مشروط بنظام اللغة، فأولى الأصوات تعلما ليست صوت الميم أو الباء، بل نظام الأصوات الشفوية، حيث أن بعض

أصوات الحلق احتلت مفردة درجة عالية من التكرار ورغم ذلك لم تكن أولى الأصوات اكتسابا.

ت- ليس معدل تكرار أصوات الأحياز وحده الحاسم في تعلم نظام أصوات اللغة، بل سهولة النطق تؤدي دورا كذلك، فالمحدثون يرون أن الأصوات الشفوية أولى الأصوات ظهورا في النظام الصوتي عند الطفل بسبب المرونة العالية للشفتين جراء عملية لقم الثدي.[1]

ث- لم يجعل الخليل الواو مع أصوات الشفتين، لأنه وإن كان للشفتين معه عمل، إلا أن النظام اللغوي العربي لم يعامله معاملة الشفويات، فلا أثر لهذا الصوت في تمييز الكلم العربي ذات الأصل الرباعي والخماسي، بالإضافة أن العلماء لم يذكروا صوت الواو في قائمة أولى الأصوات التي يكتسبها الطفل.

3- **الإصمات:**

وهو صفة مجملة للحروف الصحيحة تقابل الحروف الذلق، فالحروف المصمتة هي كل الحروف الصحيحة ما عدا خروف الذلاقة (ر، ل، ن، م، ب، ف)، والإصمات مشتق من الصَّمْتُ، وهو طُولُ السُّكوتِ، وأخَذَه الصُّماتُ. وقُفْلٌ مُصْمَتٌ: أبْهِمَ إغلاقُه، وبابٌ مُصمَتٌ كذلك... والصِّماتُ: إشرافُكَ على أمر، وتقول: هو منه على صِماتٍ. والصُّمْتَةُ: ما أصْمَتَكَ من قضاء حاجك.[2]

فمصطلح الحروف المصمتة لمح فيه الخليل معنى المنع، فهي التي مُنِعت عن وظيفة تمييز الكلم العربي الأصيل من غيره.

1 انظر: احمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص: 104بتصرف.

2 انظر: الخليل: كتاب العين، 411/2.

وعلى هذا فالاصمات مصطلح توزيعي بالأساس، وليس صفة نطقية أو مخرجا لصوت ما، إنها تتعلق بتشكيل بناء رباعي أو خماسي من حروف الإصمات فقط، فيحكم عليه بأنه دخيل.

## 4- حروف الحلق: Les phonèmes parmi la glotte et la racine de la langue/ الصتم le reste du phonème

أشير فيما سبق إل أن معنى الحلق عند الخليل بن أحمد يشمل كل المنطقة الواقعة بين الحنجرة وأصل اللسان La zone parmi la glotte et la racine de la langue، وحروف الحلق عنده خمسة هي: (ع، ح، ه، خ، غ)[1]

والحروف الصتم هي ما عدا حروف الحلق الخمسة المذكورة أعلاه، وما عدا الهمزة كذلك لأن الخليل يعدها ضمن حروف الجوف[2] (ا،و،ي،ء) القسيم الثاني للحروف الصحاح–وسيأتي بيان هذه القضية لاحقا– وينبغي هنا ألا نخلط بين قسمي الأصوات صحيحة/جوفية (هوائية)، لأن الحلقية والصتم من خواص الحروف الصحاح.

والصتم في اللغة التمام، قال الخليل: (الصَّتْم من كل شيء ما عظم واشتد... وأعطيته ألفا صتم أي تاما... والحروف الصتم التي ليست من الحلق)[3]

ويبدو لي أن الخليل بن أحمد لمح في مصطلحه "الصتم" معنى التمام، أي تمام عدة سائر الحروف الصحاح.

لم يشر د/ عادل محلو عند حديثه عن الصفات العامة إلى هذه الصفة، وربما ذلك راجع لكون رواة كتاب العين لم يثبتوا هذه الصفة في المقدمة، لكن جاء ذكر لمصطلح صتم

---

1 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

2 وواضح أن الخليل يعامل الهمزة معاملة العلل (لأنها كثيرة التغير) وهذا أمر ملحوظ فيه لخصائصها الصرفية.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 378/2–379.

فيها دون تفسير، كما ورد ذكر وشرح واف في تضاعيف الكتاب،[1] والاعتماد على ما جاء في المقدمة فقط خطأ منهجي واضح، ففي ثنايا الكتاب شرح وذكر لكثير من المصطلحات والمسائل الصوتية، كمصطلحات؛ جهر، غنة، هت... ومسائل التنافر بين الحروف والظواهر الصوت صرفية كالإبدال والإدغام...، وكل هذا يكشف لنا مدى تطور الدرس الصوتي عند الخليل وعن منهجه في درس الأصوات ومدى تأثيره في اللاحقين.

**5- الجرسية** La résonance consonantique **/ عدم الجرسية** La résonance Vocalique:

الجرسية من الصفات العامة التي وصف بها الخليل الحروف الصحاح ونفاها عن حروف الجوف، وهذا يشبه إلى حد كبير من الناحية الشكلية صنيعه مع صفة؛ الصحيحة consonantique/الهوائية Vocalique .

ويبدو ذلك واضحا -كما أشرت عند تحليل صفة صحيحة/هوائية سابقا- إذ مصطلح صحاح منظور فيه لخصائص الصوامت الصرفية، فهو يقابل مصطلح علل، فالصحاح كما يقول الخليل هي التي لا تتغير عن حالها أبد.[2]

ومصطلح هوائية منظور فيه لخصائص الصوائت النطقية؛ من حيث حرية مرور الهواء ومصاحبة صوت الجهر، والعكس صحيح من حيث التقابل، فمصطلح جرسية الخاص بالصوامت منظور فيه لخصائص الصوامت النطقية (كون موجاتها تحدث في مخرج محدد)، وعدم الجرسية منظور فيه لخصائص حروف الجوف أو العلل الفيزيائية (كونها ليس لها مخرج محدد، وإنما تتعلق بعملية الرنين التي يحدثها كامل الفراغ في المجرى الصوتي).

---

1 انظر: مادة صتم في: كتاب العين، 2/378-379.

2 انظر: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، ج1/41-42.

فصحاح وجرسية من صفات الصوامت؛ الأول منظور فيه للخصائص الصرفية والثاني للخصاص النطقية.

أما هوائية وعدم الجرسية فمن صفات حروف الجوف؛ الأول منظور فيه للخصائص النطقية–الفيزيائية والثاني للخصائص الصرفية، وسيوضح هذا الأمر بعد قليل.

وكأن الخليل أصر على وجود ترابط وتقابل بين جانبين من جوانب الصفات الصوتية لأصوات اللغة أحدها يتعلق بالجانب النطقي الفيزيائي أو المستوى الفوناتيكي، والآخر بالجانب التوزيعي داخل بنية الكلمة أو المستوى الفونولوجي، وهكذا استغل الخليل الجانب التوزيعي في بناء معجمه.

والجرس هو الصوت نفسه، وجرس الحرف نغمة الصوت، والحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها ولا جرس وهي الواو والياء والألف اللينة، وسائر الحروف مجروسة)[1]

ومن معاني الجرس في اللغة الانشراح لسماع الكلام، قال الخليل: (ويقال: فلانٌ مَجروسٌ لفلانٍ أي أنه إنما يَنشرحُ للكلامِ معه، وقال بعضهم: مُجَرِّسٌ كثير الكلام لا يَقِرُّ معه أحدٌ)[2]

إن حقيقة وجود ذبذبات تنتقل في الهواء مع أصوات الواو والياء والألف؛ حقيقة لا يمار فيها أحد، وهذا يهدينا لفهم كلام الخليل الذي نفى الصوت والجرس عنها، فهو لا ينفي حقيقة الصوت المسموع معها بل ينفي نوعا من الصوت يصاحب غيرها ولا يصاحبها ألبتة.

وجرس الحرف كما أشار الخليل نغمة الصوت، والنغمة جرس الكلام وحسن الصوت،[3] فهما مترادفان من الناحية اللغوية.

---

1 الخليل: كتاب العين، 231/1، ومعنى قوله: وسائر الحروف مجروسة؛ أي لها صوت

2 الخليل: المرجع نفسه، 231/1.

3 انظر: الخليل: المرجع نفسه،247/4.

والذي يمكن فهمه من كلام الخليل بن أحمد؛ أن الجرس هو ذلك الصوت الحادث في مخرج معين من مخارج ***الحروف الصحاح***؛ فهو من خواص الصوامت دون الصوائت التي تتشكل موجاتها في كامل القناة النطقية،[1] قال الخليل بن أحمد: ( الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفا؛ لكل حرف منها صرف وجرس، فأما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف، وأما الصرف فهو حركة الحرف)[2]

إذن الجرس هو إدراك الصوت الساكن، والصرف هو إدراك الصوت متحركا أي الصامت المتبوع بحركة.

وقد أشرت سابقا عند تحليل ***صفة الصحيحة*** إلى أن الحروف الصحاح تتميز من الناحية النطقية بوجود مكان محدد –مخرج– تتشكل فيه موجات الصوت، قال الخليل: (في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً ***صِحَاحا*** لها ***أحيازاً ومدارج*** وأربعة أحرف ***جُوْف*** وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ ***جوفاً*** لأنها تَخْرُجُ من ***الجوف*** فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا ***الجَوْفَ***. وكان يقول كثيرا: الألِفُ اللَّينَةُ والواو والياءُ هوائية أي أنها في الهواء)[3]

فالحروف الصحاح لها أحياز ومدارج، أي مخارج تنسب إليها كالحلق والشفتان... فهذه المخارج تمثل نقاط اعتراض كلي أو جزئي عندها تضطرب جزيئات الهواء وتتشكل أمواج الصوت، ولإدراك الخليل لهذه الخاصية في الصوامت يؤدي –حتما– إلى أنه أدرك

---

1 قال د/ارنست بولجرام: (وأثر الرنين أكبر في الصوائت؛ إذ يمكن أن يقال إنها جهر حنجري محض يتأثر أقل التأثر بوجود ترددات إضافية غير حَنْجَرِيَة، على الرغم من أنها تتعرض لتعديلات قوية عن طريق أنواع الرنين التي تحدث في التجاويف العليا)، ارنست بولجرام مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ص: 96.

2 انظر: نصوص من مقدمة كتاب العين أوردها الأزهري في تهذيب اللغة، ضمن كتاب أحمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 105.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

خاصية الصوائت (الحروف الجوف أو الهوائية)، وهي حرية مرور الهواء دون عائق أو حاجز من شأنه أن يضطرب الهواء عنده وتتشكل أمواج الصوت عنده[1]

إذن العلاقة بين صفة الصحيحة وصفة الجرسية واضحة، فالصفة الأولى نطقية استغلها الخليل لتحديد مخارج الحروف الصحيحة ؛ وهذا التحديد سوف يساعده لاحقا على ترتيب هذه الأصوات الصحيحة تصاعديا في القناة النطقية، وهذا يسهل عليه ترتيبه لأبواب وفصول معجمه، أما الصفة الثانية فتساعده على تفسير وجود أبنية رباعية أو خماسية خلت من حروف الذلاقة مع كونها عربية الأصل؛ وذلك لوجود أحد صوتي الطلاقة الموصوفان **بصحة الجرس** وهما العين والقاف، وسيأتي بيانها عند تحليل الصفات المفردة.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم منهجية الخليل في درسه الصوتي كما جاء في مقدمة وثنايا كتاب العين، إذ بمقارنة صفة الجرسية بصفة الذلاقة؛ نجد أن الجرسية ذات صبغة توزيعية مثلها مثل صفة الذلاقة التي فسرت لنا بوجود بعض الصوامت في بعض الأبنية؛ أصالة تلك الأبنية، وفي مقابل صفة الذلاقة الخاصة ببعض الصوامت أو الحروف الصحاح.

تأتي صفة أخرى خاصة بحروف الجوف وهي صفة عدم الجرسية؛ التي تفسر لنا سبب سلوك حرفي المد (الواو والياء) سلوك التثقيل[2] في الأدوات إذا حولت إلى الاسمية مثل "لو" وأشباهها إذا حولت إلى الاسمية نقول "اللّوّ" بتشديد الواو، وتفسر لنا الجرسية التي وصف بها الخليل الصوامت جملة سلوك الصوامت في عدم قبولها الحشو والتشديد مثل: هلّ المطر وهو شدة انصبابه، فإذا أدخلنا عليه الألف واللام بقى على حاله من حيث تشديد

1 انظر: عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص:57-58، عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء-عمان، ط2009/1، ص: 119.

2 التثقيل في الحرف هو أن تتلوه أحد الحركات القصيرة وذلك في مقابل التسكين، وهذا يعني خروج الواو والياء من زمرة الصوائت وظيفيا ودخولها في زمرة الصوامت، إذ أن الواو والياء في حال تحريكها بأحد الحركات القصيرة تأخذ وظيفة الصوامت فتتبادل معها المواقع فيؤدي ذلك إلى تغيير المعنى مثل بلد، ولد، يجد، أجد...الخ.

اللام فنقول الهلّ، قال الخليل بن أحمد: (هَلْ- خفيفةً- استفهامٌ، تقول: هل كان كذا وكذا؟ وهل لك في كذا وكذا؟ وقول زهير:

وذي نسبٍ ناءٍ بعيدٍ وصلته  بما لك لا يدري أهل أنت واصلُهْ

اضطرارٌ، لأنّ هلْ حرف استفهام وكذلك الألف؛ ولا يُسْتَفْهَمُ بحرفَيِ استفهام قال الخليل لأبي الدُّقَيْش: هلْ لك في الرُّطَبِ؟ قال: أشدُّ هلْ وأوحاه فخفَّفَ، وبعضٌ يقول: أشدُّ الهلِّ وأوحاه وكلّ حرف أداةٍ إذا جعلتَ فيه ألفاً ولاماً صار اسماً فقُوِّيَ وثُقِّل، وإذا جاءت الحروف اللّيّنة في كلمة، نحو "لو" وأشباهها ثُقِّلَتْ، ***لأنّ الحرفَ اللّيّن خوّار أجوف***[1] ***لا بدّ له من حشو يَقْوَى به إذا جُعِل اسماً*** كقوله:

ليتَ شِعري وأين منّي ليتٌ  إنّ ليتاً وإنّ لوّاًعناء

***والحروف الصحاح مستغنيةٌ بجُروسِها*** لا تحتاج إلى حشو فتترك على حالها، وتقول: هلّ السّحابُ بالمطر هلاًّ، وآنهلّ بالمطر انهلالاً، وهو شدّةُ انصبابِه، ويَتَهَلَّلُ السّحابُ ببَرْقِهِ أي: يتلألأ. ويتهلّلُ الرّجلُ فرحاً. قال:

تراه إذا ما جئتَهُ مُتَهلّلا  كأنَّكَ تُعْطيهِ الّذي أنت سائلُهْ)[2]

وحسب رأيي: **جرسية حرفي المد الواو والياء** تقابل المصطلح الحديث **نصف صائت**، الذي يشير إلى بقاء الخصائص الفيزيائية للحركات مصاحبة للواو والياء، مع تحول وظيفة هذين الصوتين من وظائف الحركات إلى وظائف الصوامت، بسبب شبهها بالصوامت من حيث قبولها الحركات.

---

1 حسب رأيي؛ الخور والجوفية مصطلحان توزيعيان يشيران إلى كثرة تبدل أصوات اللين بسبب تصريف الكلمة، مثل قال يقول قيل، لاحظ تغير الألف إلى واو ثم إلى ياء بسبب تصريف الكلمة، لهذا يمكن اعتبار وصف الخليل لحروف الجوف بالخور وهو الضعف فقط تعبيرا عن كثرة التغير والتبدل الصرفيان، أما وصفه لها بأنها جوفاء؛ فلأنها من مخرج الجوف لا أنه تصورها بلا لب كالجذع الأجوف.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 4/319-320.

وشبيه بهذا قول العلامة أبي العلاء العطار- ت569هـ-: (فإن لم يكن قبل الياء والواو حركاتهما خرجتا عن مضارعة الألف، ودخلتا في شبه الحروف الصحاح في خلو المد)[1] فوجود أو خلو المد فارق أساسي لتصنيف الواو و الياء في زمرة الصوائت أو الصوامت، ومهما يكن فوظيفة الصوت معيار خليلي حاسم لتصنيفه مع الصوامت أو مع الصوائت.

وقد دفع هذا التعارض الظاهر- بين تصنيف الصوت بحسب وظيفته وبحسب خصائصه النطقية والفيزيائية- بعض التوزيعيين المحدثين كالأستاذ كينيث بايك إلى اعتماد منظومتين متمايزتين من المصطلحات؛ تختص إحداها بالجانب الوظيفي، والأخرى بالجانب الفوناتيكي، فقد استعمل للجانب الوظيفي المصطلح الانجليزي: vowel للدلالة على الحركة، ومصطلح consonantللدلالة على الصوت الساكن،[2] كما استعمل للجانب الفوناتيكي مصطلح vocoid للدلالة على الصوت الصائت، ومصطلح contoid للدلالة على الصوت الصائت.[3]

وقد اقترح الدكتور سعد مصلوح: مصطلحي الصامت / الحركة للمستوى الفوناتيكي مقابلا للمصطلحين: vocoid / contoid، و مصطلحي: الساكن / الصائت للمستوى الوظيفي، مقابلا للمصطلحين: consonant / vowel.[4]

إذن فصنيع الخليل بجعله لكل مستوى من مستويات التعامل الفوناتيكي أو الفونولوجي مصطلحا خاصا، مبرر بصعوبات التصنيف التي يسببها المنهج التوزيعي (لهذا نجد أن الخليل لجأ -لتجاوز نقائص التوزيع- إلى معايير ضابطة كالوظيفة والتعليل واللزوم

---

1 أبو العلاء الحسن العطار: ، ص: 255 – 256.

2 انظر: سمير شريف استيتية: المشكلات اللغوية في الوظائف و المصطلح و الازدواجية، دار القلم، ط1/ 2001، ص: 64.

3 سمير شريف استيتية: المرجع السابق، ص: 64.

4 انظر: سعد مصلوح: دراسة السمع و الكلام، ص: 163.

والإلغاء...) إضافة إلى أن الخليل يختلف صنيعه عن صنيع المحدثين في كونه لم يجعل المصطلح الفوناتيكي الخاص بالحركات –الهوائية– يقابل المصطلح الفوناتيكي الخاص بالصوامت أو الصحاح –صحيحة– وهكذا فعل مع المصطلح الفونولوجي الخاص بالصوائت الطويلة –عدم الجرسية– فهو لا يقابل عنده المصطلح الفونولوجي الخاص بالصوامت أو الصحاح –الجرسية– بل عكس الأمر، فجعل المستوى الفونولوجي في الصحاح –جرسي– يقابل المستوى الفوناتيكي للصوائت الطويلة أو حروف الجوف –هوائية– والعكس صحيح.

| | الصحاح | حروف الجوف |
|---|---|---|
| مصطلح المستوى الفوناتيكي | صحيحة | جرسية |
| مصطلح المستوى الفونولوجي | هوائية | عدم الجرسية |

والآن ما هو السبب الذي حمل الخليل على هذا الصنيع؟

أظن أن الخليل من خلال منهجه أراد:

- أولا التفريق بين مستويين من مستويات التعامل؛ الفوناتيكي والفونولوجي.
- ثانيا تعرض لصعوبات التصنيف توزيعيا من الناحية الفوناتيكية، فاعتمد الأساس الوظيفي أو الفونولوجي؛ فوجد الهمزة مثلا تتعرض لظواهر الإعلال والإبدال كباقي حروف الجوف فصنفها ضمن حروف الجوف أو الهوائية، كما وجد الواو والياء المديتين قد تشبه الحروف الصحاح من حيث التثقيل –قبول الحركات– وبذلك تؤديان دور الحروف الصحاح وتتبادل معها المواقع فصنفها –ضمنا– من هذه الناحية ضمن الحروف الجرسية أو الصحاح.
- ثالثا أراد الخليل فهم وظيفة كل من حروف الجوف والصحاح في بنية الكلم العربي، كل قسم منها على حدة بعيدا عن تأثير القسم الآخر في أثناء التحليل، لذا جعل الجانب الوظيفي–الفونولوجي في كل قسم يقابل الجانب الفوناتيكي –غير الوظيفي

في القسم الآخر، أي أنه ألغى الجانب الوظيفي في أحد القسمين عند تعامله مع القسم المقابل؛ وهذا ما حمله على جعل المصطلحات متقابلة تقابلا عكسيا كما وضحتها من قبل، وهذا الصنيع أهمله المحدثون في حدود اطلاعي.

- رابعا أن معيار الإلغاء المشار إليه أعلاه يعد أحد الركائز الهامة في الدرس الصوتي الخليلي، وقد تم التنبيه إلى دوره مع شرح واف لهذا المفهوم عند تحليل مصطلحات؛ الحيز، اللهاة –سابقا–، ويبقى أن نشير إلى أن الإلغاء عند الخليل مس كلا جانبي الصوت اللغوي؛ المخرج والصفة.
- **مصطلح الجرس بعد الخليل:**

لم يرد في كتاب سيبويه أي إشارة إلى الجذر "ج ر س"، لكن ابن جني استفاد من هذا المصطلح بالمفهوم الذي تبناه الخليل، واستغله في تعريف الحرف، فاستعمل **الجرس للصحاح**، في حين استعمل مصطلح **الصدى المنبعث من الصدر (صوت الجهر)** للعلل الطويلة، قال: (اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف **أجراس** الحروف[1] بحسب اختلاف مقاطعها ... ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له **جرسا** ما، فإن انتقلت منه راجعا عنه أو متجاوزا له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف فإنك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين ... **فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوتعن امتداده واستطالته** استمر الصوت ممتدا حتى ينفد فيفضي حسيرا إلى مخرج الهمزة[2] فينقطع بالضرورة عندها إذ لم يجد منقطعا فيما فوقها، **والحروف التي اتسعت**

---

1 أي الحروف الصحيحة.

2 مخرج الهمزة هو الوتران الصوتيان، وابن جني يشير إلى أن مصدر الصوت يبتدئ من مخرج الهمزة وينقطع هناك، إي بتوقف الوتران الصوتيان عن الاهتزاز.

**مخارجها ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو**، وأوسعها وألينها الألف إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس **ويتصل الصوت**، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف **الصدى المنبعث من الصدر**، وذلك وقولك في الألف أَا وفي الياء إِي وفي الواو أُو)[1]

من هذا النص يستشف الآتي:

أ- القناة النطقية تبدأ من مخرج الهمزة وتنتهي بالشفتين.

ب- الجرس هو الصوت الحاصل بوضع حاجز يقطع الصوت عن امتداده في القناة النطقية.

ت- الصوت المستطيل الذي لا ينقطع في مخرج ما، هو صوت الجهر، فاذا قطع في مخرج ما سمي حرفا صحيحا أي صوت صامت. وهذا ما عناه الخليل بقوله: "مستغنية بجروسها" في معرض حديثه عن ضعف حروف اللين وقبولها الإعلال، قال: (وإذا جاءت الحروف اللّيّنة في كلمة، نحو "لو"

1 ابن جني: سر صناعة الإعراب،1/28-30.

وأشباهها ثُقِّلَتْ، ***لأنّ الحرفَ اللّيّن خوّار أجوف***[1] ***لا بدّ له من حشو يقْوَى به إذا جُعِل اسماً*** كقوله:

ليتَ شِعري وأين منّي ليتٌ إنّ ليتاً وإنّ لوّا عناء

***والحروف الصحاح مستغنيةٌ بجُروسِها*** لا تحتاج إلى حشو فتترك على حالها، وتقول: هلّ السّحابُ بالمطر هلاًّ، وآنهلّ بالمر انهلالاً، وهو شدّةُ انصبابِه، ويَتَهَلَّلُ السّحابُ ببَرْقِهِ أي: يتلألأ. ويتهلّلُ الرّجلُ فرحاً)[2]

ث- ابتداء الصوت من أقصى الحلق، يعني أن مصدر الجهر هناك.

ج- تختلف أجراس الحروف الصحيحة باختلاف المقاطع أي المخارج.

ح- تختلف أصداء حروف العلل باختلاف شكل الحلق والفم والشفتين.

خ- اذا اتسع مخرج الحرف لا يمكن معه قطعه في مكان معين كانت العلل، ولا ينقطع صوتها إلا في مخرج الهمزة، أي لا ينقطع إلا بتوقف مصدر الصوت.

د- وأوسعها وألينها الألف، بسبب سعة مخرجها، فكانت أكثر عرضة للإعلال والقلب... فاللين هو سهولة تغيرها. وبسبب استغناء الصحاح بالجروس أو المخارج كانت يابسة لا تقبل التغيير إلا ما ندر منه.

ذ- معنى قوله: (إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو)[3] أي رغم اتساع مخرج الثلاثة وخلوه من الحاجز

---

1 حسب رأيي؛ الخور والجوفية مصطلحان صرفيان يشيران إلى كثرة تبدل أصوات اللين بسبب تصريف الكلمة، مثل قال يقول قيل، لاحظ تغير الألف إلى واو ثم إلى ياء بسبب تصريف الكلمة، لهذا يمكن اعتبار وصف الخليل لحروف الجوف بالخور وهو الضعف فقط تعبيرا عن كثرة التغير والتبدل الصرفيان، أما وصفه لها بأنها جوفاء فلأنها من مخرج الجوف؛ لا أنه تصورها بلا لب كالجذع الأجوف.

2 الخليل: كتاب العين، 4/319-320.

3 ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/30.

الذي يكون عنده المخرج والجرس، فأصوات هذه الثلاثة تختلف، والعلة في ذلك (أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك...، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليتخرج فيه النفس **ويتصل الصوت**، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك وقولك في الألف أا وفي الياء إي وفي الواو أو)[1] فاختلاف صدى الحروف كان بسبب اختلاف الشكل العام للقناة النطقية.

ر- اختلاف صدى الحروف سببه اختلاف المقاطع (المخارج) مع الصحاح، واختلاف شكل المجرى مع العلل.

- **<u>ثالثا الصفات المفردة</u>:**

**1- الهتاتة L' Etouffement**[2]:

الهت صفة وصف بها الخليل بن أحمد صوت الهمزة القطعية، ويبدو أنه اختار هذه الكلمة "هت" دون مرادفاتها كـ "منع، حبس" لكون كلمة "هت" تدل أصلا في لغة العرب على النطق بالهمزة المقطوعة**L'occlusion glottale** ، قال: (وتقول: يَهْتُّ الإنسانُ الهمزة هتّاً إذا تكلّم بها)[3]

---

1 ابن جني: سر صناعة الاعراب،30/1.

2 معنى الكلمة الفرنسية **L' Etouffement**، هو الاختناق أو ضيق النفس، ونظرا لأن الهمزة القطعية تنطق بقفل الوترين الصوتيين لممر الهواء قفلا تاما، وهذا يشبه عملية الاختناق جراء دخول جسم غريب في ممر الهواء، فقد اخترت هذه الكلمة كمقابل لمصطلح الهت عند الخليل.

3 الخليل: كتاب العين، مادة هتت، 289/4.

ومن معاني الهمز في اللغة الهت كذلك، قال الخليل بن أحمد: (الهمز ***العصر***، تقول همزت رأسه وهمزت الجوزة بكفّي، وإنما سميت ***الهمزة*** في الحروف؛ لأنها تهمز، فَتُهَتّ فتهمز[1] عن مخرجها، تقول: يَهُتّ فلان هتًّا إذا تكلم بالهمز)[2] وهذه التسمية اللغوية تشير إلى تنبه العربي أو واضع الأبجدية الأول لخاصية الوقف والانفجار في صوت الهمزة.

وقال: (الهتُّ شِبْهُ ***العَصْر*** للصَّوْت، يُقالُ للبَكْر[3]: يَهِتُّ هتيتاً، ثم يَكِشُّ كشيشا، ثمّ يَهْدِرُ –إذا بزل– هديراً ويقال: ***الهَمْز صوتٌ مَهتوتٌ في أقصَى الحَلْق***، فإذا رُفِّهَ عن الهَمْز صار نفسا؛ تحوّل إلى مخرج الهاء ولذلك استخفّتِ العربُ إدخال الهاءِ على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهَراقَ، وأيهات وهيهات)[4]

والترفيه هو رفع الشدة وتوسيع الضيق، قال الخليل بن أحمد: (ورفَّهْتُ عن فلان شدّته وخناقَه إذا نّفستَ عنه ترفيها)[5]

إذن الهتّ ضد الترفيه، هذا الأخير يفيد معنى الهشاشة التي وصف بها الخليل صوت الهاء –وسيأتي بين ذاك بعد حين– والهت جاء هنا بمعنى العصر؛ وهو المنع قال الخليل بن أحمد: (وكل شيء منعته فقد اعتصرته، ومنه الحديث: "يعتصر الوالد على ولده في ماله" أي يحبسه عنه ويمنعه إياه)[6] والترفيه جاء بمعنى التوسيع، فالهمزة صوت مهتوت

---

1 تهمز هنا بمعنى تعصر وتضغط كما يفهم من سياق الكلام.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 322/4.

3 البَكْر من الإبل التي لم تبزل أي لم يظهر لها أنياب، فإذا بزلت صارت جمالا، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/ 156.

4 الخليل: كتاب العين، مادة هتت، 289/4، وفي النص أعلاه إشارة واضحة لقانون السهولة والتيسير أو كما قال الخليل: (استخفت العرب).

5 الخليل: المرجع نفسه، 140/2.

6 الخليل: المرجع نفسه، 171/3.

**Un son étouffé** أي ينطق بشدة وحبس ومنع للهواء من الخروج،[1] فإذا رفه عنها ووسع مخرجها صارت نفسا وخرج هواؤها حرا طليقا كما يخرج هواء صوت الهاء الأهش، وبذلك تسلك طريقا نطقيا غير طريق الحروف الصحاح، وتنطق ألفا أو واوا أو ياء،[2] قال الخليل بن أحمد: (وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا ***رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف*** عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح)[3]

أشار سيبويه لقضية تليين أو إبدال الهمزة بأحد حروف العلة، قال: (واعلم أن الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز؛ وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين، تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً، والواو إذا كان ما قبلها مضموماً، وليس ذا بقياس متلئب نحو ما ذكرنا وإنما يحفظ عن العرب)[4]

وقد لاحظ الصرفيون العرب المحدثون هذا الشبه بين سلوك الهمزة التوزيعي الصرفي وحروف العلة الثلاث (اوي)، قال د/ كرم محمد زرندح: (الهمزة من الحروف الصحيحة، إلا أنها تشبه أحرف العلة؛ لذا تقبل الإعلال مثلها)[5]

وتجدر الإشارة إلى ملاحظة الخليل بن أحمد؛ بأن الهمزة صوت مهتوت ينطق بضغط هوائي عال حتى تتمكن من فتح مخرجها الذي سده الانطباق التام للوترين الصوتيين، قال: (وإنما سميت ***الهمزة*** في الحروف؛ لأنها ***تهمز، فَتُهَتّ فتهمز[6] عن***

---

1 يلمح كذلك معنى منع الهواء عن الخروج في تعبير الخليل: (الألف المقطوعة)، كتاب العين، مادة هتت، 289/4)، أي مقطوعة النفس عند النطق بها، وهذا يتوافق مع وصف المحدثين للهمزة بأنها صوت وقفي.

2 تؤدى الهمزة بطرق مختلفة إما محققة وإما مسهلة وإما بين بين، مثل: بئر – بير، رأس – راس، مؤمن – مومن، انظر: عبد الكريم بورنان: الإبدال في اللغة العربية دراسة صوتية، ص: 99–100، وابتهال الزيدي: علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة 2005، ص: 67إلى 73.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

4 سيبويه: الكتاب، 553/3.

5 كرم محمد زرندح: أسس الدرس الصرفي في العربية، ص: 200.

6 تهمز هنا بمعنى تعصر وتضغط كما يفهم من سياق الكلام.

***مخرجها***)[1] وهذا أمر تقره الدراسات الصوتية الحديثة، فإنتاج الصوامت الفموية يتطلب ضغطا هوائيا مرتفعا،[2] وبما أن هناك ارتباط عضوي فيزيائي؛ بين درجة انفتاح الأعضاء الناطقة والضغط اللازم توفيره لإنتاج الصوت اللغوي، حيث تعطى بالعلاقة العكسية التالية: ***يرتبط ارتفاع الضغط الهوائي في المجرى الفموي، ارتباطا عكسيا مع انتفاخ الأعضاء الناطقة أو المخرج***؛ يعني هذا أن أصوات الوقف يتم إنتاجها بضغط هوائي أكبر من الذي يتم به إنتاج الأصوات الاحتكاكية وضغط هذه الأخيرة أكبر من ضغط الأصوات المائعة وهكذا دواليك، وبعبارة أخرى: يزداد الضغط الهوائي كلما أمعنا في تقريب الأعضاء الناطقة بعضها من بعض؛ لأن الهواء سيجبر على المقاومة للخروج عبر الممر –المخرج– وستكون هذه المقاومة على أشدها عندما يصادف الهواء إغلاقا تاما لممر عبوره، وبذلك يضيع جزء من طاقة الصوت في عملية المقاومة هذه؛ و بهذا يمكن أن نفسر انخفاض درجة إسماع الصوت تبعا لتدرج تدني انفتاح الآلة المصوتة، وكما هو معلوم فأصوات الوقف تحتل دائما أسفل سلم درجات الإسماع.[3]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 322/4.

2 انظر: انظرجاوريا ج. بوردن و كاثرين س. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 206–207، و سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 50.

3 يربط د/ جولد سميث بين جهارة الصوت – قوة إسماعه – و مدى انفتاح المجرى الصوتي عند إنتاج الكلام، وهذا الربط ليس الكلمة الفاصلة لكنه الفرض الذي ترجحه المعطيات المختبرية حتى الآن، و إليك سلم الجهارة كما قدمه د/ جولد سميث:

**أعلى سلم الجهارة:** – الحركات:

- الحركات السفلى أو المنفتحة كصوت الفتحة
- الحركات الوسطى كصوت: [e].
- الحركات العليا كصوت الكسرة
- الانزلاقيات كصوتي الواو و الياء اللينين
- الموائع كأصوات اللام و الراء و النون و الميم.
- المحصورات:
  - الاحتكاكيات كصوت الفاء و الشين
  - الوقفيات الاحتكاكية كصوت الجيم المركب.
  - الوقفيات كصوت الباء و الدال.

**أدنى سلم الجهارة:**

ولا يخلو تطبيق هذا السلم – على لغات بعينها وفي سياقات صوتية– من استثناءات لعدة أسباب صوتية وفونولوجية، غير أن الإطار المعول عليه بوجه عام، يشير إلى تفاوت درجات الجهارة في إطار المقطع الواحد، حيث تحظى الحركات بأوفر نصيب من الطاقة الأكوستيكية؛ ومن ثمة تكون أبرز مكونات المقطع، وتحتل بذلك أعلى الدرجات في سلم الجهارة، انظر: سعد مصلوح: دراسة السمع و الكلام، ص: 232، ولمعرفة مزيد من الانتقادات الموجهة لهذه النظرية انظر: خلدون أبو الهيجاء: في فيزياء الصوت اللغوي و وضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، ط1/2006، ص: 152 إلى آخر الكتاب.

إن الهمزة تتصف بصعوبة نطقية وكلفة عضلية، أكثر من الأصوات الأخرى؛[1] لذلك استخفّتِ العربُ إدخال الهاءِ على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهَراقَ، وأيهات وهيهات.[2]

وللعلم فإن الخليل وصف الهاء بالهت كذلك وصفها بالهشاشة.

## 2- الهشاشة la frêleté:[3]

الهشاشة لغة الرخاوة والليونة والطراوة، قال الخليل بن أحمد: (الهشُّ كلّ شيءٍ فيه رَخاوةٌ[4] هشَّ يَهَشُّ هَشاشةً فهو هَشٌّ هَشيشٌ، والهشُّ: جَذْبُك غُصْنَ الشّجرةِ إليك وكذلك إن نثرتَ وَرَقَها بعصاً ومنه قوله عزّ وجلّ: "وأَهُشُّ بها على غَنَمي"، ورجلٌ هشٌّ إذا هشَّ إلى إخْوانِه، والهُشاش والأُشاش بمنزلة هَرَقْتُ وأَرَقْتُ)[5]

وصف الخليل بن أحمد الهاء بالهتاتة[6] والهائية واللين والهشاشة، قال: (ولولا ***هتّة*** في الهاء وقال مرة ***همّه*** لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء)[7] وقال: (الهاء حرف ***هش لين***)[8] وقال: (وهاء التأنيث أَصْلُ بنائِها من التّاء، ولكنّهم فرّقوا بين تأنيثِ الفعل وتأنيث

---

1 انظر: عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص: 61.

2 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 289/4، والإدخال هنا بمعنى الإبدال.

3 مصطلح: **la frêleté** مشق من الكلمة الفرنسية: frêle ، ومعناها الحرفي رخوة، هشة، سريعة الانكسار، واهية، وهي المعاني اللغوية نفسها التي يحملها مصطلح الهشاشة العربي، لهذا اخترتها كمقابل لمصطلح الهشاشة عند الخليل.

4 الرخاوة في اللغة تأتي بمعان منها؛ السعة، يقال هو في عيش رخي، وضد الشد، يقال أرخى له الحبل، والبطء، يقال: تراخى فلان عني، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 109/2.

5 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 310/4-311.

6 أفضل استعمال مصطلح الهتاتة بدلا من الهتهتة، والثاني هو الأوفق لصياغة الثنائي المضاعف على مثل زلزل وقلقل...الخ، وهذا التفضيل لدفع اللبس فمصطلح هتهتة استعمله القدامى للدلالة على أحد أنواع الحبسة ويظهر لي أن أصله التهتهة، قال الخليلُ: (**والهَتْهَتَةُ والتَّهْتَهَةُ** تقالُ في الْتِواءِ اللّسان) العين 3/ 349 .. وقال: (**والهَثْهَثَةُ** بعضُ كلامِ الأَلْثَغ) العين 3/ 350. وقال القرطبيُّ: (**الهَثْهَثةُ والهَتْهَتةُ** بالثاءِ والتاء: حكايةُ التواءِ اللِّسانِ عند الكلامِ) الموضح في التجويد، ص 219 .

7 الخليل: كتاب العين، 41/1.

8 الخليل: المرجع نفسه، 283/4.

الاسم، فقالوا في الفعل: فَعَلَتْ. وفي الاسم: فَعْلَة. وإنّما وقفوا عند هذه التّاءِ بالهاء من بينِ سائر الحروف، ***لأن الهاء ألينُ الحروف الصّحاح*** فجعلوا البَدَلَ صحيحا مثلها، ولم يكن في الحروف حرفٌ **أَهَشُّ** من الهاءِ، لأنّ الهاءَ نَفَسٌ)[1]

يستشف مما سبق ما يلي:

أ- الهشاشة عند الخليل مصطلح توزيعي جاء به ليتجنب مزالق التصنيف التوزيعي، فرغم كون الهاء حرف صحيح، إلا أنها وفي بعض الأحيان تتعرض للإبدال مع صوت الهمزة كأراق وهراق، فوصفها بالهشاشة وبأنها ألين الحروف الصحاح، حتى يستطيع أن يتعامل معها كباقي حروف العلل في بعض السياقات، وسيأتي توضيح ذلك فيما بعد.

ب- وصف الخليل بن أحمد للهاء بالهتاتة والهشاشة، أمر فيه تناقض؛ إذ الهتاتة مصطلح نطقي يدل على القفل التام -كما مر آنفا- وصفت به الهمزة المقطوعة، والهشاشة من صفات الهاء وهو مصطلح توزيعي تعليلي، ولهذا أرجح أن وصفه للهاء بالهتاتة راجع للتصحيف أو عدم تثبت الراوي والدليل على ذلك اضطراب راوي كتاب العين المعتمد في هذه الدراسة؛ حيث قال: (ولولا ***هتّة*** في الهاء ***وقال مرة همّه*** لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء)[2] فقوله: (وقال مرة) دليل الاضطراب وعدم التثبت.

ت- اللين الذي وصف به الخليل الهاء بمعنى الرخاوة وسهولة نطق الهاء مقارنة بالهمزة المقطوعة التي وصفها بالهتاتة، وهو ليس ذلك اللين الذي وصف به حروف الجوف (اوي) لاختلاف الطبيعتين النطقية والفيزيائية بين الصوائت والصوامت هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أشار الخليل عند وصفه الهاء

---

1 الخليل: كتاب العين، 328/4.

2 الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

باللين إلى أنها ألين الحروف الصحاح،[1] وبهذا فهي ليست بليونة حروف الجوف أو الهوائية، كما أن الخليل وصف أصواتا صحاحا أو صامتة غير الهاء باليونة وهي الدال والسين، فاليونة هنا مصطلح توزيعي كصفة الهشاشة التي مر ذكرها، جاء بها الخليل ليفسر وجود أبنية ما فوق الثلاثي خلت من حروف الذلاقة ومع ذلك فهي عربية أصيلة، هذا ما يستدعي وقفة خاصة عند هذا المصطلح لبيان حقيقته مع الصوائت من جهة ومع الصوامت من جهة أخرى، وسيأتي تفصيله عند الحديث عن **مثلثات التقابل الخليلية**.

ث- الهاء أهش الحروف الصحاح، لأنها الحرف الصحيح الوحيد الذي يدخل على أحد أصوات العلة وهو الهمزة فيبدل منها كأراق وهراق كذلك تمتاز الهاء بمجرى نطقي خال من العوارض، قال الخليل بن أحمد: (ولم يكن في الحروف حرفٌ أَهَشُّ من الهاءِ، لأنّ الهاءَ نَفَسٌ)[2] ومعنى أنها نفس أي أن هواءها لا يعترض سبيله أي عائق، وهذا يشبه طريقة نطق الحروف الجوف أو الهوائية، وهذا يؤكده قول الخليل بن أحمد: (للينها وهشاشتها. وإنما هي نَفَس. **لا اعتياص فيها**)[3]

ج- وصف الخليل لصوت الهاء باللين وبأنها ألين الحروف الصحاح، وصف مبني على ملاحظة حال مجرى وكيفية نطق الصوت، إذ مجرى صوت الهاء يعتبر أوسع مخرج من مخارج الصحاح كما أن الألف أوسع مخرج من مخارج الحروف الجوف أو الهوائية، لاحظ مثلا وصف الهاء عند كمال بشر الذي شبه مجراها بمجرى صوت الفتحة، قال: (تتكون الهاء العربية؛ عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق ***حركة كالفتحة مثلا***، ويمر الهواء خلال الانفراج

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 328/4.

2 الخليل: المرجع نفسه، 328/4.

3 الخليل: المرجع نفسه، 39/1.

الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثا صوتا احتكاكيا، يرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء من الأنف ولا تتذبذب الأوتار الصوتية)[1]

ح- نظرا لخصائص الهاء النطقية التي تقترب من الحركات، فقد رشحتها لتحتل مكانة في صرف العربية، فالهاء والهمزة حرفان حسنان في كل المواقع ماعدا أن تسبق الهاء الهمزة في أول الكلمة، قال الخليل: (والهاء قبل الهمزة لا تحسن إذا جاءت إلا في أول بناء الكلمة، فإذا فصل ما بينهما بحرف لازم حسنتا حيثما وقعتا)[2] وقال: (حرفٌ هَشٌّ لَيِّنٌ –أي الهاء– قد يجيء خَلَفا من الأَلِف الّتي تُبْنَى للقَطْع)[3] أي أن العربية عندما تنفر من همزة القطع تستعيض عنها بالهاء، فالهمزة المقطوعة إذا رفه عنها لانت وصارت الألف والواو والياء، والهاء نفس لا اعتياص فيها فشابهت من هذه الناحية الحركات، فكان حقيقا لها أن تبدل منها الهمزة المقطوعة، قال الخليل: ***(الهَمْز صوتٌ مَهتوتٌ في أقصَى الحَلْق***، فإذا رُفِّهَ عن الهَمْز صار نفسا؛ ***تحوّل إلى مخرج الهاء*** ولذلك استخفّتِ العربُ إدخال الهاءِ على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهَراقَ، وأيهات وهيهات)[4]

تبقى نقطتان جديرتان بالتحليل والدراسة وهما:

أ- هل وصف الخليل الهاء بالهَهَّة، أم وصفها بالهتة؟.

ب- مصطلح اللين الذي وصف به الخليل الهاء، هل هو غير مصطلح اللين الذي وصف به حروف الجوف (اوي)، وبعبارة أخرى هل استعمل الخليل مصطلح

---

1 كمال بشر: علم الأصوات، ص: 304.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 283/4.

3 الخليل بن أحمد: المرجع نفسه، 283/4، ألف الوصل عبارة عن جركة قصيرة وهي زائدة على البناء، ولم يجعلها الخليل من حروف الزيادة، لأن الحركة عنده ليست حرفا كالصوائت الطويلة التي تقع في موقع الوقف ولا يبتدأ بها.

4 الخليل بن أحمد: كتاب العين، مادة هتت، 289/4.

اللين بمعان مختلفة، حسب سياق الكلام؟ وسيتطرق البحث لهذه النقطة لاحقا.

بالنسبة للنقطة "أ"، أقول الهتة جاءت بمعنى المنع، ومجرى الهاء كما أشرت أعلاه لا منع ولا حاجز فيه كما أن الخليل عندما وصف الهمزة بالهتاتة أشار إلى أن الترفيه يُفقِد الهمزة صفة الهت؛ وبذلك تتحول إلى نفس وبذلك تشبه صوت الهاء من حيث حرية جريان الهواء –دون الجهر الذي يجعل الهمزة المرفه عنها ضمن أصوات الجوف– قال: (***الهَمْز صوتٌ مَهتوتٌ في أقصَى الحَلْق***، فإذا رُفِّهَ عن الهَمْز صار نفسا؛ ***تحوّل إلى مخرج الهاء*** ولذلك استخفّتِ العربُ إدخال الهاءِ على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهَراقَ، وأيهات وهيهات)[1]

وبالنسبة للنقطة "ب" فتتبع السياقات التي ورد فيها مصطلح "**اللين**" نجد أن الخليل وصف به الصوائت الطويلة والهاء والدال، وعلى هذا فمصطلح اللين يحمل دلالات مختلفة بحسب الصوت الموصوف به، كالتالي:

أ- **لين حروف العلل:** وصف الخليل كل من الواو والياء والألف باللين،[2] في حين وصف باقي الحروف بالصحيحة، وعلة هذه التسمية الأخيرة –كما يرى الخليل– لأنها التي لا تتغير عن حالها أبدا،[3] وعلى هذا فلين حروف العلل يعني كثرة تبدل هذه الحروف بسبب تصريف الكلمة، مثل قال يقول قيل، لاحظ تغير الألف إلى واو ثم إلى ياء بسبب تصريف الكلمة.

1 الخليل: كتاب العين، مادة هتت، 289/4.

2 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 41/1.

3 انظر: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، ج41/1-42.

ب- **لين الهاء:** من وصف الخليل لصوت الهاء بأنها ألين الحروف الصحاح،[1] يتضح أنه يقارنها مع الحروف الصحيحة (الصوامت ما عدا الهمزة لأنها من حروف الجوف عنده) وذلك لأن مجراها النطقي يعتبر أوسع من أي مخرج من مخارج الحروف الصحاح، حتى شبه د/ كمال بشر سعة مجراها بسعة مجرى ***حركة كالفتحة.***[2]

ت- **لين الدال:** مصطلح اللين في سياق وصف الدال، جاء عند مقارنة الدال بالطاء الصلبة[3] (المطبقة) ، وعليه فاللين هنا يعنى الانفتاح L'Aperture الذي هو ضد الإطباق Le Contre palais، وسيأتي مزيد من التفصيل عند الحديث عن مثلثات التقابل الخليلية.

**3- الهمَّة: Le Soufflement**

وصف الخليل الهاء بالهمَّة un son soufflé قال: (ولولا ***همَّة*** في الهاء ***وقال مرة همَّه*** لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء)[4] والظاهر أنه يعني عملية إخراج هواء صوت الهاء الذي يشبه إخراج هواء التنفس من فراغ الفم الواسع.

ومصطلح الهمّة ولّده الخليل ويظهر عليه الارتجال؛ إذ لم أجد له أصلا لغويا، وهو من باب الثنائي المضاعف، وأظن أنه بناه من "هَه" وهو حكاية صوت الهاء، ثم ضاعفه "هَهَهَه،" ثم أدغم هائي وسط الكلمة فصارت الكلمة: همَّه، بهذا حاكى بالكلمة همَّة جرس أو مسموع صوت الهاء، وبناء الثنائي المضاعف لا يخضع لقانون أو وتيرة واحدة،

1 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 328/4.

2 انظر: كمال بشر: علم الأصوات، ص: 304.

3 انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 38/1.

4 الخليل: كتاب العين، 41/1.

قال الخليل: (فالمضاعَفُ جائز فيه كل غَثّ وسَمين من الفصول والأعجاز والصُّدور وغير ذلك)[1]

وعندما وصف الهاء بالهَهَّة جعلها مقابلا لصوت الحاء؛ أي أن الهَهَّة صفة تميز الهاء دون الحاء، فالحاء أكثر احتكاكا من الهاء، وعليه تعني الههة الاحتكاك الضعيف.

وعملية البحث عن صفة مائزة تفرق بين صوتين متقابلين جاء بها الخليل حال كون الصوتين من حيزين متتاليين، فالهاء من حيز أقصى الحلق، والحاء من حيز وسط الحلق، وكلاهما من مبدأ الحلق، وقد تم الحديث عن علاقة المبادئ بالأحياز سابقا.

**4- الطلاقة وضخامة الجرس:**

أ- **الطلاقة la pureté/ ضخامة الجرس**La résonance consonantique: تم تحليل مصطلح الجرس -فيما سبق- عند تحليل الصفات العامة.

**ب- النصاعة والطلاقة la pureté:**

الناصع هو الخالص من كل شيء،[2] والجرس هو صوت الحلي أو الطائر إذا سمع ينقر،[3] ومن المعنى اللغوي للنصاعة (الخالص، الشديد، الضخم) يمكن القول أنها تعني الحروف الصحيحة بعد حروف الذلاقة الخالصة التي تلعب دورا في تحسين موسيقى الكلمات الدخيلة والمعربة.

والنصاعة معيار توزيعي جاء به الخليل ليعلل به دخول أبنية ما فوق الثلاثي إلى العربية من لغات العجم تعرى من حروف الذلاقة مع ملاحظة عدم تعريها من حرفي الطلاقة (ق، ع) أو الدال والسين، وضابط هذه المقولة هو الإستقراء، أي أن الخليل أصدر هذا

---

1 الخليل: المرجع نفسه، 40/1.

2 انظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: أنس محمد الشامي، دار الحديث-القاهرة 2008، ص: 900.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين.

الحكم بعد أن جمع ما استطاع من كلمات دخيلة أو معربة ذات بناء رباعي أو خماسي فوجدها لا تخلوا على الأقل من حرفي الطلاقة أو الدال والسين.

يبدو لي أن الخليل أراد من خلال هذا المعيار، تبيين سبب تعريب العرب لهذه الكلمات: العَسْجَدُ، القَسْطوس، القُداحِس، الدُعشُوقةُ، الهُدْعةُ، الزُهْزُقَةُ، ومع أنها تخلوا من حروف الذلاقة؛ لأنها تشبه في رنينها الكلمات العربية الأصيلة، وقد أرجع الخليل هذا إلى نصاعة وجرس صوتي العين والقاف، وإلى حرفي الدال والسين كذلك، وسيأتي تفصيل القول في معيار النصاعة في نتائج الفصل.

- **تفسير بعض علماء العرب للنصاعة:**

التفسير السابق الذي قدمه البحث هو تفسير يتماشى مع نظرية الخليل ومنهجه التوزيعي، لكن بعض العلماء أعطوا للنصاعة وضخامة الجرس بعدا فيزيائيا، وليس بمستبعد أن البعد الفيزيائي السمعي لحرفي النصاعة أعطى للخليل المبرر لصياغة معياره الجمالي الذي أطلق عليه البحث مصطلح: **معيار النصاعة**.

ذهب قاسم البريسم إلى تفسير النصاعة وضخامة الجرس بقوة الوضوح السمعي قال: (فالنصاعة وضخامة الجرس من صفات القاف والعين، وهي سمات فيزيائية اِلتفت إليها الخليل؛ أي أنه استطاع أن يكشف قوة الوضوح السمعي في العين، من خلال طبيعتها النطقية أي ضعف الاحتكاك معها وشدته مع الحاء، الذي عبر عنه بالنصاعة التي ميزتها عن الحاء ذات التضييق الشديد، الذي عبر عنه بالبحة... وتأثير هذا في قوة وضوحها أي ضخامة جرسها؛ لما لضخامة الجرس –الوضوح السمعي– من تأثير في أذن السامع، وما يقال عن العين يقال عن القاف التي اتصفت هي الأخرى بالنصاعة وضخامة الجرس، ويبدو أن الخليل التفت إلى قوة الوضوح السمعي في القاف؛ من خلال الجهد العضلي

المضاعف وتوتر أعضاء النطق الرئيسية المساهمة في إنتاجها بسبب التفخيم، الذي يعد من العوامل الرئيسية في قوة وضوح الصوت)[1]

وقال د/عادل محلو: (...فصوت القاف أحد أصوات القلقلة بل إن أصل هذه الحروف القاف، وتؤدي القلقلة الشديدة التي يتصف بها هذا الصوت؛ نتيجة اشتراك عضوين رطبين متحركين في تشكيله وهما اللهاة ومؤخرة اللسان، تؤدي هذه القلقلة الشديدة إلى بذل جهد أكبر حتى ينطق هذا الصوت بوضوح)[2]

حسب رأيي، صفات النصاعة والطلاقة وضخامة الجرس، بالإضافة إلى علاقتهما بظاهرة نطق الأصوات كما وضح أعلاه، لها علاقة وطيدة بتوزيعهما في ببنية الكلم العربي وذلك من خلال الملاحظات التالية:

أ- جاء الوصف له علاقة بتوزيع هذان الصوتان في بنية الكلم الدخيل والمعرب.

ب- النصاعة وضخامة الجرس صفتان ملحوظتان دون باقي صفات (ع ق)؛ أي أن هاتان الصفتان يرجع إليهما الفضل في اختيار العربية للقاف والعين لتحل محل حروف الذلاقة؛ في حال ما عريت أبنية الرباعي والخماسي منها.

ت- وصف الخليل للقاف والعين بالنصاعة وضخامة الجرس، لم يأتي والصوتان معزولان، بل بعد أن لاحظ توزيعهما في أبنية الكلام؛ وهدا معناه أن وصفه تعليلي يوضح سبب سلوكهما هذا دون غيرهما من الأصوات.

---

1 قاسم البرسيم: علم الصوت العربي، ص: 127-128.

2 عادل محلو: علم الأصوات، ص: 63.

ث- القاف والعين لا تعملان على تحسين الكلمات الدخيلة والمعربة سمعيا إلا إذا خلا البناء من حروف الذلاقة، فإذا كان في البناء أحد حروف الذلاقة فله يرجع الفضل في تحسين الكلمات الرباعية والخماسية، لا إلى القاف والعين أو السين والدال.

ج- يظهر أن الخليل بنى أحكامه التوزيعية أعلاه على نسبة تردد الأصوات في أبنية الكلم العربي، فأعلاها ترددا حروف الذلاقة تليها القاف والعين تليها الدال والسين، وهذا ما تؤكده بعض الدراسات الإحصائية الحديثة، فقد أثبتت دراسة حاسوبية لجذور معجم الصحاح ولسان العرب وتاج العروس، أن أكثر الحروف ترددا في العربية هو؛ الراء واللام والنون والباء والميم ثم العين والقاف والدال والفاء والسين، ويتبين من هذه النتيجة العلمية الدقيقة أن حروف الذلاقة (اللام والنون والراء والفاء والباء والميم) جاءت أولا ما عدا الفاء، على حين أن حرفي الطلاقة (العين والقاف) وردا ثانيا ثم جاء حرفا التوسط والاعتدال (الدال والسن) ثالثا، كما أظهرت الدراسات الحاسوبية أن أكثر الحروف ترددا في الرباعي والخماسي هي حروف الذلاقة، إضافة إلى شيوعها في الثنائي والثلاثي، مما يؤكد فكرة كثرتها في الكلام عامة،[1] وصحة تعليل الخليل لها بأنها أسهل الحروف تآلفا مع غيرها.

ح- تؤكد هذه النتائج أن تعريب الألفاظ يكون عن طريق جعلها أقرب ما تكون إلى الكلمات الأصيلة، من حيث وجود حروف كثيرا ما تترد في الكلم الأصيل.

1 انظر: أحمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 62-63.

**5- البحة: Le Voix monocorde**

البحة لغة غلظ الصوت، قال الخليل: ( عَوْدٌ أَبَحُّ: إذا كان في صوته غِلَظٌ، والبَحَحُ مصدرُ الأَبَحِّ، والبَحُّ إذا كان من داءٍ فهو البُحاحُ، والتبحْبُحُ: التَمكُّن في الحُلُول والمُقام، والمرأةُ إذا ضَرَبَها الطَّلْقُ، قال أعرابيّ: تركتُها تُبَحْبحُ على أيدي القَوابل، وقال في البَحَح أي مصدر الأبَحّ:

ولقد بَحِحْتُ من النِّدا ء لجَمْعِكم هلْ من مُبارز

والبُحْبُوحةُ: وسطُ مَحلّة القَوم، قال جرير: ينفونَ تغلب عن بُحْبُوحة الدار)[1]

وصف الخليل الحاء بالبَحّ، قال: (فأقصي الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن لقُرْب مَخْرَجها من العَيْن، ثم الهاء ولولا هَتَّة في الهاءِ، وقال مَّرة "ههّة" لأَشْبَهَت الحاء لُقْرب مَخْرَج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في **حَيّزِ** واحد بعضُها أرفع من بعض ثم الخاءُ والغَيْن في حيِّز واحد كلَّهُنَّ حلقية)[2]

في هذا النص يتكلم الخليل عن صحاح مبدأ الحلق، وهي: العين والحاء ثم الهاء والخاء

اختلف العلماء العرب المحدثون في تفسير معنى بحة الحاء على ثلاثة آراء:

أ- **<u>رأي د/أحمد محمد قدور</u>**: شبه البحة بصويت القلقلة، وبذلك جعل البحة صوتا زائدا على بنية صوت الحاء، قال: (والبحة كما يبدوا صويت يلحق نطق الحاء ساكنة؛ على نحو مشابه للصوت الحادث حين القلقلة في حروف قطب جد)[3]

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، مادة هتت، 115/1.

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

3 أحمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 46.

- **نقد وتوجيه:**

وهذا الرأي لا يخلو من إعادة نظر في ضوء ما قرره البحث الصوتي القديم والحديث على حد سواء، إذ لم يشر القدامى عند حديثهم عن الأصوات المشربة (حروف النفخ والقلقلة)[1] وهي التي يتبعها شيء من غير جنسها، عن حرف الحاء، وكذلك المحدثين عند حديثهم عن أصوات القلقلة والنَفَسِية.

وقد أشرت آنفا أن البحة وردت في كتاب العين بمعنى الصوت الخشن الغليظ، وهذا يتناسب مع موجات الصوت الاحتكاكي أو المهموس لضآلة عنصر النغمة فيهما مقارنة بالصوت البيني أو الرنان والصوت المجهور.

ب- **رأي د/عادل محلو:** قال: (والظاهر أن مقصده هو أن الفرق بين الحاء والعين؛ همس الأول وجهر الثاني، فالقداح البحّ في اللغة هي تلك التي لا أصوات لها، وهذا الفرق هو الذي رصده المحدثون حين قالوا: إن النظير المجهور للحاء؛ العين)[2]

- **نقد وتوجيه:**

الحاء هي النظير المهموس للعين دون شك، لكن الحاء هي النظير الاحتكاكي للعين الرنانة أو المائعة، لذا قد يكون الخليل بقصد بالبحة الاحتكاك المميز للحاء دون العين، حيث أن البحة وردت في كتاب العين بمعنى الصوت الخشن الغليظ، وهذا يناسب – في اعتقادي– القول بأن البحة هي الاحتكاك، وهذا الرأي يذهب إليه بعض الباحثين المحدثين.[3]

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/174-176، وابن جني: سر صناعة الإعراب، 1 / 77، وبيرش رضا: قضايا نقدية في الصوتيات العربية المعاصرة، ص: 124وما بعدها.

2 عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص: 63-64.

3 انظر: قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 128-129.

والحق أن الخليل لم يعتمد في تصنيفه للأصوات على ثنائية جهر/همس، وذلك برغم ورود تفسير لمصطلح "جهر" في ثنايا كتاب العين، ووصفه للهاء بالهمس في رواية ابن كيسان،[1] وليس مصطلح "خافت" أو صفة الخفوت بمعنى الهمس كما ذهب إلى ذلك بعض المحدثين، بل معناها الانفتاح المقابل للإطباق، وقد مر بيان صفة "**الخفوت**".

ت- **رأي قاسم البريسم:** قال: (لقد لاحظ الخليل الفرق بين العين والحاء من حيث ***الاحتكاك***؛ فالحاء أكثر ***احتكاكا*** من العين، وهذا ما دعاه إلى أن يصف الحاء بأن فيها ***بحة***، وأن هذه ***البحة –الاحتكاك–*** هو الذي نبه الخليل إلى الجانب الفيزيائي لكلا الصوتين، وتمييزهما من حيث وضوحهما الصوتي، فقال عن العين أنها أنصع من الحاء؛ لذا بدأ بها ترتيبه الصوتي).[2]

وبما أن البحة غلظ الصوت فالحاء في نظر الخليل فيها غلظ إذا قورنت بالعين، وهذا الغلظ سببه الضيق الشديد لمخرج الحاء الذي يسبب احتكاك الهواء، فالعين تنطق مع اتساع في مخرجها، مما يزيد من قوة وضوحها السمعي هذا إلى جانب كونها مجهورة، إذن البحة هي الاحتكاك المميز للحاء في مقابل الرنين المميز العين.

### 6- الخفوت (الانفتاح) L'Aperture:

الخفوت لغة يأتي بمعنى الخفض والانقطاع، قال الخليل: (خفت: صَوْتٌ خَفيت، وخَفَتَ خُفُوتاً أي خفض خفوضاً، ويقال للرجل إذا مات: قد خَفَتَ أي انقطع كلامه، وزرع خافِتٌ كأنه بقي فلم يبلغ غاية الطول، ومات خُفاتا أي لم يشعر بموته؛ وأَخْفَتَه الله، والرجل تخافَتَ بقولته إذا لم يبينها برفع الصوت، وهم يَتَخافَتُونَ إذا تشاوروا سرا، وامرأة خَفُوتٌ لفوت: وهي التي تأخذها العين ما دامت وحدها أي تستحسنها فإذا صارت بين النساء غَمَرْنَها،

---

1 انظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 90/1، وأحمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 36-37.

2 قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 128-129.

***ولَفُوتٌ: فيها التواء وانقباض***، ويقال: اللَّفُوت: الكثيرة الالتِفافِ إلى الرجال والخَفُوتُ: التي تخفِتُ في جنب من كان أحسن منها)[1]

من المعنى اللغوي للجذر خفت يظهر أنه يحمل معنى **الانخفاض** والاختفاء والإسرار في الكلام، وهذا يعكس مبدئيا تدني مستوى إسماع الصوت الموصوف بصفة الخفوت، وإذا نظرنا إلى الأسباب الفيزيائية المؤدية إلى ظاهرة ضعف الإسماع نلاحظ أنها تتعلق بـ؛

أ- الهمس.

ب- تدنى انفتاح الآلة المصوتة.

ت- الترقيق (عدم التفخيم) الناتج عن الانفتاح، أو زوال الإطباق، أو الاستفال الناتج عن زوال الاستعلاء، وسيأتي بيانها بعد قليل.

وقد ذهب بعض المحدثين إلى تفسير الخفوت بالهمس، قال عادل محلو: (أما المقصود بخفوت التاء فهو ولا شك همس هذا الصوت، وهو مطابق لمذهب المعاصرين الذين يقولون أن التاء هي الصوت المهموس الوحيد -حسب النطق القديم- ضمن المثلث الذي يضمه والطاء والدال؛ لأن الأخيرين مجهورين)[2]

وقال د/أحمد محمد قدور: (ويبدو أن المقصود بالصلابة والكزازة الإطباق الذي يميز الطاء من أختيها الدال والتاء، أما ليونة الدال وارتفاعها عن ***خفوت التاء فيبدو أن المقصود به ما تمتاز به الدال من جهر ووضوح سمعي لا تجاريها التاء فيهما، لأنها مهموسة،*** وأقل وضوحا في السمع من الدال، لذلك وصفت بالخفوت)[3]

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، مادة هتت، 424/1.

2 عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص: 65.

3 أحمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 45.

- **نقد وتوجيه:**

يرجع سبب تفسير الخفوت بالهمس؛ إلى عزل هذا المصطلح عن سياقه، أي أن التفسير يتم فقط من خلال مقدمة كتاب العين دون النظر في سائر متنه –وهذا خطأ منهجي– فربما يأتي مصطلح مبهم في المقدمة له تفسير في ثنايا الكتاب.

كما أن عملية إسقاط نتائج الدرس الحديث بمفاهيمه ومصطلحاته، على الدرس التراثي قد يؤدي إلى خلل في الفهم، فقصر "**انخفاض درجة الإسماع**" على مصطلح "**خفوت**" وقصر هذا التدني على ظاهرة الهمس وحدها؛ كانا –حسب رأيي– السبب وراء تفسير بعض المحدثين للخفوت بالهمس، بالإضافة إلى تقريب معنى الخفوت لغويا من معنى الهمس دون النظر في باقي ملابسات وضع المصطلح.

قارن الخليل بن أحمد بين الحروف الفخام والحروف الخفت، وهذا يعكس أن الحروف الخفت هي الحروف المنفتحة، قال: (ويقال: اظَّأَرْت لولدي ظِئْراً، أي اتخَذْتُ، وهو افتَعَلْتُ فأُدغِمَت التّاء في باب الافتعال فحُوِّلَتْ مع الظاء طاءً لأن ***الطاءَ من فِخام حروف الشَّجْر التي*** قَرُبَت مخارجها من التاء، فضَمّوا إليها حرفا فِخماً مِثلَها ليكونَ أيْسَرَ على اللسان ***لتبائِن مَدْرَجة الحروف الفِخام من مَدارج الحروفِ الخُفْتِ***، وكذلك تحويل تلك التّاء مع الضاد والصاد طاءً لأنّها من الحروف الفِخام)[1]

لاحظ كيف قابل الخليل الحروف الفخام بالحروف الخفت، وهذا دليل كاف لتفسير الخفت بالانفتاح L'Aperture.

ويشير التعريف اللغوي السابق لمصطلح خفت؛ أن الخليل جعله يتقابل مع كلمة "لفوت" وفسرها بأنها تعني: **الالتواء والانقباض**، وقد بينا سابقا أن مصطلحي الكزازة والصلابة جاءا بمعنى الإطباق Le Contre palais وفسرهما الخليل باليبس والانقباض

1 الخليل: كتاب العين، 3/ 72.

الذي يعتري اللسان حين النطق بالحروف الكزة أو المطبقة، ومن هنا نستنتج أن الخفوت هو الانفتاح.

- **العلاقات النطقية الفيزيائية لظاهرة وضوح السمع في الأصوات:**

ترجع بعض الدراسات الحديثة ظاهرة الوضوح السمعي إلى عدة أسباب:

1- **الجهر:** فالأصوات المجهورة أوضح في السمع من نظائرها المهموسة، وفي هذه الحالة يكون الفرق في درجة الوضوح السمعي ناتج عن الجهر والهمس؛ لا عن تضييق القنوات الصوتية أو توسيعها.[1]

2- **انفتاح القناة أو الممر الصوتي وتضييقه:** في حال تساوي الأصوات في الجهر أو الهمس، يرجع وضوح إسماع الأصوات إلى العلاقات الفيزيائية الناشئة عن توسيع القنوات النطقية (مخرج الصوت) في حين يرجع تدني الإسماع إلى تضييق القنوات النطقية، ولا بد من الإشارة أن العلاقات الفيزيائية النطقية للكلام تتداخل كثيرا، فقد يكون الانفتاح سببا في تقليل احتكاك ورفع مستوى إسماع الصوت المهموس أو المجهور.[2]

3- **الجهد العضلي المبذول لنطق الصوت:** الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي أكبر تكون أوضح من نظائرها التي تحتاج إلى جهد أقل –وهذا باستثناء الأحوال

1 انظر: قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 125.

2 انظر: سعد مصلوح: دراسة السمع و الكلام، ص: 232، ولمعرفة مزيد من الانتقادات الموجهة لهذه النظرية انظر: خلدون أبو الهيجاء: في فيزياء الصوت اللغوي و وضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث،ط2006/1، ص: 152 إلى آخر الكتاب.

الأخرى المذكورة سابقا[1]– فالأصوات المفخمة والمطبقة أوضح من نظائرها غير المفخمة أو المطبقة.[2]

- **مثلثات التقابل الخليلية:**

قارن الخليل بين مجموعتين من الحروف تتقابلان بالسلب؛ أي إذا وجدت صفة في إحدى المجموعتين انتفت في الثانية والعكس صحيح، قال الخليل: (الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء)[3] ومن هذا النص يستشف ما يلي:

1- الدال هي الصوت المحوري الذي اعتمد للمقارنة بين ثالوث الطاء والدال والتاء.
2- الطاء ارتفعت عن خفوت التاء.
3- الصلابة والكزازة بمعنى واحد لغة وفي اصطلاح الخليل.

مما سبق يستنتج أن الدال بحسب وصف الخليل، حرف لين، والطاء حرف مرتفع، ومعنى هذا الوصف:

- **اللين:** واللين في هذا السياق (سياق وصف بعض الصوامت) صفة صامتية ولا علاقة له بمصطلح اللين الذي وصف به الخليل ومن جاء بعده أصوات المد –أنظر صفة الهوائية والجوف فيما سبق– فاللين هنا مقابل لصفة الصلابة فقط، وعليه فاللين بمعنى الانفتاح والخفوت L'Aperture الذي هو ضد الإطباق Le Contre palais، وقد رأينا سابقا أن الصلابة والكزازة عند الخليل ترادف مصطلح الإطباق عند سيبويه وغيره.

---

1 تحتاج الأصوات المهموسة مثلا إلى جهد عضلي أكبر من نظائرها المجهورة لتعويض ما خسرته من جهر، وهذا المجهود العضلي الزائد لا يجعلها أوضح من نظائرها المجهورة، لذا لا بد من إدراك واع للعلاقات الفيزيائية النطقية للكلام مع الحذر في تطبيق العلاقات المذكورة أعلاه، انظر: نور الدين عصام: علم الأصوات اللغوية، ص: 230–231بتصرف يسير.

2 انظر: قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 125–128.

3 الخليل: كتاب العين، 38/1.

- **الارتفاع:** الرفع نقيض الخفض، والخفوت من معانيه خفض الصوت، لذا فالمرتفع هو الصوت الذي رفع عند النطق به على نقيض صوت الخافت التاء، وعليه فالرفع هنا بمعنى الإطباق الذي يتحقق بارتفاع جسم اللسان نجو الحنك الأعلى، والخفوت هو الانفتاح الذي يتحقق بانخفاض مؤخر اللسان.
- ومعنى قول الخليل: (الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء)[1] أي الطاء ارتفعت عن خفوت التاء، وليس الدال لأن الدال ليست بصوت مطبق، ولا يصح القول بأن الدال هي من ارتفعت عن خفوت التاء؛ لأن الدال صوت لا إطباق فيه، فالواو في نحو العربية لا تقتضي الترتيب، فالضمير التاء في ارتفعت يرجع إلى أقرب مذكور وهو الطاء.
- ومعنى قوله: (والسين لانت عن صلابة الصاد وكزازتها وارتفعت عن خفوت الزاي)[2] أي الصاد ارتفعت عن خفوت السين كذلك.

قد يعترض معترض ويقول ربما قصد الخليل مكان السن الزاي، لان الدال مجهورة والزاي مجهورة ويصح التقابل على هذا النحو أي بين مجموعة:

- الدال الطاء التاء.
- الزاي الصاد السين.

فكل صوتين يتقابلان في صفة: الجهر أو الإطباق أو الهمس والتسفل.

أقول وبهذا نتصور أن الخليل أراد أن يقول: والزاي لانت عن صلابة الصاد وكزازتها وارتفعت عن خفوت السين.

---

1 الخليل: كتاب العين، 38/1.

2 الخليل: المرجع نفسه، 38/1.

وهذا القول لا يصح؛ فالزاي منفتح مقابلا للصاد المطبق، لكن الزاي لم يرتفع عن السن على حسبان الارتفاع مساويا للإطباق، والدليل على صحة هذا الرأي هو:

1- أن الواو نحويا تعني العطف دون قصد الترتيب.[1]

2- قدم الخليل السين كما قدم الدال؛ ***لأن الصوتان محل الاهتمام ولهما العمل في الأبنية المعراة من حروف الذلاقة***، وهذا الاعتبار يجعلنا نفهم أن حال السين كحال الدال من هذا الجانب، لا كون السين لانت عن صلابة الصاد وارتفعت عن خفوت الزاي فتصير مجهورة، بل الصواب أن السين لانت (انفتحت) عن صلابة الطاء وأن الصاد ارتفع (بالإطباق) عن خفوت (انفتاح) السين.

- **رابعا صفات مفردة وردت في متن كتاب العين أهملها المحدثون:**

هناك عدد من الصفات تحدث عنها الخليل في ثنايا معجمه، لكن المحدثون –بحسب اطلاعي– أهملوها عند دراستهم لتراث الخليل الصوتي. وهي صفات: الغنة، الجهر، المنطبقة (الميم)، الفخامة، اللين (صفة للصوامت)، المدة (صفة للحركات الطويلة).

**1- الغنة: La nasalité de noune**

من معاني الغنة عند الخليل أن تأتي النون عوضا عن التشديد؛ وبذاك تكون زائدة غير أصلية: قال: (الحَظُّ: النَّصيبُ من الفَضْل والخير، والجميع: الحُظُوظ. وفلان حَظيظ، ولم نَسْمَعْ فيه فِعلاً. ناس من أهل حِمْص يقولون: حَنْظ، فإذا جَمَعوا رَجَعوا إلى الحُظُوظ، وتلك النُونُ عندهم غُنَّةٌ ليست بأصلية، وإنّما يَجري على ألْسنتهم في المُشَدَّد نحو الرُزّ

1 الواو حرف عطف أي تجمع بين المعطوف عليه والمعطوف في الحكم دون التقيد بزمان ما أو ترتيب، انظر: عبد الحميد الغرباوي: المعين في اللغة العربية، إديسوفت–الدار البيضاء، ط2006/2، ص: 245.

يقولون: رُنْز، ونحو أُتْرُجَّة يقولون أتْرُنْجة، ونحو اجّار يقولون انّجار فإذا جَمَعوا تركوا الغُنَّة ورجعوا إلى الصِحَّة فقالوا: أجاجير وحُظوظ)[1]

والغنة والخنة صوت الأنف قال الخليل: (خن: خَنَّتِ المرأةُ تخنُّ خَنيناً، وهو دونَ الانتحابِ من البُكاء، والخَنْخَنَةُ: ألا يُبَيِّنَ الكلام فيُخَنُخِنُ في خَياشيمه، قال:

خَنْخَنَ لي في قوله ساعةً  وقال لي شيئاً لم أسمعِ

والخُنانُ: داء يأخُذ الطير في حلوقها، فيقال: طير مَخْنونٌ، والخُنانُ في الإبل كالزُّكامِ في الناس[2] فيقال: خن البعير فهو مَخْنونٌ، والخُنَّةُ كالغُنَّة كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم،[3] يقال: امرأة خنّاء وغَنّاء، وفيها مَخَنَّة أي: خُنّة، والمِخَنُّ: الرَّجلُ الطويل في اعتدالٍ، والخَنِينُ: الضَّحِكُ، إذا أظهرته فخرج جافياً، يقال: خنَّ يَخِنُّ خنيناً، فإذا خرج رقيقاً. فهو الرَّنينُ فإذا أخفاه فهو الهَنِينُ)[4]

والغنة في اصطلاح الخليل صوت يخرج من الأنف عند النطق بالنون، قال: (الغُنَّةُ: صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشيم يغُور من نحو الأنف بعونٍ من نفسِ الأنفِ، قال الخليل: النون أشد الحروف غُنَّةً. وقرية غَنّاءُ أي: جمة الأهل والبنيان، ويجمع الأغَنُّ والغَنّاء على غُنٍّ. وهو بين الغُنَّة أو الغَنَن)[5]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/ 331، والجمع يرد الكلمات إلى أصلها، فسماء همزتها منقلبة عن واو لذا تأتي في الجمع بالواو تقول: سماوات.

2 يخرج ماء الأنف عند الزكام.

3 أي كلام الأخن، وهو عيب نطقي فيه يصحب الكلام رنين انفي دائم، سببه شق الحنك أو ضعف العضلات الرافعة للحنك، وفي قول الخليل كان الكلام يرجع إلى الخياشيم، لإشارة لاستمرار خروج الهواء من الأنف مع كل الأصوات بما فيها الميم والنون.

4 الخليل: كتاب العين، 1/ 349-350.

5 الخليل: المرجع نفسه، 294/3.

والغنة هي صوت الأنف عند إدغام النون في غيرها من الحروف، قال الخليل: (وأمّا ألاّ ثقيلة، فإنّها جمع أن ولا، وكذلك لئَلاّ هي: لأَنْ لا، تقول: أمرتك ألاّ تفعلَ ذلك، ولكنّ النّون تُدْغَمُ في اللاّم، وفي لغةٍ تتبيّن ولابدّ لألاّ في اللُّغَتين من غُنّةٍ)[1]

فالخليل قصر مصطلح الغنة على النون دون الميم، وذلك واضح من خلال الأمثلة التي مثل بها التي لا تشير إلى صوت الميم، فالغنة إذن مصطلح ليس ذا بعد فسيولوجي، بل ذا بعد فونولوجي وضيفي يتعلق بمعرفة كون حرف النون أصيلا في البناء أم جاء عوضا عن فك الإدغام، الذي سرعان ما يعود إلى أصله في حال الجمع، وهذا يتماشى مع منهج الإلغاء الخليلي الذي أشير إليه في المدخل.

لكن عند النحاة وعلماء التجويد شملت الغنة النون والميم، لأن عملهم ومنهجهم كان يرصد ظواهر الإدغام، هذا الأخير يصيب النون والميم معا.

فاختلاف المنهج أدى إلى اختلاف النتائج والأحكام، وهذا يضعنا أمام نقطة مهمة، وهي أن الاختلاف بين القدامى والقدامى من جهة وبين القدامى والمحدثين من جهة أخرى؛ يرجع إلى الاختلاف في منهج الدراسة.

ولا شك أن إسقاط نتائج الدرس الحديث دون ترو على أعمال القدامى، أدى إلى تخطئتهم وعدم فهم نظريتهم وأعمالهم الصوتية، التي فاقت بكثير في بعض الجوانب (الجانب العقلي الوظيفي) الدرس الحديث الذي تفوق في الجانب التجريبي بسبب تطور التكنولوجيا في القرن العشرين.

**2- المنطبقة: La nasalité de mime**

قال الخليل: (والميم مطبقة، لأنّك إذا تكلمت بها أطبقت.. والميم من الحروف الصّحاح السّتة المذلقة التي هي في حيّزين: حيّز الشفتين، وحيّز ذولق اللّسان.. وهي من

1 الخليل: المرجع نفسه، 78/1.

التّأليف: الحرف الثّالث للفاء والباء، وهي آخر الحروف من الحيّز الأول وهو الحيّز الشّفويّ)[1] ومعنى الانطباق لغة (ولا نقول اصطلاحا الإطباق لأن الأخير مصطلح جاء به سيبويه بمفهوم خاص، ويصح ذلك من الناحية اللغوية) هو تمام التماس والمحاذاة بين الشيئين[2] وفي مثال حروف الشفة، هو التماس بين الشفة السفلى والعليا.

تعتبر الباء صوت مطبق من الناحية الفسيولوجية، كالميم تماما، لكن قصر هذا المصطلح على الميم دون الباء يوحي بأنه ذا بعد فونولوجي أكثر منه فسيولوجيا. فما السبب وراء ذلك؟

أظن أن مجموعة حروف الذلاقة: ن، ر، ل، ف، ب، م، بها صوتان أنفيان، ولما وصف الخليل النون بالغنة دون اليم لأسباب تتعلق بمنهجه –أشير إلى ذلك آنفا– خص الميم بوصف يميزها عن الباء المطبقة فسيولوجيا، ويعطيها حقها من الوصف، فقصر مصطلح المطبقة على الميم، والتي لا يتأتى نطقها دون إغلاق تام للشفتين وتحول مسار الهواء للأنف.

فالانطباق في الميم يساوي فونولوجيا الغنة في النون، أي أن الانطباق في الميم بعني الغنة التي تميزها عن الباء والفاء والواو، فهذه الثلاثة الأخير لا حظ لها في الأنفية.

**3– الفخامة: le contre palais**

التفخيم في اللغة هو التعظيم والرفع، قال الخليل: (فَخُمَ يَفْخُم فَخامَةً فهو فَخُمٌ أي: عَبْلٌ، وفلان يُفَخمِّ فلاناً أي: يبجله ويجله، وتَفخيمُ الكلام: تعظيمه، والرفع في الكلام تَفخيم، وأَلِفٌ مُفَخَّم يضارع الواو، وقد فَخُمَ فَخامةً، وسيدٌ فَخْمٌ أي نبيلٌ، وامرأة فَخْمةٌ أي: نبيلة جميلة، قال: أحمد مولانا الأعز الأفخَما)[3]

1 الخليل: كتاب العين، 177/4.

2 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 37/3.

3 الخليل: المرجع نفسه، 306/3.

وفي الاصطلاح الخليلي تتقابل الحروف الفخام مع الحروف الخفت (المنفتحة)، وقد تم دراسة مصطلح الخفوت فيما مضى.

قارن الخليل بن أحمد بين الحروف الفخام والحروف الخفت، وهذا يعكس أن الحروف الخفت هي الحروف المنفتحة، والحروف الفخام هي الحروف الشواخص أو المطبقة، قال: (ويقال: اظَّأَرْت لولدي ظِئْراً، أي اتخَذْتُ، وهو افتَعَلْتُ فأُدغِمَت التّاء في باب الافتعال فحُوِّلَتْ مع الظاء طاءً لأن ***الطاءَ من فِخام حروف الشَّجْر التي*** قَرُبَت مخارجها من التاء، فضَمّوا إليها حرفا فِخماً مِثلَها ليكونَ أيْسَرَ على اللسان ***لتبائِن مَدْرَجة الحروف الفِخام من مَدارج الحروفِ الخُفْتِ***، وكذل تحويل تلك التّاء مع الضاد والصاد طاءً لأنّها من الحروف الفِخام)[1] ومن هذا النص يستنتج أن الحروف الفخام هي: الظاء، الطاء، الضاد، الصاد، هي الحروف المطبقة عند سيبويه.

**- خامسا صفات مفردة أخرى، وردت عن الخليل في روايات غير رواية الليث بن المظفر أهملها المحدثون:**

هناك عدد من الصفات رواها غير الليث عن الخليل في مقدمة كتابه، لكن المحدثون –بحسب اطلاعي– أهملوها عند دراستهم لتراث الخليل الصوتي. وهي صفات: الشخوص، الجرس، الصرف، الجهر، الهمس.

1 الخليل: كتاب العين، 3/ 72.

## 1- الشخوص أو الاستعلاء/ الانخفاض:

الشخوص لغة من معانيه الارتفاع، قال الخليل بن أحمد: (وشَخَص ببصره إلى السماء: ***ارتفع*** وشَخَصَتِ الكلمة في الفم إذا ***لم يقدر على خفض صوته بها***، والشَّخيصُ: العظيم الشَّخْصِ، بين الشَّخاصة وأشخصتُ هذا على هذا إذا أعليته عليه)[1]

والانخفاض لغة من الخَفْضُ وهو نَقيضُ الرفع.[2]

وفي اصطلاح الخليل هو الاستعلاء، جاء في رواية الأزهري لمقدمة كتاب العين: (أما المُصْمتة وهي الصُّتْم أيضاً فإنها تسعة عشر حرفاً صحيحاً، منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق ، وهي ع ح هـ خ غ، ومنها أربعة عشر حرفاً مخارجها من الفم مَدرُجها على ظَهر اللِّسان من أصله إلى طرفه، ***منها خمسٌ شواخص وهن: ط، ض، ص، ظ، ق، وتسمَّى المستعلِيَة***، ومنها **تسعة مختفضة ، وهنّ : ك، ج، ش، ز، س، د، ت، ذ، ث**)[3]

يلحظ أن الخليل لم يجعل اللام والراء من الحروف الشواخص حال كونهما مفخمين مستعليين، وذلك حسب رأيي يعود إلى:

أ- اللام والراء من الحروف المذلقة لذا لم يذكرها الخليل مع الشواخص؛ لأنه قصر مصطلح الشواخص على الحروف المصمتة.

ب- الأصل في اللام والراء الترقيق والانخفاض، ويصيبها الاستعلاء بحسب السياق، فهي مرة مرققة منخفضة ومرة مفخمة مستعلاة.

ت- لم يذكر ضمن الشواخص الخاء والغين بالرغم من كونهما يشاركان القاف في صفة الاستعلاء والشخوص؛ لأن الخليل كان قد ذكرهما ضمن أحرف الحلق

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 314/2.

2 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 426/1.

3 أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، 42/1.

ومعلوم أن الخليل جعل الحروف في مجاميع بحسب خواصها الصرفية المعجمية، وليس النطقية.

ث- لم يجعل الخليل الحروف: ء، ي، ن، ب، ف، و، م، ضمن الحروف المنخفضة لأن:

- الهمزة والياء والواو، من الحروف الهوائية أو الجوف في تصنيف الخليل، والشخوص والانخفاض من خواص الحروف الصحاح.
- النون والباء والفاء والميم –واللام والراء– من الحروف المذلقة التي تقابل الحروف المصمتة، والشخوص مصطلح قصره الخليل على مجموعة من الحروف المصمتة، وقد ذكر سابقا أن تجميع الحروف عند الخليل كان بحسب الخواص الصرفية المتعلقة ببناء الكلم العربي.

2- **الجرس:** **Ton et Bruit**

لجرس في اللغة اسم لما يسمع ويحس بالأذن، والحس اسم لما يحس بقوة تنبه العقل، قال الخليل: (ويقالُ: ما سَمِعْتُ له حِسّاً ولا جرِسْاً، فالحِسُّ من الحركة، والجْرسُ من الصَّوْت)[1]

وفي اصطلاح الخليل الجرس خاصية صامتية، قال: (الجَرسُ: مصدر الصَّوتِ المجروس، والجَرسُ: الصَّوتُ نفسه، وجَرَستُ الكلام: تكلَّمتُ به، وجَرسُ الحَرف: نغمة الصَّوتِ والحروف الثلاثة الجُوفُ لا صوتَ لها **ولا جَرسَ**، وهي الواو والياء والألف اللَّينة، وسائر الحروف مَجرُوسةٌ)[2]

إنَّ حقيقة الصوت المسموع – أي الموجات الصوتية– مصاحبة لكلا صنفي الحروف صحاحا وعللا، وقد قصر الخليل الجرس هنا على صنف الحروف الصحاح؛ والتي

---

1 الخليل: كتاب العين، 1/ 316.

2 الخليل: المرجع نفسه، 1/ 231.

تمتاز بوجود حيز أو مخرج معين تنسب إليه وتتولد عنده،[1] فالجرس إذن هو ذلك الصوت المسموع جراء ارتطام موجات الصوت في مخرج معين بسبب التضييق أو القفل المحكم.

وعليه فالجرس قد يكون نغمة –صوتا دوريا– أو ضجة –احتكاكا أو صوتا غير دوري– بسبب ارتطام موجات الصوت بعوائق تؤثر على طبيعته الدورية.

وقد وصف الخليل بعض الأصوات بنصاعة الجرس وصحته، قال: (أمّا العين فأنصعُ الحروف جَرْساً وألذُّها سماعاً وأمّا القاف فأصحُّها جَرساً)[2]

من هذه النصوص نلاحظ:

أ- **العين:** وصفها الخليل بأنها أنصع الحروف جرسا وألذُّها سماعاً، والنصاعة في اللغة تأتي بمعنى شدة بياض الثوب وحسنه،[3] والظاهر أن الخليل قد استحسن موسيقى هذا الصوت واستعذبها؛ وذلك إذا علمنا أنه اعتمد على سمعه عند دراسة الحروف وذوقها.

ب- **القاف:** أحد أصوات القلقلة بل أشدها وأصل حروفها، والقلقلة تؤدي إلى بذل جهد أكبر حتى ينطق هذا الصوت بوضوح،[4] والصحة لغة ذهاب السقم والبراءة من العيب،[5] وهي هنا مصطلح ذوقي مثله مثل النصاعة في العين، فالخليل أو العربي عند سماعه القاف المقلقلة يجد لها صوتا لذيذا يحسن وقعه في الأذن، وقد وردت القاف في فواصل عدد من الآيات

---

1 من بين الأسس التي اعتمدها الخليل في تقسيمه الحروف إلى صحاح وعلل؛ درجة اعتراض العائق، وقد تم دراسة هذه النقطة باستفاضة عند تحليل مصطلح صحاح/علل.

2 الخليل: كتاب العين، 38/1.

3 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 229/4.

4 انظر: عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص: 63.

5 انظر: الخليل: المرجع نفسه، 379/2.

القرآنية (سورة الفلق، سورة ق...) وقد أدى صوت القاف في هذه الفواصل دورا موسيقيا متميزا.

وجاء في رواية الأزهري عن الخليل بن أحمد: (الحروف التي بُني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً لكل حرف منها صَرفٌ وَجرس؛ أمّا الجرس فهو فَهْم الصوت في سكون الحرف، وأما الصرف فهو حركة الحرف)[1]

وقال: (والعويص في الحروف المعتلّة؛ وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو، فأما الهمزة فلا هجاءَ لها، إنما تكتب مرّةً ألفاً ومرّة واواً ومرّة ياء، ***فأما الألف اللينة فلا صَرْف لها إنما هي جَرْس مدةٍ بعد فتحة***، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضَعُفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو، كقولك عصابة وعصائب، كاهل وكواهل، سِعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالتاء، فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة، والواو التي في الكواهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خَلَفاً منها، والياء التي في السِّعلَيات خلفٌ من الألف التي في السعلاة، ونحو ذلك كثير، فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة، والهمزة أقواها متناً ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين)[2]

من النصين أعلاه يستنتج؛

أ- الجرس هو إدراك الصوت الصامت في سكونه؛ أي قبل أن يتحرك بأحد الحركات الثلاث.

---

1 الأزهري: تهذيب اللغة، ج41/1.

2 الأزهري: المرجع نفسه، ج42/1-43..

ب- الصرف هو حركة الحرف، أي الصرف هو الحركة التي تلحق الحرف، قال الخليل: (وتقول: أَضْمَرْتُ صَرفَ الحَرْفِ إذا كان متحرِّكاً فأسْكَنتُه)[1]

ت- لكل صوت صامت جرس وصرف؛ أي كل حرف قد يكون ساكنا مثل لام قلْب، وقد يكون متحركا مثل لام لَعب، فكل حرف تتعاوره في اللغة العربية حالتان هما السكون والحركة.

ث- الصرف هو الحركة القصيرة، فالألف (وأخواتها الواو والياء المديتين) لا صرف لها، أي لا يمكن تحريكها مع بقاء امتدادها، بل هي جرس مدة بعد الحركة التي هي بعضها. فالعلل هي حركات تحرك الصحاح ولا يمكن وصف العلل بأنها متحركة، لأن المتحرك من صفات الصوامت، أما السكون فوصف توزيعي واعتبار فونولوجي وليس فقط هو انعدام الحركة في الصوت الصحيح، لهذا توصف الحروف الصحاح والعلل بالسكون على حد سواء، وذلك حسب ما يفهم من منهج القدامى باعتبار إمكانية الوقف عليها، فالحركات الطويلة (العلل) تظهر في موقع الوقف كما تظهر الصوامت (الصحاح)، مثل: قلبْ، قدرْ، يدعو، يرمي، ذهبا. وبسبب التوزيع في موقع الوقف وصفت كل الأصوات التي تحل فيه بالسكون، مع إلغاء باقي الفروق النطقية والفيزيائية، وسميت الأصوات التي تمتنع من الظهور في موقع الوقف بالحركات القصيرة، وظاهر أن السكون ضد الحركة، فيؤتى بها إذن لتحريك الصامت للاستمرار في الكلام فإذا انقطع الكلام حذفت من آخره، لأن السكون والصمت يضاد الحركة والاستمرار في الكلام.

---

1 الخليل: كتاب العين، 24/3.

ج-إذا حاول المتكلم تحريك الصوائت الطوال تغيرت وتبدلت إلى الهمزة أو الياء والواو غير مديتين.

**3- الصرف: La voyelle courte**

الصرف في اللغة يأتي بمعني التغيير،[1] وفي اصطلاح الخليل الصرف هو الحركة القصيرة، جاء في رواية الأزهري عن الخليل بن أحمد: (الحروف التي بُني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً لكل حرف منها صَرفٌ وَجرس؛ أمّا الجرس فهو فَهْم الصوت في سكون الحرف، وأما الصرف فهو حركة الحرف)[2]

وقال: (والعويص في الحروف المعتلّة؛ وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو، فأما الهمزة فلا هجاءَ لها، إنما تكتب مرّةً ألفاً ومرّة واوا ومرّة ياء، ***فأما الألف اللينة فلا صَرْف لها إنما هي جَرْس مدةٍ بعد فتحة***، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضَعُفت عن احتمالها واستنامت؛ إلى الهمزة أو الياء أو الواو كقولك عصابة وعصائب، كاهل وكواهل، سِعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالتاء، فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة، والواو التي في الكواهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خَلَفاً منها، والياء التي في السِّعلَيات خلفٌ من الألف التي في السعلاة، ونحو ذلك كثير، فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة، والهمزة أقواها متناً ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين)[3]

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 391/2.

2 الأزهري: تهذيب اللغة، ج41/1.

3 الأزهري: المرجع نفسه، ج42/1-43..

يفهم من هذا النص:

أ- أن الصرف هو الحركة القصيرة، فالألف (وأخواتها الواو والياء المديتين) لا صرف لها، أي لا يمكن تحريكها مع بقاء امتدادها، بل هي جرس مدة بعد الحركة التي هي بعضها.

ب- إذا حاول المتكلم تحريك الصوائت الطوال تغيرت وتبدلت إلى الهمزة أو الياء والواو غير مديتين.

ت- وصف الخليل للألف اللينة بأنها أضعف الحروف المعتلة، وصف منظور فيه للسلوك الصرفي لهذا الصوت، حيث كثيرا ما يصيبه التغير والاعتلال والإبدال في سياقات الكلام، كما لا توجد ألف أصلية في تصريف الأسماء والأفعال إلا ومتقلبة عن واو أو ياء.

ث- ووصفه للهمزة بأنها أقوى العلل متناً ومخرجا، يعني أن الهمزة أقرب حروف علة إلى الحروف الصحاح، حيث أن لها مخرج محقق من أقصى الحلق، لكنها تختلف وتقترب من العلل من حيث كثرة تغيرها في سياق الكلام بالتسهيل والقلب، فمعيار تصنيف الحروف إلى صحاح وعلل عند الخليل هو معيار صرفي، وقد أشير إلى هذه النقطة سابقا.

**4- الجهر: La sonorité**

الجهر لغة الظهور والإعلان والارتفاع، قال الخليل: (جَهَرَ بكلامِه وصَلاتِه وقِراءَتِه يَجْهَر جِهاراً، وأَجْهَر بقراءته- لغة، وجاهرتُهم بالأمر أي: ***عالَنْتهم***، واجتهر القومُ فلاناً أي: نظروا إليه عِياناً جِهاراً، وكلُّ شيءٍ بدا فقد جَهَرَ، ورجلٌ جَهيرٌ إذا كان في الجسمِ والمنظر

مُجْتَهَراً، وكلامٌ جَهيرٌ وصوتٌ جَهيرٌ، أي: ***عالٍ***، والفعل: جَهُر جَهارةً... والجَهْوَرُ: ***الصوتُ العالي***)[1]

لم يستعمل الخليل صفتي الجهر والهمس في وصفه لنظام الأصوات العربية، وذلك يرجع حسب رأيي إلى أن هاتان الصفتان لا علاقة لهما بمعرفة الأصيل من الدخيل من كلام العرب، فالذي يلحظ من دراسة مبحث الصفات عند الخليل، أنه يستعمل الصفات التي تخدمه في بناء معجمه.

**5- الهمس: Le chuchotement**

الهمس في اللغة الكلام الخفي Le chuchotement، وفي اصطلاح الخليل: (الهَمْسُ: حسَ الصّوت في الفم ممّا لا إشرابَ له من صَوْتِ الصَّدر، ولا جَهارة في المنطق، ولكنّه كلامٌ مَهْموسٌ في الفم كالسَرِّ)[2]

من النص أعلاه نجد أن الخليل يفرق بين نوعين من الصوت:

**أ-** حس أو صوت في الفم.

**ب-** صوت مشرب مخالط لصوت الصدر.

**ت-** الإشراب (المخالطة والتمازج)[3] عند الخليل هو الفارق بين الصوت المجهور والمهموس، وقد ورد ذكر مصطلح صوت الصدر ومصطلح الإشراب عند **سيبويه**، وعلى أساسهما حاول التفريق بين المجهور والمهموس وأصوات النفخ[4] (الأصوات النَفَسية) وأصوات القلقلة، وسيأتي بيان ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله.

---

1 الخليل: كتاب العين، 1/ 269.

2 الخليل: المرجع نفسه،322/4.

3 الخليل: المرجع نفسه، 318/2.

4 انظر: سيبويه: الكتاب: 174/4.

**ث-** الصدر لغة هو أعلى مقدم كل شيء،[1] فالمقصود هنا بالصدر ليس القفص الصدري بل هو أعلى منطقة منه وهي أقربها إلى الحنجرة، ولم يستعمل الخليل -حسب رأيي- بدلا منه أقصى الحلق؛ لأن أصوات أقصى الحلق هي؛ الهمزة والهاء وحروف الجوف، ولم يستعمل مصطلح حنجرة لأن هذا المصطلح في زمان الخليل كان يشير إلى لسان المزمار ولم يتخذ معناه المعروف اليوم إلا على يد الطبيب المسيحي حنين بن اسحق،[2] وقد تمت الإشارة إلى هذه النقطة في الفصل السابق.

**ج-** فالصوت المهموس هو ذلك الصوت الذي يتم إنتاج ذبذباته في الحلق والفم دون أن يخالطه صوت الجهر (صوت الصدر)، والمجهور هو من خالطه أو أشرب صوت الصدر (الجهر) قال د/ إبراهيم أنيس موضحا الفرق بين الصوت المجهور والمهموس: (... أي أن هناك ذبذبات مع كل من المجهور و المهموس غير أن مصدر الذبذبات مع المجهورات هو الحنجرة، على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الحلق والفم وتضخمها الفراغات الرنانة، ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوي في السمع ومن هنا جاء خفاؤها أو همسها، ومن هنا أيضا تميز المجهور من المهموس)[3]

**ح-** لم يذكر الخليل الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة، لأن هذه الصفة لا تخدمه في معرفة أصول الكلم العربي، وهذا هو مفهوم الانتقاء الذي أشير إله سابقا.

---

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 383/2.

2 انظر: عبد الرحمان حاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج62/2.

3 إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 122.

## 6- التهوع/السعلة:

السعلة والتهوع[1] من صفات الهمزة القطعية، نسبهما مكي بن أبي طالب القيسي للخليل بن أحمد الفراهدي، قال: (قال الخليل في الهمزة إنها كالتهوع، وقال مرة أخرى كالسعلة)[2]

والذي قصده الخليل بتشبيه الهمزة بالسعال والتهوّع، هو التأكيد على صفتي الوقف والانفجار فيها ويظهر ذلك من خلال التحليل الفيسيولوجي لظاهرتي السعال والقيء أو التهوع.

فالوتران الصوتيان الصادقان بالإضافة لدورهما في التصويت، يؤديان وظائف حيوية أخرى؛ فهما يغلقان ممر الهواء في أثناء البلع وفي أثناء القيء وارتداد الطعام –مع الوترين الكاذبين وغضروف لسان المزمار–؛ منعا لأي تسرب جسم غريب إلى الرئتين ويغلقان ممر الهواء كذلك لبناء الضغط اللازم في القفص الصدري:

ج- طرد الأجسام الغريبة في أثناء السعال.

ح- رفع الأجسام الثقيلة.

خ- طرد الفضلات عند تعسر عمليتي التغوط والتبول.

د- لبناء الضغط اللازم لإخراج الجنين في أثناء الولادة.[3]

وقد أظهر منظارُ الحَنجرة أنَّ الهمزة هي الحرفُ الوحيد من بين حروف النُّطق الأخرى التي تشتركُ في نطقِها **الأوتار الصوتيَّة الحقيقيَّة والكاذبة مع الغضروفَين الطِّرْجِهاليَّين**، حيث تقوم هذه الثلاثة بغَلْقِ فتحةِ الحَنجرة تماماً مسبِّبةً الجهد العضليَّ الذي

---

1 التهوع على وزن تفعل، هو خروج القيء بتكلف، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 4/ 331.

2 مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص: 56.

3 انظر: جلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 143 بتصرف، وديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46–47، وتمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63.

نَعرِفه في نُطقِ الهمزة، ومن هنا كانت أشق الحروف في النُّطق، وخفِّفت بأنواع التخفيف من إبدال وحذفٍ وتسهيلٍ، وجاء النَّهي من القراء عن المبالغة في إخراجِها.[1]

إن الخليل شعر بضغط ما في أقصى الحلق –الحنجرة– عند نطق الهمزة القطعية، هذا الضغط يشعر به المرء كذلك عند السعال والتهوع بسبب سد الوترين الصوتيين لمجرى الهواء، فشبه عملية نطق الهمزة بالسعال والتهوع، وهذا دليل قاطع على أن الخليل قصد بأقصى الحلق منطقة الحنجرة، وأنه على وعي تام بالفروق النطقية بين الألف اللينة والهمزة القطعية، وأنه جعل الهمزة من ضمن أصوات الجوف والهوائية لدواعي صرفية تتعلق بإمكانية إبدال الهمزة وتحولها إلى الألف أو الواو أو الياء، وقد نوقشت هذه النقطة فيما مضى.

- **<u>نتائج الفصل</u>:**

قبل الحديث عن نتائج الفصل، أود أن أضع مخططا لنظرية الخليل، حتى يكوّن للقارئ نظرة عامة عنها.

قامت نظرية الخليل على جملة من المعايير والضوابط، والقوانين (وهي مستنتجة غير مصرح بها في كتاب العين والنصوص الصوتية المروية عن الخليل بن أحمد، قمت بصياغتها واجتهدت في وضع المصطلحات الدالة عليها.

- ✓ **أولا المعايير:**

المعيار هو مقياس لدراسة وتصنيف الظواهر، وهو أنواع: معايير ضابطة، ومعايير تحليلية، ومعايير جمالية:

1 عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 141–142.

أ- **المعايير الضابطة:** تساعد على تحديد الأمثلة الصالحة لاستنباط القوانين اللغوية، كمعيار التالف والتنافر، ومعيار الوقف، ولكل معيار من المعايير ضابط يضبطه (أي سبب جلب الظاهرة) أو أكثر:

1- **معيار التآلف:** جواز تتابع فونيمين أو أكثر، وضابطه ظهور الحرف في تجمع صوتي مستعمل فعليا في كلام العرب الأصيل. **بواسطة هذا المعيار يمكن استنتاج القانون التالي:** كل حرف لا يتنافر مع غيره فهو حرف علة (ء، ا، و، ي).

7- **معيار التنافر:** منع تتابع فونيمين أو أكثر، وضابطه عدم ظهور الحرف في الجذور المستعملة فعليا في كلام العرب، أو ظهوره في جذور الكلمات الدخيلة والمعربة.

8- **معيار الوقف:** وهو النقطة التي ينوي فيها المتكلم قطع حديثه نهائيا، أو بنية الاستئناف، وضابطه شعور المتكلم بأنه أتم التعبير عن المعنى المراد أو بلغ به الجهد حيث اضطر إلى قطع كلامه والتنفس من جديد للحصول على الهواء اللازم لإنتاج الكلام، وبفضل هذا المعيار تمكن الخليل من التفريق بين الحروف والحركات، فالحركات لا تظهر في موقعية الوقف.

ب-**المعايير التحليلية:** وهي معايير استعان بها العلماء في أثناء التحليل، للوصول إلى نتائج علمية موثوق بها، وتجنبهم مزالق التناقض وتساعدهم على الاستمرار في عملية البحث، وهي: معيار التوزيع، معيار الإلغاء، معيار اللزوم، معيار الإحصاء، معيار المناوبة، معيار التقليب، معيار الحرف الأصلي.

**1- معيار التوزيع:** التوزيع هو مجموعة المواقع التي يمكن للعنصر اللغوي أن يظهر فيها، في مقابل المواقع التي يمتنع من الظهور فيها، كإمكانية ظهور الحرف (الصامت الساكن، والصائت الطويل) في موقع الوقف، والحشو (وسط الكلمة)، وامتناع ظهوره في ابتداء الكلام. وكإمكانية ظهور الحركة القصيرة في ابتداء الكلام (ألف الوصل) وفي الحشو، وامتناع ظهورها في موقع الوقف، لهذا أهمل الخليل بن أحمد سياق الحشو، عند

تصنيفه للحروف؛ لأنه سياق محايد يمكن أن يظهر فيه كل أنواع الحروف، وضابطه الوقف والابتداء.

2- **معيار الإلغاء:** الإلغاء l'annulation هو وسيلة تصنيفية، تفسر لنا أسباب تحييد المعطيات الفسيولوجية، لقد عمد الخليل لهذا المعيار لجمع الحروف في مجاميع تساعده على ترتيب مواد معجمه، وتفسر له ائتلاف أو تنافر الأصوات في الكلمات المستعملة والمهملة، ملغيا بذلك خواص الحروف الفسيولوجية المتعلقة بنقاط الإنتاج (المبادئ)، **وضابطه** خلل في التصنيف، فيضطر اللغوي إلى تطويع المعطيات الخارجية لتتلاءم مع معطيات النظام اللغوي.

3- معيار اللزوم: اللزوم هو إلحاق جذر غير مستعمل بنظير له مستعمل بزيادة أحد حروف العلل، أو هو الإتيان بحرف علة يفصل بين حروف متنافرة، فيخرج الجذر من حيز الإهمال إلى حيز الاستعمال، كالجذر "ه ع ر" حيث تخلص العربي من تنافر التابع: هاء ثم عين، بالقلب تارة، وبالياء تارة أخرى، فأصبح بالقلب عندنا كلمة: "عهر" على مثال عهد، فالتتابع عين ثم هاء مقبول في العربية وكذلك التابع ع ي ه ر أي الكلمة: "هيعر"، فالياء هنا صوت لازم لاستعمال الكلمة وهي ليست بأصل من أصول جذرها، فاللزوم قانون تحويلي يتدخل إذا كان الجذر يحتوي تتابعا مرفوضا لا يمكن استعماله بذلك التتابع، فيدخل تعديلا على ذلك التتابع في مستوى البنية السطحية، ويبقى الجذر من الناحية العميقة ذا تتابع مرفوض، وربما استعمل العربي هذا الجذر بهذه الحيلة، لأن عقله الباطني كان يرفض دعارة النساء رفضا قاطعا، فاشتق لها من جذر مرفوض رفضا قاطعا كلمة للتعبير عن هذا الرفض، وضاطه تتابع فونيمي مرفوض.

4- **معيار المناوبة:** يطبق هذا المعيار في حالات يمكن فيها استعمال معلمين معا لوصف صوت ما، كمعلم الحنك ومعلم اللسان عند وصف الجيم مثلا بأنها من وسط اللسان وما يقابله من وسط الحنك الأعلى، لهذا فالجيم من وسط الحنك باعتبار معلم سقف الحنك

فقط، ومن وسط اللسان استعمال معلم وسط اللسان فقط، لذا فحروف وسط الحنك هي حروف وسط اللسان. لقد استعمل الخليل بن أحمد مصطلح الشجر بديلا عن مصطلح وسط الحنك، ونسب إليه حروف الجيم والشين والضاد، وواضح أن تحديد الخليل لشجر الفم كان دون اعتماده معلم اللسان، وقد روي عنه اعتماده على معلم اللسان وما يقابله من الحنك والأضراس، عندما حدد مخرج الضاد من حافة المنباس –أي اللسان– وما يليها من الأضراس (انظر: أبي حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 24–25، وأحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 111)، وضابطه مشاكل في التصنيف تؤدي إلى نسبة حروف أكثر من حيز إلى مخرج واحد.

5- **معيار الإحصاء**: أحصى الخليل عدد الجذور العربية المستعملة والمهملة من خلال حساب التوفيقات، فالجذر الثنائي يولد جذرين والثلاثي ستة جذور...الخ، ومن خلال معرفة قوانين الائتلاف والتنافر، قام بطرح الجذور المتنافرة والجذور المهملة من إجمالي الجذور وحصل على عدد المستعمل بدقة كبيرة. كما أقام قانون الذلاقة على أساس إحصائي، فهذا القانون لا يعمل إلا مع الجذور الرباعية والخماسية، وضابطه الاستقراء للحصول على نتائج دقيقة.

6- **معيار التقليب**: بفضل إخضاع الجذر اللغوي الواحد لتغيرات في توزيع الحروف الأصول، حصل الخليل على عدد من الجذور المستعملة والمهملة، وبهذا استطاع حصر المستعمل والمهمل وقوانين الائتلاف والتنافر، وضابطه معرفة كل ما يمكن أن يولده جذر ما بالتقليب (الاشتقاق الأكبر) مع تحديد المستعمل من هذه الإمكانات.

7- **معيار الحرف الأصلي**: ليست كل حروف الكلمات المستعملة حروفا أصلية بل بعض الحروف يرجع إلى حروف أخرى، ويمكن معرفة الحرف الأصلي في الأفعال بالمصدر وفي الأسماء بالجمع، وحروف العلل (ء، الألف، الواو، الياء) أكثر عرضة للتغير بسبب الإبدال والإعلال، وبمعرفة مختلف تصاريف الكلمة الواحدة يمكن معرفة إي حرف انقلبت عنه مثل:

- قال، يقول، قولا، أصلها: القاف والواو واللام.
- وسماء سماوات، أصلها: السين والميم والواو.

الحرف اللازم كياء هيعر حرف زائد، والنون التي تأتي ثانية غالبا ما تكون بدل التضعيف كما في انجاص وجندل والأصل هو إجّاص، وجدّل، والألف لا تكون أصلا أبدا وإنما منقلبة عن واو أو ياء، وهناك قواعد أخرى لمعرفة حروف الزيادة مبسوطة في كتب علم الصرف

وضابطه معرفة حروف الجذر ليسهل البحث عنه وعن الكلمات التي تتشكل منه عن طريق التقليب (الاشتقاق الأكبر).

ت-**معايير جمالية:** وهي تعكس مدى نضج النظرية، ومدى تكاملية وانسجام الإنسان العربي مع الكون، هناك معياران جماليان في نظرية الخليل هما: **معيار الذلاقة، معيار النصاعة.**

1- **معيار الذلاقة:** بني على خصائص توزيعية، دون إهمال الجانب الجمالي:

أ- **الخصائص التوزيعية:** يجمع معيار الذلاقة ستة أصوات بعضها من مخرج اللثة وبعضها من مخرج الشفاه، والذي سوغ للخليل جمعها تحت مصطلح واحد هو خصائصها التوزيعية، إذ لا يعرى بناء عربي أصيل ما فوق الثلاثي من هذه الأصوات.

ب-**الخصائص الجمالية:** يرى الخليل أن نظام اللغة جعل هذه الحروف تتردد في كل الكلمات العربية الرباعية والخماسية؛ لأنها سهلة النطق والائتلاف مع باقي الحروف، وربما يكون الدليل الذي استند عليه الخليل في هذا الحكم الجمالي، هو أنه لا يوجد أي قانون يشير إلى أنه إذا وجدت أحد حروف الذلاقة اجتمعت مع حروف معينة في كلمة ما، يحكم عليها بالعجمة، كالذي نجده مثلا في اجتماع الجيم والصاد، فإجّاص فارسية.

2- **معيار النصاعة:** بني على خصائص توزيعية، دون أن يهمل الجانب الجمالي، ويبدو لي أن الخليل أراد من خلال هذا المعيار، تبيين سبب تعريب العرب لهذه الكلمات:

العَسْجَدُ، القَسْطوس، القُداحِس، الدُعشُوقةُ، الهُدْعةُ، الزُهْزُقَةُ، ومع أنها تخلوا من حروف الذلاقة إلا أنها تشبه في رنينها الكلمات العربية الأصيلة، وقد أرجع الخليل هذا إلى نصاعة وجرس صوتي العين والقاف، وإلى حرفي الدال والسين كذلك:

ت-**الخصائص التوزيعية:** لاحظ الخليل أن الكلمات الرباعية والخماسية المعربة والتي تخلوا أصلا من حروف الذلاقة في لغاتها الأصلية ككلمة عسجد وعطسوس، لا تخلوا على الأقل في شكلها المعرب من حرفي العين أو القاف، فإن لم يكونا لا بد من أن تظهر بدلا عنهما السين أو الدال أو هما معا، وقال: (مهما جاء من بناء اسم رباعي مُنْبَسِط معرّى من الحُرُوف الذُلْق والشَّفَويَّةِ فإنّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَي الطَّلاقةِ أو كليهما ومن السين والدال أو أحدهما، ولا يضُرُّ ما خالف من سائر الحروف الصُتْم) (الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/38-39.)

ث-**الخصائص الجمالية:** تمتعت كل من القاف والعين وكذلك الدال والسين بصفات جعلت العربي يختارهم عند تعريبه للكلمات لتكون الكلمات طيبة المسمع حلوة المنطق، قال الخليل: (وأما البناءُ الرباعيُّ المُنبَسطِ فإنَّ الجُمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذُلْق أو من بعضها، إلاَّ كلمات نحوا من عشر كن شواذَّ؛ ومن هذه الكلمات: العَسْجَدُ والقَسْطوس والقُداحِس والدُعشُوقةُ والهُدْعةُ والزُهْزُقَةُ... وهذه الأحرف قد عَرِينَ من الحروف الذُلْق، ولذلك نَزَرْنَ فَقَلَلْنَ، ولولا ما لزمَهُنَّ من **العين والقاف** ما حَسُنَّ على حال، **ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه،** لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا، **فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنَصاعتهما** ... مهما جاء من بناء اسم رباعي مُنْبَسِط معرّى من الحُرُوف الذُلْق والشَّفَويَّةِ فإنّه لا يَعْرَى من أحدِ حَرْفَي الطَّلاقةِ أو كليهما ومن السين والدال أو أحدهما، ولا يضُرُّ ما خالف من سائر الحروف الصُتْم) (الخليل بن أحمد: كتاب العين، 1/38-39.)

- **ثانيا الضوابط:**

الضابط هو سبب جلب الظاهرة (كضابط التنافر المخرج للكلمة من دائرة المستعمل) أو سبب لصياغة المعيار، كضابط الإصمات الذي جلبه حياد أصوات الإصمات في التمييز بين الكلم الأصيل من الدخيل.

والضوابط كثيرة، وهي أنواع:

أ- **ضوابط سياقية:** تتعلق بالتوزيع في السلسلة الكلامية، كضابط الوقف والابتداء والتقاء الساكنين.

ب-**ضوابط منهجية:** يصوغها العالم لدراسة الظواهر وتعليلها، كضابط عدم الأصالة، فعدم ورود حروف الذلاقة في الأبنية الرباعية والخماسية دليل على عدم أصالتها.

ت-**ظوابط خارجية:** أي ترجع إلى أشياء لا تنتمي إلى نظام اللغة، يوجد عند الخليل ضابط جمالي، ويظهر ذلك جليا في مصطلحي النصاعة والجرسية، حيث أصبحت الكلمات الرباعية والخماسية من المعربة والدخيلة، المعراة من حروف الذلاقة، مستحسنة موسيقيا مثل الكلمات العربية في أذن العربي، بفضل ورود أحد حروف النصاعة أو حرفي الدال والسين.

- **ثالثا القوانين:**

القانون هو ادارك العقل لتلائم ظاهرتين حضورا وغيابا، وهو يفسر اطراد الظاهرة وفق شروط، وقد تتحقق الشروط مع غياب الظاهرة، بسبب موانع أو تدخل قوانين أخرى،

- **قانون عدم الأصالة:** ضابطه تعري الجذر الرباعي والخماسي من حروف الذلاقة.
- **قانون التنافر:** ضابطه الاستقراء، فهناك حروف لا تجتمع أبدا في كلم العربية الأصيل، كالجيم والصاد فكلمة إجّاص دخيلة، وقد تم تفصيل الحروف المتنافرة فيما سبق.

- **قانون التآلف:** ضابطه الاستعمال، فكل الحروف التي جاورت حروفا أخرى في كلم العربية الأصيلة يحكم عليها بأنها حروف متآلفة.

**والآن أنتقل للحديث عن نتائج الفصل وهي كالآتي:**

1- كتاب العين للخليل بن أحمد، هو أول مؤلف وصلنا جمع فيه صاحبه ملاحظات صوتية ترتقي إلى مستوى الدرس المنظم؛ إذا وضعت في ضوء نظرية مفسرة، ويمكن أن يسمى هذا النوع من الدراسة الصوتية الفريدة من نوعها في تراث العربية بعلم الأصوات المعجمي.

2- علم الأصوات المعجمي علم تطبيقي، هدفه تحديد الثروة المعجمية للغة وكيفية تصنيفها والاستفادة منها وكيفية إثراء معجم العربية بكلمات جديدة وفق قواعد توليدية (كالإشتقاق والتعريب...الخ) وعليه فالعلم التطبيقي هو علم انتقائي نفعي يهدف إلى حل مشاكل راهنة، وعلم الأصوات المعجمي تحققت فيه هذه الخصائص من حيث:

أ- **الانتقاء:** انتقى الخليل لعمله المعجمي من درس الأصوات مباحث المخارج والقوانين التي تنظم تجاورها، وأهمل على العموم مبحث الصفات إلا صفات قليلة كان لها دور في تمييز الأصيل من الدخيل، كصفات الذلاقة والإصمات.

ب-**النفعية:** كان هدف الخليل هو وضع نظام صوتي ينفع الدارسين في البحث عن الكلمات داخل معجمه، وفق الترتيب العيني الذي وضعه.

ت-**وضع الحلول:** إن المطلع على معجم الخليل يلاحظ أن هذا العمل وضع حلولا لاستعمال الطاقة المعجمية للغة العربية، من حيث معرفة الجذور، تحديد المعاني، توليد كلمات جديدة عن طريق الاشتقاق والتعريب والاقتراض...الخ، لقد كان العصر الذي وضع فيه الخليل معجمه هو عصر النهوض الحضاري في بداية الدولة العباسية، وكانت العلوم بحاجة ماسة إلى عمل معجمي ييسر لها البحث في أصول الكلمات

وكيفية صياغة كلمات جديدة تعبر عن المفاهيم العلمية (مصطلحات)، لهذا فكتاب العين جاء ليضع حلولا لمشاكل عصره اللغوية.

3- علم الأصوات المعجمي علم تطبيقي، موضوعه دراسة القوانين المنظمة لبنية الكلمات المستعملة وبنية أصولها المجردة (الجذور)، وقوانين إهمال بعض الجذور أو التتابعات الفونيمية، والقوانين التحويلية التي تتسبب في التغييرات الطارئة على الكلمات (كبنية فونولوجية أو سطحية) مقارنة بالجذر (كبنية عميقة) كقوانين الإعلال والإبدال والإدغام...الخ.

4- تعامل الخليل مع اللغة كنظام أو بناء متناسق متدرج، حيث تناول اللغة بالدرس من القاعدة متدرجا نحو القمة المتمثلة في الدلالة، فبدأ بدراسة الحروف التي تتألف منها مفردات اللغة، ثم نظر في كيفية تآلف الحروف لتكوين المورفيمات والكلمات، وأشار في ثنايا معجمه إلى عدة ظواهر نحوية، وكانت الدلالية الهدف الأساسي من وضع معجمه.

5- عقلية الخليل عقلية تجريبية تطبيقية لا تجريدية (لا تميل إلى الفلسفة النظرية)، لهذا بدأ بدراسة الأصوات ووضع لها منهجا ذوقيا (ذوق الحروف) سمعيا (تحديد توزيع الحرف في السلسلة الكلامية)، فالواقع الإجرائي للغة يفرض هذا الأساس؛ لأن الجانب المادي من اللغة هو المدرك بالدرجة الأولى من قبل الحواس وخاصة السمع الذي يستقبل الصوت، وربما تأثر الخليل بالنظرية المعرفية للقرآن الكريم الذي كان يحفظه الناس عن طريق التواتر السمعي، وكان يسبق ذكر السمع على البصر؛ كوسائل للمعرفة في معظم آياته، وبما أن البنية اللغوية للقرآن أظهر من غيرها، فهو يحيل على السمع كأهم آلية للتعامل مع اللغة العربية، والذي يؤكد أن الخليل ذا عقلية تجريبية وأنه أدرك أن اللغة نظام من العلامات هو استخدامه لفكرة الإلغاء.

6- الإلغاء: يظهر لي أن عقلية الخليل تجريبية تنطلق من الملموس المجسد لتصل إلى المعقول المجرد، ويبدو للوهلة الأولى أن الإلغاء ما هو إلا وسيلة عقلية مجردة جادت

بها فلسفة الخليل اللغوية، بحيث أنه عندما طبقها استقامت له النظرية وتخلص من المشاكل التي أوقعه فيها منهجه التوزيعي، فقام بتطبيقها كلما تعرض لمشاكل في التصنيف، وهذا غير صحيح، فالخليل وبعد دراسة نظريته تبين لي أنه وجد نظام اللغة يعمل وفق معيار الإلغاء، مثلا وزع نظام اللغة العربية في موقعية الوقف الحروف (الصحاح والعلل) ومنع هذا الموقع على الحركات القصيرة التي وزعها على موقعية الإبتداء (ألف الوصل)، في حين **ألغى** موقعية الحشو التي وزع فيها الحروف والحركات، ونظام اللغة ألغى كل قيود الإئتلاف التي وضعها للجذور الثلاثية فما فوق عن الجذور الثنائية والرباعية المضاعفة مما كان حكاية للمسموع، (انظر: الخليل: كتاب العين، 1/39-40)

7- كان الخليل سباقا إلي الربط بين العقل الباطني والكلام، حيث رأى أن الصورة السمعية للكلمات (الوهم) أثرا على بنيتها السطحية، قال: (وأما الحكايةُ المُضاعفَة فإنها بمنزلة الصَّلْصلة والزَّلْزِلَةِ وما أشبهها يتوهمون في حُسن الحركة ما يتوهمون في جَرْس الصوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف) (كتاب العين، 39/1)، وهو بهذا فرق بين جرس الصوت والوهم الناشئ عنه، كما فرق بين الوهم (الإنطباع النفسي أو الصورة الذهنية) والحركة كما توجد في العالم الخارجي، وهذا ما سماه لاحقا ابن سينا: خيال المسموع حيث قال: (ومعنى دلالة اللفظ؛ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معناه فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس إلتفتت إلى معناه) (ابن سينا: الشفاء، ص:4، نقلا عن أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص: 142)، والشيء نفسه نجده عند دي سوسير، الذي جعل العلامة اللغوية ذات كيان نفسي يتكون من صورة سمعية أو دال وصورة ذهنية أو مدلول، والصورة السمعية هي الوهم أو الخيال الحاصل من انطباع تجربة سماعنا لهذه

الكلمة، كما أن المدلول هو الوهم أو الخيال الحاصل من انطباع تجربة رؤيتنا أو معرفتنا لصفات شيء ما.

8- قسم الخليل فونيمات اللغة العربية إلى حروف وحركات قصيرة، وقسم الحروف إلى حروف علل (الهمزة والحركات الطويلة) وحروف صحاح (سواكن)، وهذا بحسب توزيعها في السليلة الكلامية، فالحرف يظهر في موقعية الوقف والحركة تمتنع عن الظهور فيه. وقسمها العلماء المتأخرين كالرازي وابن جني وابن سينا إلى صوائت وصوامت متأثرين بفلاسفة اليونان.

9- لم يعتمد الخليل الشكل المكتوب من اللغة؛ لأنه أدرك قصور نظام الكتابة في تمثيل المسموع، حيث أدخل عليه ثلة من العلماء بعض الإصلاحات بدء بأبي الأسود الدؤلي وانتهاء بالخليل الذي وضع رموز كتابية للحركات القصيرة ( ـَـُـِ) إضافة إلى رمز السكون (ـْ)، فاللغة عنده ظاهرة مسموعة تؤخذ مشافة من الأعراب، وقدم السماع على القياس في تقرير القضايا النحوية، والأعراب هم بمثابة المتكلم–المستمع المثالي في النظرية التوليدية التحويلية.

10- يظهر جليا المنهج السمعي في التعامل مع اللغة عند الخليل من خلال وصفه لحرفي النصاعة (ع، ق) بلذاذة المستمع. (أمّا العين فأنصعُ الحروف جَرْساً وألذُّها سماعاً، وأمّا القاف فأصحُّها جَرساً) (الأزهري: تهذيب اللغة 41/1).

11- عرف الخليل مصطلحات الجهر والهمس تعريفا سمعيا، من حيث وجود صوت الصدر مع المجهورات، وعدمه مع المهموسات فيكون الصوت كالسر في الكلام (الخليل بن أحمد: كتاب العين، 322/4) أما سيبويه فقد عرفها تعريفا عضويا (فالمجهور حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم ... وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه) (سيبويه: الكتاب: 434/4)، فقوة الاعتماد

مع المجهورات؛ تؤدي إلى تقليل كمية الهواء وإطالة زمن نطق الحرف المجهور نتيجة للتضييق في منطقة المزمار الذي يؤدي إلى عرقلة الهواء وبالتالي زمنا أطول لخروج نفس كمية الهواء مع نظيره المهموس، كما يقل حجم الهواء الخارج في الوحدة الزمنية بسبب تقطيعه ومقاومته وتبديد جزء منه في أثناء الاهتزاز، أما ضعف الاعتماد مع المهموسات، يؤدي إلى نتيجة معاكسة، إن عملية خروج هواء الحرف تشبه عملية خروج الماء من الأنبوب، فالمجهور من الأصوات حاله حال الماء المعاق بالإصبع في نهاية الأنبوب حيث يخرج بكمية أقل، فلكي تملأ دلوا بهذه الطريقة تحتاج إلى مدة زمنية أطول، ويخرج الماء بسرعة أكبر ويصل إلى نقطة أبعد بسبب الضغط الزائد خلف الإصبع، والمهموس حاله حال الماء المتدفق من الأنبوب دون إعاقة تذكر، والفرق الوحيد أن الماء المعاق يخرج مستمرا وهواء المجهور يخرج على شكل دفعات متتابعة.

12- أدرك الخليل العلاقة الكمية بين الحركات وحروف المد، حيث أشار إلى أن الفتحة إذا استنامت (مُدّت) صارت ألفا قال: (ويومٌ رَيِّحٌ طيّبٌ ذو رَوْحٍ، ويومٌ راحٌ ذو ريحٍ شديد، بني على قولك: كَبْشٌ صافٌ، أي: كثير الصّوف، قالوا ذلك على رُوحِ وصُوفٍ، فلمّا خفّفوا استنامت الفتحة قبلها فصارت ألفاً) (الخيل: العين، 166/2)

13- اشتهر في كتب التجويد أن المخارج عند الخليل سبعة عشر مخرجا، وهذا على اعتبار أن كتاب سيبويه من رواية الخليل، قال سيبويه في " كتابه": إن لحروف العربية ستة عشر مخرجا، وعدّها، ولم يعد الجوف مخرجا؛ بل وزع حروف الجوف التي عدها الخليل وهي الهمزة والألف والواو والياء كالتالي:

1- الألف والهمزة مع الهاء، من أقصى اللسان.

2- الياء مع الجيم والشين، من وسط اللسان.

3- الواو مع الباء والميم، من الشفتين.

لقد أورد سيبويه آراء أستاذه بدقه وأمانه في آخر كتابه، حتى وقع في خلد الكثيرين أن ما يقوله سيبويه هو قول الخليل، وحيث أن سيبويه يذكر في كتابه أن عدد المخارج ستة عشر (وليس الجوف منها) فلربما أضاف بعض العلماء هذا المخرج الذي يقول به الخليل إلى رقم ستة عشر؛ الذي يقول به سيبويه فأصبح العدد سبعة عشر، ونسبوه إلى الخليل دون الرجوع إلى "كتاب العين" الذي ذكر فيه أن عدد المبادئ (سماها سيبويه المخارج) تسعة، وهي:

1- فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقيّة، لأن مبدأها من الحَلْق.
2- والقاف والكاف لهَوِيتانِ، لأنَّ مَبْدَأهُما من اللّهَاة
3- والجيم والشِّين والضاد شّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم، أي مَفرج الفَمِ.
4- والصاد والسين والزاء أسلية، لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستدَقّ طرف اللّسان.
5- والطاء والتاء والدال نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى.
6- والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة، لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة.
7- والرّاءُ واللاَّم والنُّون ذَلَقيّة، لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرفَي ذلق اللّسان.
8- والفاء والباء والميم شَفَويّة، وقال مّرةً شَفَهيّة لأن مبدأها من الشَفَة.
9- والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد، لأنّها لا يتعلّق بها شيء، فُنسِبَ كل حرف إلى مَدْرَجَتِه ومَوْضِعُه الذي يَبْدَأ منه (الخليل بن أحمد: كتاب العين، 42/1-43)،

وعدد المبادئ (المخارج) عند الخليل تتوافق مع عددها في الدرس اللساني الحديث، الذي تتراوح فيه بين تسعة وعشرة مخارج يوردها اللغويون في كتبهم.

**14**- هناك صفات مفردة وردت في متن كتاب العين أهمل المحدثون دراستها، ولم يذكرها الخليل في مقدمة كتاب العين؛ لأنها لا علاقة لها بتنافر الحروف وائتلافها وهي: الغنة،

الجهر، المنطبقة (الميم)، الفخامة، اللين (صفة للصوامت)، المدة (صفة للحركات الطويلة).

**15**- هناك صفات مفردة أخرى، وردت عن الخليل في روايات غير رواية الليث بن المظفر أهملها المحدثون، وهي صفات: الشخوص، الجرس، الصرف، الجهر، الهمس.

16- تميزت لغة الخليل العلمية، بالتعقيد لشدة الاختصار، وعدم الإطناب في الشرح، وتركيز الفكر على القضية قيد التحليل، وكثرة المصطلحات العلمية المرتجلة، وهذا ما يؤدي إلى انطباع مفاده أن نظرية الخليل أكثر تعقيدا من نظرية سيبويه، والحقيقة أن نظرية سيبويه أكثر تعقيدا من نظرية الخليل –سيأتي بيانها في نتائج الفصل الثالث– وهذا الانطباع يرجع إلى غموض المصطلح وتعقيد التعبير عند الخليل.

17- المصطلح العلمي عند الخليل أصيل، فلا يوجد عنده مصطلحات مترجمة أو معربة عن الأمم الأخرى.

18- ليست كل كلمة رباعية أو خماسية ورد فيها أحد حروف الذلاقة عربية أصيلة، وإنما عدم ورود هذه الحروف دليل على عجمتها، فالعرب قد تعرب أو تدخل كلمات أعجمية فيها أحد حروف الذلاقة مثل كلمة إبريق، نرجس، والذي يدلنا على عجمتها هو:

- **إبريق:** جاءت على وزن إفعيل المهمل في صرف العربية.
- **نرجس:** بعد استقراء جذور العربية الرباعية والخماسية، تبين للخليل أنه لا يوجد في العربية كلمة مصدرة بالمقطع: نر، أو بالتتابع الفونيمي نون ثم راء، إلا والرواية قد تواترت بأنها ذات أصل أعجمي.

10- عند قصور المنهج التوزيعي، لجأ الخليل للوظيفية، حيث جعل الخليل وظيفة الحرف معيارا حاسما لتصنيفه مع الحروف أو مع العلل، فالهمزة مثلا جعلها من الحروف العلل، استنادا لوظيفتها الصرفية (يصيبها الإعلال في بعض المواقع).

11- لا توجد إشارات لدراسة الحركات القصيرة لا في مقدمة المعجم العين ولا في باب الإدغام في كتاب سيبويه، والسبب بسط وهو كون الحركات لا علاقة لها ببناء الكلمات العربية التي تعتمد أساسا على الجذور التي تتكون من فئة الحروف فقط (الحروف الصحاح وحروف العلل)، كذلك لا دور لها في عملية الإدغام، لكن في ثنايا كتاب العين وفي غير باب الإدغام في كتاب سيبويه، إشارات واضحة ووافية عن الحركات، فالعرب لم يهملوا دراسة الحركات بل درسوها في موضعها اللائق الذي اِرتأوه، وهذا يتماشى مع منهجهم.

**12**- بدأ الخليل تصنيف مخارج الصحاح طبقا لاتجاه تيار الهوا في أثناء النطق بها، لذا بدأ بمخارج الحلق ثم التي تليها؛ أو كما عبر هو: "ثم الأرفع فالأرفع"، وقوله هذا يحدد لنا موضع نطق كل صوت صامت بدقة، أي أن مخارج الصوامت مرتبة في جهاز النطق بما يناظرها في ترتيب الخليل؛ عدا الهمزة والهاء التي بين الخليل أنها من أعمق مخرج في جهاز النطق وأخرها في الترتيب لأسباب صرفية، وهذا ما غفل عنه كثيرون ممن انتقدوا تصنيف الخليل للصوامت؛ وتحديد موضع كل صوت بما له من صلة بالصوت الذي قبله والذي بعده، وبهذه الطريقة حصر لنا كل مواضع نطق وإنتاج أصوات العربية؛ وسمى تلك المواضع مبادئ، والمجال الذي يضم مجموعة من المبادئ سماه حيزا.

# الفصل الثالث

# الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف في مدرسة سيبويه

## الفصل الثالث

## الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف في مدرسة سيبويه

### ✓ مقدمة:

قامت منهجية سيبويه على الأسس ذاتها التي جاء بها الخليل، حيث قام بتطويع المعطيات الفسيولوجية والوصف الصوتي لتعليل العلاقات الإدغامية وبناء النظام الصوتي.

خالف سيبويه أستاذه الخليل في الهدف والمعيار الضابط (المنهجية)، فالخليل يهدف إلى وضع قوانين يتعرف بها على الأصيل من الدخيل، وحصر المستعمل والمهمل من الجذور، فاستعمل لذلك معيار االتآلف والتنافر بين حروف العربية، في حين أن سيبويه يهدف إلى وضع القوانين التي تضبط تصريف الكلمة ونطقها، فاستعمل معيار الإدغام.

## المبحث الأول

## مفاهيم اولية

### 1-المنهج التسلسلي[1] الصرفي عند سيبويه:

خالف سيبويه بعض الأمور -لأغراض منهجية سيقف عليها البحث- التي جاء بها أستاذه الخليل بن أحمد، فهذا الأخير اتبع ***منهجا صوتيا معجميا***، يرمي إلى رد الحروف لأصولها واستخراج جذورها، ومعرفة الأصيل من الدخيل من الكلمات.

غير أن سيبويه اتبع ***منهجا صوتيا صرفيا***، فلا يدخل في اهتماماته الدخيل من الأصيل، بل فقط كان يبحث عن قوانين تجاور الأصوات في كلم العربية. لكن ما يلحظ أن هناك عدة أمور مشتركة؛ فالمنهج التسلسلي (التوزيعي) الذي اعتمده الخليل لرصد مواقع الأصوات المسموحة والممنوعة كان فاتحة باب البحث والتأليف عند سيبويه، حيث اعتمد مثلا على تقسيم الخليل للأصوات اللغوية العربية -تسلسليا- إلى حركات (ـَ، ـُ، ـِ) وحروف وهي تشمل الصوامت والحركات الطويلة، وقد أشير إليه في مدخل البحث.

يقتضي الحديث عن منهج سيبويه في تصنيف الأصوات، الإشارة الأعضاء الناطقة في علاقتها بالمخارج والصفات.

### 2- الأعضاء النطقية ومخارج الأصوات:

لم يتكلم سيبويه عن أعضاء النطق بمعزل عن الحروف التي تخرج منها، فهو يربط بين أعضاء النطق والحروف التي تخرج منها مباشرة وفي نسق عجيب لا يتخلله الخلل في استعمال المصطلحات أو المفاهيم، قال: (ولحروف العربية ستةَ عشرَ مخرجاً: فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا: الهمزة، والهاء، والألف. من أوسط الحلق مخرج: العين، والحاء.

---

1 أقصد به التوزيع داخل السلسلة الكلامية.

وأدناها مخرجا من الفم: الغين، والخاء. ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، مخرج: القاف. ومن أسفلَ من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى، مخرج: الكاف. ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج: الجيم، والشين، والياء. ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضّاحك والنّاب والرُّباعيّة والثّنية، مخرج: اللام. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُويق الثّنايا، مخرج: النون. ومن مخرج النون غير أنّه أَدْخلُ في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج: الراء. وممّا بين طرف اللسان وأُصول الثنايا، مخرج: الطاء، والدال، والتاء. وممّا بين طرف اللسان وفُويق الثنايا، مخرج: الزاي، والسين، والصاد. وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، مخرج: الظاء، والذال، والثاء. ومن باطن الشّفة السُّفلى وأطراف الثنايا العُلَى ، مخرج الفاء. وممّا بين الشفتين، مخرج: الباء، والميم، والواو. ومن الخياشيم، مخرج: النون الخفيفة، أي: النون الساكنة)[1]

يلحظ على هذا النص أن سيبويه يحدد مخارج الحروف، وهو يتبع نسقا واحدا، فهو يذكر –في غير مخارج الحلق– عضوين ناطقين؛ الأول أساسي وهو أحد أجزاء الحلق أو أحد أجزاء اللسان، والثاني مشارك وهو غالبا ما يكون أجزاء الحنك والأسنان والشفة، و هذا تفصيلها:

أ- **الأعضاء الأساسية:** ومعظمها متحرك (ما عدا الخياشيم وأقصى الحلق ووسطه الحلق) وهذه الأعضاء هي: الحلق (أقصاه. أوسط الحلق، أدناها مخرجا من

1 سيبويه: الكتاب، 4/433 – 434.

الفم) أقصى اللسان، وسط اللسان، أول حافة اللسان، طرف اللسان، ظهر اللسان، باطن الشّفة السُّفلى، الشفتين، الخياشيم.

ب- **الأعضاء المشاركة:** وهي أعضاء ثابتة، وهي: الحنك الأعلى، وسط الحنك، الأضراس، فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، فويق الثنايا، أصول الثنايا، فويق الثنايا، أطراف الثنايا، أطراف الثنايا العُلَى.[1]

وهذا التقسيم لا يختلف كثيرا عن التقسيم الحديث الذي اتخذ من معيار الحركة والثبوت أساسا للتقسيم:

أ- **قسم ثابت لا يتحرك:** ويشمل الأسنان واللثة والحنك الصلب.

ب- **قسم متحرك:** ويشمل الشفتين واللسان واللهاة والأوتار الصوتية.

ويعد العضو المتحرك عضوا مباشرا في عملية النطق، كما يعد العضو الثابت عضوا غير مباشر.[2]

والجدول التالي يوضح مصطلحات الأعضاء الناطقة الأساسية ومقابلاتها الأعضاء المشاركة والحروف التي تخرج منها عند سيبويه:

| العضو الأساس | العضو المشارك | حروفه | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| أقصى الحلق | الوتران الصوتيان | الهمزة والهاء والألف | نسب قدامى الصوتيين العرب الهمزة القطعية إلى الصدر وشبهوها بالتهوع وهو القيء، قال سيبويه: (واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها؛ لأنه بعد مخرجها، ولأنها **نبرةٌ في الصدر** تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم ذلك لأنه **كالتهوع** )[3] والصدر هنا هو الحنجرة فقد أحس |

1 سيبويه: الكتاب، 433/4 – 434، السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 390/5-391.

2 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، دار وائل للنشر 2003، ص: 18.

3- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، 548/3.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | بالضغط الذي يحصل فيها عند نطق الهمزة، وهذا الضغط سببه سد الوترين الصوتيين الصادقين والكاذبين لمجرى الهواء[1]، وهذا السد يحصل عند التهوع والسعال ورفع الأجسام الثقيلة وطرد الفضلات بإجهاد وضغط عضلات الرحم عند الولادة.[2] |
| أوسط الحلق | لا يوجد | العين والحاء | |
| أدنى الحلق | لا يوجد | الغين والخاء | |
| أقصى اللسان | الحنك الأعلى | القاف | |
| من أسفلَ من موضع القاف من اللسان | ومما يليه من الحنك الأعلى | الكاف | |

1- أظهر منظارُ الحَنجرة أنَّ الهمزة هي الحرفُ الوحيد من بين حروف النُّطق الأخرى التي تشتركُ في نطقِها الأوتار الصوتيَّة الحقيقيَّة والكاذبة مع الغضروفَين الطِّرْجِهاليَّين، حيث تقوم هذه الثلاثة بغَلْقِ فتحةِ الحَنجرة تماماً مسبِّبةً الجهد العضليَّ الذي نَعرِفه في نُطقِ الهمزة، ومن هنا كانت أشق الحروف في النُّطق، وأشبه ما تكون بالتهوع والسعال، انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 141-142بتصرف يسير.

2- انظر: تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، ص: 63، وجلوريا ج بوردن وكاثرين س هاريس: أساسيات علم الكلام، ص: 143 بتصرف، و ديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، ص: 46-47، وأندري مارتيني: مبادئ ألسنية عامة، تر: ريمون رزق الله، ط1/1990، دار الحداثة-بيروت، ص: 46، وللإشارة فقد شبه أندري مارتيني نطق الهمزة بالسعال، قال: (...نضيف إلى ذلك ان انغلاق الحنجرة الذي يحدث قبل السعال؛ هو انغلاق أو انسداد كغيره أي صامت يكتب بـ [?])، أندري مارتني: المرجع نفسه، ص: 62-63، لقد كان الخليل بالغ العبقرية إذ شبه الهمزة القطعية بالسعال والتهوع وسيبويه إذ شبهها بالإجهاد، وهذا الوصف سابق لأوانه ويفوق ما قدمه المحدثون من وصف، وهذا التشبيه أو الوصف دليل قاطع على إدراكهم لموضع الحنجرة وكيفية نطق الهمزة إلا أن عبارتهم تختلف شيئا ما عن عبارة المحدثين، إن الإجهاد الذي تكلم عنه سيبويه -حسب رأيي- لا يدل على صعوبة نطق الهمزة الذي يتخلص منه بالتسهيل والإبدال فقط، بل يدل على إدراكه للشبه الحاصل بين عملية رفع جسم ثقيل فيؤدي إلى إغلاق حنجري لحظي لزيادة الضغط تحت حنجري لدعم العضلات البطنية؛ وبين عملية الغلق المصاحبة لنطق الهمزة القطعية، وهذا ليس بغريب فقد لاحظ شيخه الخليل الشبه الحاصل بين السعال والتهوع ونطق الهمزة.

| | | | |
|---|---|---|---|
| قليلا، | | | |
| وسط اللسان | وسط الحنك | الجيم والشين والياء | |
| أول حافة اللسان | الأضراس | الضاد | |
| حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان | ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضّاحك والنّاب والرُّباعيّة والثّنية | اللام | لم يذكر سيبويه هذا النص (في الطبعة المعتمدة بتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1/1999. وكذلك الطبعة التي حققها: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ = 1983م.، وأخذت نص هذا الحرف من شرح السيرافي[1] |
| حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان | ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُويق الثّنايا | النون | |
| حافة اللسان من أدناها إلى أدنى منتهى طرف اللسان قليلا | ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُويق الثّنايا | الراء | لم يستعمل سيبويه هذه العبارات في التعبير عن مخرج الراء وإنما اكتفى بما ذكره في مخرج النون، قال: (ومن مخرج النون غير أنّه أَدْخلُ في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج: الراء)[2] |
| طرف اللسان | أُصول الثنايا | الطاء والدال | |

1 السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 5/390-391.

2 سيبويه: الكتاب، 4/433.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | والتاء | |
| طرف اللسان | فُويق الثنايا | الزاي والسين والصاد | |
| طرف اللسان | أطراف الثنايا | الظاء والذال والثاء | |
| باطن الشّفة السُّفلى | أطراف الثنايا العُلَى | الفاء | |
| الشفتين | الظاهر أن سيبويه يعد الشفة العليا والسفلى عضوين أساسيين لقدرتهما على الحركة، والحركة معيار الأساسية والثبوت معيار المشاركية. | الباء والميم والواو | |

يستنتج من الجدول ما يلي:

أ- الحروف التي تنطق بحافة اللسان، وهي: الضاد، اللام، النون، الراء، وقد جعل سيبويه لكل منها مخرجا خاصا.

ب- طرف اللسان، عضو أساسي وحيز صوتي (يضم أكثر من مخرج نطقي) منه تخرج تسعة حروف: (ت، د، ط، س، ز، ص، ث، ذ، ظ) ومدار الإدغام على حروف حافة اللسان وحروف طرفه.

ت- تنسب الحروف إلى المخارج لا العكس.

ث- يقدم المجهور على المهموس، والشديد على الرخو، والصامت على نصف الصائت، وهذا لا يعكس عمق مخرج الحرف الأول في المجموعة كما يظهر للوهلة الأولى. فالتقديم كان بالنظر لصفات الحرف القوية؛ لأن الصفة القوية تجعل الحرف لا يدغم في الذي يليه إن كان ضعيفا، قال المبرد (ت285هـ): (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)[1] وقال الفارسي (ت377هـ): (كل حرف فيه زيادة صوت؛ لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتا، لما يلحق المدغم من الاختلال لذهاب ما يذهب منه في الصوت، تقول: أكرم بكرا فلا تدغم الميم في الباء لما في الميم من الغنة، وتقول: اصحب مَّطرا، فتدغم الباء في الميم، وكذلك تقول: اعرف بكرا، فلا تدغم الفاء في الباء، لأنها انحدرت إلى الفم حتى قاربت مخرج الباء، وتقول: اذهب في ذلك، فتدغم الباء في الفاء، وعلى هذا قياس الحروف الأخر)[2] وسيأتي بيان مفهوم صفات القوة وعلاقتها بالإدغام.

ج- من خصائص اللغة العلمية عند سيبويه دقة الوصف والتعيين، فعندما يذكر مصطلح مخرج، يليه حرف واحد؛ فهذا الحرف كالقاف أو الكاف له مخرج مستقل. وعندما يذكر مصطلح مخرج تليه سلسلة من الحروف، كالزاي والسين والصاد، فمخرجها مشترك.

---

1 المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام–القاهرة 1994م، 211/1.

2 الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، تح: حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية 1984، ص: 276– 277.

## المبحث الثاني

## التحديد الوظيفي لأجزاء جهاز النطق (الأعضاء الأساسية)

### أولا الأعضاء الأساسية:

#### 1- الحلق:

مفهوم كلي يشمل: الحنجرة والبلعوم وأقصى اللسان، ويرجع تقسيم الحروف إلى حروف حلقية (ع، ح، هـ، خ، غ)[1] وحروف غير حلقية (الحروف الصتم)، إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي. والحروف الصتم هي ما عدا حروف الحلق الخمسة المذكورة أعلاه، وما عدا الهمزة كذلك؛ لأن الخليل يعدها ضمن حروف الجوف[2] (ا،و،ي،ء)، قال الخليل: (والحروف الصتم التي ليست من الحلق)[3]

قسم سيبويه الحروف إلى: "**حروف الطرفين**"،[4] وهي حروف حلق (ء، ا، هـ، ع، ح، خ،غ) وحروف الشفتين (م، ب، و) و"**حروف الفم واللسان**" وهي سائر الحروف ماعدا القاف والكاف والفاء –وسياتي بيانها– وحروف الفم واللسان حيز جامع لبعض الحروف، لخصائص صرفية تتعلق بالإدغام، وهي التي يُشاركُ اللِّسانُ في إنتاجِها مع الحنك الصلب[5]

---

1 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1.

2 وواضح أن الخليل يعامل الهمزة معاملة العلل، لأنها كثيرة التغير.

3 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 378/2–379.

4 ذكر سيبويه مصطلح حروف الطرفين مرة واحدة في كتابه، 4/ 448.

5 قيد يخرج القاف والكاف من حروف الفم واللسان، فهما يخرجان من أقصى الحنك اللين، وسيأتي بيان أسباب إخراج سيبويه لهما.

أو مع الأسنان، قال: (إنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف)[1]

وقد لقب سيبويه حروف الفم والشفتَين بمصطلح جامع: "**الحروف المُرتَفِعة**"، حين تحدث عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً[2]

أسقط الخليل من حيز حروف الحلق الهمزة[3] وضمها لمخرج الجوف؛ لأن الهمزة لا تتنافر مع سائر الحروف.

وبنى سيبويه تقسيمه على أسس صرفية، فالألف (المدية) لا شأن لها بالإدغام. ونظرا لعدم أصالة الإدغام (ندرته والفك أفضل منه) في حروف الحلق، جعل الألف ضمن حروف الحلق.

أما عن سبب عدم اعتبار سيبويه للواو والياء المديتين من حروف الحلق، فهذا أمر قد يوجد له عدة مسوغات:

أ- تخرج الياء والواو من اللسان والشفتين: قال ابن جني: (الحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف إلا أن

---

1 سيبويه: الكتاب، 448/4، ويقصد بكثرة حروف الفم واللسان في هذا النص أمران:

1- كثرة دخول الادغام في حروف الفم واللسان وقلة دخوله على حروف الحلق والشفتين، قال: (لكثرة الإدغام في حروف الفم) الكتاب، 448/4. وقال الداني: (أصلُ الإدغامِ لحُرُوفِ الفَمِ واللِّسانِ لكثرتِها في الكلام وقربِ تَنَاوُلِها)، الإدغام الكبير، تح: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب-القاهرة،ط2003/1، ص: 41 .

2- إنها أكثر عددا، وذلك في مقابل قلة حروف الحلق التي لا تتعدى ستة حروف (ء، ه، ع، ح، غ، خ) وحروف الشفتين الثلاثقة (ب، و، م) وبقية الحروف للفم واللسان، قال: (ولأن حروف الحلق ليست بأصلٍ للإدغام لقلتها والإدغام فيها عربيٌ حسن) الكتاب، 449/4،وقال الداني: (ضَعْفُ الإدغامِ في حُرُوفِ الحَلْقِ والشفَتَين؛ لقِلَّتِها وبُعْدِ تَنَاوُلِها)، الإدغام الكبير، ص: 41 .

2 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 101.

3 جرت عادة الإستعمال العربي لمصطلحات: الألف، الهمزة، على أنهما شبه مترادفين؛ فيطلق على الهمزة لقب الألف، وإذا أريد التمييز يقال الألف المدية، لهذا أفضل استعمال مصطلح: الهمزة، للدلالة على الهمزة القطعية، ومصطلح: الألف، للدلالة على الألف المدية فقط، حيث يجنب هذا القارئ من الوقوع في اللبس الدلالي.

الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث أحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، **وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان** وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، **وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت**، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف **الصدى المنبعث من الصدر**، وذلك وقولك في الألف أا وفي الياء إي وفي الواو أو) ولا تختلف وجهة النظر الحديثة كثيرا عن نظرة القدماء، قال كمال بشر: (فالواو إذا صوت صامت أو نصف حركة، من أقصى اللسان مجهور، ومثاله الواو في نحو: ولد–حوض. ويمكن وصفه بأنه شفوي كذلك، حيث إن الشفتين تنضمان عند النطق به... فالياء صوت صامت أو نصف حركة حنكي وسيط مجهور، ومثاله في هذه الحالة الياء في نحو يترك–بيت. والياء عند علماء العربية من وسط الحنك وهو وصف دقيق) [1]

ب– حروف الحلق ليست بأصل للإدغام[2] وإنما الأصل في الإدغام لحروف الفم واللسان لكثرتها[3]، ومعلوم أن الياء والواو في أحد صورتيهما –أنصاف صوائت– تدغمان مع نفسيهما، وتدخلان مع النون في علاقات إدغامية، وسيأتي بيانها.

---

1 كمال بشر: علم الأصوات، ص: 369.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 451/4.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4.

ت- تفضل حروف الحلق الفتح، ونسبة الألف للحلق يعلل هذا التفضيل، قال سيبويه في معرِض حديثه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً: (وإنمَّا فتَحُوا هذه الحروفَ؛ لأنَّها سَفلت في الحلْق، فَكَرِهُوا أن يتناوَلُوا حركةَ ما قبلَها بحركةِ **ما ارتَفَعَ من الحروف**، فجعَلُوا حركتَها من الحرفِ الذي في حيِّزها، وهو الألف، وإنَّما الحركاتُ من الألفِ والياءِ والواوِ، وكذلك حرَّكُوهنَّ إذ كُنَّ عَيْناتٍ، ولم يُفعَل هذا بما هو مِن مَوْضِعِ الواو والياء؛ لأنَّهما من الحروف التي **ارتَفعَتْ، والحروف المرتفِعةُ** حَيِّزٌ على حدةٍ، فإنَّما تَتَنَاوَلُ **للمُرتَفِع** حركةً من **مُرْتَفِع**، وكُرِهَ أن يُتناوَلَ للَّذي قد سَفُل حركةٌ من هذا الحيِّز)[1]

ث- من اللزوم عدّ الألف حرفا حلقيا -عند سيبويه- لأن الألف لا تدغم ولا يدغم فيها مطلقا. قال: (وكذلك الألف[2] لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه لأن الألف لا تدغم في الألف لأنهما لو فعل ذلك بهما فأجريتا مجرى الدالين والتاءين تغيرتا فكانتا غير ألفين، فلما لم يكن ذلك في الألفين لم يكن فيهما مع المتقاربة، فهي نحوٌ من الهمزة في هذا فلم يكن فيهما الإدغام كما لم يكن في الهمزتين) [3] وقال الفارسي (ت377هـ): (الألف لا تدغم في مثلها، ولا تدغم في الهاء أيضا، ولا الهاء فيها)[4]

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 101.

2 الألف المدية.

3 سيبويه: الكتاب، 446/4. والهمزتان هنا التي في كلمتين منفصلتين، ويلحظ أنه إذا كانت الهمزة عينا، جاز إدغامها في بناء فعَّل، مثل: رأَّس...إلخ والياء نصف المدية والواو نصف المدية يدغمن في أنفسهن إذا كنَّ عينات كذلك مثل، قيّد، قوَّل، ولا شك أن سيبويه يعلم ذلك، لكن يلحظ أنه لم يذكر هذا في كتابه، فمنهجه يقتضي عدم ذكر إدغام أي حرف في نفسه؛ لأنه أولى من إدغام المتقاربين عنده.

4 الفارسي: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص: 276، وهو هنا يتحدث عن الألف المدية.

والسؤال الذي يمكن أن يبسطه المتأمل، هل الخاء والغين حرفان لهويان؟ وإذا كان هذا صحيحا، فالقاف كذلك حرف لهوي، فلماذا جعل كل من الخليل وسيبويه، الخاء والغين في مخرج أقصى الحلق قبل مخرج القاف، ولما لم يجعلا الأصوات الثلاثة من مخرج واحد.

قبل الإجابة عن هذه الإشكالات، أُذَكِّر بأحد **المعايير الضابطة** التي وضحت في المدخل؛ فالقدامى صنفوا الأصوات اللغوية، وفق منهج يخدم أغراض بحثهم كل بحسب تخصصه، فالخليل جمع الأصوات في أحياز بحسب معيار التنافر والائتلاف، وهذا يساعده على التعرف على إمكانات اللغة في بناء معجمها، أما سيبويه فقد جمع الأصوات في مخارج بحسب معيار الإدغام، ليعلل الظواهر الصرفية.

وعلى هذا فالحلق واللهاة ليسا مخرجين فسيولوجيين فقط، بل هما مخرجان منظور فيهما لاعتبارات تصنيفية وفونولوجية، لهذا عزل الخليل بن أحمد الخاء والغين عن مخرج أختهم القاف اللهوية وضمهما إلى مخرج الحلق الكلي،[1] وجعل القاف والكاف من مخرج اللهاة، وذلك لأن القاف والكاف يتنافران عند بناء الكلم العربي،[2] أما القاف وأختيها في المخرج الخاء والغين فيجتمعان في كلمة واحدة بوجود فاصل، مثل: خنق، غرق،...أو بعدمه

---

1 قال الخليل: (وأما مَخْرَجُ العَيْنِ والحاء والهاء والخاء والغين فَالْحَلْقُ وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح) الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1. وقد ذكر في الفصل السابق أن المخرج والمبدا مصطلحان غير مترادفين، حيث قسم مبدأ الحلق الكلي ( إلى حيزين، حيز أقصى الحلق (ع، ح) مسقطا منه الهاء وحيز الحلق (غ، خ) وهو يقابل مخرج أدنى الحلق عند سيبويهّ، ومن هذا نتبين أن الخليل يقوم باسقاط أو عزل بعض الأصوات عمدا عن مخارجها الحقيقية لأغراض صرفية معجمية.

2 قال الخليل: (القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجُوالِقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية) قال الخليل: (القاف والكاف لا يأتلفان، والجيم لا تأتلف معهما في شيء من الحروف؛ إلا في أحرف معربة...ولا تأتلف مع القاف والجيم إلا جِلَّق، ومع السين إلا جوسق، و جِلَّق اسم موضع)، لهذا جمع الحروف المتنافؤة (ق، ك، ج) في مخرج كلي واحد سماها المخرج اللهوي، قال(وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُقدة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم)، كتاب العين، 43/1.

كالأخقوق[1] الخ، ويظهر لي كذلك أن سيبويه لاحظ أن الخاء والغين اللهويتان؛ تشبهان حروف الحلق من عدة نواحي:

أ- النون يصيبها الإدغام الجزئي فتخفى عند الخاء والغين وقد تظهر، بخلاف القاف التي توجب الإخفاء، ومن هذه الناحية تشبه الخاء والغين باقي حروف الحلق التي تظهر عندها النون.[2]

ب- الإدغام والبيان حسنان لا مفاضلة بينهما في حروف أدنى الحلق،[3] بخلاف حروف الفم التي تعد أصلا للإدغام،[4] وبالتالي فالإدغام في حروف الفم أحسن من البيان على عمومه.

ت- يلحظ أن الخاء واالغين، تسلك سلوك حروف الحلق، فلا تدغمان في حروف الفم التي تليها مخرجا. [5]

ث- يجري إدغام بعض حروف الحلق في الخاء والغين، وهذا حملا على أنها من مخرج كلي واحد، فقد حكى ابن عصفور قولا للمبرّد: (إنَّ من النحويّين من أجاز إدغام العين والحاء في الغين والخاء، نحو قولك: امدَ غّالبًا وامدَ خَّلَفًا واسمَغَّالبًا واسمَخَّلَفًا. تريد: امدحْ غالبًا وامدحْ خلفًا واسمعْ غالبًا واسمعْ خلفًا. وزعم أنَّ ذلك مستقيم في اللغة معروف، جائز في القياس؛ لأنَّ الخاء والغين أدنى حروف الحلق إلى الفم. فإذا كانت الهاء تدغم في الحاء، والهاء من

---

1 الأخقوق لغة في اللُّخقوق، والجمع الأخاقيق، وهي شقوق في الأرض، انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة: خ ق ق، ص:97.

2 انظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 392/5.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 449/4.

4 انظر: الداني: الإدغام الكبير، ص: 94-95.

5 لم أجد في الكتب التي إطلعت عليها أمثلة لإدغام الخاء والغين في حروف الفم واللسان.

المخرج الأوَّل من الحلق، والحاء من الثاني، وليست حروف الحلق بأصل للإدغام، فالمخرج الثالث أَوْلى أن يدغم فيما كان بعده؛ لأنَّ ما بعده متصل بحروف الفم، التي هي أصل للإدغام)[1]

ج- الأصل فيهما البيان، والإدغام فيها حسن، قال سيبويه: (الغين مع الخاء البيان أحسن والإدغام حسنٌ، وذلك قولك ادمخلفاً[2] كما فعلت ذلك في العين مع الحاء، والخاء مع الغين البيان فيهما أحسن لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق، وقد خالفت الخاء في الهمس والرخاوة فشبهت بالحاء مع العين وقد جاز الإدغام فيها؛ **لأنه المخرج الثالث وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان**، ألا ترى أنه يقول بعض العرب منخلٌ ومنغلٌ فيخفى النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم لقرب هذا المخرج من اللسان وذلك قولك في اسلخ غنمك اسلغنمك ويدلك على حسن البيان عزتها في باب رددت)[3]

وهذا الذي تم استنتاجه يظهر أنه كان عند سيبويه من مسلمات هذا العلم، وهذا ما يفهم من مصطلحه: "**بمنزلة**" التي توحي بأنه يناظر بين الخاء والغين من جهة وبين نظيرتهم القاف، ولا تجتمع النظائر إلا إذا كانت بينها أمور مشتركة، قال: (الخاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق)[4] وتعبيره: "**بمنزلة**" يدل دلالة قاطعة أنه قصد اختلاف الخاء والغين عن القاف في الأحكام الصرفية الإدغامية لا في المخرج، فالحرفان (خ، غ) يسلكان سلوك

---

1 ابن عصفور (ت669هـ): الممتع الكبير في التصريف، ط1/1996، مكتبة لبنان، 433/1.

2 هكذا وجدتها في الكتاب سواء المحقق أم غير المحقق (طبعة بولاق، 413/2)، وأظنها: ادمغ خَّلفًا.

3 سيبويه: الكتاب، 451/4.

4 سيبويه: الكتاب، 480/4.

حروف الحلق، من حيث عدم أصالة حروفه في باب الإدغام،[1]وعدم سير الإدغام فيها في اتجاه خلفي، فلا تدغم في حروف ذات مخرج أعمق وهي (الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء)،[2] كما لا تدغمان في حروف الفم حتى فيما هو من مخرجها الفسيولوجي (ق)، أما القاف فتسلك سلوك حروف الفم من حيث أصالة الإدغام فيها وهو أحسن فيها من البيان، كما لا تدغم في حروف الحلق، مثلها في هذه الأحكام مثل حروف الفم، وسيأتي بيان أحكامها الإدغامية.

قسِّم اللغويون والنحاة العرب مسمى الحلق إلى ثلاثة أجزاء:

أ- أقصى الحلق، وهي أبعد نقطة فيه عند الحنجرة،.

ب- وسط الحلق، وهي تقع عند الغضروف المسمَّى حديثاً بلسان المزمار، وهذ هو القسم الذي يسميه المحدثون بالحلق **Le Pharynx**، ومنه تخرج الحاء والعين.

ت- أدنى الحلق، وهي تقع في الجزء الخلفيّ من اللِّسان وما يقابلها من الحنك اللَّحميّ،[3] ومنه تخرج الأصوات المستعلية (القاف، الخاء، الغين).

أ- **<u>أقصى الحَلْق (الحنجرة)</u>**: **Le Larynx**

استَعمل سيبويه: **أقصى الحروف مخرجاً**، لتعيين مخرج الهمزة والألف والهاء قال: (لأن الهمزة أقصى الحروف وأشدها سفولاً وكذلك الهاء، لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب

1 قال سيبويه: (ولأن حروف الحلق ليست بأصلٍ للإدغام لقلتها والإدغام فيها عربيّ حسن): الكتاب، 449/4.

2 قال سيبويه: (ولا تدغم الحاء في الهاء كما لم تدغم الفاء في الباء، لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام ومثل ذلك امدح هلالاً فلا تدغم)، الكتاب، 449/4.

3 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 144.

إلى الهمزة منها وإنما الألف بينهما)[1] أي أن الألف بين الهمزة والهاء،[2] وأشار سيبويه إلى أنَّ مخرجَ الفتحةِ من مخرجِ الألِف، قال عَن سبَبِ فَتْحِ عَيْنِ الفِعْلِ المُضَارِعِ إن كان حرفاً حلقيّاً: (وإنما فتحوا هذه الحروف؛ لأنها سفلت في الحلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف **فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف وإنما الحركات من الألف والياء والواو** وكذلك حركوهن إذ كن عيناتٍ ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء لأنهما من الحروف التي ارتفعت والحروف المرتفعة حيزٌ على حدةٍ فإنما تتناول للمرتفع حركةً من مرتفع وكره أن يتناول للذي قد سفل حركةٌ من هذا الحيز)[3]

---

1 سيبويه: الكتاب، 102/4.

2 انظر: أبي عمر الداني: التحديد في الاتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار–الأردن، ط2000/1،، ص: 102.

3 سيبويه: الكتاب، 101/4. السفول والارتفاع لقب أطلقه سيبويه على حروف الحلق والفم والشفتَين، فالسفول لحروف الحلق والارتفاع لباقي حروف الفم والشفتين، (عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص:155و 280 بتصرف)، وجاء هذا في معرِض حديث سيبويه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً، كما هو موضح في النص أعلاه،وقال سيبويه عن الغَين والخاء: (لأنَّهما أشدُّ الستَّةِ **ارتفاعاً**) الكتاب 102/4، وذكَر ابنُ دريدٍ أنَّ العَين تَتْلُو الحاءَ في المَدْرَجِ **والارتِفاعِ**، الجمهرة 1/ 6، وسيبويه يعني بالستَّة حروفَ الحلق. من هذه النصوص يستنتج أن السفول والارتفاع يكون بحسب تتابع الأصوات في المخارج من أبعد نقطة في الحلق إلى أدناها في الشفتين، فتكون بذلك حروف الشفاه أعلى الحروف وحرف الحلق أسفل الحروف، وهذا يؤدي إلى أن نفرق بين مصطلحي سفول وارتفاع، وبين مصطلحي الاستعلاء ومقابله الاستفال، حيث يشير الاستعلاء إلى كفية نطق تصاحب بعض الأصوات التي مخرجها من أقصى اللسان، وهي الخاء والغين والقاف، أو تكون حركة اقصى اللسان مصاحبة لنطق بعض الأصوات الأمامية وهي حروف الإطباق (ض، ص، ط، ظ) واللام والراء المفخمتين، وباقي حروف الفم مستفلة، لذلك فالسفول ليس الاستفال المقابل للاستعلاء (وليس الارتفاع هو الاستعلاء) وهذا واضح من جعل سيبويه في النص أعلاه الياء من الحروف المرتفعة، ولوكان السفول الذي وصف به حروف الحلق الستة هو الاستفال المقابل للاستعلاء لكان حريا به أن يصف الياء بالسفول لأنها ليست من حروف الاستعلاء.

وقريب من هذا التقسيم الذي أتى به سيبويه، تقسيم بعض علماء الصوت المحدثين المخارج إلى قسمين كبيرين:

1- **مواضع النطق العمودية**: وهي مجموعة مواضع النطق الممتدة من البلعوم إلى الحنجرة.
2- **مواضع النطق الأفقية**: ويشمل مواضع النطق الممتدة من الشفتين حتى اللهاة، انظر سلمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص:93.

هناك خلاف بين سيبويه والخليل بن أحمد في عد الألف من حروف أقصى الحلق، إذ لم يذكر الخليل الألف ضمن أصوات الحلق؛ لأنها حرف علة لا معتمد له، قال مكي (ت437هـ): (ولم يذكر الخليل معهن الألف؛ لأنها تخرج من هواء الفم وتتصل إلى **آخر الحلق**، فلما لم تقتصر في خروجها على الحلق دون الفم لم يذكرها مع حروف الحلق)[1]، هذا الخلاف منهجي؛ يرجع إلى تعدد وجهات النظر والأهداف المسطرة والمتوخاة من درس الأصوات، فالخليل يبحث عن تصنيف للأصوات يساعده على تحديد الأصيل من الدخيل والمهمل من المستعمل، أما سيبويه فيبحث عما يخدمه في تفسير الظواهر الصرفية تفسيرا صوتيا كالإدغام.

ومن هنا يظهر أن عدَّ الألف من أصوات الحلق –من الناحية المنهجية والوظيفية– عند الخليل أمر عبثي؛ إذ لا علاقة للألف بالتنافر مع أي حرف آخر بالإضافة إلى أن وجوده أو عدمه ليس دليلا على أصالة الكلم العربي فهو ليس من حروف الذلاقة.

أما عند سيبويه، فمن اللزوم عدّ الألف (المدية) حرفا حلقيا، لأن الألف لا تدغم ولا يدغم فيها غيرها. قال: (وكذلك الألف لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه؛ لأن الألف لا تدغم في الألف، لأنهما لو فعل ذلك بهما فأجريتا مجرى الدالين والتاءين تغيرتا فكانتا غير ألفين، فلما لم يكن ذلك في الألفين لم يكن فيهما مع المتقاربة فهي نحوٌ من الهمزة في هذا، فلم يكن فيهما الإدغام كما لم يكن في الهمزتين) [2] وقال الفارسي: (الألف لا تدغم في مثلها، ولا تدغم في الهاء أيضا، ولا الهاء فيها) [3]

تدخل حروف أقصى الحلق في علاقات إدغامية، وهذا تفصيلها:

---

1 مكي: الرعاية، ص: 60، ولمزيد من التفصيل راجع مصطلحات؛ الجوف والهوائية في الفصول القادمة.

2 سيبويه: الكتاب، 446/4.

3 الفارسي: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص: 276.

أ- الأصل في حروف أقصى الحلق البيان، لكن قد يدخلها الإدغام بسبب التماثل أو القرب المخرجي تحت تأثير **قانون الخفة**،[1] فهذا القانون كما يظهر أقوى من **قانون الأصالة**[2]. قال: (ولم تقو العين على الحاء إذ كانت هذه قصتها وهما من المخرج الثاني من الحلق، **وليست حروف الحلق بأصلٍ للإدغام**، ولكنك لو قلبت العين حاءً، فقلت في امدح عرفة امدحَّرفة جاز، كما قلت اجبحَّنبه تريد اجبه عنبه حيث أدغمت وحولت العين حاءً ثم أدغمت الهاء فيها)[3]

ب- الأصل أن يسير الإدغام في اتجاه أمامي بحسب سير الهواء، أي يدغم الحرف من المخرج الأدخل في حرف يليه في المخرج، كإدغام الهاء الأقصى حلقية في الحاء الوسط حلقية. قال سيبويه: (ولا تدغم الحاء في الهاء كما لم تدغم الفاء في الباء، لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام ومثل ذلك امدح هلالاً فلا تدغم)[4] لكن بعض ما سمع عن العرب قد يخالف الأصل المقيس أحيانا، فيدغمون الأخرج من الحروف في الأدخل، لهذا لم يستحسنه سيبويه لمخالفته القياس، وعبر عن فرعية هذه المخالفة بمصطلح: "**البيان أحسن**" أي عدم الإدغام هو الموافق للمسموع والقياس معا، أما الإدغام فموافق للمسموع فقط، قال: (العين مع الهاء كقولك اقطع هلالاً البيان أحسنُ، فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاءً والعين حاءً ثم أدغمت الحاء في الحاء، ***لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في***

---

1 يفهم من منهج سيبويه، أن قانون الخفة ينص على أن: طلب الخفة النطقية يكون ببذل مجهود أدنى مع أمن البس.

2 ينص قانون الأصالة على أن: الأصل في الإدغام لحروف الفم، وعدم أصالته في حروف الحلق والشفتين، انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4، والداني: الإدغام الكبير، ص: 94-95.

3 سيبويه: الكتاب، 451/4.

4 سيبويه: المصدر نفسه، 449/4.

***الذي قبله***، فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها ثم أدغمته فيه كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه، ولكن ليكون في الذي هو من مخرجه، ولم يدغموها في العين إذ كانتا من حروف الحلق لأنها خالفتها)[1]، وسيبويه هنا يقرر أن الإدغام لم يتم مباشرة، بل حصل إبدالان في "إقطع هلالا" حيث أبدلت العين حاء، والهاء حاء، ثم أدعمت الحاء في الحاء، وقواعد اللغة تجيز إدغام المتماثلين وإن كان حلقيين. والحاصل أن العين أدغمت في الهاء ظاهريا فقط (على مستوى البنية السطحية)، لكن القواعد التحويلية الوجوبية هنا المتمثلة في قاعدة إبدال الحرف الحلقي بأقرب حرف له، جعلت الإدغام الممنوع ممكنا.

ت- **يتدخل قانون الأقوى** مع **قانون الأصالة** ليمنعا **قانون الخفة** من العمل، فيمنع إدغام الحرفين المتوقع إدغامهما بسبب القرب المخرجي، قال سيبويه عن علة امتناع إدغام الهاء –الضعيفة لهمسها ورخاوتها– في العين –القوية لجهرها وكونها بين الشدة والرخاوة–: (ولم يدغموها في العين إذ كانتا من حروف الحلق لأنها خالفتها في الهمس والرخاوة، فوقع الإدغام لقرب المخرجين، ولم تقو عليها العين إذ خالفتها فيما ذكرت لك، ولم تكن حروف الحلق أصلاً للإدغام، ومع هذا فإن التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين، ألا ترى أن التقاءهما في باب رددت أكثر والمهموس أخف من المجهور، فكل هذا يباعد العين من الإدغام إذ كانت هي والهاء من حروف الحلق، ومثل ذلك اجبه عنبه في الإدغام والبيان، وإذا أردت

1 سيبويه: الكتاب، 446/4.

الإدغام حولت العين حاء ثم أدغمت الهاء فيها فصارتا حاءين والبيان أحسن)[1]

**ب- وسط الحلق (البلعوم): Le Pharynx**

استعملَ سيبويه لفظَي: "**أَوْسَطَ الحَلْق**" و"**المخرج الثاني من الحلق**"، عند تحديده لمخرج العَين والحاء على الترتيب، قال: (لأنَّ العينَ أقربُ إلى الهمزة من الحاء)[2] وقال: (ولحروف العربية ستة عشر مخرجا؛ فللحلق منها ثلاثةٌ، فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف، **ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء**، وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء)[3] وتبعه أكثرُ علماء القراءات وعلماء اللغة مع اختلاف لفظي طفيف.[4]

يستنتج مما سبق أن مخرج وسط الحلق هو مخرج الحلق في الدرس الصوتي الحديث.

**3-العلاقات الإدغامية لحروف وسط الحلق:**

**أ- إدغام حروف وسط الحلق في بعضها:**

إدغام حروف وسط الحلق مثل إدغام حروف أقصى الحلق، يخضع لعدة قوانين هي: قانون عدم الأصالة، قانون الأخرج، قانون الحرف الأقوى.

والإدغام في حروف وسط الحلق مع نظيرتها في المخرج حسن والبيان حسن، فكلاهما مسموع موافق للقياس، وهذا التساوي في الحسن بين الإدغام والبيان لا نجده مع

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/449-450.

2 سيبويه: الكتاب، 4/102.

3 سيبويه: الكتاب، 4/433.

4 انظر: الداني: التحديد، ص: 102نوابن الجزري: التمهيد، ص: 43، الجرجاني: العمد، ص: 149، ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها، ص: 80.

غيرها من حروف الحلق والفم التي يكون الادغام فيها أحسن أو البيان أحسن أو العكس، قال سيبويه: (العين مع الحاء كقولك اقطع حملاً، الإدغام حسنٌ والبيان حسنٌ؛ لأنهما من مخرج واحد، ولم تدغم الحاء في العين في قولك امدح عرفة لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين، وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين، فأجريت مجرى الميم مع الباء فجعلتها بمنزلة الهاء كما جعلت الميم بمنزلة النون مع الباء، ولم تقو العين على الحاء إذ كانت هذه قصتها وهما من المخرج الثاني من الحلق –وليست حروف الحلق بأصلٍ للإدغام– ولكنك لو قلبت العين حاءً فقلت في امدح عرفة امدحرفة جاز، كما قلت اجبحنبه تريد اجبه عنبه حيث أدغمت وحولت العين حاءً ثم أدغمت الهاء فيها)[1] وقد فسر سيبويه في هذا النص عدم إدغام الحاء في العين وهما شريكان في المخرج، بالحمل على النظير، وهو النون الساكنة التي تصير ميما عند الباء، فالميم يفر إليها العربي، وهذا ما يحدث مع الهاء الساكنة إذا لقيت العين حيث يفر العربي إلى الحاء (بإبدال الهاء حاء)، **وهذا التعليل يبحث في قوانين نظام اللغة وإطرادها وإمكانية تعميمها**، ويمكن أن نفسر إمتناع الإدغام بين الحاء والعين في ضوء **قانون الأصالة وقانون الحرف الأقوى**، فحروف وسط الحلق ليست بأصل للإدغام كما أن العين أقوى من الحاء بالجهر والشدة (العين حرف بين الشدة والرخاوة)، لذا **فالحرف القوي يرفض أن يفقد صفات القوة** فيمتنع الإدغام

**و**كل إدغام في حروف وسط الحلق –إذا كان الحرفان متقاربان– يفسر **في ضوء الإبدال**، وهو العملية السابقة مباشرة للإدغام، وهو **ضابط تحويلي** يتدخل لجعل الإدغام الممنوع جائزا، قال سيبويه: (ولم تقو العين على الحاء إذ كانت هذه قصتها وهما من المخرج الثاني من الحلق، **وليست حروف الحلق بأصلٍ للإدغام، ولكنك لو قلبت العين حاءً**، فقلت

1 سيبويه: الكتاب، 4/449–450.

في امدح عرفة امدحَّرفة جاز، كما قلت اجبحَّنبه تريد اجبه عنبه حيث أدغمت وحولت العين حاءً ثم أدغمت الهاء فيها)[1]

**ب- إدغام حروف وسط الحلق في حروف أقصى الحلق:**

الأصل أن يسير الإدغام في حروف وسط الحلق في اتجاه أمامي بحسب سير الهواء، أي يدغم الحرف من المخرج الأدخل في الحرف الذي يليه في المخرج، وهذا هو المسموع الموافق للقياس، لهذا جعل سيبويه البيان أحسن في حروف وسط الحلق مع حروف أقصى الحلق، يليه الإدغام معها في الحسن لقرب المخرجين مع وجوب تدخل قاعدة الإبدال التحويلية، قال: (العين مع الهاء كقولك اقطع هلالاً البيان أحسنُ، فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاءً والعين حاءً ثم أدغمت الحاء في الحاء، لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله، فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها ثم أدغمته فيه كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه، ولكن ليكون في الذي هو من مخرجه)[2]

**ت- <u>أدنى الحلق</u>:**

استعمل سيبويه (ت185هـ) لفظَي: "**أَدنى الحلق مخرجاً من الفم**" و "**المخرج الثالث من الحلق**" كمخرج للغَين والخاء وقال: (وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء)[3] وفي نصّ دقيقٍ جعلَهما في منطقة متوسّطة بين الحلقِ والفم، قال:(والخاءُ والغينُ بمنزلةِ القَافِ، وهما من حُروفِ الحلْقِ بمَنزلةِ القافِ من حُروفِ الفم، وقُرْبُهُمَا من الفَمِ كقُرْبِ القَافِ من الحَلْقِ)[4]

---

1 سيبويه: الكتاب، 451/4.

2 سيبويه: الكتاب، 449/4.

3 سيبويه: الكتاب، 433/4.

4 سيبويه: الكتاب، 480/4.

✓ **الخصائص الإدغامية لحروف أدنى الحلق:**

أ- الخاء والغين يدغمان فقط في بعضهما، والأصل فيهما البيان، والإدغام فيهما حسن، قال سيبويه: (الغين مع الخاء البيان أحسن والإدغام حسنٌ، وذلك قولك ادمخّلفاً[1] كما فعلت ذلك في العين مع الحاء، والخاء مع الغين البيان فيهما أحسن لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق، وقد خالفت الخاء في الهمس والرخاوة فشبهت بالحاء مع العين وقد جاز الإدغام فيها؛ **لأنه المخرج الثالث وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان**، ألا ترى أنه يقول بعض العرب منخلٌ ومنغلٌ فيخفى النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم لقرب هذا المخرج من اللسان، وذلك قولك في اسلخ غنمك اسلغنمك ويدلك على حسن البيان عزتها في باب رددت)[2]

ب- العلاقات الإدغامية التي بنى عليها سيبويه تصنيفه للأصوات؛ تجعل النون تخفى عند الخاء والغين وقد تظهر، بخلاف القاف واجبة الإخفاء، ومن هذه الناحية (ناحية الإظهار) تشبه الخاء والغين باقي حروف الحلق التي تظهر عندها النون.[3]

ت- الإدغام والبيان حسنان لا مفاضلة بينهما في حروف أدنى الحلق،[4] بخلاف حروف الفم التي تعد أصلا للإدغام،[5] وبالتالي فالإدغام في حروف الفم أحسن من البيان على عمومه.

فلأجل هذه الأحكام الصرفية، جعل سيبويه الخاء والغين من الحلق والقاف من اللهاة، وسبب تقديمهما في المخرج كان لعلة الإخفاء، هذا ما يمكن استنتاجه، فبسبب التفخيم

---

1 ادمغ خلفا.

2 سيبويه: الكتاب، 451/4.

3 انظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 392/5.

4 انظر: سيبويه: الكتاب، 449/4.

5 انظر: الداني: الإدغام الكبير، ص: 94-95.

الدائم للقاف أخفيت النون عنده، وبسبب تعاور التفخيم والترقيق على الخاء والغين بحسب السياق[1] اختار بعض العرب الإخفاء وبعضهم الإظهار، وقد وردت قراءات قرآنية بإظهار النون عند الخاء والغين وبإخفائها بغنة،[2] وهذا الذي تم استنتاجه يظهر أنه كان عند سيبويه من مسلمات هذا العلم، وهذا ما يفهم من مصطلحه: "بمنزلة" التي توحي بأنه يناظر بين الخاء والغين من جهة وبين نظيرتهم القاف، ولا تجتمع النظائر إلا إذا كانت بينها أمور مشتركة، قال: (الخاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق)[3] وتعبيره: "بمنزلة" يدل دلالة قاطعة أنه قصد اختلاف الخاء والغين عن القاف في الأحكام الصرفية الإدغامية لا في المخرج، فالحرفان (خ، غ) يسلكان سلوك حروف الحلق، من حيث خضوعها للقوانين الإدغامية التالية:

أ- **قانون عدم الأصالة:** فحروف أدنى الحلق غير أصيلة في باب الإدغام.[4]

ب- **قانون الأخرج:** ينص على عدم سير الإدغام في اتجاه خلفي، فلا تدغم حروف ادنى الحلق في حروف ذات مخرج أعمق وهي (الهمزة، الألف، الهاء،

---

1 للغين والخاء مخرجان متقاربان بحسب السياق الذي يردان فيه:

أ- مخرج طبقي: يتحقق هذا المخرج إذا نطقنا بالخاء أو الغين مرققين، ويحدث ذلك عادة إذا وليهما صوت صائت أمامي –الكسرة– فيضعف فيهما أثر التفخيم ويبقى هذان الصوتان محافظان على هويتهما؛ أي لا يتحولان بسبب الترقيق إلى صوت آخر كما يحدث ذلك مع القاف؛ إذ يتحول بسبب الترقيق إلى مخرج أكثر أمامية، فنسمع صوتا آخر له قيمته الفونولوجية وهو صوت الكاف.

ب- مخرج لهوي: يتحقق هذا المخرج إذا نطقنا بالغين أو الخاء مفخمين فيتحول مخرجهما من الطبق إلى اللهاة، وعادة ما يحدث ذلك عندما يجاوران صوتا مفخما كالطاء والصاد. انظر: حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص: 70 ، و سمير شريف استيتية: اللسانيات، ص: 49 ، و له أيضا: الأصوات اللغوية، ص: 146.

2 انظر: أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 271-272.

3 سيبويه: الكتاب، 480/4.

4 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 449/4.

العين، الحاء)[1]

**ت-** لا تدغمان في حروف الفم حتى فيما هو من مخرجها الفسيولوجي (ق).

**ث-** تظهر النون عندها، مثلها في هذه الأحكام مثل حروف الحلق،

أما القاف فتسلك سلوك حروف الفم من حيث أصالة الإدغام فيها وهو أحسن فيها من البيان، كما لا تدغم في حروف الحلق، وتخفى عندها النون وجوبا، مثلها في هذه الأحكام مثل حروف الفم، وهذا ما سوغ لسيبويه جعل القاف حرفا من أقصى الفم (اللهاة) مخرجه، في حين جعل الخاء والغين من أدنى الحلق محيدا في ذلك مخرجها الفسيولوجي (أقصى الفم) [2] وذلك بإعمال معيار الإلغاء الخليلي.

## 2- <u>الفم/ اللسان</u>:

### أ- الفم:

وردت كلمة فم في كتاب سيبويه سبعة وستين مرة، وهي موضحة في الجدول الآتي:

| الكلمة | تكرارها | ملاحظة |
|---|---|---|
| فم | 25 | وردت في أمثلة نثرية أو شعرية لتوضيح قواعد نحوية أو صرفية |
| الفم | 33 | ورد مصطلح "الفم" في كتاب سيبويه كمصطلح صوتي تسعا وعشرين مرة، كلها معرفة بالألف واللام وفي بابي الإدغام والإبدال،[3] والأربعة الباقية وردت في أمثلة نثرية أو شعرية لتوضيح قواعد نحوية أو صرفية. |

1 سيبويه: الكتاب، 449/4.

2 تخرج القاف والخاء والغين المفخمتين من أقصى اللسان وما يقابله من اللهاة، انظر: حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص: 70 ، و سمير شريف استيتية: اللسانيات، ص: 49 ، و له أيضا: الأصوات اللغوية، ص: 146.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/ 433 -481.

| | | |
|---|---|---|
| | | وهذا يدل على أن "الفم" المعرف بالألف واللام غالبا ما يحيل إلى الاستعمال الاصطلاحي في لغة سيبويه العلمية، ما عدا موضعين عند حديثه عن الحروف المشربة.[1] |
| فمان، فموان | 1<br>4 | وردت في أمثلة نثرية أو شعرية لتوضيح قواعد نحوية أو صرفية |
| فمي، فموي | 4 | وردت في أمثلة نثرية أو شعرية لتوضيح قواعد نحوية أو صرفية |

استعمل سيبويه مصطلحات: **حروف الفم، حروف الفم واللسان، حروف اللسان والفم، حروف اللسان،** في مقابل **حروف الحلق وحروف الشفتين،** ومن هذا يستنتج أن حروف الفم هي كل الحروف ما عدا حروف الحلق الستة، وحروف أقصى اللسان،[2] وحروف الشفتين التي لا عمل للسان معها، والألف والواو والياء المديتين (لأنه لا علاقة لها بالإدغام).

فمصطلح **حروف الفم/ حروف اللسان،** استعمله سيبويه لتعيين الحروف التي يدخلها الإدغام بكثرة وبصفة مطردة، بحسب قوانين خاصة، في مقابل مصطلح حروف الحلق وحروف الشفتين؛ التي لا يدخلها الإدغام إلا نادرا ووفق قوانين المانع فيها أكثر من المجيز، قال سيبويه: (لكثرة الإدغام في حروف الفم)[3] وقال: (ولأن حروف الحلق ليست

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 174- 175.

2 ألاحظ أن سيبويه عند حديثه عن العلاقات الإدغامية لحروف الفم واللسان، يهمل تماما حروف أقصى اللسان (ق، ك) حيث لا تدخلان في علاقات إدغامية مع حروف طرف اللسان ولا مع حروف الحلق والشفتين، ويستثنى من ذلك النون التي تخفى عندهما. أما عن سبب عدم عده لحروف أقصى اللسان من حروف الحلق، فهذا يرجع حسب رأيي إلى إعمال قانون الأصالة ومعيار الحسن عنده، فالإدغام في حروف الحلق ليس بأصيل وهو غير حسن فيهم، أما حروف أقصى اللسان (ق، ك) فالإدغام فيهما أصيل وحسن؛ في منهجية سيبويه التصنيفية.

3 سيبويه: الكتاب، 448/4.

بأصلٍ للإدغام لقلتها والإدغام فيها عربيٌ حسن) [1] وسيبويه يستعمل في باب الإدغام وغيره الوصفين: حسن، أحسن، فكون الإدغام حسن في حروف فعدمه أحسن، وهذا يفسر أن الإدغام في حروف الحلق ليس بأصل، أي أن عدمه أحسن.

وأكد هذه الحقيقة أبو عمر الداني (ت444هـ)، قال: (واعلم أن أصلُ الإدغامِ إنما هو لحُرُوفِ الفَمِ واللِّسانِ؛ لكثرتِها في الكلام وقربِ تَنَاوُلِها، ويضعفُ في حُرُوفِ الحَلْقِ وحروف الشفَتَين؛ لقِلَّتِها وبُعْدِ تَنَاوُلِها)[2] **وهذا تعليل إحصائي**، فلما لاحظوا أن حروف الفم واللسان أكثر عددا (ثمانية عشر حرفا)، في مقابل قلة حروف الحلق التي لا تتعدى ستة أحرف (ء، هـ، ع، ح، غ، خ)، وحروف الشفتين التي لا تتعدى أربعة حروف (م، ب، و) حكموا بأن الإدغام غير مستحسن في حروف الحلق لقلتها، ويمكنّ أيضا تعليل ذلك، بسبب سفولها الشديد، وأكد هذه الحقيقة وجدان عبد اللطيف موسى الشمايلية قال: (حروف الفم واللسان أصل للإدغام عند سيبويه لكثرتها، ولتجاور أصواتها وتقاربها، وللمرونة التي تتميز بها العضلة المحركة لتلك الأصوات... وقد عد كلامه عن أصالة حروف الفم واللسان للإدغام قانونا لم يوفق علم الأصوات الحديث إلى اكتشافه ومعرفته إلا منذ خمسين سنة على الأكثر كما يقول شاده*)[3]

**ب- أقسام اللسان:**

قسَّم العلماء اللِّسان إلى مناطق نسبوا إليها بعضَ الحروف، ويرجع أول تقسيم وظيفي -يراعي إمكانات اللغة العربية في إصدار الأصوات، جاعلا من الحنك الأعى معلما

---

1 سيبويه: المرجع نفسه، 449/4.

2 الداني: الإدغام الكبير، ص: 94-95.

* آرتور شاده (1883- 1952م): علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص: 63.

3 وجدان عبد اللطيف موسى الشمايلية: الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير، مخطوط بقسم اللغة العربية-جامعة مؤتة-الأردن 2002، ص: 182.

للتقسيم- إلى العلامة سيبويه، قال: (ومن **أقصى اللسان** مما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن **أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً** ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن **وسط اللسان** بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن **أول حافة اللسان** وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، ومن **حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان** بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.[1] ومن **طرف اللسان** بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في **ظهر اللسان** قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، ومن بين **طرف اللسان** وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء، ومن بين **طرف اللسان** وفويق الثنايا مخرج الصاد والزاي والسين، ومن بين **طرف اللسان** وأطراف الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال)[2]

وقد تبع أغلب القدامى تقسيم سيبويه؛[3] لأن تقسيمه جاء محددا المخرج الدقيق الذي يتولد فيه كل حرف (يقابله المبدأ عند الخليل) وهذا يوقف العلماء على حقيقة التقارب والتباعد بين الحروف في باب الإدغام.

- ✓ **التقسيم السيبويهي للسان:**

يستنتج من منهجية سيبويه وطريقة تعامله مع الحروف في باب الإدغام، أنه قسم اللسان تقسيمان:

1 سقط مخرج اللام من طبعة الكتاب المحققة، وأضفته من: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 5/390-391.

2 سيبويه: الكتاب 4/ 433.

3 انظر: الداني: التحديد، ص: 102-104، أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد، ص: 248، الجرجاني: العمد، ص: 149-150، ابن الجزري: التمهيد، ص: 43-44.

أ- **نقسيم مجمل:** حيث قسم اللسان إلى أقصاه وطرفه (وهو يشمل وسط اللسان وحافته المقابلة للأضراس و للثنايا وما جاورها من اللثة).

ب- **تقسيم مفصل:** حيث قسم اللسان إلى:

1-أقصى اللسان، مخرج القاف والكاف.

2-وسط اللسان، مخرج الجيم والشين والياء.

3-حافة اللسان، مخرج الضاد، النون، اللام، الراء.

4-طرف اللسان والثنايا، مخرج الطاء والدال والتاء، الزاي والسين والصاد، الظاء والذال والثاء.[1]

ونظرا للقرب المخرجي وللعلاقات الإدغامية بين حروف وسط اللسان، وحروف حافة اللسان وحروف الثنايا، فإن سيبويه يعاملها جميعا معاملة واحدة تحت مسمى "**حروف طرف اللسان والثنايا**"، وسيأتي بيانها.

اعتمد سيبويه، معلمي الحنك واللسان معا، مخالفا الخليل بن أحمد الذي أعمل **معيار المناوبة** – وهو معيار ضابط تمت الإشارة إليه في الفصل السابق- حيث جعَل مخرجَ الجيم والشين والياء من وسط اللِّسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى[2] وهي منطقة وسط الفم أو شجره عند الخليلّ، وجعل الضاد ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس،[3] وهي بهذا التحديد شجرية، حيث جعل من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4.

2 انظر: سيبويه: المرجع نفسه ، 433/4.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4.

الجيم والشين والياء –غير المدية–[1] وهذه المنطقة قريبة من مخرج الضاد كما حددها الخليل، وسيأتي بيان سبب الإختلاف بينهما في تصنيف الضاد بين الشجر والحافة.

### 1- أقصى اللسان:

استعمل سيبويه، أقصى اللسان كعضو أساسي لتحديد مخرج القاف والكاف، وكعضو مساعد في نطق حروف الإطباق، و**كمعيار للتدرج**، وإليك التفصيل:

### أ- أقصى اللسان عضو أساسي ومخرج لحرفي (ق، ك):

بعد أن ذكَر سيبويه حروف الحلق، بدأ بمخارج اللِّسان، فاستعملَ: **(أقصى اللِّسان)** لتحديد مخرجَي القاف والكاف، قال: (ومِن **أقصى اللِّسان** وما فَوقه من الحنك الأعلى مخرجُ القاف، ومِن أسفل من موضِع القاف من اللِّسان قليلاً وممَّا يَليه من الحنَك الأعلى مخرج الكاف)[2] وتبعه كثيرٌ من العلماء.[3]

### ب- أقصى اللسان عضو مساعد في نطق حروف الإطباق:

عبر سيبويه عن أقصى اللسان عند حديثه عن حروف الإطباق فقال: (فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى **ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان** ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف، وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن، فهذه

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4.

2 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 433.

3 انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/ 47، ومكي: الرعاية، ص: 86، والداني: التحديد، ص: 102 والإدغام الكبير، ص: 54، وأبي العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 277.

الأربعة لها موضعان من اللسان وقد بين ذلك بحصر الصوت، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها)[1]

والدليل على أن سيويه قصد بمصطلح: "**ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان**" أقصى اللسان، أمران:

1- تصريحه بأن الحنك الأعلى هو مخرج لحرف القاف اللهوي، وهذا الحرف ينطق بارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، قال في باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات: (تقلبها القاف، إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صقت وصبقت؛ وذلك أنَّها مِن أقصى اللِّسان فلم تَنْحَدِر انحِدَارَ الكافِ إلى الفَم، وتصَعَّدَتْ إلى ما فَوقَها من الحنك الأعلى. والدَّليلُ على ذلك أنَّكَ لو جَافَيْتَ بين حَنَكَيْكَ فبَالَغْتَ ثمَّ قلتَ: قَقْ قَقْ لم تَرَ ذلك مُخِلاً بالقاف. ولو فعَلْتَهُ بالكافِ وما بعدَها من حروفِ اللِّسانِ أخَلَّ ذلك بِهِنَّ، فهذا يَدُلُّكَ على أنَّ **مُعْتَمَدَهَا على الحَنَكِ الأعْلَى**، فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجهٍ واحد وهي الصاد لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق)[2]

2- ما دأب عليه العلماء من بعده، حيث يلحظ أنهم إذا استعملوا مصطلح: "**اللسان**" مقرونا بمصطلح **الحنك الأعلى** " فهم يقصدون **أقصى اللسان** لا غير، هذا ما وظفه مثلا مكي بن أبي طالب القيسي عند تعلِيلِه لتسميةِ حروف الإطباق، قال: (وإنَّما سُمِّيَتْ بحروفِ الإطباق، لأنَّ **طائفةً** من اللِّسان تَنْطَبِق مع الرِّيح إلى الحنك عند النُّطقِ بهذه الحروفِ، وتَنْحَصِرُ

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/438.

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 479 – 480 .

الرِّيحُ بين **اللِّسانِ والحنَكِ الأعلى**"[1] وعند الإطباق يكون هواء الحروف محصورا بين **جسم اللسان والحنك الأعلى** من أوله إلى آخره، حيث يرتفع مقدم اللسان نحواللثة ووسطه نحو شجر الحنك وآخره نحو اللهاة، وهذا ما تحدث عنه ابن سينا، حيث قال في وصف الإطباق في الصاد:(حتى يُطْبِقَ اللِّسانُ أو يكادُ يُطْبِقُ على ثُلُثَي السَّطْحِ المَفْرُوشِ تحتَ الحنَكِ والشَّجْرِ)[2] وقال عن إطباق الطاء: (وإنَّما تَحْدُثُ عن انطِباقِ سَطْحِ اللِّسان أكثرِه مع سَطْحِ الحَنَكِ والشَّجْر، وقد يَبْرَأُ شَيءٌ مِنْهُمَا عن صَاحِبه)[3] وأكد على دور أقصى اللسان عند وصف خروج الظاء، حيث تحتاجُ إضافةً إلى مخرجها الأماميّ إلى (أن يكون ما يلي **أصل اللِّسان** متعرِّضاً للهواء برطوبتِه)[4]

ت- **معيارا للتدرج:** أي اتخذه حدا يتدرج من خلاله الانتقال من حروف الحلق غير الأصيلة في باب الإدغام إلى حروف طرف اللسان الأصيلة في باب الإدغام، في مقابل مخرج الفاء الشفوي الأسناني، الذي يتدرج عبره الانتقال من حروف طرف اللسان الأصيلة في باب الإدغام، إلى حروف الشفتين غير الأصيلة في باب الإدغام، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل لارتباطه الشديد **بمعيار التوازن النوني.**

✓ **العلاقات الإدغامية في حروف أقصى اللسان:**

أ- الإدغام والبيان متساويان في الحسن، وذلك بسبب كون مخرج أقصى اللسان أقرب المخارج إلى الحلق، وهو أول مخارج اللسان، قال سيبويه: (القاف مع

---

1 مكي: الرِّعاية، ص: 47.

2 ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص: 77.

3 ابن سينا: المرجع نفسه ، ص: 79 .

4 ابن سينا: المرجع نفسه ، ص: 121-122.

الكاف، كقولك: الحق كلدة، الإدغام حسنٌ والبيان حسنٌ، وإنما أدغمت لقرب المخرجين وأنهما من حروف اللسان، وهما متفقان في الشدة)[1]

**ب-** يجوز إدغام الكاف في القاف، لكن البيان أحسن، قال سيبويه: (والكاف مع القاف؛ انهك قطناً[2]، البيان أحسن والإدغام حسنٌ، وإنما كان البيان أحسن لأن مخرجهما أقرب مخارج اللسان إلى الحلق فشبهت بالخاء مع الغين، كما شبه أقرب مخارج الحلق إلى اللسان بحروف اللسان فيما ذكرنا من البيان والإدغام)[3] وكون البيان أحسن يرجع إلى عدة أسباب:

1- أصل الإدغام أن يسير في اتجاه أمامي، لكن يجوز في حروف الفم قلب الأخرج إلى الأدخل.[4]

2- للقاف مزية على الكاف بالجهر وهو من صفات القوة، ومن شروط الإدغام في العربية أن لا يفقد الحرف صفة من صفات القوة[5]، قال المبرد (ت285هـ): (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)[6] وقال الفارسي (ت377هـ): (كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتا، لما يلحق المدغم من الاختلال لذهاب ما يذهب منه في الصوت، تقول: أكرم بكرا فلا تدغم الميم في الباء لما في الميم من الغنة، وتقول: اصحب مطرا، فتدغم الباء في الميم، وكذلك تقول: اعرف بكرا،

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 452.

2 هذا مثاله عن إدغام الكاف في القاف.

3 سيبويه: المرجع نفسه ، 4/ 452.

4 انظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، 283/2.

5 انظر: وجدان عبد اللطيف موسى لشمايلية: الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، ص: 184.

6 المبرد: المقتضب، 211/1.

فلا تدغم الفاء في الباء، لأنها انحدرت إلى الفم حتى قاربت مخرج الباء، وتقول: اذهب في ذلك، فتدغم الباء في الفاء، وعلى هذا قياس الحروف الأخر)[1]

3- لا يجوز إدغام القاف والكاف في غيرهما من الحروف[2]، ولا غيرهما فيهما، وبهذا فإن عدم أصالة الإدغام في حروف الحلق، قد تحققت في مخرج أقصى اللسان جزئيا (لهذا اتخذه سيبويه **معيارا للتدرج)** ومن هنا فنسبة الخاء والغين اللهويتين من هذه الناحية لحروف الحلق عمل سليم يتماشى ونظام اللغة العربية. كما يبقى مبدأ أصل الإدغام أن يسير في اتجاه أمامي متحقق بصفة جزئية، أي بالنظر في أحياز الحروف لا في حروف حيز بعينه.

**2- <u>طَرَفُ اللِّسَان (النصف الأمامي من اللسان)</u>: la moitié antérieur de la langue**

يبدأ هذا الحيز من مخرج الشين وينتهي بمخرج الظاء، لهذا حدد بأنه النصف الأمامي من اللسان، وذلك لأن الشين تخرج من وسط اللسان تقريبا، ويظهر أن هذا الحيز جاء به سيبويه ليفسر العلاقات الإدغامية في مجموعة من الحروف، وبذلك فهو يشمل مخرج وسط اللسان (ي، ش، ج)، وحافة اللسان (ض، ل، ن) وحافة اللسان مع ظهره (ر) ومخرج الثنايا وما يجاورها من أسنان (ط، د، ت، س، ز،ص، ث، ذ، ظ)، وقد استنتجت مخارج هذا الحيز من العلاقات الإدغامية ومن **معيار التوازن النوني**، وسيأتي تفصيل ذلك.

---

1 الفارسي: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص: 276- 277.

2 انظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، 683/2.

فحيز طرف اللسان يشمل ثماني مخارج جزئية في تصنيف سيبويه لمخارج الحروف، وهو يفسر العلاقات الإدغامية المتبادلة بينها، قال سيبويه: (ولحروف العربية ستةَ عشرَ مخرجاً: ...

1- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج: الجيم، والشين، والياء.
2- ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج: الضاد.
3- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضّاحك والنّاب والرُّباعيّة والثّنية، مخرج: اللام.[1]
4- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُويق الثّنايا، مخرج: النون.
5- ومن مخرج النون غير أنّه أَدْخلُ في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج: الراء.
6- وممّا بين طرف اللسان وأُصول الثنايا، مخرج: الطاء، والدال، والتاء.
7- وممّا بين طرف اللسان وفُويق الثنايا، مخرج: الزاي، والسين، والصاد.
8- وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، مخرج: الظاء، والذال، والثاء)[2]

- **العلاقات الإدغامية:**

أ- لا تدغم حروف الشفتين في حروف طرف اللسان، وتدغم الباء في الفاء، لهذا لم يجعلها سيبويه من ضمن حروف طرف اللسان، قال الفارسي: (كل حرف فيه زيادة صوت، لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتا، لما يلحق

1 سقط مخرج اللام من طبعة الكتاب المحققة، وقد أظفته من: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 5/390-391.
2 سيبويه: الكتاب، 4/433 – 434.

المدغم من الاختلال لذهاب ما يذهب منه في الصوت... وكذلك تقول: اعرف بكرا، فلا تدغم الفاء في الباء، لأنها انحدرت إلى الفم حتى قاربت مخرج الباء، وتقول: اذهب في ذلك، فتدغم الباء في الفاء، وعلى هذا قياس الحروف الأخر)[1]

الفاء لا تدغم في حروف الشفتين،[2] وكذلك حروف طرف اللسان لا تدغم في حرف من الشفتين، لهذا لم يجعل سيبويه الفاء من ضمن حروف الشفتين، وشبهها بالثاء الطرفية، لأن مخرج الثاء بين الأسناني هو أقرب المخارج إلى مخرج الشفة والأسنان العليا، قال سيبويه: (ومن الحروف حروفٌ لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها، وتلك الحروف: الميم والراء والفاء والشين... و**الفاء لا تدغم في الباء** لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى **وانحدرت إلى الفم وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء** وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف، فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين كما أن الثاء لا تدغم فيه، وذلك قولك اعرف بدراً. **والباء قد تدغم في الفاء** للتقارب ولأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم وذلك قولك اذهب في ذلك فقلبت الباء فاءٌ كما قلبت الباء ميما في قولك اصحمطراً)[3]

---

1 الفارسي: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص: 276- 277.

2 وما جاء منه فهو من مذهب قراء الكوفة، فقد نقل ابن الباذش أن الكسائي قرأ في قوله تعالى: ﴿وإن نشأ نخسف بهم الأرض﴾سبأ9 بإدغام الفاء في الباء، وليس في القرآن من الفاء عند الباء غيره، انظر: ابن الباذش: كتاب الاقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، ط1403/1هـ، دار الفكر-دمشق، 177/1-178و180/1-181. وذكر الزمخشري إدغام الفاء في الباء. وذكر أنه مما تفرد به الكسائي، وقد ضعف هذا الوجه من الإعراب. انظر: الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ): المفصل في صنعة، الإعراب: تح: د/ علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط1993/1، 553/1.

3 سيبويه: الكتاب، 4/ 448.

ب- ونظرا لأن أمثلة إدغام الفاء قليلة (يدغم فيها الباء فقط والميم على الشذوذ)[1] مقارنة بحروف طرف اللسان، شبه سيبويه الفاء بالثاء الطرفية، وأهمل تصنيفها كحرف طرفي وكحرف شفوي، وهذا سوغ لسيبويه اتخاذ مخرج الفاء **معيارا للتدرج.**

- **إعمال معياري التدرج ومعيار التوازن النوني:**

أ- **معيار التدرج:** حيث يلحظ أن ترتيب سيبويه لمخرج الطرفين (الحلق، الشفتين) الذي يتميز بعدم أصالة الإدغام فيه، كان يتوسطه مخرج طرف اللسان، الذي يتميز بأصالة الإدغام في حروفه، لكن الانتقال من مخرج الحلق إلى مخرج الطرف تم بالتدرج، حيث إن مخرج أقصى اللسان (ق، ك) يفصل بينهما، وقد مر أن سيبويه لم يجعل حروفه لا من حروف الحلق ولا من حروف طرف اللسان، إضافة إلى أن الانتقال من طرف اللسان إلى مخرج الشفتين يتم بالتدرج، حيث إن المخرج الشفوي الأسناني يفصل بينهما، وقد مر أن سيبويه لم يجعل الفاء المنحدرة من حروف طرف اللسان ولا من حروف الشفتين.

ب- **معيار التوازن النوني:** جعل سيبويه الخيشوم مخرجا للنون الخفيفة، والخفيفة مصطلح جامع لعدة ألوفوونات، وهي كل صور النون النطقية إذا وليها حرف من حروف الإخفاء –وسيأتي الحديث عنها في آخر الفصل– قال في آخر كلامه عن مخارج الحروف: (ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة)[2] ومن هذا النص يمكن أن يستنتج:

---

1 نقل ابن الباذش من أن أحمد بن أبي سريج، روى عن الكسائي، إدغام الميم في الفاء، ووجه الكسائي قراءته؛ بأن الفاء من حروف الشفة، وأن الباء مجهورة والفاء مهموسة، انظر: ابن الباذش: كتاب الاقناع في القراءات السبع، 1/177-178و1/180-181.

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 434.

أن سيبويه جعل مخرج الخيشوم آخر المخارج ومخرجا لبعض ألوفونات النون، وهذا ما لم يفعله مع سائر الحروف، لا لكونه مخرجا مستقلا أو هامشيا، وإنما فقط للتوضيح بأنه معيار جمالي أكثر منه وظيفي.

ويلحظ أن **النون** كانت **المعيار المعول عليه في إحداث التوازن**، حيث يوجد حيز الحروف غير الأصيلة في باب الإدغام على طرفي القناة الصوتية (الحلق، الشفتين) يتوسطها حيز الحروف الأصيلة في باب الإدغام، هذه الحروف تنتمي إلى حيز طرف اللسان الذي تخرج منه **النون**، ويفصل بين حيز الحروف الأصيلة وغير الأصيلة مخرج عدت حروفه في ضوء نظرية سيبويه محايدة من الناحية الإدغامية تعمل على تدرج الانتقال، وجلب ذوق جمالي من خلال التوازن والتناظر بين الأحياز الثلاثة.

ويرجع –حسب رأيي– اختيار سيبويه للنون كي تكون **معيارا للتوازن**، أنها الحرف الوحيد في لغة العرب، الذي يمتلك علاقات إدغامية مع كل حروف العربية (إدغاما وإخفاء وإقلابا) ما عدا حروف الإظهار الست، كما أنه الحرف الوحيد الذي ينتقل في حركته الإدغامية إلى الأمام (كإدغامه في الميم مثلا) وإلى الخلف (كإدغامه في الياء وإخفائه عند القاف مثلا)، ومن هذا يستنتج أن أصل الإدغام في حروف طرف اللسان ترجع أساسا لحرف النون، فمعيار التوازن مؤسس على مقولتي الكثرة (كثرة الألوفونات) والأصالة. وسيأتي لاحقا أن قوة النون في باب الإدغام وكثرة أمثلتها فيه يرجع إلى اجتماع **الأصالة والغنة** فيها، وهذا مالم يتأت لا للميم ولا لأي حرف من حروف طرف اللسان.

ولأجل هذه الخصائص، اختار سيبويه النون كي تكون **معيارا ضابطا**؛ تجعل تصنفه يتسم بالتوازن والتناظر من حيث الإشكالات التالية:

أ- **تقسيم الحروف إدغاميا إلى حروف سافلة وحروف مرتفعة:** قال سيبويه: (وإنما فتحوا هذه الحروف؛ لأنها سفلت في الحلق[1] فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما **ارتفع من الحروف** فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف وإنما الحركات من الألف والياء والواو، وكذلك حركوهن؛ إذ كن عيناتٍ ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء؛ لأنهما من **الحروف التي ارتفعت والحروف المرتفعة حيزٌ على حدةٍ** فإنما تتناول للمرتفع حركةً من مرتفع، وكره أن يتناول للذي قد **سفل** حركةٌ من هذا الحيز)[2] **فالحروف السافلة** هي الحروف التي تظهر عندها النون، **والحروف المرتفعة** هي التي تخفى أو تدغم أو تقلب عندها النون.

---

1- السفول والارتفاع لقب أطلقه سيبويه على حروف الحلق والفم والشفتَين، فالسفول لحروف الحلق والارتفاع لباقي حروف الفم والشفتين، (عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص:155و 280 بتصرف)، وجاء هذا في معرِض حديث سيبويه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً، كما هو موضح في النص أعلاه،وقال سيبويه عن الغَين والخاء: (لأنَّهما أشدُّ الستَّةِ **ارتفاعاً**) الكتاب 102/4، وذكَر ابنُ دريدٍ أنَّ العَين تَتْلُو الحاءَ في المَدْرَجِ **والارتِفاعِ**، الجمهرة 1/ 6، وسيبويه يعني بالستَّة؛ حروفَ الحلق، من هذه النصوص يستنتج أن السفول والارتفاع يكون بحسب تتابع الأصوات في المخارج من أبعد نقطة في الحلق إلى أدناها في الشفتين، فتكون بذلك حروف الشفاه أعلى الحروف وحرف الحلق أسفل الحروف، وهذا يجعلنا نفرق بين مصطلحي سفول وارتفاع، وبين مصطلحي الاستعلاء ومقابله الاستفال، حيث يشير الاستعلاء إلى كفية نطق تصاحب بعض الأصوات التي مخرجها من أقصى اللسان، وهي الخاء والغين والقاف، أو تكون حركة اقصى اللسان مصاحبة لنطق بعض الأصوات الأمامية وهي حروف الإطباق (ض، ص، ط، ظ) واللام والراء المفخمتين، وباقي حروف الفم مستفلة، والذي يجعلني أطمئن لهذا القول (كون السفول ليس الاستفال المقابل للاستعلاء، وليس الارتفاع هو الاستعلاء) هو جعل سيبويه في النص أعلاه الياء من الحروف المرتفعة، ولوكان السفول الذي وصف به حروف الحلق الستة هو الاستفال المقابل للاستعلاء لكان حريا به أن يصف الياء بالسفول لأنها ليست من حروف الاستعلاء.

وقريب من هذا التقسيم الذي أتى به سيبويه، تقسيم بعض علماء الصوت المحدثين المخارج إلى قسمين كبيرين:

3- **مواضع النطق العمودية:** وهي مجموعة مواضع النطق الممتدة من البلعوم إلى الحنجرة.

4- **مواضع النطق الأفقية:** ويشمل مواضع النطق الممتدة من الشفتين حتى اللهاة، انظر سلمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص 93.

2 سيبويه: الكتاب، 101/4.

ب- **تقسيم الحروف بحسب الأصالة وعدمها في باب الإدغام، إلى حروف الفم واللسان وحروف الطرفين:** فحروف الفم واللسان تنتمي إلى **حيز حرف النون،** الذي اتخذ **معيارا للتقسيم،** وحروف الطرفين (حروف الحلق والشفتين) لا تنتمي إلى **حيز حرف النون.**

ت- **تعيين مخرج بعض الحروف التي يمكن أن تنتسب إلى مخرجين متباعدين:** فالواو التي يمكن عدها حنكية قصية بحسب أول نقاط الإلتقاء، أو شفوية بحسب العضو الأكثر وضوحا في نطقها.[1] **فمعيار التوازن النوني** حسم الأمر لسيبويه، حيث جعل مخرج الواو من الشفتين، حيث إن النون تخفى عند حروف أقصى الحنك كالكاف والقاف (على اعتبار أن الواو حنكية قصية)، لكنها تدغم في الواو كما تدغم في الميم وتقلب مع الباء الشفويتين، **فمعيار النون** يحتم نسبتها إلى مخرج الشفتين حيث مخرج الميم التي تندغم فيها النون، وهذا **المعيار** يتماشى مع منهجه القائم على تعليل الصفات الصوتية بحسب أحكام الصرف العربي. قال سيبويه: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك)[2] إن أي تغيير مهما كان بسيطا في **المنهج** أو في **معاييره الضابطة،** تؤدي إلى أحكام ونتائج مختلفة جذريا، وخير مثال على

---

1 كان الخليل بن أحمد أسبق من سيبويه في تصنيف الواو مع الحروف الشفوية، حيث يلحظ أن للخليل تصنيفان للأصوات، الأول **معجمي** أساسه التنافر والتآلف يهدف إلى معرفة الأصيل من الدخيل لبناء معجم للعربية، والثاني أساسه **صرفي** تضبطه العلاقات الصرفية كالإدغام والإبدال، والدليل على ذلك أنه نص على دور الأسنان في إنتاج صوت الفاء، وجعل الواو شفهية، وذلك في رواية النظر بن شميل لمقدمة كتاب العين التي أثبتها أبو حيان الأندلسي، قال: (الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا، ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين) وهكذا يكون الخليل هو من نبه سيبويه إلى إمكانية تصنيف الحروف بأكثر من طريقة، ولكل طريقة أسس وأهداف. أبو حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 30.

2 سيبويه: الكتاب 4/ 436.

ذلك: أن الخليل بن أحمد نسب الواو لمخرج الجوف، قال: (وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة)[1] وذلك أن منهج الخليل قائم على **معيار التنافر والإتلاف**، والواو المدية –ونصف المدية كذلك–[2] وأخواتها من حروف الجوف أو العلل (ء، ا، و، ي) لا تتنافر مع باقي الحروف، فمنهج الخليل منهج معجمي **ومعياره الضابط هو التنافر والإئتلاف**.

فقد فطن سيبويه إلى جعل طرف اللسان حيزا عاما لحروف وسط اللسان ولحروف الحافة واللثة، **وهذا تطويعا للمعطيات التشريحية والفيزيائية لتتلائم مع معطيات النظام اللغوي**، وهذا المبدأ قد سبقه إليه الخليل مع اختلاف في المنهج والأهداف، وهذا الجمع مبرر في ضوء منهجه الذي يبحث عن تفسير لظواهر الإدغام وغيرها من الظواهر الصوتية–الصرفية، فهذه الحروف تدخل في علاقة إدغامية كما حددها سيبويه في هذا النص: (ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشرة حرفاً **لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام** وكثرة موافقتها لهذه الحروف من **طرف اللسان** وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف **طرف اللسان** وحرفان خالطا حروف اللسان فلما اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام **لم يجز إلا الإدغام** ... والأحد عشر حرفاً؛ **النون والراء** والدال والتاء و**الصاد** والطاء و**الزاي والسين** والظاء والثاء والذال، واللذان خالطاها الضاد والشين لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء، وذلك قولك النعمان والرجل وكذلك سائر هذه الحروف)[3]

---

1 الخليل: كتاب العين، 41/1.

2 يبدو لي أن الخليل كان يعامل الواو والياء نصف مديين معاملة نظائرهما المدية، في تصنيف المعجمي المشار إليه في الهامش سابقا، لأنه لم يتكلم في مقدمته عن مخرج للياء والواو نصف مديين، واكتفى بذكر مسمى الياء والواو مع حروف العلل، وقد نوقشت هذه المسألة في الفصلين الأول والثاني.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 457.

واستعمَل سيبويه "**طرفَ اللِّسان**" كجزء مشاركٍ مع الحنكِ أو الأسنانِ في خروج الأصوات التالية: اللام والنُّون والراء/ والطاء والدال والتاء/ والصاد والسين والزاي/ والظاء والذال والثاء.[1]

إن التحديد المخرجي والصفاتي للحروف عند القدامى، لم يتم بعيدا عن معطيات النظام اللغوي وهذه ميزة حسنة للصوتيات العربية؛ إذ أصبح للعربية قواعد هامة، على أساسها يفهم ميكانيزم أو طريقة اشتغال اللسان العربي، وتفسر مختلف التغيرات الصرفية – المشروطة بالسياق– أو الطارئة على الكلم العربي.

من هذه النصوص يستنتج، أن **طرف اللسان** هو ذلك الجزء الممتد من رأسه المقابل للأسنان إلى مخرج الشين.

جعل سيبويه "**حروف طرف اللسان**" حيزا يفسر به علاقة الإدغام القائمة بين حروفه، فذكَر أن اللاَّم أدغِمت في الرَّاء للمقاربَة في **طرف اللِّسان**، وأنَّ النُّون أدغِمت مع الرَّاء لقرب المخرجَين على **طرف اللِّسان**،[2] وجعَل هذا القُرْبَ بين النُّونِ والراءِ العلَّةَ الصوتيَّةَ في إدغام النُّون في الياء؛ لأنَّه ليس مخرجٌ **من طرفِ اللِّسان** أقرب إلى مخرجِ الرَّاء من الياء، وكذلك إلى اللام؛ إذ الياءُ أقرب الحروف إليهما فساغَ لذلك إدغامُ النُّونِ في الياء.[3] ومن هنا نخلص إلى أن **معيار المقاربة** أحد **المعايير الظابطة (معيار منهجي)** عند سيبويه.

وتعليلُ سيبويه يُعدُّ من القواعد الصَّوتيَّة المحددة للإدغامُ بسببِ قُرْبِ المُجَاوِر.[4]

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/ 433، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه، 5/390–391.

2 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 452.

3 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 452 – 453.

4 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 196.

ولقَّب سيبويه الحروفَ التي يَشْتَرِكُ فيها **طرفُ اللِّسان** مع الحنك والأسنان: "**حروف طرف اللِّسان**" وهي أحدَ عشر حرفاً: النُّونُ والراءُ، والطاءُ والدال والتاء، والصاد والسين والزَّاي، والظاء والذال والثاء،[1] واللام معها لأنها أخت في المخرج وصفة الانحراف للراء والنون، ولم يصرح بها سيبويه؛ لأنه كان يتكلم عنها عندما ذكر خاصية الإدغام في الحروف الشمسية، كما أن منهجه يقتضي عدم ذكر إدغام الحرف في نفسه، ربما لأنه يراه أولى من إدغامه في مقاربه،[2] قال: (ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشرة حرفاً **لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام** وكثرة موافقتها لهذه الحروف من **طرف اللسان** وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف **طرف اللسان** وحرفان خالطا حروف اللسان فلما اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام **لم يجز إلا الإدغام**)[3]

ولقَّب سيبويه الحروفَ التي يَشْتَرِكُ فيها طرفُ اللِّسان مع الأسنان الأماميَّة: "**حروف طرف اللِّسان والثنايا**" وهي تسعةُ أحرف: الطاءُ والدالُ والتاءُ، والصَّادُ والسينُ والزَّايُ، والظاءُ والذالُ والثاء[4]

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/ 457.

2 أو ربما كان متأثرا ببلاغة القرآن الكريم، الذي أحجم في عدة مواضع عن ذكر الأولى إكتفاء بذكر الأقل أولوية، كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَى ربكَ أَلا تعْبدُوا إلا إيَّاهُ وَبالوَالدَيْن إحْسَانا إما يَبلغَن عِندَكَ الكِبر أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فلا تقُل لهُما أُف وَلا تنهَرهُما وَقُل لهُما قَوْلا كَريما﴾ الإسراء23 إذ الأولى منه؛ لا تضربهما ولا ترهقهما ولا تحملهما على الكفر ولا تمتنع عن خدمتهما...الخ، وتجنبا للإطناب ذكر الأقل أولوية الممكن حصره؛ مستغنبا به عن الأولى الذي يطول ذكره. أقول ربما تأثرا ببلاغة القرآن أسس سيبويه للغته العلمية، ولا ننسى شدة الإيجاز التي ميزت لغة شيخه الخليل؛ حتى لا تكاد تفهم عبارته إلا بطول تدبر وحملا على عدة وجوه.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 457.

4 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/ 465.

✓ **العلاقات الإدغامية في حروف حيز طرف اللسان:**

3- **وسَطُ اللِّسان:**

جعله الخليل للأصوات التالية: الجيم والشين والضاد، قال: (والجيم والشِّين والضاد **شّجْريّة** لأن مَبْدَأها من **شجْر الفم**، أي مَفرج الفَم)[1]

وهذا باعتبار معلم سقف الفم لوحده، فهذه الأصوات تنطق باعتماد وسط اللسان على ما يقابله من الحنك بما في ذلك الأضراس، قال سيبويه: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد)[2] **فالضاد شجرية** لأنها من الأضراس وهذه المنطقة تسمى عند الخليل **شجر الفم.**

ولا يخفى التقارب الشديد في مخرج الأصوات التي نسبت لشجر الفم ووسط اللسان وأسلته وحافته في التراث العربي، لذا كان تحديد العلماء العرب يتوسع عند بعضهم حتى يشمل حروفا جعلها غيره من مخرج خاص.[3]

لقد جعل الخليل الضاد شجرية، وجعلها سيبويه حافيَّة، وكلاهما مصيب، فهي تبدأ من حافة وسط اللسان مستطيلة حتى تتصل بمخرج الطاء.

والسبب –حسب رأيي– في هذا الخلاف هو اختلاف المنهجية المتبعة لتصنيف العناصر اللغوية، حيث اعتمد الخليل على **معيار التنافر والإئتلاف**، فلما وجد حروف الحافة (اللام، الراء، النون إضافة إلى الحروف الشفوية) ذات علاقة مع بناء الكلم العربي الأصيل ما فوق الثلاثي والتي سماها بحروف الذلاقة، فلما لم يكن للضاد دور معها عزله عنها، أما

---

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 41/1.

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 433 .

3 مثلا جعل الخليل الجيم والشين والضاد من شجر الفم، في حين أضاف إليها سيبويه الياء وأسقط الضاد التي جعلها من مخرج مستقل، انظر: الخليل بن أحمد: كتاب العين، 41/1. وسيبويه: الكتاب 4/ 433.

سيبويه فقد اعتمد على **معيار العلاقات الإدغامية**، فالذي لاحظته أن الضاد عند سيبويه لا يدغم فيها إلا مثلها، مثلها مثل الياء والجيم، إلا أن النون تدغم في الياء بغنة وبلا غنة، فهذا يعوضه أنها تخفى عند الجيم والضاد، وهذا يعدل الكفة. كما أن حروف وسط اللسان تجمعها خاصية عدم إدغامها في غيرها، نظرا لقوة صفة التفشي، قال الصيمري (عاش في القرن 4هـ): (والشين تدغم في مثلها فقط نحو أخمش شيئا، ولا تدغم في غيرها، لئلا يذهب ما فيها من التفشي)[1] والتفشي صفة نجدها بصفة أقل من االشين في الضاد[2] ثم في الجيم، قال صاحب حماة: (وإنما أدغمن اللام في الشين ولم تدغم الجيم؛ لنقص الجيم عن الشين في التفشي والإستطالة قليلا)[3]

فالإعتبارات الإدغامية تحتم تصنيف الضاد من حافة اللسان، أما الإعتبارات المعجمية الخليلية فتحتم تصنيفها من وسط اللسان أو شجر الفم، وعليه فالقول بأن الضاد حافيّة أو شجرية، يعكس فقط وجهة نظر تضنيفية.

تدخل أصوات وسط اللسان في علاقات إدغامية شديدة التداخل، لكثرتها وكثرة الإدغام فيما بينها. وذلك كالآتي:

**1- الإدغام في الشين:**

أ- **إدغام حروف وسط اللسان في الشين:** تدغم الجيم في الشين وهو حسن والبيان حسن، لأنهما من مخرج واحد، قال سيبويه: (الجيم مع الشين،

---

1 أبو محمد بن عبد الله الصيمري: التبصرة والتذكرة، تح: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار الفكر-دمشق ط1/1982م، 952/1.

2 انظر: ابن الجزري: التمهيد، ص: 39.

3 عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي الشهير بصاحب حماة(ت732هـ): كتاب الكناش في النحو والصرف، ، تح: عصام بن حسن خوام، المكتبة العصرية-لبنان، ط1/2000، 326/2.

كقولك: ابعج شيئاً، الإدغام والبيان حسنان؛ لأنهما من مخرج واحد وهما من حروف وسط اللسان) [1]

ب- **إدغام حروف طرف اللسان والثنايا في الشين:** يدغم في الشين حروف طرف اللسان وأصول الثنايا: الطاء، الدال، التاء، وحروف طرف اللسان وأطراف اللثنايا: الظاء، الذال، الثاءّ، (إضافة إلى اللام)، حيث إن في الشين تفشيا، وهو من أقوى الصفات، وإدغام غيرها فيها لا يذهب هذه الصفة, وهو شرط الإدغام،[2] قال ابن عصفور: (وتدغم فيها الجيم ...والطاء والدال والتاء والظاء والذال واللام. أما إدغام الجيم فيها فلكونهما من مخرج واحد. وأما إدغام سائر الحروف فيها فلأنها استطالت بالتفشي الذي فيها، حتى اتصلت بمخرجها، فجرت لذلك مجرى ما هو من مخرج واحد، والبيان عربي جيد، لبعد ما بينهما وبينهن)[3]

**2- الإدغام في الجيم:**

✓ **إدغام حروف وسط اللسان في الجيم:**

أ- **لا يدغم في الجيم غير الجيم:** وهذا مذهب سيبويه، الذي لم يصرح به؛ لأن منهجه يقتضي ألا يذكر إدغام أي حرف صامت في نفسه، ربما لأنه أولى من إدغامه في مقاربه أو مقاربه فيه.

ب- **لا يدغم الشين في الجيم:** لم يذكر سيبويه إدغام الجيم بتاتا، وهذا يعني أنها لا تدغم الشين فيها، ولا أي حرف آخر، لأن في الشين تفشيا، والتفشي من صفات القوة، وهو انتشار خروج الريح حتى يتصل بمخرج غيره، فلو أدغمت لذهبت بمخرج الشين المستطيل، فالشين عند سيبويه فيه **استطالة وتفش:** قال:

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 452/4.

2 قال المبرد: (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)، المقتضب، 211/1.

3 ابن عصفور: الممتع في التصريف، 688/2.

(ومن الحروف حروفٌ لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها وتلك الحروف الميم والراء والفاء والشين...والشين لا تدغم في **الجيم**؛ لأن **الشين استطال مخرجها** لرخاوتها **حتى اتصل** بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها و**التفشي**، فكرهوا أن يدغموها في الجيم كما كرهوا أن يدغموا الراء فيما ذكرت لك)،[1] قال سبط الخياط (ت541هـ): (واعلم أن من حروف المعجم تسعة أحرف لم تلق مثالها فتدغم، فيها ولا تدغم هي فيما قاربها إلا على الشذوذ ... الخاء والطاء والظاء والصاد والضاد **والشين** والزاي).[2]

- ✓ **إدغام حروف طرف اللسان والثنايا في الجيم:**

ذكر بعض النحاة إدغام حروف طرف اللسان والثنايا في الجيم، حيث تدغم الطاء وأخواتها، والظاء وأخواتها في الجيم ولم يذكره سيبويه،[3] ربما لشذوذه وعدم إطراده، فالملاحظ أن ما ذكره سيبويه عن الإدغام هو المسموع المقيس، إلا ما نبه على شذوذه، ويدعم هذا الرأي منهجيته، حيث عامل حروف وسط اللسان معاملة حروف طرف اللسان، وحروف الحيز الواحد كحروف المخرج الواحد لا يشترط الترتيب فيما بينها في باب الإدغام، فكما تدغم السين في الزاي والعكس، تدغم –على غير رأي سيبويه– الجيم في الطاء والعكس صحيح، وهذا لا يخل **بقانون الأخرج (يسير الإدغام في اتجاه أمامي)**؛ لأن هذا القانون

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/448–449.

2 سبط الخياط البغدادي –ابي محمد عبد الله بن علي– (ت541هـ): كتاب المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي، رسالة دكتوراه، إعداد الطالبة وفاء عبد الله قزمار، إشراف الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، 1984–1985ن مخطوطة بجامعة أم القرى، 1/ 133–134.

3 انظر: الصيمري: التبصرة والتذكرة، 945/1 وما بعدها، وعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي الشهير بصاحب حماة(ت732هـ): كتاب الكناش في النحو والصرف، 326/2، ومحمد بن عبد الله محمود (ت819هـ): الكفاية في النحو، 338/2.

المستنتج من ملاحظة سلوك الأصوات الإدغامي، ينطبق فقط على الأحياز، فحيز الشفتين لا تدغم حروفه في حيز طرف اللسان، وهذا الاخير لا تدغم حروفه في حر وف أقصى اللسان (ق، ك) وهكذا.

**لذلك فمنهجية سيبويه عالجت ما ذكره من الإدغام وما أهمله، بقوانين وتعليلات واحدة.**

### 3- الإدغام في الياء نصف المدية:[1]

#### أ- إدغام حروف وسط اللسان في الياء:

- ✓ **إدغام الياء في الياء:** لا تدغم الياء نصف المدية إلا في نفسها جوازا، وذلك إذا كان الإدغام منفصلا (أي بين كلمتين)، وهذا ما لحوظ من الأمثلة التي ساقها سيبويه،[2] لكن الياء نصف المدية (والواو والهمزة كذلك) يدغمن في أنفسهن إذا كنَّ عينات مثل، قيّد، قوَّل، رأّس، ولا شك أن سيبويه يعلم ذلك، لكن منهجه يقتضي عدم ذكر إدغام أي حرف في نفسه، لأنه –حسب رأيي– أولى من إدغامه في مقاربه، قال سيبويه عن **إدغام أنصاف المديات:** (وتقول: هذا دلو واقدٍ، وظبي ياسرٍ، فتجري الواوين والياءين هاهنا مجرى الميمين في قولك: اسم موسى، فلا تدغم. وإذا قلت: مررت بولي يزيد، وعدو وليدٍ، فإن شئت أخفيت[3] وإن شئت بينت، ولا تسكن لأنك حيث أدغمت الواو في عدوٍ، والياء في ولي، فرفعت لسانك رفعةً واحدة ذهب المد وصارتا بمنزلة ما يدغم من غير المعتل، فالواو الأولى في عدوٍ بمنزلة اللام في دلوٍ، والياء الأولى في ولي بمنزلة الياء في ظبي، والدليل على ذلك، أنه يجوز في القوافي: "ليا" مع قولك: "ظبيا"، ودوا

---

1 الإدغام من خصائص الحروف الصامتة وأنصاف المديات (و، ي)، لهذا فالياء المدية وأخواتها لا يدخلها الإدغام.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 442/4.

3 يطلق البصريون على الإدغام أحيانا الإخفاء، انظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، 701/2، و719.

مع قولك غزوا )[1] ويمتنع الإدغام بين حرف المد (الواو والياء الطويلتين) ونظيرهما نصف المديين (الواو والياء نصف المديين) [2]

- ✓ **لا تدغم الجيم في الياء نصف المدية:** وإن كانت من مخرجها؛[3] لأن الياء حرف علة،[4] وحروف العلة بائنة من جميع الحروف، بأنها لا يمد صوت إلا بها؛ لأن الحركات بعضها، ولذا كانت منفردة بأحكام لا توجد لغيرها[5]. قال سيبويه: (ولا تدغم **الياء وإن كان قبلها فتحة** ولا **الواو وإن كان قبلها فتحة** مع شيءٍ من المتقاربة، لأن فيهما ليناً ومداً، فلم تقو عليهما الجيم والباء ولا ما لا يكون فيه مدٌ ولا لينٌ من الحروف أن تجعلهما مدغمتين، لأنهما يخرجان ما فيه لينٌ ومدٌ إلى ما ليس فيه مدٌ ولا لينٌ...فلم تقو المقاربة عليها لما ذكرت لك، وذلك قولك: رأيت قاضي جابرٍ، ورأيت دلو مالكٍ، ورأيت غلامي جابرٍ، ولا تدغم في هذه الياء الجيم وإن كانت لا تحرك، لأنك تدخل اللين في غير ما يكون فيه اللين وذلك قولك: أخرج ياسراً، فلا تدخل ما لا يكون فيه اللين على ما يكون فيه اللين، كما لم تفعل ذلك بالألف، وهذا ما يقوي ترك الإدغام فيهما وما قبلهما مفتوح، لأنهما يكونان كالألف في المد والمطل، وذلك قولك: ظلموا مالكاً، واظلمي جابراً)[6]

---

1 سيبويه: الكتاب، 442/4.

2 سيبويه: المرجع نفسه ، 442/4.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 446/4-447.

4 الياء التي يتكلم عنها العلماء هنا هي الياء نصف مدية، والمقصود بعليتها هنا، أنها قد تتغير في السياق، نحو: يبيع، بَيْع، باع...الخ، فاختلاف صنف الحرف بين الجيم الصحيحة والياء المعتلة، منع قانون المقاربة من العمل.

5 انظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، 686/2,

6 سيبويه: الكتاب، 446/4-447.

**ب- إدغام حروف طرف اللسان في الياء:**

لا يدغم في الياء من حروف طرف اللسان كلها إلا حرف واحد من حروف الحافة وهو النون الخفيفة، فاللين –كما يستنتج من منهجية سيبويه– من أقوى الصفات لذا لا إدغام في حروف اللين، غير أن الياء والواو نصف المديتين تخفى عندهما النون، لأن الغنة تشبه المد واللين[1]، قال سيبويه: (وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة، لأن الياء أخت الواو، وقد تدغم فيها الواو، فكأنهما من مخرج واحد، ولأنه ليس مخرجٌ من طرف اللسان أقرب إلى مخرج الراء من الياء؛ ألا ترى أن الألثغ بالراء يجعلها ياء، وكذلك الألثغ باللام، لأن الياء أقرب الحروف من حيث ذكرت لك إليهما)[2]

ونظرا للعلاقة الإدغامية بين حروف وسط اللسان وحروف طرف اللسان، حيث تدغم لام التعريف وجوبا في الشين، وقد تدغم لام هل وبل، في الشين في لهجة أهل الحجاز، فإن سيبويه يعد **وسط اللسان** جزء من **طرف اللسان**، وسيأتي بيان هذا في أوانه.

**4- حَافَّةُ اللِّسَان Latérale/ Le Bord de La Langue:**

يدخل هذا المخرج ضمن حيز طرف اللسان، وهو يقابل مخرج الشدق عند الخليل، فمصطلح "**الشدق**" باعتبار معلم الحنك، ومصطلح "**حافة اللسان**" باعتبار معلم اللسان، ومصطلح "**حافة اللسان وما يقابلها من الحنك الأعلى**" أو "**الأضراس**" باعتبار المعلمين معا.

ويوصف الصوت الذي يخرج من حافة اللسان أو الشدق بالانحراف، لذا فهناك علاقة بين **التحديد المخرجي والصفاتي** للأصوات الحافيَّة **(ض، ل، ر، ن)** تتمثل فيما يلي:

---

1 ابن جني: سر صناعة الإعراب 2/ 435.

2 سيبويه: الكتاب، 453/4.

**أ- من حيث التحديد المخرجي:**

استعمَل سيبويه مصطلح: "**أوَّل حافَّة اللِّسان**" -بعدَ ذِكْرِهِ لمخرج الجيم والشين والياء- كجزءٍ مشاركٍ مع الأضراس في مخرج الضاد، وهذا تمييزا للضاد التي ليس لها نظير، إذا زال عنها الإطباق صارت إليه عن باقي حروف الشجرّ، قال: (ومِن بَين أوَّلِ حَافَّةِ اللِّسانِ، وما يَلِيهَا مِن الأضراس تَخرُجُ الضَّادُ)[1] وقال: (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها)[2]

لقد جاء هذا التمييز الدقيق في المخارج والصفات مع إعمال **معيار الإلغاء الخليلي** أحيانا، **ليتناسب التحديد المخرجي والصفاتي مع معطيات النظام اللغوي**، فسيبويه يبحث عما يخدمه في **باب الإدغام**، ليقف على حقيقة القوانين المنظمة له ولغيره من الظواهر الصرفية الصوتية: كالإعلال والإمالة والوقف...قال: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك)[3]

وقال ابن عصفور: (وإنَّما ذكرتُ صفات الحروف؛ لأنَّ إدغام المتقاربَينِ يُبنَى عليها أو على أكثرها)[4]

واستَعمَل سيبويه بعدَ وصفهِ للضاد مصطلح: **(أدنى حافَّةِ اللِّسان إلى منتهى طرفِه)** كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللاَّم، النون، الراء.[5]

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 433 .

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 436.

3 سيبويه: المرجع نفسه ، 4/ 436.

4 ابن عصفور: الممتع، 1/ 430.

5 انظر: سيبويه: الكتاب، 433/4 – 434، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه، 390/5.

وذكَر ابنُ الوزَّان النحويّ (ت346هـ) أن اللاَّم والرَّاء تخرُجان من **(حافَّة اللِّسانِ)**، قال: (ولا اللام تدغم في الراء...لأنهما **من حافة اللسان** متقاربان، ولا تدغم الراء في اللام لأن الراء فيها تكرير)[1]

**ب- من حيث تحديد الصفات (كيفية الخروج):**

فرق سيبويه بين مخرج اللام الذي يكون بطرف اللسان وبين مكان خروج الهواء الحامل للصوت من ناحيتي مستدق اللسان، لهذا استَعمَل عبارتي: ***المنحرف، ناحيَتَي مُستَدَقِّ اللِّسَان***، لتعيين مكان تسرب الهواء المنحرف بعيدا عن المخرج أو نقطة الاعتراض المركزية، قال: (ومنها المنحرف وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام، وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة لأن **طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه** وليس يخرج الصوت من **موضع اللام** ولكن من ناحيتي مستدقٌ اللسان فويق ذلك)[2] وقد أكد هذا ابن عصفور قال: (وأما اللام فإن الصوت يمتد فيها؛ لأن **ناحيتي مستدق اللسان تتجافيان**[3] فيخرج الصوت منها، ولا يخرج من موضع اللام؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى)[4] فالهواء لا يخرج من موضع أو مخرج اللام؛ لأن اللسان مازال يصنع حبسة تمنع الهواء من الخروج منها، وتدفعه للانحراف إلى موضع آخر.

أما مصطلحُ الشدق، فقد استُعمِل في التراث العربي في تبيين مخرجَي الكسرةِ والضَّاد،[5] ومن خلال تتبع وصف القدامى، يتبين أن الشدق والشق للحنك والحافة للسان.

---

1 الزبيديُّ ابي بكر بن محمد الحسن الأندلسي: طبقات النحويِّين واللُّغويِّين، ص: 249 .

2 سيبويه: الكتاب 4/ 435.

3 أي ترتخيان

4 ابن عصفور: المقرب، 7/2.

5 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 162.

ويرجع أول استعمال مسجل وصل إلينا لمصطلحي: "**الشدق/حافة**"، للخليل بن أحمد الفراهدي (ت175هـ)، جاء في مقدمة كتاب العين التي رواها أبو حيان الأندلسي: (الضاد من **حافة المنباس** وما يليها من الأضراس...لأن بعض الناس يخرجها من **الشدق الأيمن** وبعضهم يخرجها من **الشدق الأيسر**)[1]

وتابعه سيبويه (ت185هـ)،إذ جعل مخرج الضاد من بين أول **حافة اللسان وما يليها من الأضراس**، وهذا معناه أنها جانبية، كما أشار إلى الضاد الضعيفة–وهي من جملة الأصوات غير مستحسنة عنده– ووصفها بأنها صوت جانبي، وذكر أنها تتكلف من **الجانب الأيمن**، أو من **الجانب الأيسر** وهو أخف.[2]

وتابع الفرَّاء (ت207هـ) سيبويه، فذكر أنَّ ثِقَلَ الكَسْرَةِ ناشئٌ عن جانبية مخرجها، قال عن ثقل الضمَّة والكسرة وخفَّة الفتحة: (فإنما يُسْتَثْقَلُ الضَّمُّ والكَسْر؛ لأنَّ لمخرجَيهما مَؤونةً على اللِّسان والشفتَين، تَنْضَمُّ الرَّفعةُ بهما فيُثقل الضَّمَّة، ويُمَالُ أحدُ **الشِّدْقَيْن** إلى الكَسْرَة، فتَرَى ذلك ثَقيلاً، والفتحةُ تَخْرُجُ مِن خَرْقِ الفَم بلا كُلْفَةٍ)[3]

وتبين نصوص قديمة أن الحروف الجانبية: ل، ض، **حروف شدقية**، وقد عرفت العربية القديمة بفرعيها الشمالي والجنوبي استعمال **الحافة اليسرى** في نطق الضاد[4] واللام.

---

1 أبو حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 24–25، وأحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 111.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 4 / 573.

3 الفراء: معاني القرآن، 2/ 13.

4 انظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية، ص: 28.

قال الأخفش الأوسط (ت 215هـ) في وصف مخرج اللاَّم (إلا أنَّ اللامَ **بالشِّقِّ** الأيمنِ أدخلُ في الفم)[1]

وقال ابنُ دُرَيد (ت321هـ) في وصفِ النُّون واللام والراء: (ثمَّ النُّونُ تحتَ حَافَّةِ اللِّسانِ من **الشِّقِّ الأيمن**، واللاَّمُ قريبةٌ من ذلك، والراء إلا أن الراء أدخل منه بطرف اللسان في الفم)[2] والقول بجانبية النون انفرد به ابن دريد، أما كونها منحرفة فلأن هواءها ينحرف إلى الأنف ويخرج منه.

وقال أبو جعفر النحَّاس (ت338هـ) في وصف الضَّاد، ناسباً ذلك إلى الخليل وسيبويه، قال: (وزعَم الخليلُ وسيبويه أنَّ الضادَ تَخرُجُ من **الشِّقِّ اليمين**، ولبعضِ الناسِ من **الشِّقِّ الشِّمال**)[3]

ومن هذا يستنتج أن **حروف الشدق هي حروف حافة اللسان**. وأن نسبة الحروف إلى الشدق أو جانب الفم كان باعتبار معلم واحد، لذا فالحروف الشدقية هي حروف جانب اللسان، فحافة اللسان تقابل الشدق من النواجذ حتى مخرج اللام.

إذن فحروف **الشدق** هي حروف **جانب اللسان**، وأن **الأصوات المنحرفة** هي **أصوات شدقية** باعتبار معلم الحنك، **وحافيّة** باعتبار معلم اللسان، وهذا التناوب في الوصف ناتج عن استعمال المعالم وأول من أعمل **معيار المناوبة** هذه هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد أشير إلى هذا فيما سبق.

---

1 الأخفش: معاني القرآن ، 573/2.

2 ابن دريد: الجمهرة 1/ 45، وعبارة "من الشق الأيمن" لم تذكر مع النص، وإنما أشار إليها المحقق في الهامش مثبتة في أحد المخطوطات التي اعتمدها، والقول بحافية النون انفرد به ابن دريد.

3 النحاس: إعراب القرآن 986. وهذا القول أصلُه لا ألفاظُه في كتاب سيبويه 4/ 432، ومن عادة أبي جعفر النحاس أن يَجْمَعَ اسمَ الخليل مع سيبويه إذا كان القولُ لسيبويه على اعتبار أنَّ الكتاب من علم الخليل، انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 163، والحق أنني لاحظت أن معظم المصطلحات التي قام عليها الدرس الصوتي القديم سواء فيما يخص الصوامت أو الصوائت، قد استعملها الخليل أو استنبطت من خلال وصفه لنظام العربية الصوتي.

إذن فالصوتان الحافيّان (ض، ل) يتمتعان بخصوصية في باب الإدغام، وسيزداد الأمر وضوحا عند تحليل مصطلح: "**ظهر اللسان**"، وعند الحديث عن العلاقات الإدغامية لهذه الحروف.

**5- ظَهْر اللِّسان:**

استعمل الخليلُ بن أحمد (ت175هـ) **ظَهْرَ اللِّسان**[1]، لتحديد:

أ- **الجزء الأوسط من اللسان**، المقابل لشجر الفم -الغار الأعلى- حيث نسب الشين صراحة للغار قال: (مخرج الشين بين الغارِ الأعلَى وبين ظَهْر اللَّسان)[2]

ب- **المنطقة الممتدة من مخرج الشين إلى مخرج التاء**، وذلك لوصف انحراف اللام فسيولبوجيا (فهوائه يخرج من إحدى حافتي اللسان) [3] وانحراف النون والراء صفاتيا (انحرفا عن صفة الشدة فلا يمتنع معهما الصوت امتناعه في الحروف الشدة، وعن صفة الرخاوة فلا يجري فيهما الصوت جريانه في الحروف الرخوة، فانحرفا إلى صفة البينية)[4] عن غيرها من حروف ظهر اللِّسان، وربما هذا ما

---

1 يلحظ أن هناك علاقة وطيدة بين المصطلحات المخرجية (ظهر اللسان، الشدق، الاستطالة) ومقابلاتها المصطلحات الدالة على الصفات الفزيائية (الانحراف، التفشي).

2 الخليل بن أحمد: كتاب العين، 37/1.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 4 / 435، وابن عصفور: المقرب، 7/2.

4 انظر: مكي: الرعاية ص: 55، والذي يستنتج من هذه النصوص أن الانحراف ليس معناه أن يخرج الصوت من حافة اللسان كالضاد واللام، بل معناه امتناع خروج الهواء من نقطة الغلق، بسبب قفل مخرج أحد حروف طرف اللسان (ر، ل، ن) حتى يتم فتحة بطريقة تمنع انفجاره أو احتكاكه، فاللام والراء والنون يقفل مخرجها عند اللثة بواسطة طرف اللسان، لكن ارتخاء ناحيتي مستق اللسان يفتحان المسرب مع اللام، وتكرار ضربات اللسان يفتحان مسرب الهواء مع الراء، وارتخاء الحنك اللين يفتح المسرب الأنفي مع النون، ولولا أن الانحراف -تصنيفيا- لا يوصف به إلا بعض حروف طرف اللسان لكانت الميم منحرفة كأختها النون، لأن مخرجها الشفوي سد ممر الهواء وارتخاء الحنك اللين فتح مسرب الأنف؛ إذن الانحراف قد يكون فسيولوجيا (ض، ل) وقد يكون صفاتيا (ن، ر) وعليه يكون الوصف بالانحراف عند مدرسة سيبويه الصوتية لأغراض تصنيفية، تتعلق بجمع الحروف ضمن صفة أو مخرج لخصائص صرفية إدغامية.

جعلها تختص بالذَّلاقة في المنطق، قال: (وأمَّا سائرُ الحُروف فإنَّها ارتَفَعَتْ فوقَ **ظَهْرِ اللِّسانِ** من لَدُن باطِنِ الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين **ظَهْرِ اللِّسان**، ليس للِّسَان فيهنَّ عَمَلٌ أكثرُ من تحريك الطبقتَين بهنَّ، ولم يَنحرفْنَ عن **ظَهْرِ اللِّسَان** انحرافَ الرَّاءِ واللاَّم والنون)[1]

فظهر اللسان هنا هو اعلاه المنبسط، وعنه انحرف هواء الراء وأختيها.

ومن نسبة الراء لظهر اللسان، ومن معنى الظهر الارتفاع يستنتج أن الراء تنطق بطرف اللسان وما يحاذيه من الثنايا العليا، وهنا يلحظ أن الخليل بتعبيره " ارتَفَعَتْ فوقَ **ظَهْرِ اللِّسانِ**" يشير إلى حركة اللسان المرتفعة نحو الأعلى عند نطق هذه المجموعة من الحروف.

أما سيبويه (ت185هـ) فقد استعمل مصطلح: "**ظهر اللسان**" مرة واحدة في كتابه لوصف انحراف الراء، وهو بهذا متأثر بالخليل، ويصبح **ظهر اللسان** المقابل الفسيولوجي أو المخرجي لصفة الانحراف، قال: (ومِن مَخرجِ النُّونِ غيرَ أنه أدْخَلُ في **ظَهْرِ اللِّسَانِ** قليلاً؛ لانحرافِهِ إلى اللاَّمِ مخرجُ الراء)[2]

**لقد أعمل سيبويه معيار الإلغاء الخليلي**؛ حيث لم يجعل أختي الراء (ن، ل) من ظهر اللسان, حيث جاء بمصطلح "**ظهر اللسان**" هنا ليفسر به العلاقات الإدغامية الممنوعة لحرف الراء، فالراء لا تدغم في غيرها للتكرير الذي فيها، ولا يدغم فيعا غيرها إلا النون واللام، لأنهن شاركناها المخرج، وبهذا تصبح صفة التكرير أقوى من صفة الإنحراف في ضوء منهجية سيبويه، قال ابن عصفور: (وأمَّا الراء فلا تُدغَم في شيء؛ لأنَّ فيها تكريرًا؛ ألا ترى أنك إذا نطقت بها تكرَّرت في النطق؟ فلو أدغمتها فيما يقرب منها، وهو اللام والنون، لأذهب الإدغام ذلك الفضل الذي فيها من التكرير؛ لأنها تصير من جنس ما تُدغَم فيه، وما

1 انظر: الخليل: كتاب العين، 37/1.

2 سيبويه: الكتاب، 433/4.

تُدغَم فيه ليس فيه تكرير. فلمَّا كان الإدغام يُفضي إلى انتهاكها بإذهاب ما فيها من التكرار لم يجز. وقد رُوي إدغامها في اللام، ... ولا يُدغَم فيها إلَّا اللام والنون)[1] وقال الزمخشري: (والراء لا تدغم إلا في مثلها، كقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ الكهف24، وتدغم فيها اللام والنون، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ الفيل1 ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ إبراهيم7)[2]

إن وصف الخليل **لحروف ظهر اللسان** بالانحراف والتفشي وبعضها بالاستطالة (ض، ل، ن، ر، ش) أمر شاع في التراث العربي، وهذا يقتضي مستويين من الوصف:

أ- **الأول:** وصف فسيولوجي بحت يذكر كل صفات الحرف دون إعمال **لمعيار الإلغاء**.

ب- **الثاني:** وظيفي له علاقة بالبنية الصرفية يُعْمِل **معيار الإلغاء الخليلي،** ويعمل على مناسبة الوصف المخرجي والصفاتي مع معطيات النظام اللغوي.

وتدخل حروف حافة اللسان في علاقات إدغامية مع بعضها، ومع حروف طرف اللسان، وحروف الشفتين، وحروف وسط اللسان، وباقي حروف الفم (حروف الإخفاء مع النون)، وهي على النحو التالي:

1 ابن عصفور: الممتع، 444/1.

2 الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، 1/ 553.

## 1- أولا العلاقات الإدغامية في حروف حافة اللسان وما يليها من الأضراس (الضاد):

ذهب الصيمري (عاش في القرن 4هـ)، إلى أن الضاد لا تدغم إلا في نفسها، فلا تدغم ولا يدغم فيها لما فيها من الإستطالة التي تذهب بالإدغام، وهو يرى الشذوذ في إدغامها في الشين، لما روي عن أبي شعيب السوسي عن اليزيدي عن أبي عمرو إدغام الضاد في الشين، في قوله تعالى: ﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾النور63.[1]

واستدل على صحة رأيه بما ذهب إليه السيرافي، من أن إدغام الضاد في الشين ليس بالمنكر؛ لأنها مقاربة للشين في المخرج، والشين أشد استطالة من الضاد، وفي الشين تفش ليس فيها، وأن سيبويه حكى: اطّجع، بادغام الضاد في الطاء، فدل ذلك على جواز إدغامها في الشين، لأن الشين أقوى منها وأفشى. [2]

واستدلال الصيمري هذا لا يخلوا من الرد عليه من عدة وجوه:

1- ذكر سيبويه كلمة: **الطجع واظطجع**، مرة واحدة في كتابه،[3] ولم يذكر: اطّجع، التي ذكرها الصيمري والسيرافي بتاتا.[4]

2- ذكر سيبويه كلمتي: "**الطجع واظطجع**"، ضمن "**باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد**" وذلك عند تعليله لسبب إبدال اللام من

---

1 انظر: الصيمري: التبصرة والتذكرة، ص: 953.

2 انظر: الصيمري: المرجع نفسه ، ص: 954، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه، 480/5.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 483/4.

4 انظر: الصيمري: التبصرة والتذكرة، ص: 954، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه، 480/5.

الضاد، قال: ومثل ذلك قول بعض العرب: "الطجع" في "اضطجع" أبدل اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف)[1] وهناك فرق واضح بين الإدغام والإبدال، فسيبويه لم يذكر ولم يعلل لإدغام الطاء في الضاد.

3- ما استدل به الصيمري من رأي السيرافي، هو رأي للكوفيين خالفوا فيه سيبويه، وقد أفرد لذلك السيرافي بابا في آخر شرحه سماه: "**هذا باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره**" ذكر فيه ما ذكره الكوفيون في باب الإدغام، وعلق على مذهبهم بقوله: (ومذهب الكوفيين في الإدغام قليل ليس بعام مستوعب للحروف والكلام عليها، ولم يصنفوا الحروف على ما صنفه سيبويه، ولم يلقبوها كتلقيبه) [2]

إذن المعول عليه في باب الإدغام هو مذهب سيبويه، لأنه مبني على قوانين صارمة ومنهجية علمية، وما ترك الشاذ إلا لأنه لا يخضع لقانون عام، فالضاد جعلها سيبويه تتميز بالحافيّة والاستطالة، وعزلها عن مخرج وسط اللسان –مخالفا بذلك الخليل– لأن الضاد لا يدغم فيها حروف وسط اللسان (ش، ج، ي) عنده، كما لا تدغم في حروف الحافة (ل، ن، ر).

1 سيبويه: الكتاب، 483/4.

2 السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 462/5.

ومذهب سيبويه في إدغام الضاد وغيرها، هو المسموع الموافق للقياس الذي عليه أكثر القراء،[1] فالضاد عنده تدغم فيها حروف طرف اللسان والثنايا التالية: ط، ت، د، ظ، ذ، ث، ص، ز، س، أما الضاد فلا تدغم في غير نفسها لما فيها من الإستطالة والتفشي، والبيان عربيٌ جيد لبعد الموضعين.[2]

- **ثانيا العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان مع بعضها:**

1- **إدغام اللام في الراء:** تدغم اللام في الراء لقرب المخرجين، وكونهما حرفين منحرفين، فلا تذهب صفة اللام إذا أدغمت في الراء، قال سيبويه: (اللام مع الراء نحو اشغل رحبة لقرب المخرجينّ، ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجرى الصوت سواءٌ، وليس بين مخرجيهما مخرجٌ والإدغام أحسن)[3]

2- **إدغام النون في الراء واللام:** تدغم النون في الراء واللام، لقرب المخرجين وكونهم حروف منحرفة، فلا تذهب صفة انحراف النون[4] إذا أدغمت فيهما، كما يمكن الحفاظ على صفة الغنة، قال سيبويه: (النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة وذلك قولك: من راشدٍ، ومن رأيت، وتدغم بغنةٍ وبلا غنةٍ، وتدغم في اللام؛ لأنها قريبةٌ منها على طرف اللسان، وذلك قولك: من لك، فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة، فتكون بمنزلة

---

1 ما خولف فيه سيبويه يعزى عادة إلى مدرسة الكوفة، خاصة الكسائي والفراء، وقد أفرد لذلك السيرافي بابا في آخر شرحه سماه: هذا باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره"، ذكر فيه ما ذكره الكوفيون في باب الإدغام، وعلق على مذهبهم بقوله" (ومذهب الكوفيين في الإدغام قليل ليس بعام مستوعب للحروف والكلام عليها، ولم يصنفوا الحروف على ما صنفه سيبويه، ولم يلقبوها كتلقيبه) االسيرافي: شرح كتاب سيبويه، 462/5.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 465/4-466.

3 سيبويه: المرجع نفسه ، 4 / 452.

4 انحراف النون هو انحراف مخرجي، حيث ينحرف هواء النون الذي لا يجد منفذا من الفم نحو الأنف، انظر: محمود فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، ص : 210.

حروف اللسان، وإن شئت أدغمت بغنةٍ؛ لأن لها صوتاً من الخياشيم، فترك على حاله لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيبٌ، فيغلب عليه الاتفاق)[1]

- **ثالثا إدغام حروف الحافة في حروف الطرف:**

تدخل حروف حافة اللسان (ل، ر، ن، ض) في علاقات إدغامية جد معقدة مع حروف طرف اللسان، وهي تعد من حروف طرف اللسان، لأن سيبويه قسم المخارج العامة بحسب قوانين الإدغام **(استنادا إلى معيار التوازن النوني)** إلى ثلاثة أقسام: حروف أو مخارج الطرفين (الحلق، الشفتين)، وحروف اللسان, قال سيبويه: (ومن الحروف حروفٌ لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها، وتلك الحروف الميم والراء والفاء والشين... والفاء لا تدغم في الباء لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، وانحدرت إلى الفم وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء، وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان؛ لأنها أكثر الحروف، **فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين**،[2] كما أن الثاء لا تدغم فيه)[3]

يستنتج أن المخارج العامة للإدغام ثلاث: الحلق والشفتين[4] واللسان، وقد مر قبل قليل أن حروف أقصى اللسان (ق، ك) تشبه حروف الحلق من عدة نواحي؛ لذا فهي ليست من حروف طرف اللسان ولا من حروف الحلق، والملاحظ أنه تم تحييدها في باب الإدغام، حيث يلحظ أنها لا تدغم في حروف تليها أو تسبقها مخرجا، وقد أشير سابقا أن سيبويه

---

1 سيبويه: الكتاب، 4 / 452.

2 أي حروف الحلق، التي لا يدغم فيها حرف من حروف اللسان ولا الشفتين، وحروف الشفتين التي تدغم فيها حروف الفم ولا حروف الحلق.

3 سيبويه: الكتاب، 4/ 447-448.

4 جمع سيبويه مخارج الحلق والشفتين تحت مسمى: "**حروف الطرفين**"، انظر: سيبويه: المرجع نفسه ، 4/ 447-448.

جعل مخرج أقصى اللسان والمخرج الشفوي الأسناني **معيارا للتدرج**، لإضفاء مسحة **جمالية** على تصنيفه، استنادا إلى **معيار التوازن النوني**.

وتُلحق حروف وسط اللسان[1] بحروف الطرف لتفشيها أو استطالتها حتى اتصلت بمخرج غيرها.

✓ **العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان مع حروف طرف اللسان:**

استنادا إلى تقسيم سيبويه –المذكور سابقا– للمخارج العامة بحسب قوانين الإدغام؛ إلى حروف الطرفين (الحلق، الشفتين) وحروف اللسان، فإن الإدغام أصيل في حروف اللسان، قال سيبويه: (أصل الإدغام لحروف اللسان والفم، **وأكثر حروف اللسان من طرف اللسان وما يخالط طرف اللسان**[2] وهي أكثر من حروف الثنايا)[3] ويلحظ أن الأصالة الإدغامية في حروف اللسان تخص حروف طرفه دون أقصاه؛ لأن القاف والكاف لها شبه بحروف الحلق – نوقشت هذه المسالة سابقا– حيث يلحظ أنها لا تدغم في حروف تليها أو تسبقها مخرجا،

وعلى ما سبق يستنتج أن مخرج طرف اللسان، حيز واسع يجمع عددا من المخارج لعلاقات إدغامية، وهو يشمل حروف: وسط اللسان، حافة اللسان، طرف اللسان والثنايا، وهذا تفصيل للعلاقات الإدغامة التي سوغت لسيبويه جمعها في حيز واحد:

---

1 سماها سيبويه الحروف التي تخالط طرف اللسان، وهي حروف وسط اللسان: الضاد والشين، وسيأتي الحديث عنها.

2 الحروف التي تخالط طرف اللسان هي حروف وسط اللسان: الضاد والشين، لاستطالتهما، أي أن مخرجهما يبدأ من وسط اللسان وينتهي عند مخرج اللام أو الطاء، وهذا ما سوغ إدغامها في حروف طرف اللسان، وبذلك يخالطان مخرج غيرهما، قال سيبويه: (واللذان خالطاها الضاد والشين، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء) سيبويه: الكتاب، 457/4.

3 سيبويه: الكتاب، 462/4.

1- **العلاقات الإدغامة في حروف وسط اللسان:** وهي: الشين، والجيم، والياء، فالشين تدغم فيها لام التعريف التي تدغم في الحروف الشمسية –وسيأتي بيانها– وتدغم فيها حروف طرف اللسان والثنايا، قال سيبويه: (وتدغم الطاء والدال والتاء، في الشين لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها، وذلك قولك: اضبشّبثاً وانعشّبثاً وانقبشّثاً،[1] ... وتدغم الظاء والذال والثاء فيها، لأنهم قد أنزلوها منزلة الضاد[2]، وذلك قولك: احفشنباء وابعشنباء وخشنباء،[3] والبيان عربي جيد)،[4] وأما الياء نصف الصائتة والجيم المركبة وإن كانا حرفين قمريين،[5] إلا أن النون تدغم في الياء وتخفى عند الجيم، كما أن الجيم يدغم فيها –على رأي الكوفيين ولم يذكره سيبويه– حروف طرف اللسان والثنايا، حيث تدغم الطاء وأخواتها، والظاء وأخواتها في الجيم،[6] فرغم أن مخرج الجيم والشين والياء من وسط اللسان إلا أنهن اكتسبتن خواص حروف طرف اللسان، وهذا بسبب استطالتها وتفشيها[7]، فكون مخرجها من وسط اللسان، إلا أن الهواء المصاحب لها يصل إلى أقصى ما يتنهي عنده اللام وهو الثنايا، قال سيبويه واصفا الشين

---

1 اضبط شبثاً، انعت بشثاً، انقد شبثاً.

2 الضاد عند سيبويه حرف حافّي مخالط لطرف اللسان.

3 احفظ شنباء وابعث شنباء وخذ شنباء.

4 سيبويه: الكتاب، 466/4.

5 ربما تعكس القيمة القمرية للجيم التطور التاريخي لها، إذ كانت حرفا قصيا مخرجه من اللهاة (الجيم القاهرية) ثم أصبحت صوتا مغورا (جيما مركبة)، تحت تأثير قانون الأصوات الأقصى حنكية، انظر: داود عبده: الدراسات الصوتية في اللغة العربية بين الوصف والتفسير، ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية– الرباط 1987م، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1991/1، ص: 57–58.

6 انظر: الصيمري: التبصرة والتذكرة، 945/1 وما بعدها.، وعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي الشهير بصاحب حماة(ت732ه): كتاب الكناش في النحو والصرف، 326/2، ومحمد بن عبد الله محمود (ت819ه): الكفاية في النحو، ص: 338.

7 عالج الفصل السابق مسألة التفشي في حروف وسط اللسان، ص: 78–79.

بالاستطالة: (ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشرة حرفاً، لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام...والأحد عشر حرفاً: النون والراء والدال والتاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والذال، واللذان خالطاها الضاد والشين، لأن **الضاد استطالت** لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، و**الشين كذلك** حتى اتصلت بمخرج الطاء)[1] والتفشي صفة نجدها بصفة أقل من االشين في الضاد ثم في الجيم، قال صاحب حماة: (وإنما أدغمن اللام في الشين ولم تدغم الجيم؛ لنقص الجيم عن الشين في التفشي والإستطالة قليلا) [2]، وقال ابن الجزري معمما صفة التفشي على الياء: (الحرف المتفشي وهو الشين، سميت بذلك لأنها تفشت في مخرجها حتى اتصلت بمخرج الظاء، وقيل إن في **الياء تفشيا**، فقلت: والواو كذلك. وقال قوم: حروف التفشي ثمانية: الميم والشين والفاء والراء والثاء والصاد والسين)[3]

2- **العلاقات الإدغامة في حروف الحافة:** (ض، ن، ر، ل،) وقد صرح سيبويه في أكثر من نص على أن حروف الحافة من حروف طرف اللسان، وذلك في معرض حديثه عن إدغامها، قال: (اللام مع الراء نحو اشغل رّحبة، لقرب المخرجين؛ ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً **وقاربتها في طرف اللسان**... النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على **طرف اللسان** ... وتدغم في اللام لأنها قريبةٌ منها على **طرف اللسان**... [4] **آخر مخرج اللام قريب من مخرجها**

---

1 سيبويه: الكتاب، 457/4.

2 عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي الشهير بصاحب حماة(ت732ه): كتاب الكناش في النحو والصرف، 326/2.

3 ابن الجزري: التمهيد، ص: 39.

4 انظر: سيبويه: الكتاب، 452/4.

**وهي حروف طرف اللسان**... كما أن الطاء وأخواتها من الثنايا **وهن من حروف طرف اللسان** كما أنهن منه...وإنما جعل الإدغام فيهن أضعف وفي الطاء وأخواتها أقوى؛ لأن اللام لم تسفل إلى أطراف اللسان كما لم تفعل ذلك الطاء وأخواتها، وهي مع الضاد والشين أضعف؛ لأن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان، والشين من وسطه، ولكنه يجوز إدغام اللام فيهما لما ذكرت لك من **اتصال مخرجهما)**[1] واتصال المخرج هنا –**ربما**– يقصد به الاستطالة التي تجعل مخرج الشين والضاد يتصل بمخرج حروف اللثة.

3- **العلاقات الإدغامة في النون الخفيفة:** إذا وليها حرف من حروف الإخفاء التي تخرج من طرف اللسان: (الطاء، والدال، والتاء/ الصاد والزاي والسين/ الظاء والثاء والذال/ الشين)

وسيأتي لاحقا تفصيل إدغام حروف طرف اللسان والثنايا[2] التالية:

أ- **حروف طرف اللسان وأصول الثنايا:** الطاء، والدال، والتاء.

ب- **حروف طرف اللسان وفويق الثنايا:** الصاد والزاي والسين.

ت- **طرف اللسان وأطراف الثنايا:** الظاء والثاء والذال.[3]

وقد ألمح سيبويه إلى أن كل الحروف السابقة –الحروف الشمسية والياء والجيم[1]– تقع ضمن حيز طرف اللسان، وذلك عند حديثه عن إدغام اللام فيها، قال: (ولام المعرفة

---

1 سيبويه: الكتاب، 458/4.

2 جاء تقسيم سيبويه لهذه الحروف مفصلا بما لا يوجد له نظير في دراسات المحدثين، وهذا التفصيل يساعده في توضيح العلاقات الإدغامية.

3 يجمع بعض المحدثين مخرج حروف طرف اللسان وأصول الثنايا ومخرج حروف طرف اللسان وفويق الثنايا، تحت مسمى المخرج الأسناني اللثوي، ويطلقون على مخرج طرف اللسان وأطراف الثنايا، المخرج بين الأسناني، انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص: 207.

تدغم في ثلاثة عشرة حرفاً[2] لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف **واللام من طرف اللسان**، وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان وحرفان يخالطان طرف اللسان ...والأحد عشر حرفاً: النون والراء والدال والتاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والذال، واللذان خالطاها الضاد والشين، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء)[3]

إذن فحروف طرف اللسان حسب تصنيف سيبويه هي: (ش، ض، ن، النون الخفيفة[4]-إذا أخفيت عند أحد حروف طرف اللسان- اللام، الراء، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي السين، الظاء، الثاء، الذال)

وقد أهمل أكثر دارسي الأصوات العربية من المحدثين ذكر صفة المخالطة،[5] وهي

---

1 الياء والحيم حرفان قمريان، وهما يعدان من حروف طرف اللسان. فالعلاقات الإدغامية هي أساس التصنيف، لا الخصائص المخرجية أو الصفتية.

2 وتصير أربعة عشر حرفا إذا عددنا معها اللام.

3 سيبويه: الكتاب، 457/4.

4 رغم أنها ألفونات لحرف النون اللثوي، إلا أن سيبويه اتخذها معيارا للتوازن، لهذا عوملت معاملة كأنها فونيم مستقل، بما لا نجد له نظيرا في الدرس الصوتي الحديث.

5 المخالطة كما يظهر في نص سيبويه السابق تعني اتصال مخرج الضاد والشين بمخرج اللام والطاء على التوالي، وهذا يتحقق عن طريق صفتي التفشِّي والاستطالةُ، وقد لاحظ غانم قدوري الحمد أن كثير من المحدثين أهملوا بحث صفة التفشي، مما أدى إلى إضطراب بعضهم في تعليل قضايا الإدغام، انظر: غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار-الأردن، ط2004/1، ص: 130. والإستطالة والتفشي هما لفظان وضعهما سيبويه ليدلَّ بالأوَّل منهما على ظهور الصَّوت وانتشاره في حروف لها مميِّزاتٌ تَمنعُها من الإندغام في غيرها، وهذا ما يدلُّ عليه معنى التفشِّي فيها. وأراد بالثاني أن يُنبِّه إلى أنَّ رخاوة الضاد والشين مكَّنتهما من الاتِّصال بمخارج الحروف الأماميَّة، أي حروف طرف اللِّسان، وجَوَّزَتْ إدغامَ أكثرِ هذه الحروف فيهما، وهذا هو معنى الاستطالة، ويلحظ أنه اختلف مفهوم العلماء بعد سيبويه لـ: (التفشي)، حتى كاد ينحصِرُ في الأصوات التي فيها نفخٌ زائدٌ للهواء كالشين والفاء والثاء. والشينُ أكثرُها اختصاصاً بهذا المعنى. وبقِي مفهوم: (الاستطالة) . في الغالب العام . كما أراده الواضع الأوَّل. انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 443.

وإن كانت من الصفات المحسنة التي لا تميز بين الأصوات، وإنما توضح خاصية في صوت معين، فإنها قد تكون ذات فائدة في تفسير بعض الظواهر الصوتية، فحين تحدث الدكتور إبراهيم أنيس عن عدم إدغام الزاي والشين في غيرهما في الأمثلة القرآنية لم يجد تفسير لذلك إلا المصادفة،[1] قال: (ومما يستحق الكر أن الأمثلة القرآنية قد خلت أيضا من ذكر الزاي، الشين، مدغمتين في غيرهما من الأصوات، وليس لهذا ما يبرره من الناحية الصوتية سوى مجرد المصادفة) [2] والراجح أن تفشي الشين (واستطالة الضاد كذلك) منعها من الإندغام في غيرها، لأن كل صوت فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنفقص صوتا منه.[3]

✓ **العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان مع حروف طرف اللسان:**

يسير الإدغام في هذا الحيز بشكل متعاكس، فتارة تدغم حروف حافة اللسان في حروف طرفه، وتارة تدغم حروف طرف اللسان في حروف حافته، ومدار الإدغام هنا على صفات **الإستطالة والتفشي والإنحراف.**

**1- إدغام حروف حافة اللسان في حروف طرف اللسان:**

✓ **إدغام اللام في حروف طرف اللسان:**

حروف طرف اللسان التي تدغم فيها اللام هي الحروف الشمسية، وهي حروف يكثر فيها الإدغام،[4] ولم يذكر سيبويه اللام من بين حروف طرف اللسان التي تدغم فيها اللام، وهذه عادته مع كل الحروف، فمنهجه يقتضي أن لا يذكر الأولى بالإدغام إن ذكر ما

---

1 انظر: غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 130-131.

2 إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص: 118.

3 انظر: المبرد: المقتضب، 211/1، والفارسي: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص: 276- 277.

4 انظر: سيبويه: الكتاب، 457/4-459، وغانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 227.

هو أدنى منه أولوية، فكل حرف يدغم في نفسه، وهذا أولى من أن يدغم في مقاربه أو مقاربه فيه.

ولام المعرفة تدغم وجوبا في الحروف الشمسية وهي: اللام، النون، الراء، الدال، التاء، الصاد، الطاء، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال، الضاد، الشين، وعلة وجوب الإدغام هو اجتماع ثلاثة أسباب تدعوا إليه: القرب المخرجي، وكثرة لام المعرفة في الكلام، وأن لام المعرفة تتصل بالإسم اتصال بعض حروفه؛ لأنه لا يوقف عليها، فإن كانت اللام لغير التعريف، فإن إدغامها في تلك الأصوات جائز غير لازم وبعضها أقوى من بعض في الإدغام،[1] قال سيبويه: (أما غير لام المعرفة نحو لام هل وبل، فإن الإدغام في بعضها أحسن، وذلك قولك: هرّأيت، لأنها أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها...وإن لم تدغم فقلت هل رأيت فهي لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة,... وهي مع الضاد والشين أضعف...)[2]

**2- إدغام حروف الطرف اللسان في حروف حافة اللسان:**

تدغم حروف طرف اللسان التالية: ط، د، ت، ظ، ذ، ث، في الضاد لأن في الضاد لاستطالتها وتفشيها حتى اتصلت بمخرج اللام،[3] قال سيبويه: (وقد تدغم الطاء والتاء والدال في الضاد، لأنها اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما للام فوقه من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة فلما قاربت الطاء فيما ذكرت لك أدغموها فيها...وكذلك الظاء والذال والثاء، لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا).[4]

---

1 انظر: وغانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 227.

2 سيبويه: الكتاب، 457/4-459.

3 انظر: الصيمري: التبصرة والتذكرة، 946/1.

4 سيبويه: الكتاب 465/4.

قال الزمخشري(ت 538هـ): (ويدغم فيها ما يدغم في الشين إلا الجيم، كقولك: حط ضمانك، وزد ضحكاً، وشدت ضفائرها، واحفظ ضأنك، ولم يلبث ضارباً، وهو الضاحك، وإذ ضرب)[1]

وعلة إدغام هذه الحروف في الضاد هو القرب المخرجي.[2]

- **العلاقات الإدغامية بين حروف طرف اللسان والثنايا في بعضها:**

**حروف طرف اللسان والثنايا** تسعة حروف، وهي بعض **حروف طرف اللسان**. وحروف طرف اللسان والثنايا، هي التي يتصل طرف اللسان عند النطق بها بالثنايا، وهي: ط، د، ت، ص، ز، س، الظاء، والذال، والثاء، قال سيبويه: (وممّا بين **طرف اللسان وأُصول الثنايا**، مخرج: الطاء، والدال، والتاء. وممّا بين **طرف اللسان وفُويق الثنايا**، مخرج: الزاي، والسين، والصاد. وممّا بين **طرف اللسان وأطراف الثنايا**، مخرج: الظاء، والذال، والثاء)[3]

✓ **<u>أولا: الإدغام في حروف طرف اللسان وأصول الثنايا</u>:**

**أ- ادغام الأقوى في الأضعف:**

1- **إدغام الطاء في الدال:** في أمثلة إدغام الأقوى في الأضعف **في حروف طرف اللسان وأصول الثنايا**، يتحدث سيبويه عن الإدغام الناقص وإن لم يسمه،[4] وتدغم

---

1 الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، 1/ 551.

2 وجدان عبد اللطيف موسى الشمايلية: الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، ص: 123 وما بعدها.

3 سيبويه: الكتاب، 433/4 – 434.

4 انظر: وغانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 222.

الطاء في الدال مع بقاء صفة الإطباق، وبعض العرب يذهبه، وهذا شاذ مخالف للقياس و**لقانون الحرف الأقوى**، قال سيبويه: (الطاء مع الدال كقولك اضبد لما[1] لأنهما مع موضعٍ واحدٍ وهي مثلها في الشدة، إلا أنك قد تدع الإطباق على حاله فلا تذهبه؛ لأن الدال ليس فيها إطباق، فإنما تغلب على الطاء لأنها من موضعها ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال، فأما الإطباق فليست منه في شيء والمطبق أفشى في السمع، **ورأوا إجحافاً** أن تغلب الدال على الإطباق وليس كالطاء في السمع، ومثل ذلك إدغامهم النون فيما تدغم فيه بغتة وبعض العرب يذهب الإطباق حتى يجعلها كالدال سواءً أرادوا أن لا تخالفها إذ آثروا أن يقلبوها دالاً كما أنهم أدغموا النون بلا غنة)[2]، وعلة إدغام الطاء في الدال هو القرب المخرجي، فكلاهما يخرج من اللثة،[3] ويثقل التكلم مع الإظهار لصعوبة الانتقال من المطبق إلى المستفل ومن المجهور إلى المهموس، ولشدة هذه الحروف، ولزوم اللسان موضعا واحدا لا يتجافى عنه ولذا جاز الإدغام. [4]

2-**إدغام الطاء في التاء:** تدغم الطاء في التاء فيذهب إطباقها، (ومما اخلصت فيه الطاء تاء سماعاً من العرب قولهم: حتهم يريدون حُطْتُهم) [5] لأن التاء مهموسة منفتحة، بخلاف الدال التي خالفت الطاء في الإطباق فقط، ولا ننسى أن التاء من

---

1 أصلها اظبط دلما، انظر: تعليق المحقق على الهامش، سيويه: الكتاب، 460/4.

2 سيويه: الكتاب، 460/4.

3 انظر: وغانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 228.

4 انظر: عبد الغفار حامد هلال: القراءات و اللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، دار الفكر العربي، ط2004/1، ص: 207.

5 سيبويه: الكتاب 460/4.

حروف النفخ (حرف نَفَسي) [1] وحسب رأيي فالنفخ صفة صوتية في التاء منحتها قوة كما منح الإطباق القوة للطاء في باب الإدغام، وربما لولا النفخ في التاء لما فقدت الطاء إطباقها لأن الإطباق من صفات القوة التي لا يذهبها الإدغام،[2] قال سيبويه: (وكذلك الطاء مع التاء إلا أن إذهاب الإطباق مع الدال أمثل قليلاً؛ لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة، وكل عربيٍ، وذلك: انقتَّوأماً[3] تدغم، وتصير الدال مع الطاء طاء وذلك: انقطالباً، وكذلك التاء وهو قولك: انعطالباً، لأنك لا تجحف بهما في الإطباق ولا في غيره)[4] وقال الفراء: (قال بعض العرب: أحطُّ، فأدخل الطاء مكان التاء، والعرب إذا لقيت الطاء التاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء، فيقولون: أحتُّ) [5] ويتلخص من كلام سيبويه والفراء أن العرب في إدغام الطاء في التاء ثلاثة مذاهب:

---

1 انظر: أبو العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 252، و محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 42، و سلطان مزاحي: رسالة الشيخ سلطان مزاحي، 44. أما سيبويه فلم يذكر التاء والكاف عند حديثه عن حروف النفخ، قال: (ومن المشربة حروفٌ إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى، وهي: الزاي والظاء والذال والضاد، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة، وبعض العرب أشد صوتاً؛ وهم كأنهم الذين يرومون الحركة، والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس، وستبين هذه الحروف أيضاً في باب الإدغام إن شاء الله) الكتاب: 174/4. وربما لم يذكرها سيبويه، لأنه كان يتكلم فقط عن الحروف المجهورة التي تخرج بصوت الصدر, والجدير بالذكر أن علماء الأصوات العرب المحدثين –في حدود إطلاعي– أهملوا بحث الأصوات النَّفَسِيَة (التي سماها القدامى التي "خرج معها نحو النفخ"، ويستثنى د/ سمير شريف استيتية، الذي أشار في كتابيه: الأصوات اللغوية، ص: 134، و اللسانيات، ص: 46، إلى أن التاء العربية الفصيحة صوت نفسي بعدي، والحق أن هناك أصوات أخرى وصفها بعض القدامى بأنها نفسية بعدية، وقد ذكرها سيبويه في النص أعلاه.

2 قال المبرد: (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)، المقتضب، 211/1، أي لا ينقصها صفات القوة، كالقلقلة والإطباق، والتفشي...الخ.

3 انقط توأما، انظر: علي خليف حسين: منهج الدرس الصوتي عند العرب، دار الكتب العلمية، ط1/2011م، ص: 163.

4 سيبويه: الكتاب، 460/4.

5 الفراء: معاني القرآن، 284/2.

- ✓ **قلب الطاء تاء:** وهو إدغام كامل جاء على الأصل، مثاله: أحطْتُ تصبح بعد الإدغام أحتُّ.
- ✓ **قلب التاء طاء:** وهو نوع من الإدغام الكامل المقبل، الي يقلب فيه الصوت الثاني إلى مثل الأول، وهو قليل في العربية، مثاله: أحطْتُ تصبح بعد الإدغام أحطُّ.
- ✓ **إدغام الطاء في التاء:** مع إبقاء صفة الإطباق، مثاله: أحطْتُ تصبح بعد الإدغام أحتّ، مع تفخيم التاء، وهو إدغام ناقص، وهو المشهور والمأخوذ به في قراءة القرآن الكريم،[1] وهذا النوع من الإدغام لا يذهب بعمل **قانون الأقوى.**

**ب- الإدغام المتساوي (إدغام المجهور في المهموس والعكس):**

**1- إدغام التاء في الدال والعكس:** يدغم هذا الصوتان في بعضهما، لأنهما من مخرج واحد، ولا يختلفان إلا في الجهر والهمس، قال: (وكذلك التاء مع الدال والدال مع التاء؛ لأن ليس بينهما إلا الهمس والجهر، ليس في واحد منهما إطباقٌ ولا استطالةٌ، والتاء والدال سواءٌ كل واحدةٍ منها تدغم في صاحبتها، حتى تصير التاء دالا والدال تاء؛ لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما شيء **إلا الجهر والهمس،** وذلك قولك: انعدلاماً، وانقتلك، فتدغم ولو بينت فقلت: اضبط دلاما، واضبط تلك، وانقد تلك، وانعت دلاماً لجاز، وهو يثقل التكلم به لشدتهن وللزوم اللسان موضعهن لا يتجافى عنه)[2] ويستنتج من هذا النص أن الجهر أضعف صفات القوة في التأثير في باب الإدغام.

---

1 انظر: وغانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 223.

2 سيبويه: الكتاب، 4/460-461.

✓ **ثانيا إدغام في حروف طرف اللسان وفُويق الثنايا:**

وهي حروف الصفير، وسلوكها في الإدغام كسلوك حروف طرف اللسان وأصول الثنايا: ط، د، ت،[1] حيث تدغم الضاد في السين والزاي ويدغمان فيها، وهذا تفصيلها:

1- **إدغام الصاد في الزاي والسين:** إذا تقدمت الصاد جاز إدغامها في الزاي والسين مع إذهاب الإطباق، وإذهابه مع السين أمثل قليلا لأنها مهموسة مثل الصاد،[2] قال سيبويه: (وقصة الصاد مع الزاي والسين؛ كقصة الطاء والدال والتاء، وهي من السين كالطاء من الدال لأنها مهموسةً مثلها، وليس يفرق بينهما إلا الإطباق، وهي من الزاي كالطاء من التاء؛ لأن الزاي غير مهموسة، وذلك قولك: افحسالماً،[3] فتصير سيناً، وتدع الإطباق على حاله وإن شئت أذهبته، وتقول: افحزردة،[4] وإن شئت أذهبت الإطباق، وإذهابه مع السين أمثل قليلاً لأنها مهموسة مثلها وكله عربيٌ)[5]

2- **إدغام الزاي والسين في الصاد:** تدغم الزاي والسين في الصاد جوازا إذا تقدمتا عليها، بسبب القرب المخرجي[6] قال سيبويه: (ويصيران مع الصاد؛ كما صارت الدال والتاء مع الطاء طاءً، يدلك التفسير والبيان فيها أحسن لرخاوتهن وتجافي اللسان عنهن وذلك قولك احبصّابراً وأوجصّابراً، والزاي

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 461/4.

2 انظر: عبد الغفار حامد هلال: القراءات و اللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ص: 210.

3 إفحص سالما.

4 إفحص زرده.

5 سيبويه: الكتاب، 461/4.

6 انظر: عبد الغفار حامد هلال: القراءات و اللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ص: 210.

والسين بمنزلة التاء والدال، تقول: احبزّردة، و رسّلمة[1] فتدغم)[2]

✓ **ثالثا الإدغام في حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا:**

تدغم حروف طرف اللسان واطراف الثنابا في بعضها، ومن تسمية سيبويه لها بـ: **حروف طرف اللسان وأطراف الثنابا**، يتبين أنه يقصد حروف ما بين الأسنان، لأن أطراف الثنايا لا يمكن أن تكون إلا الجهة الحادة الصالحة لقطع الطعام، وحروفها هي: الظاء والذال والثاء، وسلوكها في الإدغام كسلوك حروف طرف اللسان وأصول الثنايا.[3]

1- **إدغام الظاء في الذال والثاء:** إذا إلتقت هذه الحروف (ظ، ذ، ث) مع بعضها جاز البيان لاتحاد المخرج والرخاوة، ويجوز الإدغام، فإذا تقدمت الظاء على الذال والثاء أدغمت الظاء فيهما؛ لأنهم من مخرج واحد، وللناطق أن يأتي بالإطباق أو يذهبه،[4] قال سيبويه: (وقصة الظاء والذال والثاء كذلك أيضاً، وهي مع الذال كالطاء مع الدال لأنها مجهورة مثلها وليس يفرق بينهما إلا الإطباق، وهي من الثاء بمنزلة الطاء من التاء، وذلك قولك: احفذلك، فتدغم وتدع الإطباق وإن شئت أذهبته، وتقول: احفثابتاً، وإن شئت أذهبت الإطباق، وإذهابه مع الثاء كإذهابه من الطاء مع التاء، وإن أدغمت الذال والثاء فيهما أنزلتهما منزلة الدال والتاء؛ إذا أدغمتهما في الطاء، وذلك قولك: خظالماً، وابعظّالماً[5])[6]

---

1 رز سلمة.

2 سيبويه: الكتاب، 461/4.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 462/4.

4 انظر: عبد الغفار حامد هلال: القراءات و اللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ص: 228-229.

5 ابعث ظالما.

6 سيبويه: الكتاب، 462/4.

2- **إدغام الذال والثاء في الظاء:** يجوز إدغام الذال والثاء في الظاء، قال سيبويه: (والذال والثاء منزلة كل واحدة منهما من صاحبتها منزلة الدال والتاء، وذلك قولك: خثّابتاً، وابعذّلك،[1] والبيان فيهن أمثل منه في الصاد والسين والزاي، لأن رخاوتهن أشد من رخاوتهن؛ لانحراف طرف اللسان إلى طرف الثنايا ولم يكن له رد، والإدغام فيهن أكثر وأجود، لأن أصل الإدغام لحروف اللسان والفم، وأكثر حروف اللسان من طرف اللسان وما يخالط طرف اللسان، وهي أكثر من حروف الثنايا)[2]

✓ **التداخلات الإدغامية عند تطبيق قانون الحرف الأقوى:**

يلحظ أن علماء العربة، بنوا باب الإدغام –بعد **قانون أمن اللبس** و**قانون القرب المخرجي**– على **قانون الحرف الأقوى**، وهو الحرف الذي تمتع بصفات قوية كالإطباق والغنة والتكرير...الخ، قال المبرد (ت285هـ): (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)[3] وقال الفارسي(ت377هـ): (كل حرف فيه زيادة صوت، لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتا، لما يلحق المدغم من الاختلال لذهاب ما يذهب منه في الصوت)[4] وقال أبو عمر الداني (ت444هـ): (والحروف التي تمنع من الإدغام في مقاربها لزيادة صوتها ثمانية، ويجمعها قولك: فزم ضرس شص، الشين والضاد والسين والصاد والزاي والراء والفاء والميم)[5] وهذه صفاتها: التفشي، الإستطالة، الصفير، التكرير، الإنحراف، والغنة.

---

1 حذ ثابتا، وابعث ذلك.

2 سيبويه: الكتاب، 462/4.

3 المبرد: المقتضب، 211/1.

4 الفارسي: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص: 276- 277.

5 الداني: التحديد، ص: 109-110.

ولفهم **قانون الأقوى** لا بد من فهم طبيعة الصفات القوية، حيث إنها تتدرج في القوة، مثلا صفة التفشي تعد من أقوى الصفات، فتمنع حرفيها (ض، ش) من أن تدغم في غيرها لئلا تذهب هذه الصفة، لكن صفة الإستطالة لم تمنع الضاد من أن تدغم في الطاء في بعض اللغات، فقالوا في اضطجع اطّجع،[1] ومثل هذا يقال عن صفة الإطباق، فعند إدغام الطاء في حروف الصفير (س، ز) يذهب إطباقها ولا يمكن بحال من الأحوال إدغام الصافرات في غيرها من الحروف، فصفة الصفير إذن أقوى من صفة الإطباق في باب الإدغام، وهذا تفصيل للتداخلات الإدغامية عند تطبيق قانون الحرف الأقوى:

## 1- إدغام حروف طرف اللسان وأصول الثنايا في حروف الصفير:

تدغم حروف طرف اللسان وأصول الثنايا مع حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا، وذلك بسبب **التجاور المخرجي الشديد**، والصافرات إذا التقت مع (ط، د، ت) أو مع (ظ، ذ، ث) فإن هذه الحروف تدغم في الصاد والزاي والسين لا العكس؛ لأن هذه الأخيرة تشترك مع نوعي الحروف السابقة في مخرج طرف اللسان والثنايا، وحفاظا على صفة الصفير التي تعد مزية لهذه الأصوات أدغم غيرها فيها، وامتنعت هي عن الإندغام في غيرها،[2] إلى درجة أنه قد تضيع صفة قوية كالإطباق عند إدغام الظاء في السين مثلا، قال سيبويه: (والطاء والدال والتاء، يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين لقرب المخرجين؛ لأنهن من الثنايا وطرف اللسان وليس بينهن في الموضع، إلا أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا وهن من أسفله قليلاً مما بين الثنايا، وذلك قولك: ذهبسَّلمى وقسَّمعت، فتدغم، واضبزّردة فتدغم، وانعصابراً[3] فتدغم...والبيان عربيٌ حسنٌ لاختلاف المخرجين)[4]

---

1 انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، 212/1..

2 انظر: عبد الغفار حامد هلال: القراءات و اللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ص: 210.

3 ذهبت سلمى، قد سمعت، اضبط زرده، انعت صابرا.

4 سيبويه: الكتاب، 462/4-463.

- **إدغام حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا في حروف طرف اللسان وفُويق الثنايا (حروف الصفير):**

تدغم حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا (ظ، ذ، ث) في حروف الصفير والعكس غير ممكن؛ لأن الصفير صفة قوية لا يذهبها الإدغام، أما إطباق الظاء فقد ذهب لصالح صفر السين والزاي، في: احفظ سَّلمة، واحفظ زَّردة، قال سيبويه: (وكذلك الظاء والثاء والذال، لأنهن من طرف اللسان وأطراف الثنايا وهن أخواتٌ، وهن من حيز واحد، والذي بينهما من الثنيتين يسيرٌ، وذلك قولك: ابعسّلمة واحفسَّلمة وخصابراً واحفزردة،[1] وسمعناهم يقولون: مُزّمانٌ فيدغمون الذال في الزاي، ومُسّاعة،[2] فيدغمونها في السين، والبيان فيها أمثل لأنها أبعد من الصاد وأختيها وهي رخوةٌ، فهو فيهن أمثل منه في الطاء وأختيها)[3]

- **تبادل الإدغام في حروف طرف اللسان وأصول الثنايا (ط، د، ت) مع حروفه طرف اللسان وأطراف الثنايا (ظ، ذ، ث)،:**

تدغم حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا (ظ، ذ، ث)، في حروف طرف اللسان وأصول الثنايا (ط، د، ت) والعكس جائز، قال سيبويه: (والظاء والثاء والذال أخوات الطاء والدال والتاء لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام، لأنهن من حيز واحد وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها، وذلك قولك: اظبظالماً، وأبعذلك، وانعثابتاً، واحفطالباً، وخداود، وابعتلك،[4] وحجته قولهم ثلاث دراهم، تدغم الثاء من ثلاثة في الهاء إذا صارت تاءً، والثلاث أفلس فأدغموها، وقالوا: حدتّهم يريدون حدثتهم، فجعلوها تاءً والبيان فيه جيد)[5] فذهبت شدة

---

1 ابعث سلمة، احفظ سلمة، حذ صابرا، احفظ زرده.

2 منذ زمان، مذ الساعة.

3 سيبويه: الكتاب، 463/4.

4 اضبط ضالما، أبعد ذلك، انعت ثابتا، احفظ طالبا، خذ داود، ابعث تلك.

5 سيبويه: الكتاب 464/4.

حروف اللثة: الطاء والدال، والتاء، لصالح حروف ما بين الأسنان: الظاء، والذال، والثاء، في: اضبط ظّالما، أبعد ذّلك، انعتّ ثابتا. والرأي عندي أن الرخاوة ليست أقوى من الشدة،[1] لكن كون مخرج الظاء والذال والثاء، يعد آخر مخارج الفم (فليس بعده إلا **مخارج الشفتين**)، جعلها أقوى، وهذا ما جعل الفاء الشفوية الأسنانية قوية؛ فلم تندغم في غيرها مطلقا، وذلك لأن لها حظا ومشاركة في مخرج الاسنان وهو آخر مخارج الفم، قال سيبويه: (والفاء لا تدغم في الباء لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، وانحدرت إلى الفم وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء، وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان؛ لأنها أكثر الحروف، **فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين**،[2] كما أن الثاء لا تدغم فيه)[3] وقال: (ولا تدغم الحاء في الهاء كما لم تدغم **الفاء في الباء، لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم** كان أقوى على الإدغام ومثل ذلك امدح هلالاً فلا تدغم)[4]

- **أقوى الصفات مطلقا تمنع إدغام حروفها في غيرها:**

لفهم **قانون الأقوى** لا بد من فهم طبيعة الصفات القوية، حيث إنها تتدرج في القوة، مثلا صفة التفشي تعد من أقوى الصفات، فتمنع حرفيها (ض، ش) من أن تدغم في غيرها لئلا تذهب هذه الصفة، لكن صفة الإستطالة لم تمنع الضاد من أن تدغم في الطاء في بعض اللغات، فقالوا في اضطجع اطّجع،[5] ومثل هذا يقال عن صفة الإطباق، فعند إدغام

---

1 لأن سيبويه عندما رتب الحروف في مجموعات حسب مخارجها كان يقدم الحرف الشديد على الرخو والمجهور على المهموس والمطبق على غيره، مثل ط، د، ت، أو ظ، ذ، ث، وهذا يعكس قوتها في باب الإدغام، ولا علاقة لها بعمق مخرج الحرف المقدم على نظيره المؤخر.

2 أي حروف الحلق، التي لا يدغم فيها حرف من حروف اللسان ولا الشفتين، وحروف الشفتين التي تدغم فيها حروف الفم ولا حروف الحلق.

3 سيبويه: الكتاب، 4/ 448.

4 سيبويه: المرجع نفسه ، 449/4.

5 انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، 212/1..

الطاء في حروف الصفير (س، ز) يذهب إطباقها ولا يمكن بحال من الأحوال إدغام الصافرات في غيرها من الحروف، فصفة الصفير أقوى من صفة الإطباق في باب الإدغام، وهذا تفصيل للتداخلات الإدغامية عند تطبيق قانون الحرف الأقوى:

في التداخلات الإدغامية لحروف طرف اللسان، يلحظ أن هناك صفات وهي: الصفير، التفشي، التكرار، الاستطالة، الإنحراف، لا تذهب بسبب الإدغام لأي سبب كان، هذا ما أكده سيبويه بقوله: (امتنعت الراء أن تدغم في اللام والنون للتكرير... ولا تدغم في الصاد والسين والزاي **لاستطالتها**، يعني **الضاد**، كما امتنعت **الشين**، ولا تدغم **الصاد وأختاها** فيها لما ذكرت لك، فكل واحدةٍ منهما لها حاجز، ويكرهون أن يدغموها يعني **الضاد** فيما أدغم فيها من هذه الحروف، كما كرهوا **الشين**، والبيان عربيٌ جيد لبعد الموضعين، فهو فيه أقوى منه فيما مضى من حروف الثنايا)[1]

ويلحظ أنه في غير حروف طرف اللسان، يوجد صفة الانحدار في الفاء، التي منعتها من أن تندغم في غيرها، ولم يعامل سيبويه الفاء معاملة حروف طرف اللسان ولم يقل صراحة ولا تلميحا بأنها من حيز طرف اللسان، وهذا يرجع حسب رأيي إلى مزج سيبويه بين البعد الجمالي والبعد الوظيفي في نظريته:

أ- **البعد الوظيفي:** بفضل صفة الانحدار أصبحت علاقات حرف الفاء الادغامية قليلة جدا، حيث لا تدغم فيها إلا الباء أو الميم على الشذوذ، ولا علاقة لعزلها هنا عن حروف طرف اللسان، بمخرجها الشفوي الأسناني، لأن منهج سيبويه يقتضي **تطويع المعطيات الفيسيولوجية لتتلاءم ومعطيات النظام اللغوي.**

ب- **البعد الجمالي:** حيث إن سيبويه باعماله **لمعيار التوازن النوني**، جعل الأحياز ثلاثة؛ حيز حروف الحلق، حيز حروف الفم واللسان، حيز حروف الشفتين،

1 سيبويه: الكتاب 4/ 464- 466.

حيث يوجد مخرج أقصى اللسان، الذي لم ينسب حروفه: (ق، ك) لا للحلق ولا للسان، بين حيز حروف الحلق وحيز حروف الفم واللسان، وفي المقابل يوجد بين حيز طرف اللسان وحيز الشفتين، المخرج الشفوي الأسناني، الذي لم ينسبب حروفه: (ف) لا للشفتين ولا لطرف اللسان، لقد حيَّد سيبويه هذين المخرجين في تصنيفه، وجعلهما منطقة تدرج، وقد تمت مناقشة هذه القضية سابقا.

✓ **تطبيق قانون الحرف الأقوى في حروف طرف اللسان:**

**1- الإدغام في حروف الصفير:**

قال سيبويه عن الإدغام في حروف الصفير: (وأما الصاد والسين والزاي، فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير وهن أندى في السمع، وهؤلاء الحروف إنما هي شديدٌ ورخوٌ لسن في السمع كهذه الحروف لخفائها، ولو اعتبرت ذلك وجدته كذا، فامتنعت كما امتنعت الراء أن تدغم في اللام والنون للتكرير)[1] فالذي منع الإدغام هنال هو **قانون الحرف الأقوى**، فالصفير من الصفات القوية جدا التي لا يسمح نظام اللغة بذهابها؛ ولأن صفة الصفير تعد مزية لهذه الأصوات أدغم غيرها فيها، وامتنعت هي عن الإندغام في غيرها.[2]

**2- الإدغام في الحروف المخالطة:**

لفهم معنى الاختلاط الذي جاء به سيبويه، لا بد من فهم مصطلح الاستطالة، وقانون الأخرج.

---

1 سيبويه: الكتاب 4/464-465.

2 انظر: عبد الغفار حامد هلال: القراءات و اللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ص: 210.

أ- **الإستطالة:**

مصطلح الاستطالةُ مرادف لمصطلح المخالطة عند سيبويه،[1] وبتتبع سياقات وردهما يتبين أن له دلالتان:

1- **المعنى الفسيوبوحي:** يدل على أن الصوت الموصوف بصفة الإستطالة أو المخالطة، يخرج من مخرج الياء (وسط اللسان) سواء من ظهره (ش) أو من حافته (ض)، لقد وصف سيبويه الشين والضاد مرارا بالإستطالة ،[2] والاستطالة عنده تسمى المخالطة كذلك، وتعني أن هواء الحرف يستمر في الاحتكاك من بداية المحرج حتى يتصل بمخرج حرف آخر أكثر أمامية، قال: (واللذان خالطاها الضاد والشين، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء)[3] وقال مكي: (وسُمِّيَ هذان الحرفان: **المُخَالِطَين**؛ لأنَّهما يُخالِطان ما يَتَّصِلانِ به من طرفِ اللِّسان)،[4] ومفهوم المخالطة في هذين النصين واضحة، وهي تعني أن الشين والضاد مشتركان في صفة الإستطالة.

2- **المعنى الفونولوجي التوزيعي:** يعني أن الصَّوت الموصوف بصفة الإستطالة (أو مرادفها المخالطة) وهما الشين والضاد، لهما مميِّزاتٌ تَمنعُهما من الإندغام في غيرهما، ويمكن للأصوات الأكثر أمامية (التي تأتي بعدهما

---

1 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 458.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4 و479 و457 و 466، 470.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 457.

4 مكي: الرعاية ص: 57.

في المخرج) أن تندغم فيهما،[1] وهذا يخالف –مبدئيا– قاعدة سير الإدغام في إتجاه أمامي بحسب اتجاه تيار الهواء، وبواسطة القول أن الشين والضاد يستطيل مخرجهما حتى يتصلا بمخرج اللام والطاء، يبقى عمل هذه القاعدة سليما؛ لأن نهاية مخرج الضاد والشين يكون عند مخرج حروف طرف اللسان والثنايا، وبالتالي تضمن ضفة التفشي أو الإستطالة إطراد القاعدة دون شذوذ.

إن مصطلح الإستطالة مباين تماما لمصطلح التفشي، لقد وصف سيبويه الضاد والشين مرارا بالاستطالة[2] ووصف الشين لوحدها ومرة واحدة بالتفشي حين قال: (الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها **والتفشي** فكرهوا أن يدغموها في الجيم) [3] ويستنتج من هذا النص أن الإستطالة والتفشي اجتمعا في الشين دون الضاد، وها يعني أن هناك ميل واضح عند سيبويه نحو تخصيص الضاد بالوصف بالإستطالة والشين بالتفشي، وهذا تصحيحا لما ظنه عادل إبراهيم عبد الله من أن:

- ✓ مصطلحي التفشِّي والاستطالةُ مترادفان عند سيبويه.[4]
- ✓ أن مكي بن أبي طالب القيسي، هو أول عالم ثبت دلالة أكثر مصطلحات التجويد التي نَعرِفُها في شكلها الحاضر، منها مصطلحا: (التفشي والاستطالة)

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/465–466 و447.

2 انظر: سيبويه: المرجع نفسه ، 4/448 و479 و457 و 466، 470.

3 انظر: سيبويه: المرجع نفسه ، 4/448.

4 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 459.

اللذان يوصف بهما كل من الشِّين والضاد، فخصَّ التفشي بالشِّين، والاستطالة بالضَّاد. [1]

- ✓ أن العلماء بعد سيبويه اختلفوا في مفهوم: "التفشي"، حتى كاد ينحصِرُ في الأصوات التي فيها نفخٌ زائدٌ للهواء، كالشين والفاء والثاء. والشينُ أكثرُها اختصاصاً بهذا المعنى، وبقِي مفهوم: (الاستطالة) في الغالب العام كما أراده سيبويه. [2]

وهذا الذي أورده عادل إبراهيم عبد الله غير صحيح، من عدة وجوه كالتالي:

- ✓ مصطلحي التفشي والإستطالة ليسا مترادفين عند سيبويه، فقد وصف الشين لوحدها بصفة التفشي،[3] ويدلنا على ذلك منهجيته، حيث أنه يهدف إلى وضع القوانين التي تضبط تصريف الكلمة ونطقها، ويعتمد على معيار الإدغام، فتخصيصه الشين بالتفشي دون الضاد التي وصفها بالإستطالة فقط،[4] كان بسبب العلاقات الإدغامية، فالشين لا تدغم في غيرها بتاتا، أما الضاد فتدغم في الشين[5] وفي الطاء على الشذوذ.[6]

---

1 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المرجع نفسه، ص: 77، وانظر هذه المصطلحات في: مكي: الرعاية، ص: 57-58 و49-50.

2 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 460.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4.

4 انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4 و479 و457 و 466، 470.

5 انظر: الصيمري: التبصرة والتذكرة، ص: 953.

6 انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، 212/1..

- ✓ ربما ظن عادل إبراهيم عبد الله أن التفشي والإستطالة مصطلحان مترادفان، لأن سيبويه أطلق وصف المخالطة **على الضاد والشين**، قال: (واللذان خالطاها الضاد والشين، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء)[1] ومفهوم المخالطة في هذا النص واضحة، وهي تعني أن الشين والضاد مشتركان فقط في صفة الإستطالة.
- ✓ سيبويه هو أول من ثبت دلالة مصطلحي الإستطالة التي وصف بها الضاد والشين[2] والتفشي التي وصف بها الشين لوحدها،[3] والذي جعلهما مترادفين هو مكي بن أبي طالب القيسي، وقال: (ذكَر بعضُ العلماءِ الضَّاد مع الشِّين، وقال: الشينُ تتفَشَّى حتى تَتَّصِلَ بمخرجِ الطاء، والضَّادُ تتفَشَّى حتى تَتَّصِلَ بمخرجِ اللاَّم، قال: وسُمِّيَ هذان الحرفان: **المُخَالِطَين**؛ لأنَّهما يُخالِطان ما يَتَّصِلانِ به من طرفِ اللِّسان)،[4] وهذا يخالف ما ذهب إليه عادل إبراهيم الذي زعم أن مكي هو من ثبت دلالة المصطلحين.[5]
- ✓ سيبويه هو من وسع مفهو صفة التفشي، التي وصف بها الراء، وحروف الإطباق،[6] قال: (والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة وهي **تفشى** إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 457.

2 وصف سيبويه الشين والضاد معا بالإستطالة، انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4 و479 و457 و 466، 470.

3 انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4.

4 مكي: الرعاية ص: 57.

5 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 77.

6 انظر: سيبويه: الكتاب، 460/4 و478.

مثلها ولا يكرر)[1] وقال: (والمطبق **أفشى** في السمع)[2] ثم حذا بعض العلماء حذوه وتوسعوا في مفهوم التفشي ووصفوا: الضاد والفاء والثاء والظا،[3] قال المرعشي: (وبالجملة إن الحروف المذكورة[4] مشتركة في كثرة إنتشار خروج الريح، لكن ذلك الإنتشار في الشين أكثر، ولذا اتفق في تفشيه، وفي البواقي قليل بالنسبة إليه، ولذا لم يصفها أكثر العلماء بالتفشي)[5]

✓ **قانون الأخرج:**

من الملاحظ أن الإدغام يخضع **لقانون الأخرج**، أي يدغم الحرف من الحيز الأعمق في حروف من حيزه أو في حرف من الحيز الموالي، أو لنقل يسير الإدغام في خط أمامي بحسب اتجاه خروج اللهواء، فحروف الشفتين لا تدغم في حروف طرف اللسان، وحروف طرف اللسان لا تدغم في حروف أقصى اللسان، وهذه الأخيرة لا تدغم في حروف الحلق.

وهذا القانون يسمح للحرف من مخرج أمامي أن يندغم في حرف من مخرج أكثر عمقا منه، بشرط أن ينتميا لحيزين متقاربين، **فحروف طرف اللسان** (النون والشين والضاد) تدغم في **حروف وسط اللسان** (الياء، الجيم)، لأن الجميع يخرج من النصف الأمامي للسان.

---

1 سيبويه: الكتاب، 448/4.

2 سيبويه: المرجع نفسه، 460/4.

3 انظر: مكي: الرعاية، ص: 57، و المرعشي: جهد المقل: 51.

4 يعني: الشين الضاد والفاء والثاء.

5 المرعشي: جهد المقل، ص: 51.

فالنون مثلا تدغم في الياء وتخفى عند الضاد والجيم، وهن أعمق مخرجا من النون، وهذا لا يلغي **قانون الأخرج**، ويعود ذلك إلى تدخل عاملين:

1-معيار الإلغاء.

2-قانون الخفة (بذل الجهد الأدنى).

فالنون في حالة إخفاءها، يكون مخرجها من الخيشوم، الذي يبدأ عند اللهاة التي تفتح ممر الهواء نحو الأنف، فمخرج الخيشوم أكثر خلفية من مخرج الحروف التي تخفى عندها النون، وكأن النون الخفيفة أو المخفاة في هذه الحالة تسير في اتجاه أمامي، فهي لم تلغ **قانون الأخرج**، وبهذا نفهم لماذا جعل سيبويه للنون بحسب أحوالها الإدغامية مخرجان:

1-**المخرج اللثوي:** وذلك في حال إدغامها وإظهارها، فهي تدغم في حروف (يرملون)، وهي كلها من مخرج طرف اللسان، الذي يبدأ من وسط اللسان وينتهي عند مخرج الظاء أو من مخرج الشفتين (و، م)، أما الإظهار فهو يعني البيان أو عدم الإدغام وسيبويه لا يأخذ به لبناء نظام العربية الصوتي. أما الياء التي مخرجها وسط اللسان، فقد أدغمت فيها النون إعتمادا على أن حيزهما واحد وهو طرف اللسان، وعلى صفة الغنة التي ضارعت صفة اللين،[1] فالنون لم ترجع في خط الإدغام إلى الخلف، وهب أنها فعلت، فإن سيبويه فطن، فقد نظر لمخرج الغنة المجرد وهو الخيشوم، وهو أكثر خلفية من مخرج الياء، وفي حال الإدغام دون غنة، فإن سيبويه أعمل معيار الإلغاء الخليلي، حيث ألغى مخرج الياء الخلفي (بالنسبة لمخرج النون) لصالح عملية الإدغام التي تعمل على تقليل الجهد العضلي **(قانون الخفة)**.

1 هذا ما يراه ابن عصفور، انظر: الممتع، 689/2.

2-**المخرج الخيشومي**[1]: وفي هذه الحالة يكون مخرج النون المخفاة أعمق من مخرج ما تخفى عنده أو هي منه، فمن اللهاة تخرج القاف وباقي حروف الإخفاء أكثر أمامية، وحروف الإخفاء هي: (ق/ك، ج/ش/ض، ط/د/ت، ص/ز/س، ظ/ث/ذ، ف)

أما الضاد والشين فلاستطالتهما واتصالهما بمخرج الطاء؛ هذا ما حمل سيبويه على معاملة حروف وسط اللسان **(ض، ش)** كحروف طرف اللسان الأكثر أمامية، فإذا كان مبدأهما من وسط اللسان، إلا أن منتهى صوتهما يكون عند مخرج الطاء -فهذه الحروف وصفت في كتب التراث بالاستطالة وسيأتي بيانها- مرورا بمخرج اللام، وكأنهما من مخرج ما يمران به وينتهيان عنده من حروف، وعلى هذا فهما لم يلغيا **قانون الأخرج**.

رغم كون مبدأ خروج الشين من وسط اللسان والضاد من حافته، إلا أننا نجد أن أصواتا ذات مخرج أكثر أمامية كحروف طرف اللسان وأصول الثنايا وطرفه وأطراف الثنايا (ط، د، ت، ظ، ذ، ث)، تدغم في بعض حروف وسط اللسان، وهي: النون في الياء، والطاء وأحواتها والظاء وأخواتها في الضاد والشن، **وزاد الكوفيون الجيم أيضا**،[2] والسبب في ذلك

---

1 المخارج في تصنيف علماء العرب القدامى محلها فراغ الحلق والفم، بدء من الحنجرة وانتهاء بالشفتين، والخيشوم عند سيبويه مسرب مكمل لنطق بعض بعض الحروف هما: الميم والنون ما عدا في حالة إخفائها، ليصبح الخيشوم مخرجا للنون المخفاة التي تتعد صور نطقها بحسب مخرج الحرف الذي تخفى عنده، وهذا ساعده على اتخاذها معيارا ضابطا يساعده في التصنيف (سماه البحث: **معيار التوازن النوني**)، واعتبار الخيشوم مخرجا للنون المخفاة، جاء به سيبويه كطريقة -ضمنية- لتطبيق معيار التوازن النوني، ولكي يتجنب به مشاكل التصنيف، وقد جعل مخرج الخيشوم آخر المخارج في تصنيفه حيث قال: (ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة) سيبويه: الكتاب، 4/ 434. ومن هذا النص يمكن أن يستنتج: أن سيبويه جعل مخرج الخيشوم آخر المخارج ومخرجا لبعض ألوفونات النون، وهذا ما لم يفعله مع سائر الحروف، لا لكونه مخرجا مستقلا أو هامشيا، وإنما فقط للتلميح بأنه معيار جمالي أكثر منه وظيفي، وسيناقش البحث هذه النقطة في نهاية الفصل.

2 انظر: الصيمري: التبصرة والتذكرة، 1/945-948.

يعود إلى صفات الصوتين، فالشين والضاد حرفان مستطيلان،[1] والاستطالة عند عند سيبويه تسمى المخالطة، وهي تعني أن هواء الحرف يستمر في الاحتكاك من بداية المحرج حتى يتصل بمخرج حرف آخر أكثر أمامية، قال: (واللذان خالطاها الضاد والشين، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء)[2]

- **ثالثا العلاقات الإدغامية في حروف حافة اللسان وما يليها من الأضراس (الضاد):**

✓ **الإدغام المتقدم:**

يبدو أن هذا المخرج له خصوصية إدغامية، حيث يمتنع الإدغام فيه؛ إذا كان من الضاد نحو حروف أكثر أمنامية، إلا على وجه من الشذود، وإليك التفصيل:

**1- إدغام الضاد في حروف حافة اللسان (اللام):**

لا تدغم الضاد في حروف الحافة؛ لأنها حرف مستصيل، قال ابن عصفور (ت669هـ): (ثمَّ الضاد، ولا تُدغَم في شيء من مقارباتها وسبب ذلك أنَّ فيها استطالة وإطباقًا واستعلاء، وليس في مقارباتها ما يَشركها في ذلك كُلِّه، فلو أُدغمت لأدَّى ذلك إلى الإخلال بها، لذهاب هذا الفضل الذي فيها)[3]

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 448/4 و479 و457 و 466، 470.

2 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 457.

3 ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف ، 438/1.

## 2- إدغام الضاد في حروف طرف اللسان (ط):

تدغم الضاد في الطاء شذوذا، قال ابن عصفور: (فأمَّا إدغام بعضهم لها في الطاء بقوله: مُطَّجِع، يريد: مُضطجِعًا، فقليل جِدًّا ولا ينبغي أن يقاس. والذي شجَّعه على ذلك أشياء، منها: موافقةُ الضاد للطاء في الإطباق الذي فيها والاستعلاءِ، وقربُها منها في المخرج، ووقوعُها معها في الكلمة الواحدة أكثر من وقوعها في الانفصال؛ لأنَّ الضاد التي تكون آخر كلمة لا يلزمها أن يكون أوَّل الكلمة التي تليها طاء، ولا يكثر ذلك فيها بخلاف مضطجع. فلمَّا اجتمعت هذه الأسباب أدغموا، واغتفروا لها **ذهاب الاستطالة** التي في الضاد)[1]

## 4-الإدغام المتراجع:

يسمح نظام اللغة للحروف المتقدمة مخرجيا على الضاد (ما عدا: ر، ن، ل) بالإندغام فيها، لاستطالبة الضاد ومخالطتها مخرج خروف طرف اللسان، وإليك التفصيل:

- **إدغام حروف طرف اللسان والثنايا في الضاد:**

### أ- إدغام حروف طرف اللسان وأصول الثنايا (ط، د، ت) في الضاد:

تدغم الطاء وأخواتها في الضاد؛ لأن الضاد وإن كانت تبدأ من حافة وسط اللسان فإن هواها يستمر في الاحتكاك بكامل المخرج الحافّي، حتى ينتهي عند مخرج الطاء تقريبا، وبهذا فالضاد اتصلت وخالطت مخرج الطاء، وهذا سمح لهن بالإندغام فيها، قال سيبويه: (وقد تدغم الطاء والتاء والدال في الضاد، لأنها اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما للام فوقه من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها

1 ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف ، 438/1.

لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة فلما قاربت الطاء فيما ذكرت لك أدغموها فيها؛ كما أدغموها في الصاد وأختيها، فلما صارت بتلك المنزلة أدغموا فيها التاء والدال؛ كما أدغموها في الصاد، لأنهما من موضعها، وذلك قولك: اضبضرمة وانعضرمة،[1] وسمعنا من يوثق بعربيته قال: ثَار فضَجّضَّجّةً رَكائِبُهْ، فأدغم التاء في الضاد)[2]

ب- **إدغام حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا (ظ، ذ، ث) في الضاد:**

تدغم الظاء وأخواتها في الضاد، لأن الضاد حرف مستطيل، والاستطالة من أقوى الصفات، وشرط الإدغام أن لا تذهب الصفة الأقوى مع الأضعف، هذا هو **قانون الحرف الأقوى**،[3] قال سيبويه: (وكذلك الظاء والذال والثاء، لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا يدغمن في الطاء وأخواتها، ويدغمن أيضاً جميعاً في الصاد والسين والزاي، وهن من حيزٍ واحد وهن بعد في الإطباق والرخاوة كالضاد، فصارت بمنزلة حروف الثنايا وذلك احفضرمة وخضرمة وابعضرمة[4])[5]

**- رابعا العلاقات الإدغامية في حروف وسط اللسان (الشين):**

**5-الإدغام المتقدم:**

يبدو أن لمخرج وسط اللسان (ج، ش، ي) خصوصية إدغامية، إذا كان الإدغام متقدما؛ أي كون الحرف المدغم من مخرج وسط اللسان والمدغم فيه من طرف اللسان، وذلك من عدة وجوه وهي:

---

1 اضبط ضرمة، انعت ضرمة.

2 سيبويه: الكتاب، 465/4.

3 قال المبرد: (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)، المقتضب، 211/1.

4 احفظ ضرمة، خذ ضرمة، ابعث ضرمة.

5 سيبويه: الكتاب، 465/4.

1- تمتنع الياء النصف مدية من أن تدغم في غير الياء النصف مدية،[1] أو أن يدغم فيها غيرها.

2- تمتنع الجيم من أن تدغم في غير الجيم، أو أن يدغم فيها غيرها، قال المبرّد: (ولا تُدْغَمُ الشِّينُ في الجِيمِ البتة؛ لأن الشِّينَ من حروفِ **التفشّي**، فلها استِطالةٌ من مَخرجِها حتى تَتَّصِلَ بمخرج الطاءِ. **والإدغامُ لا يُبْخِسُ الحروفَ ولا يُنقِصُها**)[2]

3- تمتنع الشين من أن تدغم في غير الشين، أو أن تدغم في حرف مقارب، وشذ إدغاهما في الضاد،[3] وتمتنع من أن تدغم في حرف من مخرج أكثر أمامية، قال سبط الخياط (ت541هـ): (واعلم أن من حروف المعجم تسعة أحرف لم تلق مثالها فتدغم، فيها ولا تدغم هي فيما قاربها إلا على الشذوذ ... الخاء والطاء والظاء والصاد والضاد **والشين** والزاي)[4]

ويبدو أن جمع سيبويه للضاد والشين تحت اسم "**المخالطين**"[5] يعكس قيمة إدغامية، فالضاد والشين لا يدغمان في حرف من مخرج متقدم، والعكس صحيح لما فيهما من الاستطالة حتى خالطا به مخرج الطاء واللام، بل وزادت الشين أن لا تدغم في حرف من

---

1 انظر: سيبويه: المرجع نفسه ، 446/4.

2 المبرد: المقتضب 1/ 346.

3 تدغم الشين في الضاد لأنهما حرفان مستطيلان، وهذا من شواذ الإدغام عند الكوفيين وقد خالفوا به سيبويه، وقد أفرد لذلك السيرافي بابا في آخر شرحه سماه: هذا باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره"، ذكر فيه ما ذكره الكوفيون في باب الإدغام، وعلق على مذهبهم بقوله" (ومذهب الكوفيين في الإدغام قليل ليس بعام مستوعب للحر وف والكلام عليها، ولم يصنفوا الحروف على ما صنفه سيبويه، ولم يلقبوها كتلقيبه) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 462/5، وقد ألف كتابا لأخر سماه: ما ذكره الكوفيون من الادغام، انتقد فيه الكسائي والفراء في عدة مسائل، ورد عليهم ردا مفحما.

4 سبط الخياط: كتاب المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي، 1/ 133-134.

5 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 457.

مخرجها وهو الجيم لما فيها من التفشي،[1] وعليه فالمخالطة والتفشي صفتان يعكسان القوة الإدغامية للحرف.

✓ **الإدغام المتراجع:**

**1- إدغام حروف طرف اللسان والثنايا في الشين:**

**أ- إدغام حروف طرف اللسان وأصول الثنايا (ط، د، ت) في الشين:**

تدغم حروف طرف اللسان وأصول الثنايا في الشين لاستطالتها، قال سيبويه: (وتدغم الطاء والدال والتاء، في **الشين لاستطالتها**، حين اتصلت بمخرجها، وذلك قولك اضبشَّبثاً، وانعشَّثاً، وانقشَّثاً،[2] والإدغام في الضاد أقوم لأنها قد خالطت باستطالتها الثنية وهي مع ذا مطبقة ولم تجاف عن الموضع الذي قربت فيه من الطاء تجافيها وما يحتج به في هذا قولهم عاوشنباء فأدغموها)[3]

**ب- إدغام حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا في الشين:**

بسبب الاستطالة في الشين[4] عوملت معاملة الضاد، فأدغموا فيها حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا، قال سيبويه: (وتدغم الظاء والذال والثاء فيهاّ، لأنهم قد أنزلوها منزلة

---

1 سيبويه: المرجع نفسه ، 448/4-449، ولم يذكر سيبويه أي مثال إدغامي لحرف الجيم في كتابه، وهذا يعني أنها لا تدغم ولا يدغم فيها أي حرف عنده.

2 اضبط شبثا، انعت شبثا، انقد شبثا.

3 سيبويه: الكتاب، 466/4.

4 وصف سيبويه الشين بالاستطالة صراحة، قال: (وتدغم الطاء والدال والتاء، في **الشين لاستطالتها**؛ حين اتصلت بمخرجها) سيبويه: الكتاب 466/4.

الضاد، وذلك قولك: احفشَّنباء، وابعشّنباء، وخشّنباء، والبيان عربي جيد، وهو أجود منه في الضاد لبعد المخرجين، وأنه ليس فيها إطباقٌ، ولا ما ذكرت لك في الضاد)[1]

**إلى هنا ينتهي الحديث عن التداخلات الإدغامية عند تطبيق قانون الحرف الأقوى، وهذه التداخلات قد مست:**

1- إدغام حروف طرف اللسان وأصول الثنايا في حروف الصفير.
2- إدغام حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا في حروف طرف اللسان وفُويق الثنايا (حروف الصفير).
3- الإدغام في حروف الصفير.
4- الإدغام في الحروف المخالطة.
5- إدغام حروف طرف اللسان وأصول الثنايا في الضاد.
6- إدغام حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا في الضاد.
7- إدغام حروف طرف اللسان وأصول الثنايا في الشين.
8- إدغام حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا في الشين.

والآن ينتقل للحديث عن العلاقات الإدغامية في حروف الحافة مع سائر الحروف.

✓ **<u>خامسا العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان (النون) مع حروف وسط اللسان</u>:**

يخظع الإدغام في حروف وسط اللسان لعدة قوانين مانعة له، لكن هناك استثناءات لصالح حرف النون.

1 سيبويه: المرجع نفسه، 466/4.

حيث لا يدغم في الياء غير الياء والنون، لأن الياء حرف لين واللين من أقوى الصفات، لذا لا إدغام في حروف اللين، ويرجع قبول الياء والواو نصف المديتين لادغام النون فيهما، لأن الغنة تشبه المد والين[1] –وقد مر تعليل ذلك– إضافة إلى أن حرف النون المدغم في حرفي اللين قد لا تذهب صفته،[2] قال سيبويه: (وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة، لأن الياء أخت الواو، وقد تدغم فيها الواو، فكأنهما من مخرج واحد، ولأنه ليس مخرجٌ من طرف اللسان أقرب إلى مخرج الراء من الياء؛ ألا ترى أن الألثغ بالراء يجعلها ياء، وكذلك الألثغ باللام، لأن الياء أقرب الحروف من حيث ذكرت لك إليهما)[3]

**ومما سبق يستنتج أنه لا يدغم من حروف الحافة في حروف وسط اللسان إلا حرف النون، وهذه خصيصة أهلتها كي تكون معيارا للتوازن في نظرية سيبويه الصوتية.**

✓ **<u>سادسا العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان (النون) مع حروف الشفتين:</u>**

تنتظم العلاقات الإدغامية بين حروف اللسان وحروف الشفتين وفق نوعين من العلاقات، وهما الإدغام الممنوع والإدغام الواجب.

ولفهم هذه العلاقات الإدغامية، لا بد من تحديد الحروف المعنية بهذا الإدغام، حيث لا يدغم من حروف وسط اللسان في حروف الشفة إلا النون في الباء والميم والواو.

---

1 انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 2/ 435.

2 شرط الإدغام أن لا تذهب الصفة الأقوى مع الأضعف، هذا هو **قانون الحرف الأقوى**، قال المبرد: (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)، المقتضب، 211/1.

3 سيبويه: الكتاب، 453/4.

أ- **الإدغام الواجب:**

1- **إدغام النون في الباء (الاقلاب):** تقلب النون المتحركة[1] ميما إذا لاقت الباء، أي تبدل ميما، لأن الباء والميم أختين في المخرج، والنون والميم أختين في صفة الغنة، قال سيبويه: (وتقلب النون مع الباء ميماً لأنها من موضع تعتل فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذ كانت الباء من موضع الميم، كما أدغموها فيما قرب من الراء في الموضع، فجعلوا ما هو من موضع ما وافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع، ولم يجعلوا النون باءً لبعدها في المخرج وأنها ليست فيها غنةٌ ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم، وذلك قولهم ممبك يريدون من بك وشمباء وعمبرٌ يريدون شنباء وعنبراً)[2]

2- **إدغام النون في الميم:** تدغم النون اللسانية في الميم الشفوية، بسبب الغنة فيهما، فهما يتشابهان في السمع وليس في الحروف حرف غيرهما تكون الغنة سمة مائزة له، قال سيبويه: (وتدغم النون مع الميم، لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران، قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت؛ حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى تتبين، فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب، وإن كان المخرجان متباعدين، إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعاً في الخياشيم)[3]

3- **إدغام النون في الواو:** تدغم النون في الواو الشفوية دون أن تقلب باء، قال سيبويه: (وتدغم النون مع الواو بغنة وبلا غنة لأنها من مخرج ما

---

1 النون المتحركة، يقصد بها النون المظهرة والمدغمة في حروف (ن، ل، ر)، وتقابلها النون المخفاة لا الساكنة سكونا حقيقيا، وهذا ما درج عليه النحاة في باب الإدغام، وسيأتي بعد قليل بيان هذا الأمر.

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 453.

3 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 452-453.

أدغمت فيه النون، وإنما منعها أن تقلب مع الواو ميماً أن الواو حرف لين يتجافى عنه الشفتان، والميم كالباء في الشدة وإلزام الشفتين، فكرهوا أن يكون مكانها أشبه الحروف من موضع الواو بالنون، وليس مثلها في اللين والتجافي والمد، فاحتملت الإدغام كما احتملته اللام، وكرهوا البدل لما ذكرت لك)[1] ونظرا لكون الواو فيه ليونة فإن الغنة في النون تشبه الليونة التي في الواو،[2] وهذا راجع حسب رأيي إلى أنه كما يمكن إطالة زمن النطق بأصوات العلة؛ فإنه يمكن إطالة زمن الغنة، خاصة في التجويد القرآني، ويعضد هذا الرأي تعليل ابن عصفور لإدغام النون في الياء، بمشابهة الغنة للين الذي في الياء، ويحمل عليه الواو لأن فيها لينا، ولأن الياء تدغم في الواو، قال: (ولا يدغم فيها حرف صحيح أصلا، إلا النون نحو: "من يوقن"، والسبب في أن أدغمت النون وحدها من بين سائر الحروف الصحاح في الياء، أن النون غناء فأشبهت بالغنة التي فيها الياء؛ لأن الغنة فضل صوت في الحرف، كما أن اللين فضل صوت في حروف العلة، وأيضا فإن النون قريبة في المخرج من الواو التي هي أخت الياء، ويدغم فيها الواو لتشاركهما في الاعتلال واللين –كما تقدم– وذلك نحو: طويت طيّا، ولويت ليّا).[3]

وبالنظر إلى العلاقات الإدغامية بين حروف اللسان والشفتين، والتي تنص على أنه لا يدغم من حروف اللسان في حروف الشفتين إلا النون، وذلك في الميم والباء، والواو، وبناء عليها عدَّ سيبويه الواو حرفا شفويا ولم يجعله حنكيا قصيا من مخرج القاف؛ لأن النون

1 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 453.

2 انظر: ابن عصفور: الممتع، 689/2.

3 ابن عصفور: الممتع، 689/2.

نخفى عند القاف، وتدغم في الواو بغنة ودون غنة،[1] ففارقت بذلك القاف التي تخفى عندها النون وتصاحبها دائما الغنة، وشابهت الميم التي تدغم فيها بغنة. وهذا تم بتطبيق:

- ✓ **معيار الإلغاء لتطويع المعطيات الخارجية (الفسيولوجية والفيزيائية) لصالح النظام اللغوي.**
- ✓ **معيار التوازن النوني.**

**ب- الإدغام الممنوع:**

1- **لا تدغم الميم في النون:** لتباعد المخرجين، ولأن الميم من حروف الشفتين التي ليست بأصل للإدغام، قال سيبويه: (ولم يدغموا الميم في النون، لأنها لا تدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين، فكذلك لم يدغموها فيما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة) [2]

2- **لا تدغم النون في الميم والواو والياء:** وذلك إذا كانت في الكلمة نفسها؛ وذلك بسبب تدخل **قانون أمن للبس،** فإن أمن اللبس جاز الإدغام، قال سيبويه: (وتكون ساكنةً مع الميم، إذا كانت من نفس الحرف بينةً والواو والياء بمنزلتها مع حروف الحلق، وذلك قولك: شاةٌ زنماء، وغنمٌ زنم، وقنواء، وقنيةٌ، وكنيةٌ، ومنيةٌ، وإنما حملهم على البيان **كراهيةُ الالتباس** فيصير كأنه من المضاعف، لأن هذا المثال قد يكون في كلامهم مضاعفاً، ألا تراهم قالوا: امّحى، **حيث لم يخافوا اِلتباساً** لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم، وسمعت الخليل يقول في انفعل من وجلت اوّجل، كما قالوا: امّحى، لأنها نون زيدت في مثال لا تضاعف فيه الواو، فصار هذا بمنزلة المنفصل في قولك: من مثلك، ومن مات، فهذا يتبين فيه أنها نون بالمعنى والمثال، وكذلك انفعل من يئس

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 453.

2 سيبويه: الكتاب، 456/4.

على هذا المقياس، وإذا كانت مع الباء لم تتبين وذلك قولك شمباء والعمبر، ولأنك لا تدغم النون وإنما تحولها ميماً، والميم لا تقع ساكنة قبل الباء في كلمةٍ فليس في هذا التباس بغيره) [1]

✓ **سابعا العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان مع حروف وسط اللسان:**

تدخل حروف الحافة (النون) في علاقات إدغامية مع حروف وسط اللسان (الياء)، وهذا بيانها:

تدغم النون في الياء بغنة ودون غنة، قال سيبويه: (وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة لأن الياء أخت الواو وقد تدغم فيها الواو فكأنهما من مخرج واحد، ولأنه ليس مخرجٌ من طرف اللسان أقرب إلى مخرج الراء من الياء؛ ألا ترى أن الألثغ بالراء يجعلها ياء وكذلك الألثغ باللام، لأن الياء أقرب الحروف من حيث ذكرت لك إليهما)[2] تدغم النون في الياء والواو نصف المديتين، لأن الغنة أشبهت اللين، فسوغت إدغامها –مر تعليل إدغام النون في الواو قبل قليل– وقد علل ابن الحاجب إدغامها في الياء والواو؛ بإمكانية بقاء غنتها.[3]

✓ **ثامنا العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان (حرف النون) مع سائر حروف الفم (حروف الإخفاء):**

لا يدغم من حروف مدرجة حافة اللسان مع حروف تقع خلفها إلا النون، فالقاف والكاف –وكذلك الغين والخاء– لا يدغم فيها أي حرف من الحروف المتقدمة عليها مخرجيا غير النون، وسمي هذا الإدغام إخفاء، وذلك حسب رأيي يبرر للقدامى ما لاحظوه من أن هذا النوع من الإدغام مختلف؛ لأنه خالف **قانون الأخرج**، الذي ينص على أن الإدغام أن

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 455–456.

2 سيبويه: المرجع نفسه ، 4/ 453.

3 انظر:ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، تح: درويش الجويدي، ط2008/1، المكتبة العصرية–بيروت، ص: 89–90.

يسير في اتجاه أمامي، إضافة إلى أن النون تفقد مخرجها اللثوي لصالح مخرج حرف الإخفاء، وفي الإدغام العادي يفنى الصوت الأول في الثاني مخرجا وصفة.

والرأي عندي أن سبب هذا الإدغام، هو أن الغنة صوت يخرج مبتدئا من أول الخيشوم حيث توجد اللهاة التي تفتح مجرى الهواء نحوه، وبذلك يكون للنون فضاء واسع يسبح فيه، يمكنه من الاتصال بمخرج غيره من الحروف الواقعة خلف مخرج الجيم, وهذا هو الحد الفاصل –أي اللهاة– بين النون وحروف الحلق، فكان ذلك سبب بيانها عندها.

وهذا الرأي يعضده ما رآه ابن الحاجب، من أن إدغام النون في الياء والواو كان بسبب إمكانية بقاء غنتها، قال: (وأدغمت النون في اللام والراء لكراهة نبرتها، وفي الميم – وإن لم يتقاربا– لغنتها، وفي الواو والياء؛ لإمكان بقائها)[1] فإمكانية البقاء كانت بسبب الفضاء الواسع الذي يحتله الهواء اللازم لإنتاج النون.

والإخفاء يعد نطقا مزدوجا بين الإظهار والإدغام نطقا نسبيا لا متساويا بين صفة الغنة والحرف الذي أدغمت فيها النون الساكنة والتنوين، ويكون ذلك بفعل تأثير الحروف الخمسة عشر في النون، فتفنى فيهن وتبقى صفة الغنة بارزة ودالة على أن حرفا من الحروف الخيشومية قد زال مخرجه الفموي بالإدغام، لذلك يمكن أن نسمي ذلك بالحروف المزدوجة المخرج؛ أحدهما وقفي فموي وهو النون –الذي يتحول مخرجه إلى مخرج الحرف الذي يليه– والثاني أنفي انطلاقي وهي الغنة[2]. وتفطن إلى هذا الازدواج في المخرج بعض القدماء من بينهم سيبويه حين قال: (تكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم , وذلك أنها من حروف الفم)[3]

---

1 ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، ص: 89–90.

2 انظر: عبد الكريم بورنان: غيث النفع في القراءات السبع، ص: 141، و صلاح الدين صالح حسنين: المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الإتحاد العربي للطباعة بمصر سنة 1981 م، ص: 33.

3 سيبويه: الكتاب، 454/4.

ولا يعد بُعد مخرجها وصفاتها سببا في إخفائها؛ لأن مخرجيها الأمامي والخلفي متجاوران مع مخارج تلك الحروف الفموية التي تخفى عندها بدون فاصل ، مع اشتراكها مع جل الحروف المخفية عندها في الجهر والشدة والرخاوة وبالتالي ففكرة البعد ليست هي التي جعلتها مخفية وإنما ازدواجية مخرجها هي التي جعلتها قوية فأخفي جزء منها وبقي جزء آخر.[1]

قال سيبويه عن إخفاء النون: (وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً، مخرجه من الخياشيم، وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم لأنها أكثر الحروف. فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم، كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، **وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنه ليس حرفٌ يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبس،**[2] وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم، وذلك قولك: من كان، ومن قال، ومن جاء)[3]

وانطلاقا من هذا يمكن أن نبين تلك الحروف التي تخفى عندها النون الساكنة، كالآتي:

أ- **حروف أدنى الحلق:** الغين والخاء، والأصل فيها الإظهار لأنها من حروف الحلق عامة، واختار بعض القراء الإخفاء عنداها، قال الشيخ العطار: (فأما الإظهار فعند الأحرف الحلقية لتباعدها منها، وأشد الحلقية منها تباعدا الهمزة، والهاء والعين والحاء، وأخفاها بعضهم عند الغين والخاء)[4] وقد أخفى النون الساكنة والتنوين أبو جعفر يزيد بن القعقاع واسحاق بن محمد البستي عن نافع،

---

1 انظر: عبد الكريم بورنان: غيث النفع في القراءات السبع، ص: 142.

2 يظهر أنه يقصد أن أمن اللبس عند إخفاءها هو ما برر هذا الإخفاء وسوغه.

3 سيبويه: الكتاب، 454/4.

4 أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 271-272.

وابن الباذش من طريق الأهوازي لابن شنبوذ عن أبي نشيط، وبه أخذ الخزاعي لأبي نشيط من جميع طرقه.[1]

ب- **حروف أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى أو من أسفل منه قليلا (الحروف اللهوية):** القاف والكاف.

ت- **حروف بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس:** الضاد.

ث- **حروف وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى (الحروف الشجرية):** الشين والجيم. أما الياء فتدغم فيها النون ولا تخفى، لمضارعة الغنة للين.

ج- **حروف ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا (الحروف النطعية):** التاء والدال والطاء، ويلحظ أن الحروف النطعية تخرج من مخرج قريب جدا من مخرج النون الساكنة والتنوين. فكل هذا سمح لأن تخفى فيها وتبقى غنتها ظاهرة.

ح- **حروف ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا:** الثاء والذال والظاء.

خ- **حروف مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا (الحروف الصفيرية):** الزاي والسين والصاد.

د- **حروف باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى (الفاء):**

وإذا كانت النون تدغم في حروف الإخفاء، فالعكس غير ممكن، لأن للنون فضل صوت وهو الغنة، وليس في الحروف الخمسة عشر صفة تداني بها الغنة، قال سيبويه: (وليس حرف من الحروف التي تكون النون معها من الخياشيم يدغم في النون، لأن النون لم تدغم فيهن حتى يكون صوتها من الفم، وتقلب حرفاً بمنزلة الذي بعدها، وإنما هي معهن

1 انظر: أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 272.

حرفٌ بائنٌ مخرجه من الخياشيم، فلا يدغمن فيها كما لا تدغم هي فيهن، وفعل ذلك بها معهن لبعدهن منها وقلة شبههن بها، فلم يحتمل لهن أن تصير من مخارجهن) [1]

- ✓ **تاسعا العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان (النون) مع حروف حافة اللسان:**

**1-إدغام النون في حروف الحافة:** تدغم النون في حروف الحافة: اللام، الراء، فلا تفقد مخرجها وتبقى صفتها، وجلب هذا الإدغام **قانون التقارب (القرب المخرجي)**، قال سيبويه: (وهي مع الراء واللام والياء والواو، إذ أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أشرب غنةً، ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام؛ حتى تصير مثلهن في كل شيء)[2] وشرط إدغام النون في الراء واللام، أن يكونا في كلمتين منفصلتين، لأن النون لا تأتي في كلام العرب ساكنة بعدها لام أو راء من كلمة واحدة، بسبب اللبس والمؤونة العضلية الزائدة اللازمة لنطقهما، أي أن **قانون أمن اللبس وقانون الخفة** منعا مثل هذا البناء في العربية، قال سيبويه: (ولا نعلم النون وقعت ساكنة في الكلام قبل راء ولا لام، لأنهم إذا بينوا ثقل عليهم لقرب المخرجين؛ كما ثقلت التاء مع الدال في ودٍ وعدانٍ، وإن أدغموا التبس بالمضاعف ولم يجز فيه ما جاز في ودٍ فيدغم، لأن هذين حرفان كل واحدٍ منهما يدغم في صاحبه وصوتهما من الفم، والنون ليست كذلك لأن فيها غنةٌ، فتلتبس بما ليس فيه الغنة، إذ كان ذلك الموضع قد تضاعف فيه الراء؛ وذلك

1 سيبويه: الكتاب، 456/4.

2 سيبويه: مرجع سابق، 454/4.

أنه ليس في الكلام مثل قنر وعنل وإنما احتمل ذلك في الواو والياء والميم لبعد المخارج)[1]

2-**إدغام اللام في حرف النون:** تدغم اللام في النون -جوازا- لأنهما من مخرج واحد، والبيان أحسن للاستطالة التي في اللام، قال سيبويه: (وأما اللام فقد تدغم فيها، وذلك قولك: هنّرى، فتدغم في النون والبيان أحسن، لأنه قد امتنع أن يدغم في النون ما أدغمت فيه سوى اللام، فكأنهم يستوحشون من الإدغام فيها، ولم يدغموا الميم في النون لأنها لا تدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين، فكذلك لم يدغموها فيما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة) [2]

وبعد الانتهاء من الحديث عن الأعضاء الأساسية في الكلام عند سيبويه، والعلاقات الإدغامية بين حروفها، ننتقل الآن للحديث عن الأعضاء المشاركة، ودور العلاقات الإدغامية في تصنيف حروفها.

1 سيبويه: الكتاب، 456/4.

2 سيبويه: الكتاب، 456/4.

## المبحث الثالث

## التحديد الوظيفي لأجزاء جهاز النطق (الأعضاء المشاركة)

- **الأعضاء المشاركة:**

**1- الحنك:**

استَعمَل سيبويه معلمي اللسان (عضو أساسي) والحنك (عضو مشارك) لتحديد مخارج الحروف اللسانية التالية: ق، ك، ج، ش، ي، ل، ن، ر.

واستعمل عبارة: "ما فوق أقصى اللِّسان من **الحنك الأعلى**" كجزءٍ مشاركٍ في مخرجَي القاف، والكاف،[1] وعبارة: "**وسَطَ الحنك الأعلى**" كجزءٍ مشاركٍ مع وسطِ اللِّسان في مخرج الجيم، والشين، والياء،[2] وذكَر الرُّمَّانيُّ (ت 384 هـ) أنَّ الكسرةَ من الياء، وأنَّ مخرجَها وسَطُ الحنك.[3]

واستَعمَل عبارة: "ما يلي حافة اللِّسان **من الحنك الأعلى**" كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللاَّم والنون والراء،[4] وهذا تصيحا لما ظنه د/عادل إبراهيم من أن سيبويه استعمل هذا الجزء مع اللام فقط،[5] والغريب في الأمر أنه نقل نص مخرج اللام من كتاب سيبويه،[6] وقد راجعت

---

1 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/ 433 .

2 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 433 .

3 انظر: الرماني عليّ بن عيسى ،: معاني الحروف، تحقيق د. عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة، ص: 41 .

4 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/ 433 .

5 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 173.

6 أشار في الهامش إلى: الكتاب 4/ 433 .

عدة طبعات محققة منه فوجدته ساقطا،[1] وأثبته من شرح السيرافي[2]، ومن طبعة بولاق غير المحققة[3]، وهي طبعة بها زيادات وتقريرات من شرح السيرافي وبهامشها شرح الشواهد للأعلم الشنتمري، والظاهر أنه لم ينقل منها النص المذكور سابقا، لأنه أشار إلى الصفحة (433/4) وهي الصفحة التي اشتملت على ذكر المخارج في الطبعات المحققة.

وعبارات سيبويه واضحة ولا تحتاج إلى تأويل، وهذا الجدول يوضح ذلك:

| العضو الأساس | العضو المشارك | حروفه | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| أقصى اللسان | الحنك الأعلى | القاف | |
| من أسفلَ من موضع القاف من اللسان قليلا، | ومما يليه من الحنك الأعلى | الكاف | |
| وسط اللسان | وسط الحنك | الجيم والشين والياء | |
| أول حافة اللسان | الأضراس | الضاد | |
| حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف | ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق | اللام | لم يذكر سيبويه (في الطبعة المعتمدة بتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1/1999. وكذلك الطبعة التي حققها: عبد السلام هارون، |

1 انظر: سيبويه: الكتاب، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1/1999. وكذلك الطبعة التي حققها: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض، وكذلك الطبعة التي حققها: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ = 1983م.

2 انظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 5/390-391.

3 انظر: سيبويه: كتاب سيبويه، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق-مصر، ط1/1316هـ- 1897م، 2/405.

| | | | |
|---|---|---|---|
| اللسان | الضّاحك والنّاب والرُّباعيّة والثّنية | | عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ = 1983م، وأضيف نص هذا الحرف من شرح السيرافي[1] |
| حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان | ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُويق الثّنايا | النون | |
| حافة اللسان من أدناها إلى أدنى منتهى طرف اللسان قليلا | ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُويق الثّنايا | الراء | لم يستعمل سيبويه هذه العبارات في التعبير عن مخرج الراء وإنما اكتفى بما ذكره في مخرج النون، قال: (ومن مخرج النون غير أنّه أَدْخلُ في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج: الراء)[2] |

يلحظ أن الحنك عند سيبويه كان معلما يساعده في تقسم اللسان بحسب مخارج حروفه، لذا استعمل حروف اللسان وأجزاءه لتعليل العلاقات الإدغامة ولم يستعمل الحنك وأجزاءه.

2- **<u>الأسنان</u>:** **Les dents**

استعمَل المتقدِّمون أجزاءَ الأسنانِ في تعيين المخارجِ وحدودها، أمَّا عند أصحاب الدَّرس الصوتيِّ المعاصر فالغالِبُ عليهم استعمالُ لفظِ: "**الأسنان**" دون أجزائها.[3]

**استعمل سيبويه أجزاء الأسنان التالية:** الأضراس، فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، فويق الثنايا، أصول الثنايا، فويق الثنايا، أطراف الثنايا، أطراف الثنايا العُلَى.[4]

---

1 السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 5/390-391.

2 سيبويه: الكتاب، 4/433.

3 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 201.

4 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/433 – 434.

وبخصوص أجزاء الأسنان التي ذكرها سيبويه، وجعلها كعضو مشارك مع اللسان في نطق بعض الحروف هبي:

**أ- الأضراس:**

استَعمل العرب الأضراس في وصف الأصوات مما لا نجد له مثيلا في درسنا الحديث، ويرجع أقدم استعمال إلى الخليل بن أحمد (ت175هـ) حين وصف الضاد، قائلا: (ثم الضاد وهي حافِيَّة؛ لأنها من حافة اللسان وما يليها من **الأضراس**)[1]

وقد ذكر سيبويه (ت185هـ) "**الأضراس**" كجزءٍ مشارك مع حافة اللِّسان في وصف مخرج الضاد، قال: (ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد)[2] ولاحظ أنَّ الضادَ تجِدُ المَنْفَذَ لِصَوْتِها مِن بَين **الأضراس**[3]

وذكَر ابنُ جنيّ أنَّ الأضراسَ العُلْيا والسُّفْلَى تشاركُ في مخرجِ الياء، قال: (أمَّا الياءُ فتَجِدُ معها **الأضراسَ سُفْلاً وعُلْواً** قد اكْتَنَفَتْ جَنْبَتَي اللِّسان وضَغَطَتْهُ...)[4]

يبدو لي أن وصف الضاد بأنها تخرج من جزء اللسان المقابل للأضراس، دور في وصف هذا الحرف بالجانبية والإستطالة، فكون حافة اللسان هي ما يمكن أن يقابل الأضراس، إضافة إلى المساحة التي تحتلها الأضراس بدء من أضراس العقل وصولا إلى النواجذ، فهواء هذا الحرف يحتك على طول هذه الأضراس مع حافة اللسان المقابلة لها،

---

1 أبو حيان الأندلسي في: تذكرة النحاة، ص: 27، وقد أورد هذا النص عن رواية الليث لمقدمة كتاب العين التي أثبتها في كتابه.

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 433.

3 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 174.

4 ابن جني: سر صناعة الإعراب 1/ 8 .

وهذا ما جعلته جانبيا مستطيلا، **وهذا مثال جيد عن التداخل بين التحديد المخرجي والتحديد الوصفاتي للحروف، في التراث الصوتي عند العرب.**

ولصفتي **الإستطالة والجانبية** علاقة وطيدة في تحديد العلاقات اللإدغامية بين حرف الضاد وباقي حروف طرف اللسان، وهذا تفصيلهما:

- ✓ **أولا صفة الجانبية (الحافية):**

تدغم حروف طرف اللسان في الضاد، تحت تأثير **قانون التقارب (القرب المخرجي)**، قال الزمخشري (ت 538هـ): (ويدغم فيها ما يدغم في الشين إلا الجيم، كقولك: حط ضمانك، وزد ضحكاً، وشدت ضفائرها، واحفظ ضأنك، ولم يلبث ضارباً، وهو الضاحك، وإذ ضرب).[1]

وقال ابن عصفور (ت669هـ): (وتُدغَم فيها الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء واللام. وذلك نحو: هل ضَّلَّ زيدٌ؟ وابَعث ضَّرمَةَ... أمَّا اللام فأدغمت فيها، لقربها منها في المخرج. وأمَّا سائر الحروف فإنَّ الضاد، بالاستطالة التي فيها، لحقت مخرج الطاء والدال والتاء؛ لأنها اتَّصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصولَ ما اللامُ فوقه، إلَّا أنها لم تقع من الثنيَّة موقع الطاء لانحرافها؛ لأنك تضع لسانك للطاء بين الثَّنيَّتَين. وقرُبت بسبب ذلك من الظاء والذال والثاء؛ لأنهنّ من حروف طرف اللسان والثنايا، كالطاء وأختيها. والبيان عربيّ جيّد، لتباعُد ما بينها وبينهنّ).[2]

---

1 الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، 1/ 551.

2 ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف. 1/438-339,

فالإستطالة هي المخرج الطويل، الذي يحتك به الهواء وهو يشمل كل الأضراس إضافة إلى الثنيتين حيث تخرج اللام, ففضل هذه الاستطالة اتصلت وأصبحت قريبة من كل أصوات طرف اللسان.

وقد تم تفصيل العلاقات الإدغامية بين حروف حافة اللسان وحروف طرفه فيما سبق.

✓ **ثانيا صفة الإستطالة:**

لا تدغم الضاد في حروف الحافة؛ لأنها حرف مستصيل، قال ابن عصفور (ت669هـ): (ثمَّ الضاد، ولا تُدغَم في شيء من مقارباتها وسبب ذلك أنَّ فيها استطالة وإطباقًا واستعلاء، وليس في مقارباتها ما يَشركها في ذلك كُلِّه. فلو أُدغمت لأدَّى ذلك إلى الإخلال بها، لذهاب هذا الفضل الذي فيها. فأمَّا إدغام بعضهم لها في الطاء بقوله: مُطَّجِع، يريد: مُضطجِعًا، فقليل جِدًّا ولا ينبغي أن يقاس. والذي شجَّعه على ذلك أشياء، منها: موافقةُ الضاد للطاء في الإطباق الذي فيها والاستعلاءِ، وقربُها منها في المخرج، ووقوعُها معها في الكلمة الواحدة أكثر من وقوعها في الانفصال؛ لأنَّ الضاد التي تكون آخر كلمة لا يلزمها أن يكون أوَّل الكلمة التي تليها طاء، ولا يكثر ذلك فيها بخلاف مضطجع. فلمَّا اجتمعت هذه الأسباب أدغموا، واغتفروا لها **ذهاب الاستطالة** التي في الضاد[1] ... ثمَّ الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء، كلُّ واحد منهنّ يُدغَم في الخمسة الباقية، وتُدغَم الخمسة الباقية فيه. وتُدغَم أيضًا هذه الستَّة في الضاد والجيم والشين والصاد والزاي والسين. ولم يحفظ سيبويه إدغامها في الجيم. ولا يُدغَم فيهنّ من غيرهنّ إلَّا اللام. وسواء كان الأوَّل منهما متحرِّكًا أو ساكنًا. إلَّا أنَّ الإدغام إذا كان

1 ابن عصفور: المرجع نفسه ، 438/1.

الأوَّل منهما ساكنًا أحسن منه إذا كان الأوَّل متحرِّكًا؛ لأنه يلزم فيه تغييران: أحدهما تغيير الإدغام، والآخر تغيير بإسكان الأوَّل. وإنَّما جاز إدغامها فيما ذُكر لتقاربها في المخرج بعضها من بعض، ولمقاربتها حروفَ الصفير في المخرج أيضًا، كما بُيِّن في مخارج الحروف) [1]

### 3- الأسنان الأمامية (الضّاحك والنّاب والرُّباعيّة والثّنية):

استعمل سيبويه هذه الأجزاء الأسنانية لتحديد مخرج اللام والنون والراء، قال: (ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضّاحك والنّاب والرُّباعيّة والثّنية، مخرج: اللام. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون. ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء)[2]

واستعمل أصول الثنايا لتحديد مخرج الصافرات، قال: (وممّا بين طرف اللسان وأُصول الثنايا، مخرج: الطاء، والدال، والتاء. وممّا بين طرف اللسان وفُويق الثنايا، مخرج: الزاي، والسين، والصاد)[3]

واستعمل أطراف الثنايا لتحديد مخرج لأصوات بين الأسنانية والأسنانية الشفوية، وهذا يدل بوضوح أنه يقصد بأطراف الثنايا حوافها التي تقطع، خاصة وأنه استعمل أطراف الثنايا لتحديد مخرج الفاء الشفوية الأسنانية، قال: (وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا،

---

1 ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، 444/1.

2 سيبويه: الكتاب 433/4، والسيرافي: شرح كتاب سيبويه، 390/5-391.

3 سيبويه: الكتاب 433/4.

مخرج: الظاء، والذال، والثاء. ومن باطن الشّفة السُّفلى وأطراف الثنايا العُلَى ، مخرج الفاء).[1]

واستعمل ما بين الثنايا، لتوضيح كيفية خروج هواء حروف النفخ –النَّفَسِيَّة– التالية: الضَّاد والزايَ والظاء والذال، قال: (ومن المشربة حروفٌ إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولى وهي: الزاي والظاء والذال والضاد، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من **بين الثنايا**، لأنه يجد منفذاً فتسمع **نحو النفخة**، وبعض العرب أشد صوتاً وهم كأنهم الذين يرومون الحركة، والضاد تجد المنفذ من **بين الأضراس)**[2] ووصف السين والشين بالانسلال من بين الثنايا، قال في باب اطراد الإبدال في الفارسية، واضعا بعض قواعد تعريب الأعجمي: (وأما ما لا يطرد فيه البدل فالحرف الذي هو من حروف العرب نحو سين سراويل وعين إسماعيل أبدلوا للتغيير الذي قد لزم فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالإضافة فأبدلوا من **الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا** وأبدلوا من الهمزة العين لأنها أشبه الحروف بالهمزة).[3]

- **العلاقات الإدغامية في حروف الأسنان:**

أصل الإدغام لحروف طرف اللسان والثنايا، لأنها –حسب رأيي– تدغم في حروف من مخرجها ومن مخرج مقارب لها، وهو مخرج حافة اللسان، ومن مخرج أكثر خلفية وهو وسط اللسان، قال سبويه: (لأن أصل الإدغام لحروف اللسان والفم وأكثر حروف اللسان من طرف اللسان وما يخالط طرف اللسان وهي أكثر من حروف الثنايا) [4]

1 سيبويه: الكتاب، 433/4.

2 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 174.

3 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 306.

4 سيبويه: المرجع نفسه ، 462/4.

فسيبويه –كما يبدوا– أقام باب الإدغام على **قانون الأصالة**، الذي يستند بدوره إلى معيارين متداخلين:

أ– **معيار الكثرة**: وهو معيار ضابط (معيار منهجي) وهو ذا بعد إحصائي، فكثرة حروف طرف اللسان جعلت الإدغام فيه أصلا، وأكثر حروف طرف اللسان هي حروف طرف اللسان والثنايا وهي تشمل على:

1– حروف طرف اللسان وأصل الثنايا (الحروف النطعية): الطاء والتاء والدال.

2– *حروف طرف اللسان وفويق الثنايا (الحروف الصفيرية): الزاي والسين والصاد.*

3– حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا (الحروف بين أسنانية): الثاء والذال والظاء.

ب– **معيار المعاكسة**: حيث يلحظ أن حروف طرف اللسان والثنايا تحركت إدغاميا في اتجاهين متعاكسين (داخل حيزها وهو طرف اللسان ما عدا النون التي تجاوزت حيز طرف اللسان، فأخفيت عند القاف والكاف)، فصارت أمثلة الإدغام فيها كثيرة، وقد تم تفصيل العلاقات الإدغامية في هذه الزمرة من الحروف فيما مضى.

**4– <u>الشفتان</u>: les lèvres**

استعمل سيبويه هذا العضو لتحديد مخارج بعض الحروف، وكعضو مشارك في عملية الوقف بالإشمام والروم، **وكجزءٌ مشاركٌ في مخرج الحركات وحروف المدِّ**، وليفسر به العلاقات الإدغامية في زمرة الحروف الشفوية والشفوية الأسنانية، وإليك التفصيل.

### أ- الشفتان كمخرج لبعض الحروفّ:

استعمل سيبويه: "**مما بين الشفتين**" مخرجا لثلاث حروف، قال: (وممّا بين الشفتين، مخرج: الباء، والميم، والواو)[1]

وفرق سيبويه بين الحروف الثلاثة بأوضاع الشفتين، فالواو تتدور معها الشفتين مع انفراج بينهما، والباء والميم تنطبق معهما الشفتين انطباقا تاما، قال: (فالواو حرف لين يتجافى عنه الشفتان، والميم كالباء في الشدة وإلزام الشفتين)[2]

واستَعمل: "**بَاطِنَ الشَّفَةِ السُّفْلَى**" كجزءٍ أساسي مع الثنايا العُلْيا في مخرج الفاء.[3]

هناك عيوب نطقية تصيب بعض حروف الشفتين ذكرها علماء العربية، منها الظأظأة والضغظ، قال الخليل: (ويقال: ظَأْظَأَ يُظَأْظِىء ظأْظَأَةً، وهو حِكاية بعض كلامِ الأعلَم الشَّفةِ العليا والأَهْتَم الثَّنايا العُلَى، وفيه **غُنَّةٌ**، رأيتُهم يَحكُونَ ذلك)[4] وذكرَ القرطبي أن الضَّغطَ على مخرجِ الفاءِ من العُيوب، قال عنها: (ويُتَوقَّى الإفراطُ فيه بوضعِ الثنايا العُلى على الشفةِ السُّفلى؛ ليَخرُجَ الصَّوتُ والنفَسُ من بينهما من غَير **ضغطٍ** ولا تأفيفٍ)[5] وهذا يعني أن الفاء في العربية ليست حرفا نفخيا (نَفَسِيا)، ويعضد هذا أن كتب التراث المعتمدة في هذا البحث لم تذكرها ضمن حروف النفخ.

---

1 سيبويه: الكتاب 4/ 434.

2 سيبويه: المرجع نفسه، 453/4.

3 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 433.

4 الخليل: كتاب العين، 3/ 73.

5 القرطبي: الموضح، ص: 116 .

وقد خالف سيبويه الخليل الذي نسب الواو لمخرج الجوف،[1] قال: (وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء ***فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ***، وكان يقول كثيرا: الألِفُ اللَّينَةُ والواو والياءُ هوائية أي أنها في الهواء)[2] وذلك أن منهج الخليل قائم على مبدأ التنافر والإتلاف، والواو المدية –ونصف المدية كذلك–[3] وأخواتها حروف الجوف أو العلل (ء، ا، و، ي) لا تتنافر مع باقي الحروف.

فسيبويه جعل مخرج الواو من الشفتين، وذلك لعلة صرفية تتعلق بإدغام النون في غيرها، إذ تخفى النون عند حروف أقصى الحنك كالكاف والقاف (على اعتبار أن الواو حنكية قصية)، لكنها تدغم في الواو، فهل تنسب إلى أقصى الحنك أم إلى الجوف أم إلى الشفتين حيث مخرج الميم التي تندغم فيها النون؟ وما دام للشفاه مع الواو عمل والأحكام الصرفية الإدغامية ترشحها لأن تنسب إلى حروف الشفة، فقد فعل سيبويه ذلك، وهذا يتماشى مع منهجه القائم على تعليل الصفات الصوتية بحسب أحكام الصرف العربي، قال: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه

---

1 يظهر لي أن للخليل تصنيفان للأصوات، الأول **معجمي** أساسه التنافر والتآلف يهدف إلى معرفة الأصيل من الدخيل لبناء معجم للعربية، والثاني أساسه **صرفي** تضبطه العلاقات الصرفية كالإدغام والإبدال، والدليل على ذلك أنه نص على دور الأسنان في إنتاج صوت الفاء، وجعل الواو شفهية، وذلك في رواية النظر بن شميل لمقدمة كتاب العين التي أثبتها أبو حيان الأندلسي، قال: (الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا، ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين) وهكذا يكون الخليل هو من نبه سيبويه إلى إمكانية تصنيف الحروف بأكثر من طريقة، ولكل طريقة أسس وأهداف. أبي حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، ص: 30.

2 الخليل: كتاب العين، 41/1.

3 يبدو لي أن الخليل كان يعامل الواو والياء نصف مديين معاملة نظائرهما المدية، في تصنيف المعجمي المشار إليه في الهامش سابقا، لأنه لم يتكلم في مقدمته عن مخرج للياء والواو نصف مديين، واكتفى بذكر مسمى الياء والواو مع حروف العلل، وقد نوقشت هذه المسألة في الفصل السابق.

وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك)[1]

**ب- عضو مشارك في عملية الوقف بالإشمام والروم:**

عرفت العربية ظاهرة الإشمام لتقريب الصوائت المتنافرة للدلالة على الأصل الواوي في الأفعال المبنية للجهول كسيئ، وقيل، قال ابن مالك:

**واكْسِرْ أو اشْمِمْ فَا ثُلاَثِى أُعِلْ عَيْناً، وضَمٌّ جَا كـ"بُوعَ"فَاحْتُمِلْ**

وقد قرئ في السبعة قول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ هود، الآية44 بالإشمام في: (قِيل، وغِيض)[2]

وفي ياء التصغير التي بعدها حرف مشدد، قال الخليل: (وكلُّ شيءٍ مما خَلَقَ اللهُ يُسَمَّى دابّة، والاسمُ العامُّ الدابَّةُ لِما يُرْكَبُ، وتصغيرها دُوَيْبَّة، الياء ساكنة وفيها إشمام من الكسرة، وكذلك كلُّ ياءٍ في التصغير إذا جاءَ بعدها حرفٌ مُثَقَّل في كلّ شيء)[3]

واستعمل سيبويه مصطلحي الإشمام والروم عند حديثه عن الوقف، قال: (وأما الإشمام فليس إليه سبيل، وإنما كان ذا في الرفع لأن الضمة من الواو، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك لأن ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذن؛ ألا ترى أنك لو قلت هذا معن فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم، فأنت قد تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ثم تضم شفتيك ولا تقدر على أن تفعل ذلك ثم تحرك

---

1 سيبويه: الكتاب 4/ 436.

2 انظر: ابن عقيل (ت769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط20/1980م، 114/2.

3 الخليل: كتاب العين، 5/2. والحرف المثقل هو المتبوع بأحد الحركات الثلاث.

موضع الألف والياء، فالنصب والجر لا يوافقان الرفع في الإشمام وهو قول العرب ويونس والخليل)[1] وقال: (فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه؛ بالإشمام، وبغير الإشمام، كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن **تروم** التحريك، وبالتضعيف، فأما الذين أشموا فأرادوا أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال. وأما الذين لم يشموا فقد علموا أنهم لا يقفون أبداً إلا عند حرف ساكن، فلما سكن في الوقف جعلوه بمنزلة ما يسكن على كل حال، لأنه وافقه في هذا الموضع. وأما الذين **راموا** الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كل حال، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال ... وأما الذين راموا الحركة فهم الذين قالوا هذا عمر وهذا أحمد، كأنه يريد رفع لسانه) [2]

فالإشمام presque voyelle، عند سيبويه حركة مرئية لا مسموعة؛ لأنها تتم بعد تمام النطق بالصوت،[3] أما الروم soupçon de voyelle[4] فهو حركة مسموعة

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 174-175.

2 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 168.

3 قال العلامة محمد بن أبي بكر المرعشي: (الإشمام أن تضم شفتيك بعد الإسكان إشارة إلى الضم وتترك بينهما بعض الانفراج ليخرج النفس فيراهما المخاطب مضمومتين؛ فيعلم أنك أردت بضمهما الإشارة إلى حركة الآخر قبل الوقف، فهو شيء يخص بإدراكه العين دون الأذن؛ هو ليس بصوت يسمع وإنما هو تحريك عضو فلا يدركه الأعمى، والروم لا يدركه الأصم) محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 139.

4 لم أجد مقبلات أجنبية (في اللغتين الفرنسية والإنجليزية) لمصطلح الروم، لهذا اقترح البحث هذا المصطلح المترجم presque voyelle، ومعناه الحرفي شبه حركة فهو حركة مرئية غير ممسوعة، فهو يشبه الحركة عضويا ويخالفها في السماع، وهذا لتجنب الخلط الذي قد يقع مع المصطلح الفرنسي voyelle muette، التي تعني عدم نطق حركة "e" إذا وقع في نهاية الكلمة، مثل كلمة voyelle ننطق في نهايتها اللام فقط "l"، إذن الحركة الخرساء voyelle muette لا هي بالحركة المسموعة ولا بالحركة المرئية، تكتب ولا تنطق، أما الإشمام والذي يعني إعارة حرف/حركة رائحة حرف/حركة أخرى، فيقابله في الفرنسية مصطلح: soupçon de voyelle، وهو يدل فيها على إشمام أو إعارة حركة أو حرف رائحة حركة أو حرف آخر، انظر محمد رشاد الحمزاوي: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، عدد 14 سنة 1977، ص: 85.

مـرئـيــة.[1]

والروم حركة تخص المضموم دون غيره من الألفاظ، قال السرَّاج (ت316هـ) مستعملا مصطلح الروم بمعنى الإشمام: (إنَّما لم يكن الإشمامُ في النَّصب والجَرِّ عند الوقف؛ لأنَّه لا آلةَ للألف والياء يُمْكِنُ فيها ذلك، بينما **للمَرفوعِ آلةٌ، وهي الشفتان**.[2]

ولا أثر أكوستيكي للشفتين في أثناء أداء حركة الإشمام، وذلك راجع لكون تدوير الشفتين تم بعد نطق الصوت ساكنا والتمام منه، قال العلامة المرعشي: (الإشمام أن تضم شفتين بعد الإسكان إشارة إلى الضم)[3]

وقال الشيخ محمود خليل الحصري: (هو –أي الإشمام– ضم الشفتين بلا صوت عقب إسكان الحرف إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة، ويؤخذ من هذا أنه لا بد من اتصال الشفتين بإسكان الحرف من غير تراخ، فلو تراخى فإسكان مجرد)[4]

وبما أن حركة الإشمام voyelle muette لا تسمع؛ فهذا يعني أن تدوير الشفتين فيه ليس له قيمة فونولوجية –أي لا يؤثر على المعنى –ولا قيمة فوناتيكية –أي لا أثر أكوستيكي لهما يمكن أن تلتقطه الأذن أو آلات التسجيل الصوتية، لكنه يعبر أسلوبيا عن الانتماء القبلي أو الطبقة الاجتماعية للمتكلم.

---

1 هناك خلاف لفظي بين الكوفيين والبصريين، فالكوفيون يلقبون ما سماه البصريون روما إشماما وما سموه إشماما روما، فابن كيسان ومن وافقه من الكوفيين ترجموا عن الإشمام بالروم وعن الروم بالإشمام؛ واحتجوا عن ذلك بالاشتقاق فقالوا في المعروف من كلامهم: إنك إن قلت رمت الشيء فمعناه أنك رمته ولم تصل إليه وإذا قلت أشتمت الفضة والذهب فمعناه أنك خلطتها بشيء منه، انظر: أبو عبد الودود مصطفى بن بلقاسم شاب الله: السيل العرم العوام في تجويد كلام الله العلام بطريق الأئمة الأعلام، منشورات زاوية إسماعيل جوامع، ط2، ص: 201.

2 انظر: الدانيُّ: جامع البيان، تح: خالد بن علي بن غمدان الغامدي، منشورات جامعة الشارقة–الإمارات (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى تحت إشراف محمد ولد سيدي ولد عبيد1995) الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، 3/ 949-950.

3 محمد بن أبي بكر المرعشي: جهد المقل، ص: 139.

4 محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، مكتبة السنة، ط2002/1، ص: 203.

وعلى كل حال، فسيبويه ما زال يستعمل حركات الأعضاء في تفسير قضايا الصرف.

**ت- جزء مشارك في مخرج الحركات وحروف المد:**

عرَّفَ السُّهيليُّ الحركةَ تعريفا فسيولوجيا فقال: (الحركةُ: عبارةٌ عن تحريكِ العُضْوِ الذي هو الشفَتَان عند النُّطق بالصَّوتِ الذي هو الحرفُ)[1]

وذكَر سيبويه أنَّ تحريكَ الشفتَين بالضمَّة كتحريكِ الجسد.[2] يعني عملَ عُضوٍ ظاهرٍ للعَين، بخلاف الكسرةِ والفتحةِ. وذكَر الفرَّاءُ أنَّ لمخرجَي الكسرة والضمَّة إجهاداً وثِقَلاً على اللِّسانِ **والشفتَين** بخلافِ الفتحة، قال: (فإنما يُستَثقلُ الضمُّ والكسرُ؛ لأنَّ لمخرَجَيهما مؤونةً على اللِّسانِ والشفتَين، تَنْضمُّ الرَّفْعَةُ بهما فتَثْقُلُ الضمَّةُ، ويُمَالُ أحدُ الشِّدْقَينِ إلى الكَسْرة، فتَرى ذلك ثقيلاً. والفتحةُ تَخْرُجُ من خَرْقِ الفَمِ بلا كُلْفَةٍ)[3]

وذكَر الرمَّانيُّ أنَّ حركةَ المرفوعِ من الشفتَين[4] وتابعَه: القرطبيُّ،[5] وأبي العلاء الحسن العطار.[6]

وذكَر مكيٌّ أنَّ الواوَ تَخْرُجُ من الشفتَين ويَنْقَطِعُ آخرُها في مخرج الألف.[7]

وذكَر ابنُ سينا، أنَّ الواو والضَّمَّةَ يَخرُجانِ مع أدنى مُزاحَمةٍ وتضييقٍ للشفَتَين.[8]

---

1 السهيلي: نتائج الفكر، ص: 83 .

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 171.

3 الفراء: معاني القرآن، 2/ 12.

4 انظر: الرماني: معاني الحروف، ص: 41.

5 انظر: القرطبي: الموضح، ص: 208 .

6 انظر: أبي العلاء الحسن العطار: التمهيد، ص: 288 .

7 انظر: مكي: الرعاية، ص: 137.

8 ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص: 126.

- **العلاقات الإدغامية في حروف الشفتين:**

حروف الشفتين كحروف الحلق، ليست بأصل للإدغام؛ لذا فأمثلتها الإدغامية قليلة، وقد جمعهما سيبويه بحسب هذه الخاصية تحت مسمى واحد هو: "**حروف الطرفين**"[1]، قال الداني: (ضَعْفُ الإدغامِ في حُرُوفِ الحَلْقِ والشفَتَين؛ لقِلَّتِها وبُعْدِ تَنَاوُلِها)[2]

تنتظم العلاقات التوزيعية الإدغامية في حروف الشفتين عموما، وفق ثلاثة أنواع هي: العلاقات الممنوعة، والعلاقات الواجبة، العلاقات الجائزة.

**أ- العلاقات الممنوعة:**

يمنع إدغام الميم والباء، في حروف مقاربة لها، وهي:

2- الميم مع الباء والواو والفاء.

3- الباء مع الواو.

وعلة امتناع الميم عن الاندغام في الفاء؛ أن الفاء من مخرج أكثر خلفية، ومن الملاحظ أن الإدغام يخضع **لقانون الأخرج**، أي يدغم الحرف من الحيز الأعمق في حرف من حيزه أو في حرف من الحيز الموالي، أو لنقل يسير الإدغام في خط أمامي بحسب اتجاه خروج اللهواء، فحروف الشفتين لا تدغم في حروف طرف اللسان، وحروف طرف اللسان لا تدغم في حروف أقصى اللسان، وهذه الأخيرة لا تدغم في حروف الحلق؛ إذن فالأصل أن يسير الإدغام في اتجاه أمامي بحسب سير الهواء، قال سيبويه: (ولا تدغم الحاء في الهاء كما لم تدغم الفاء في الباء، لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام ومثل

1 أي حروف الحلق، التي لا يدغم فيها حرف من حروف اللسان ولا الشفتين، وحروف الشفتين التي تدغم فيها حروف الفم ولا حروف الحلق، وقد ذكر سيبويه مصطلح حروف الطرفين مرة واحدة في كتابه، 4/ 448.

2 الداني: الإدغام الكبير، ص: 41..

ذلك امدح هلالاً فلا تدغم)[1] ولأن الإدغام يسير عادة في اتجاه أمامي بحسب اتجاه خروج الهواء، وعندما أدغمت الباء في الفاء، سمى سيبويه هذا النوع من **الإدغام قلبا**؛[2] لأن الإدغام لا يسير في اتجاه خلفي، وهذا ما منع إدغام الميم الأمامية في النون الخلفية قال سيبويه: (ولم يدغموا الميم في النون، لأنها لا تدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين، فكذلك لم يدغموها فيما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة)[3] يستنتج من هذا أن الأصل في الإدغام أن لا يتحرك متراجعا، بل يسير من مخرج إلى آخر بحسب اتجاه سير الهواء.

أما علة إندغام الباء في الميم وفي الفاء، فيرجع ذلك –حسب رأيي– إلى تدخل عوامل أو قوانين صوتية أخرى هي:

1- **قانون الحرف الأقوى:** أدغمت الباء في الميم، لأن الغنة صفة أقوى من كل صفات الباء، وادغمت الباء في الفاء لأن صفة الإنحدار في الفاء أقوى من كل صفات الباء، وشرط الإدغام ألا يدهب الإدغام بالصفة الأقوى، قال المبرد: (الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها)[4]

2- **قانون الأصالة:** أصل الإدغام لحروف اللسان،[5] فقويت الفاء المنحدرة، والانحدار هو قربها من مخرج حروف **طرف اللسان**، فقويت بذلك في باب الإدغام على الباء الشفوية فاندغمت هذه الأخيرة فيها، قال سيبويه: (والفاء لا تدغم في الباء، لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى

---

1 سيبويه: الكتاب، 449/4

2 انظر: سيبويه: المرجع نفسه ، 475/4.

3 سيبويه: الكتاب، 456/4.

4 المبرد: المقتضب، 211/1.

5 انظر: سيبويه: الكتاب، 4/ 474–475، و الداني: الإدغام الكبير، ص: 94–95، وابن عصفور: الممتع، 445/1.

وانحدرت إلى الفم وقد **قاربت من الثنايا مخرج الثاء**، وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان؛ لأنها أكثر الحروف، **فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين**، كما أن الثاء لا تدغم فيه)[1]

وإدغام الباء في الفاء يعكس أن **قانون الأصالة** أقوى من **قانون الأخرج**؛ لأن الإدغام لا يسير عادة في اتجاه خلفي، لكن إدغام الباء في الفاء كسر هذه القانون، ولتجنب هذا المشكل سمى سيبويه هذا النوع من الإدغام **قلبا**، قال: (والباء قد تدغم في الفاء للتقارب، ولأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم، وذلك قولك اذهب في ذلك ***فقلبت الباء فاءً كما قلبت الباء ميما*** في قولك اصحمَّطراً)[2] والقلب أنك تبدل مكان الحرف حرفا آخر ثم تدغم، وهذا التعليل يترك القاعدة مطردة دون شذوذ.

**ب- العلاقات الواجبة والجائزة:**

**1- إدغام حروف الشفتين في نفسها:**

كل حرف منها يدغم في نفسه، ولم يصرح بذلك سيبويه، لأن منهجه يقتضي عدم ذكر إدغام الحرف في نفسه، لأن ذلك أولى من إدغامه في مقاربه.

**2-إدغام حروف الشفتين في بعضها:**

يُدْغَمُ من **حروف الشفتين** في حروف الشفتين -ما عدا اندغامها في أنفسها-: الباءُ في الميم، والميمُ تخفى عند الباء،[3] لأنها حرف فيه غنة تذهب بالإدغام في غير نفسها، و**قانون الحرف الأقوى** ينص على أن شرط الإدغام ألا تذهب صفة حرف قوية بالإدغام لصالح صفة ضعيفة، قال الفارسي: (كل حرف فيه زيادة صوت؛ لا يدغم فيما هو أنقص

---

1 سيبويه: المتاب، 4/ 448.

2 سيبويه: الكتاب، 475/4.

3 انظر: الداني: الإدغام الكبير، ص: 78.

منه صوتا، لما يلحق المدغم من الاختلال لذهاب ما يذهب منه في الصوت، تقول: أكرم بكرا فلا تدغم الميم في الباء لما في الميم من الغنة، وتقول: اصحب مطرا، فتدغم الباء في الميم)[1]

أ- **إدغام الباء في الميم:** تدغم الباء في الميم لأنها أضعف منها، فصفة الغنة لوحدها أقوى من صفات: الشدة والجهر، وفي هذا رد على د/محمد بن علي خيرات ذغرري، الذي يرى أن الباء والميم متساويان في القوة؛ لأن في كل منها صفتي قوة (الجهر والشدة في الباء مقابل الغنة والجهر في الميم)[2] فالقضية في منهج سيبويه لا تؤخذ بالكم،[3] فإذا كان في حرف الفاء صفة واحدة قوية، وهي صفة الإنحدار -كونها اقتربت من حروف طرف اللسان وتباعدت عن حروف الشفتين من حيث الخصائص الإدغامية- وفيها صفتان ضعيفتان هما: الرخاوة والهمس، في مقابل الباء التي لها صفتان قويتان هما: الجهر والشدة، فإن الفاء قد امتنعت عن الإندغام في الباء، ولم تمنع صفات القوة الباء من أن تدغم في الفاء، والشين المتفشية لم تدغم فيها أي حرف مهما بلغت قوته، وأدغم فيها حروف طرف اللسان كلها، منها الطاء التي اجتمعت فيها صفات القوة التالية: الجهر، الشدة، الإطباق، الاستعلاء، التفخيم.

---

1 الفارسي: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ص: 276- 277.

2 انظر: محمد بن علي بن علي خيرات ذغرري: أثر مخرج الحرف وصفته في تصريف الكلمة، رسالة دكتوراه أشرف عليها سليمان بن إبراهيم العابد، نوقشت في 1998، مخطوطة بكلية اللغة العربية-جامعة أم القرى، ص: 222.

3 علماء التجويد يأخذون بالكم، فالحرف القوي هو من اتصف بأكبر عدد من صفات القوة، والعكس صحيح، وسيأتي بيان لهذه المسألة.

والرأي عندي أن تصنف الصفات إلى:

أ- **الصفات الكاملة(كاملة القوة):** تمنع حرفها من الإندغام في غيره مطلقا (إلا أن يدغم في حرف له تلك الصفة كإدغام الشين في الضاد لأن فيهما إستطالة،[1] والصفات الكاملة هي: الانحدار في الفاء، والتفشي في الشين، والاستطالة في الضاد والشين، والتكرير في الراء، والغنة في الميم.

ب- **الصفات الناقصة (أقل قوة في باب الإدغام من سابقتها):** لا تمنع حروفها من الاندغام إذا كان الحرف المدغم فيها يحمل صفات أقوى منها، كالباء يدغم في الميم، فتذهب شدته لصالح توسط (بين الشدة والرخاوة) الميم، وهذه الصفات هي: الجهر، الشدة، الإطباق، الاستعلاء.

ت- **الصفات المُحَيَّدة (الضعيفة):** وهي التي لا أثر لها في باب الإدغام، كالهمس والرخاوة.

- **إدغام حروف طرف اللسان في حروف الشفتين:**

يدغم من حروف اللسان حرف النون في حروف الشفتين (و، م)؛ لأنه من طرف اللسان وأصل الإدغام لحروف اللسان،[2] ولما فيه من الغنة، لهذا لم تدغم الميم لما فيها من الغة في حرف غير نفسها؛ لأن الإدغام ليس بأصيل في حروف الشفتين. [3]

---

1 هذا من شواذ الإدغام عند الكوفيين وقد خالفوا به سيبويه. وكل ما خولف فيه سيبويه في باب الإدغام يعزى عادة إلى مدرسة الكوفة، خاصة الكسائي والفراء، وقد أفرد لذلك السيرافي بابا في آخر شرحه سماه: هذا باب أفردته بعد الفراغ من إدغام كتاب سيبويه وتفسيره"، ذكر فيه ما ذكره الكوفيون في باب الإدغام، وعلق على مذهبهم بقوله" (ومذهب الكوفيين في الإدغام قليل ليس بعام مستوعب للحر وف والكلام عليها، ولم يصنفوا الحروف على ما صنفه سيبويه، ولم يلقبوها كتلقيبه) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، 462/5، وقد ألف كتابا لأخر سماه: ما ذكره الكوفيون من الادغام، انتقد فيه الكسائي والفراء في عدة مسائل، ورد عليهم ردا مفحما.

2 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 453.

3 نظر: الداني: الإدغام الكبير، ص: 94-95.

والنون هي الحرف الوحيد من طرف اللسان الذي يدغم في حروف الشفتين (وفي حروف طرف اللسان وفي حروف أقصى اللسان وحروف الحلق (فيما يعرف بالإخفاء عند القاف والخاء والغين)[1] وهذا يرجع حسب رأيي إلى اجتماع أمرين:

- ✓ **قانون الأصالة:** فالإدغام أصل في حروف اللسان،[2] لهذا تمكن أحد حروفه (النون) من الإندغام في حروف الشفتين، ونظرا لقوة هذا القانون؛ فقد كان سببا في منع **ادغام الميم في النون،** قال سيبويه: (ولم يدغموا الميم في النون، لأنها لا تدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين، فكذلك لم يدغموها فيما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة)[3]، وقال الداني: (ولأن الميم من حروف الشفتين التي ليست بأصل للإدغام)[4] لكن هذا العامل ليس كافيا لتعليل كل إدغامات النون، لأن هناك حروفا أخرى من طرف اللسان كالراء والطاء، ولم تحض بما حضيت به النون في هذا الباب؛ لهذا نلجأ إلى عامل آخر وهو الغنة.
- ✓ **الغنة:** فالغنة هي صوت مصاحب للنون والميم، وهذا الصوت يبقى حتى عندما تخفى النون ويتحول مخرجها إلى مخرج الحرف الذي يليها، قال ابن الحاجب: (وأدغمت النون في اللام والراء؛ لكراهة نبرتها، وفي الميم –وإن لم يتقاربا– لغنتها، وفي الواو والياء؛ لإمكان بقائها).[5]

---

1 انظر: أبو العلاء الحسن العطار: التمهيد في معرفة التجويد، ص: 271–272.

2 انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 453.

3 سيبويه: الكتاب، 456/4.

4 انظر: الداني: الإدغام الكبير، ص: 94–95.

5 ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، ص: 89–90.

من هذا يستنتج أن قوة النون في باب الإدغام وكثرة أمثلتها فيه يرجع إلى أجتماع **الأصالة والغنة** فيها، وهذا مالم يتأت للميم ولا لأي حرف من حروف طرف اللسان.

ويظهر لي أن سيبويه اتخذ النون **معيارا ضابطا**، أسماه البحث: **معيار التوازن النوني**، حيث ساعده في تصنيف الحروف في أحياز، فمثل هذا التصنيف مؤسس على معطيات فونولوجية وصرفية، في مقابل تصنيف الخليل الذي اعتمد فيه على معيار التنافر المؤسس على معطيات فونولوجية ومعجمية.

أ- **إدغام النون في الواو:** ذكر سيبويه إدغام النون في الواو، قال: (وتدغم النون مع الواو بغنة وبلا غنة لأنها من مخرج ما أدغمت فيه النون، وإنما منعها أن تقلب مع الواو ميماً أن الواو حرف لين يتجافى عنه الشفتان، والميم كالباء في الشدة وإلزام الشفتين، فكرهوا أن يكون مكانها أشبه الحروف من موضع الواو بالنون وليس مثلها في اللين والتحافي والمد، فاحتملت الإدغام كما احتملته اللام وكرهوا البدل لما ذكرت لك)[1] وعلل ابن عصفور إدغام النون في الياء والواو، بمشابهة الغنة للين الذي فيهما، ولأن الياء تدغم في الواو، قال: (ولا يدغم فيها حرف صحيح أصلا، إلا النون نحو: "من يوقن"، والسبب في أن أدغمت النون وحدها من بين سائر الحروف الصحاح في الياء، أن النون غناء فأشبهت بالغنة التي فيها الياء؛ لأن الغنة فضل صوت في الحرف، كما أن اللين فضل صوت في حروف العلة، وأيضا فإن النون قريبة في المخرج من الواو التي هي أخت الياء، ويدغم فيها الواو

1 سيبويه: الكتاب، 453/4.

لتشاركهما في الاعتلال واللين –كما تقدم– وذلك نحو: طويت طيّا، ولويت ليّا)[1]

ب– **إدغام النون في الميم:** تدغم النون اللسانية في الميم الشفوية، بسبب الغنة فيهما، فهما يتشابهان في السمع وليس في الحروف حرف غيرهما تكون الغنة سمة مائزة له، قال سيبويه: (وتدغم النون مع الميم، لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران، قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت؛ حتى إنك **تسمع النون كالميم والميم كالنون** حتى تتبين فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب وإن كان المخرجان متباعدين إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعاً في الخياشيم)[2] وقال ابن عصفور: (وإذا أُدغمت في الميم قُلبت إلى جنسه، ولم يبق لها أثر، ولستَ بمحتاج إلى غُنَّة النون؛ لأنَّ الميم فيها غُنَّة. فإذا قلبتها ميمًا محضة لم تُبطِلِ الغُنَّة. وزعم سيبويه أنها مع ما تُدغَم فيه مخرجُها من الفم لا من الخياشيم؛ لأنها لو كانت تدغم في حروف الفم، وهي من الخياشيم، لتفاوتَ ما بينها، ولا يُدغم الأبعد في الأبعد. ووافقه المبرّد في جميع ذلك، إلَّا الميمَ؛ لأنها من الشفة. فلو كانت النون المدغمة فيها من الفم لبعدت من الميم. قال: ولكن مخرجها مع الميم من الخياشيم؛ لأنَّ الميم تخرج من الشفة، وتصير إلى الخياشيم للغُنَّة التي فيها، فأُدغمت فيها النون لتلك المجاورة. ومذهب سيبويه عندي أَوْلى؛ لأنَّ النون التي في الفم تصير أيضًا إلى الخياشيم، للغُنَّة التي فيها، كما كان ذلك في الميم وما أخلَّت به)[3]

---

1 ابن عصفور: الممتع، 689/2.

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 452–453.

3 ابن عصفور: الممتع، 442/1.

يتدخل **قانون أمن اللبس**، وهو أقوى من كل القوانين الصوتية المذكورة، ليمنع إدغام **النون في الميم والواو والياء**، وذلك إذا كانوا في الكلمة نفسها؛ **فإن أمن اللبس** جاز الإدغام، قال سيبويه: (وتكون ساكنةً مع الميم، إذا كانت من نفس الحرف بينةً والواو والياء بمنزلتها مع حروف الحلق، وذلك قولك: شاةٌ زنماء، وغنمٌ زنم، وقنواء، وقنيةٌ، وكنيةٌ، ومنيةٌ، وإنما حملهم على البيان **كراهيةُ الالتباس** فيصير كأنه من المضاعف، لأن هذا المثال قد يكون في كلامهم مضاعفاً، ألا تراهم قالوا: امّحى، **حيث لم يخافوا اِلتباساً** لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم، وسمعت الخليل يقول في انفعل من وجلت اوّجل، كما قالوا: امّحى، لأنها نون زيدت في مثال لا تضاعف فيه الواو، فصار هذا بمنزلة المنفصل في قولك: من مثلك، ومن مات، فهذا يتبين فيه أنها نون بالمعنى والمثال، وكذلك انفعل من يئس على هذا المقياس، وإذا كانت مع الباء لم تتبين وذلك قولك شمباء والعمبر، ولأنك لا تدغم النون وإنما تحولها ميماً، والميم لا تقع ساكنة قبل الباء في كلمةٍ فليس في هذا التباس بغيره)[1]

وقال ابن عصفور: (واعلم أنَّ الإدغام في المتقاربَينِ، إنَّما يجوز إذا كانا من كلمتين؛ **لأنه لا يلتبس** إذ ذاك بإدغام المِثلين، لأنَّ الإدغام فيما هو من كلمتين لا يلزم، بل يجوز الإظهار، فيكون في ذلك بيانٌ للأصل. فإن اجتمع المتقاربان في كلمة واحدة لم يجز الإدغام؛ **لِما في ذلك من اللَّبس بإدغام المِثلين**، لأنَّ الإدغام في الكلمة الواحدة لازم. فإذا أدغمتَ لم يبق ما يُستدلُّ به على الأصل، ألا ترى أنك لو أَدغمتَ النون من "أَنمُلَة" في الميم, فقلت: "أَمُّلَة"، لم يُدرَ هل الأصل أنْمُلة أو "أمْمُلة"؟ **ولأجل اللَّبس**، الذي في إدغام المتقاربين من كلمة واحدة، بيَّنتِ العربُ النونَ الساكنة؛ إذا وقعت قبل الميم أو الواو أو الياء في كلمة، نحو: "زُنْم" و"أَنْمُلة، و"قَنْواء"، و"كُنْية. ولم تُخفِها كما تفعل بها مع سائر حروف الفم؛ لأنَّ الإخفاء يُقرِّبها من الإدغام، **فخافوا أن يلتبس الإخفاء بالإدغام**، فقلبوا لذلك)[2]

---

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 455-456.

2 ابن عصفور: الممتع، 1/450-452.

- **إدغام حروف الشفتين فيما قارب حروف طرف اللسان:**

يُدْغَمُ من **حروف الشفتين** فيما قارب حروف طرف اللسان عند أبي عمرو بن العلاء البصريّ: االباءُ في الفاء.[1] والفاء في تصنيف سيبويه **تقترب من حروف طرف اللسان** من حيث خاصية أصالة الإدغام فيها، وبهذا علل عدم إدغامها في الباء الشفوية، فحروف الشفة ليست بأصل للإدغام،[2] لكن لما كانت الباء من الشفة والفاء من الشفة السفلى والأسنان العلى؛ جاز إدغام الباء في الفاء، وهذا معلل **بقانون التقارب وقانون الحرف الأقوى**، قال سيبويه: (والفاء لا تدغم في الباء، لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى وانحدرت إلى الفم، وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء، وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف، فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين[3]، كما أن الثاء لا تدغم فيه: وذلك قولك اعرف بدراً، و**الباء قد تدغم في الفاء للتقارب ولأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم**، وذلك قولك: اذهب في ذلك، فقلبت الباء فاءٌ كما قلبت الباء ميما في قولك: اصحمطراً)[4]

والقلب أنك تبدل مكان الحرف حرفا آخر ثم تدغم، وبهذا التعليل يضمن سيبويه اطراد القاعدة أو تطبيق القانون دون شذوذ.

5- **الخيشوم:** **les narines**

يطلق مصطلح الأنف Le nez عند سيبويه على الجزء الظاهر البارز في الوجه، ويطلق مصطلح الخيشوم les narines على المنخرين أي داخل الأنف مما يلي

1 انظر: الداني: الإدغام الكبير، ص: 78، وهو بتصنيفه للفاء من الشفتين يتبع منهجية الخليل بن أحمد.

2 انظر: سيبويه: الكتاب، 478/4.

3 أي الحلق والشفتين.

4 سيبويه: الكتاب، 448/4.

الحلق، ويدلنا على ذلك وصفه الغنة بأنها صوت من الخيشوم، وقوله: لو أمسكت أنفك ولم يقل أمسكت خيشومك؛[1] لأنه من الداخل ولا يتأتى الإمساك به.

استعمل سيبويه الخيشوم كمخرج مكمل لنطق بعض الحروف، وليعلل به بعض الظواهر الإدغامية في الحروف الأنفية، ومعيارا ضابطا يساعده في التصنيف، وإليك التفصيل:

**أ- الخيشوم مخرج مكمل لنطق بعض الحروف:**

يخرج من الخيشوم صوت الغنة la résonance nasal ، وهو صوت مصاحب لحرفين هما: "**النون والميم**"، قال سيبويه: (إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم **والخياشيم** فتصير فيهما غنةٌ والدليل على ذلك أنك لو **أمسكت بأنفك** ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما[2]...ومنها حرفٌ شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت **غنةٌ من الأنف** فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك **لو أمسكت بأنفك** لم يجر معه الصوت النون وكذلك الميم)[3]

والمراد بصوت مصاحب، هو أن الحرف في منهجية سيبويه يكون مخرجه الفم، حيث يلتقى العضوان الناطقان، فسيبويه ذكر أنَّ النُّون والميمَ لهما مخرجٌ من الفم، ومعتمد من **الخَيْشوم**، قال:"النُّونُ والميمُ قد يُعْتَمَدُ لهما في الفم **والخياشيم**، فتَصيرُ فيهما غُنَّة"[4]

1 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 230.

2 سيبويه: الكتاب 4/ 434.

3 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 435.

4 سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 434 .

يستنتج من هذا النص، أن المعتمد ليس بمخرج، بل هو عضو مساعد على إتمام النطق. وهذا خلافا لما ذهب إليه عادل إبراهيم من أن سيبويه ذكر للنون مخرجين. [1] فالذي ذكر ذلك هو المبرد، وذلك على اعتبار أن الخيشوم مخرج للنون الخفيفة (سماها الساكنة، ويقصد بها النون المخفاة) لا أن للنون المتحركة (يقصد بها النون المظهرة والمدغمة) مخرجان، قال: (وأما النونُ فإنَّ لها مخرجَين كما وصفت لك: مخرج الساكنة من الخياشيم **محضاً**، لا يَشْرَكُها في ذلك الموضع شيءٌ بكَمالِه. ولكنَّ النونَ المتحرِّكةَ، ومخرجُها مما يَلِي مخرج الراء واللام)[2]

والمبرد في هذا يتبع لسيبويه، لأنه يطوع المعطيات الفسيولوجية والوصف الفيزيائي لتعليل العلاقات الإدغامية لبناء النظام الصوتي.

ووظيفة الخيشوم هي تضخيم الذبذبات، يرى ابنُ سينا أنَّ حبس هواء الميم بَعْضُهُ في الشفتَين وبعضُهُ إلى ناحيةِ **الخَيشوم**، حتى يُحدِثَ الهواءُ عند اجتيازِه بالخَيشومِ والفضَاء الذي في داخلِه دَويًّا هو دَويُّ الميم.[3]

**ب- الغنة تعلل الظواهر الإدغامية:**

يفرق سيبويه بين نوعين من النون، هما النون الخفيفة ويسميها كذلك الخفية، والنون المتحركة، قال: (ومن **الخياشيم** مخرج النون الخفيفة)[4] وقال: (وتكون النون مع سائر حروف الفم **حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم)** [5]

---

1 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 226.

2 المبرد: المقتضب 1/ 350.

3 انظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص: 83 .

4 سيبويه: الكتاب، 4/ 433.

5 سيبويه: المرجع نفسه ، 4/ 453.

وذكَر الأخفشُ أنَّ النوُّنَ المتحرِّكةَ تخرجُ من الفم، والساكنةَ من **الخَيشوم**؛[1] يَعنُي بالنون الساكنة: نون الإخفاء، وبالمتحرِّكة: غير ذلك من النُّونات، وليست التي تتبعها حركة أو حرف مد، فالسياق لا يحتمل ذلك؛ لأنه قارن النون المخفاة بالنون المظهرة والمدغمة. وزاد الدانيُّ، التنوين، قال: (ومخرجُ النُّونِ والتنوين مع هذه الحروف من الخَيشُومِ فقط، ولا حظَّ لهما معهنَّ في الفم؛ لأنَّه لا عملَ للِّسان فيهما كعملِه فيهما مع ما يَظْهَران عنده، وما يُدغَمان فيه بغُنَّةٍ)[2]

فالنون الخفية أو المخفاة أو الساكنة في مقابل النون المتحركة في سياق الإدغام، هي كل نون ساكنة يأتي بعدها حرف من حروف الإخفاء، قال سيبويه: (وتكون النون مع سائر حروف الفم **حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم**، وذلك أنها من حروف الفم وأصل الإدغام لحروف الفم لأنها أكثر الحروف) [3]

ومن استَعمال سيبويه للفظ: "**الخَيَاشِيم**" كمخرجٍ للنون الخفية، قال: "ومن **الخياشيم** مخرجُ النُّونِ الخَفِيَّة"[4] يفهم أن الخفاء هو خفاء مخرجها وانمحاءه في مخرج الحرف التالي، والنون الخفية ما هي إلا صوت الغنة خالصا من الأنف مصاحب لأحد حروف الإخفاء.

وعلَّةُ اختيارِهِ لِلَفْظِ: "النُّون الخفيَّة" لمَّا لم يجِد حرفاً يستقِلُّ بهذا المخرج غيرَ النُّون أطْلَق عليه هذا اللَّفظ، حتى الميم لا تستقلُّ بالخيشوم كما تستقِلُّ النُّون،[5] قال الرُّمانيُّ عن

---

1 انظر: الأخفش: العروض، ص: 114 .

2 الداني: جامع البيان 2/ 682.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 453.

4 انظر: سيبويه: المرجع نفسه، 4/ 434.

5 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 224.

النُّون: (ودليلُ كَوْنِها نوناً إذا خَرَجَتْ من **الخياشيمِ** دون الفم، أنَّه مخرجٌ يَخُصُّها دون جميعِ الحروف سِواها، وإن وافَقَتْها الميمُ في الغنَّة، فليسَ للميمِ مخرجٌ من الخياشيم؛ لأنه لا يُعتمَد لها إلا مُمَاسُّ الشفتَين، وليس كذلك النونُ؛ لأنه يُمْكِنُ أن يُعتَمَد لها من طرَف اللِّسان، ويُمْكِنُ أن يُعتَمَد لها من **الخياشيم**، وهو مخرجٌ يَخُصُّهَا دون غَيرها"[1]

ولعلَّ العِلَّةَ في استِعمالِه لهذا اللَّفظِ في مَوضعِ مخارجِ الحروف دُونَ التصريحِ بلَفظ الغُنَّة؛ لأنَّ الغنَّةَ تكون أبداً تابعةً للنُّون والميم، فلا تؤدِّي وظيفةً دلاليَّةً بنفسِها في نظام اللُّغة العربية. [2]

فالميم أبدا لا تخفى إلا عند الباء، وبذلك تبقى محافظة على شدتها ومخرجها الشفوي، لذلك حسب رأيي لم تستقل بمخرج الخيشوم كالنون الخفية.

ولا يعد سيبويه محرج النون المدغمة من الخيشوم، بل مخرجها من الفم مصحوب بغنة، قال: (وهي مع الراء واللام والياء والواو إذ أدغمت بغنة فليس **مخرجها من الخياشيم ولكن صوت الفم أشرب غنةً** ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام حتى تصير مثلهن في كل شيء)[3]

فالإخفاء هو نوع من الإدغام الناقص، حيث تفقد النون مخرجها اللثوي لصالح مخرج الحرف الذي يأتي بعدها، وتحتفظ بصفة الغنة. ويعد الإخفاء نطقا مزدوجا بين الإظهار والإدغام نطقا نسبيا لا متساويا بين صفة الغنة والحرف الذي أدغمت فيها النون الساكنة والتنوين، ويكون ذلك بفعل تأثير الحروف الخمسة عشر في النون؛ فتفنى فيهن

---

1 الرماني عليّ بن عيسى الرمانيّ (ت 384 هـ)،: شرح كتاب سيبويه، مخطوط في جامعة الملك سعود، الرياض، رقم الميكروفيلم (3532/ 5)، مصوَّرة عن المكتبة الوطنية، فيينا – لوبنشتاين، رقم 2442. ل 199/ أ، نقلا عن: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 226.هذا النصّ دليلٌ على أنَّ إطباق الشفتين لا ينفكُّ عن الميم في جميع حالاتها.

2 انظر: عادل إبراهيم عبد الله: المصطلحات الصوتية، ص: 224.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 453.

وتبقى صفة الغنة بارزة ودالة على أن حرفا من الحروف الخيشومية قد زال مخرجه الفموي بالإدغام، لذلك يمكن أن نسمي ذلك بالحروف المزدوجة المخرج؛ أحدهما وقفي فموي وهو النون –الذي يتحول مخرجه إلى مخرج الحرف الذي يليه– والثاني أنفي انطلاقي وهي الغنة.[1]

ولا يعد بُعد مخرجها وصفاتها سببا في إخفائها؛ لأن مخرجيها الأمامي والخلفي متجاوران مع مخارج تلك الحروف الفموية التي تخفى عندها دون فاصل ، مع اشتراكها مع جل الحروف المخفية عندها في الجهر والشدة والرخاوة وبالتالي ففكرة البعد ليست هي التي جعلتها مخفية وإنما ازدواجية مخرجها هي التي جعلتها قوية فأخفي جزء منها وبقي جزء آخر.[2]

والحروف التي تخفى عندها النون الساكنة والتنوين كلها لسانية المخرج، وهي كالآتي:

أ- حروف طرف اللسان والثنايا، وهي ثلاثة أضرب:

4- حروف طرف اللسان وأصل الثنايا (الحروف النطعية): التاء والدال والطاء : فالتاء نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ﴾ هود/112. والدال نحو قوله تعالى: ﴿مُّسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ الأنعام/161. والطاء نحو قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ﴾ البقرة 184. ويلحظ أن الحروف النطعية تخرج من مخرج قريب جدا من مخرج النون الساكنة والتنوين. فكل هذا سمح لأن تخفى فيها وتبقى

1 انظر: نظر: عبد الكريم بورنان: غيث النفع في القراءات السبع دراسة و تحقيق، رسالة دكتوراه دولة، مخطوط بمصلحة الدوريات جامعة الجزائر، ص: 141، و صلاح الدين صالح حسنين: المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الإتحاد العربي للطباعة بمصر سنة 1981 م، ص: 33.

2 انظر: عبد الكريم بورنان: غيث النفع في القراءات السبع، ص: 142.

غنتها ظاهرة. وربما لم تقو على الإندغام فيها لأن النون منحرفة، والحروف النطعية ليست كذلك.

5- حروف طرف اللسان وفويق الثنايا (الحروف الصفيرية): الزاي والسين والصاد، فالزاي نحو قوله تعالى: ﴿مِّن زَوَالٍ﴾إبراهيم/44. والسين نحو قوله تعالى: ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ آل عمران/30. والصاد نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ﴾ المائدة/2.

6- حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا (الحروف بين أسنانية): الثاء والذال والظاء: فالثاء نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ المؤمنون/102. والذال نحو قوله تعالى: ﴿عَن ذِكۡرِهِم﴾المؤمنون/71. والظاء نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا ﴾ الزخرف/17.

ب- الحروف الشجرية الشين والجيم: فالشين: نحو قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ الفلق/2. والجيم : نحو قوله تعالى: ﴿مِن خُوعٍ﴾ الغاشية/7.

ت- الحروف اللهوية القاف والكاف: القاف نحو قوله تعالى: ﴿ مِن قَرَارٍ﴾ إبراهيم/26. والكاف نحو قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ البقرة/164. [1]

وعلل سيبويه إدغام النون بغنة لأنها من الخياشيم، قال: (إن شئت أدغمت بغنةٍ لأن لها **صوتاً من الخياشيم**، فترك على حاله لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيبٌ فيغلب عليه الاتفاق، وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد وهما مجهوران، قد

1 انظر: عبد الكريم بورنان: غيث النفع في القراءات السبع، ص: 143-144.

حالفا سائر الحروف التي في الصوت حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى تتبين)[1]

وقال عن إدغام الباء في الميم: (فإن قلت أقول اصحب مطراً وهما شديدتان والبيان فيهما أحسن، فإنما ذلك **لاستعانة الميم بصوت الخياشيم** فضارعت النون ولو **أمسكت بأنفك** لرأيتها بمنزلة ما قبلها)[2]

وبيان الباء مع الميم أحسن، لأن الباء من حروف القلقلة، والإدغام يذهب بعض صفتها وهي الشدة.

وقال عن إدغام النون في الياء والواو: (وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة، لأن الياء أخت الواو، وقد تدغم فيها الواو، فكأنهما من مخرج واحد، ولأنه ليس مخرجٌ من طرف اللسان أقرب إلى مخرج الراء من الياء؛ ألا ترى أن الألثغ بالراء يجعلها ياء وكذلك الألثغ باللام، لأن الياء أقرب الحروف من حيث ذكرت لك إليهما) [3]

**ت- الخيشوم معيار ضابط:**

وقد جعل سيبويه مخرج الخيشوم آخر المخارج في تصنيفه، قال: (ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة) [4] ومن هذا النص يمكن أن يستنتج: أن سيبويه جعل مخرج الخيشوم آخر المخارج ومخرجا لبعض ألوفونات النون، وهذا ما لم يفعله مع سائر الحروف، لا لكونه

1 سيبويه: الكتاب، 4/ 452.

2 سيبويه: الكتاب، 4/ 461.

3 سيبويه: الكتاب 4/ 453.

4 سيبويه: الكتاب، 4/ 434.

مخرجا مستقلا أو هامشيا، وإنما فقط للتوضيح بأنه معيار جمالي أكثر منه وظيفي، وقد تمت الإشارة **لمعيار التوازن النوني في بداية هذا الفصل.**

**<u>نتائج الفصل:</u>**

قبل الحديث عن نتائج الفصل، أود وضع مخطط لنظرية سيبويه؛ لتعقدها وتشعبها، حتى يكون لدى القارئ نظرة عامة عنها.

قامت نظرية سيبويه على جملة من المعايير والضوابط، والقوانين (وهي مستنتجة غير مصرح بها في كتاب سيبويه، قمت بصياغتها واجتهدت في وضع المصطلحات الدالة عليها).

✓ **أولا المعايير:**

المعيار هو مقياس لدراسة وتصنيف الظواهر، وهو أنواع: معايير ضابطة، ومعايير تحليلية، ومعايير جمالية:

أ- **المعايير الضابطة:** معيار الإدغام، معيار الأساسية، معيار المشاركية، معيار المقاربة، معيار التوازن النوني. ولكل معيار ضابط (أي سبب جلب الظاهرة) أو أكثر:

- **معيار الإدغام:** ضابطه الكثرة، المقاربة، طلب الخفة النطقية.
- **معيار الأساسية:** ضابطه الحركة (حركة العضو الناطق كاللسان).
- **معيار المشاركية:** ضابطه الثبوت (ثبوت العضو الناطق كالأسنان).
- **معيار المقاربة:** ضابطه القرب المخرجي بين الحرفين.
- **معيار التوازن النوني (معيار النون):** وهو المعيار الوحيد الذي جمع بين البعد الوظيفي والجمالي، وضابطه الكثرة، والمعاكسية، والجمالية (إحداث جمال فني في التصنيف).

أ- **المعايير التحليلية:** معيار التوزيع، معيار الإلغاء، معيار الإحصاء.

- **معيار التوزيع:** ضابطه الوقف والإبتداء.
- **معيار الإلغاء:** ضابطه خلل في التصنيف، يلجأ إليه العالم عندما تعترضه مشاكل تخل بالتصنيف، فيضطر إلى تطويع المعطيات الخارجية لتتلاءم مع معطيات النظام اللغوي.
- **معيار الإحصاء:** ضابطه القلة أو الكثرة.

ب- **معايير جمالية:** وهي تعكس مدى نضج النظرية، ومدى تكاملية وانسجام الإنسان العربي مع الكون، هناك معياران جماليان متداخلان (لا يعمل أحدهما بمعزل عن الآخر) وهما:

- **معيار التدرج:** له ضابطان:

أ- **ضابط احصائي:** وهو مرتبط بالقلة، حيث أن أمثلة حروف التدرج (ق، ك، ف) في باب الإدغام قليلة جدا، وهذا ما سوغ لسيبويه جعلها معيارا للتدرج.

ب- **ضابط فسيولوجي:** حيث أن حروف التدرج تقع في مخرج يقع بين حيزين فمخرج القاف والكاف هو أقصى اللسان، يقع بين حيز الحلق وحيز طرف اللسان، ومخرج الفاء وهو الشفوي الأسناني، يقع بين حيز طرف اللسان وحيز الشفتين.

- **معيار التوازن النوني:** أشير إليه قبل قليل.
- **ثانيا الضوابط:**

الضابط هو سبب جلب الظاهرة (كضابط المقاربة الجالب للإدغام)، أو سبب لصياغة المعيار، كضابط الحركة (حركة العضو الناطق) الجالب لمعيار تصنيف هذا العضو كعضو أساسي في النطق، قد يتحول الضابط إلى قانون بسبب كثرة دورانه، وهذا حصل فقط –حسب ملاحظتي– مع معيار المقاربة، الذي استنتجت منه قانون المقاربة.

والضوابط كثيرة، وهي أنواع:

أ- **ضوابط سياقية:** تتعلق بالتوزيع في السلسلة الكلامية، كضابط الوقف والابتداء والتقاء الساكنين.

ب- **ضوابط منهجية:** يصوغها العالم لدراسة الظواهر وتعليلها، كضابط الكثرة والقلة، اللذان علل بهما سيبويه حسن أو قبح الإدغام.

ت- **ظوابط خارجية:** أي ترجع إلى أشياء لا تنتمي إلى نظام اللغة، كالآلة الناطقة، فقد استغل سيبويه وضعياتها من حيث الحركة والثبوت، لتصنيف الأصوات، فاتخذ اللسان وهو عضو متحرك لتحديد مخرج الحرف، واتخذ ما يقابلة من الحنك الأعلى معيارا لتقسيم اللسان وتحديد أجزائه المخرجية بدقة، وعلى هذا فالضوابط الخارجية هي: ضابط الحركة وضابط الثبوت، ضابط طلب الخفة النطقية، ضابط الجمالية.

- **ثالثا القوانين:**

القانون هو إدارك العقل لتلازم ظاهرتين حضورا وغيابا، وهو يفسر اطراد الظاهرة وفق شروط، وقد تتحقق الشروط مع غياب الظاهرة، بسبب موانع أو تدخل قوانين أخرى، كامتناع إدغام المتقاربين إذا كان أحد الحرفين من حروف "ضوي مشفر" لأنها تمتلك صفات قوية لا تذهب بسبب الإدغام، وهذا يفسر في ضوء قانون الحرف الأقوى الذي منع قانون المقاربة من العمل، **والقوانين السيبويهية** التي علل بها الظواهر الإدغامية هي: قانون الخفة، قانون الأصالة، قانون عدم الأصالة، قانون الأقوى، قانون المقاربة، قانون أمن اللبس، قانون الأخرج، ولكل قانون ضابط جلبه:

- **قانون الخفة:** ضابطه الصعوبة النطقية.
- **قانون الأصالة:** ضابطه الكثرة.

- **قانون عدم الأصالة:** ضابطه القلة.
- **قانون الأخرج:** ضابطه اتجاه سير الإدغام.
- **قانون الأقوى:** ضابطه الصفات التي امتنعت عن الإدغام، وهي صفة الانحدار، الاستطالة، التفشي، اللين، الغنة، الإنحراف.
- **قانون المقاربة:** ضابطه القرب المخرجي.
- **قانون أمن اللبس:** ضابطه فساد الدلالة، بسبب الخلط بين كلمتين مختلفتين، إن أعمل الإدغام في أحد حرفي كلمة منهما.

والآن أنتقل للحديث عن نتائج الفصل، وقد قسمتها بحسب مضمونها وفق مجالات وهي: نتائج في مجال المنهج، نتائج في مجال المصطلح واللغة العلمية، نتائج في مجال التقعيد لظاهرة الإدغام، نتائج في مجال التقنين لظاهرة الإدغام:

✓ **<u>أولا في مجال المنهج:</u>**

1- علم الأصوات علم بَصْري، ازذهر أساسا بجهود الخليل وسيبويه.

2- أضمر القدامى منهج دراستهم، وهذا يرجع –حسب رأيي– لغلبة منهج الرواية عندهم، فالتلميذ يدون عن شيخه بعد أن يكون قد درس عنده وفهم كتبه، فلا يكون بحاجة لإظهار منهج شيخه.

3- لا يمكن بحال من الأحوال، لأي شخص يطالع كتاب سيبويه، أن ينكر الجهد الصوتي الكبير الذي قدمه هذا العلامة وعلماء البصرة من بعده، إذ كان جهدهم الصوتي شاملا لأغلب الموضوعات الصوتية وربما تفوق هذا الجهد في كثير من المواضع على الدراسات الفونولوجية الحديثة، لأنهم اتخذوا من السياق المنطوق فعليا أو السلسلة الكلامية أساسا للدراسة والتحليل، وضبطوا نظريتهم بعدة معايير ضابطة وتحليلية.

4- اعتمد سيبويه ونحاة البصرة على المنهج الخليلي (التوزيعي التعليلي)، وعلى المنهج الوصفي، هذا ما يظهر واضحا في دراستهم للظواهر الصوتية، كالإدغام والإعلال والإبدال والوقف وغيرها.

5- قسم علماء العرب فونيمات اللغة العربية إلى حروف وحركات قصيرة، وقسموا الحروف إلى حروف مد (حروف علة أو حركات طويلة ) وحروف صحاح (سواكن)، وهذا بحسب توزيعها في السليلة الكلامية، وقسمها المتأخرين كابن جني إلى صوائت وصوامت متأثرا بعلماء الموسيقى الذين تأثروا بتراث اليونان.

**6-** سلم سيبويه بأن اللغة نظام، تنظمها مجموعة من القواعد، لهذا كان يبحث عن الإطراد والشمول لقوانينه ونظريته.

7- لم يعتمد سيبويه الشكل المكتوب من اللغة، فاللغة عنده ظاهرة مسموعة تؤخذ مشافهم من الأعراب، وقدم السماع على القياس في تقرير القضايا.

8- تفسير الظواهر الصوتية يتم بحسب السلوك الصرفي للأصوات، فالتفشي ظاهرة صوتة تعلل عدم إدغام الشين في مقاربها ومقاربها فيها.

9- الإدغام يعم الإبدال ويشمله، لأن الإبدال قد يقع بسبب اللإدغام، فالإدغام هدف للإبدال، مثل مدّكر، مذتكر مذدكر مذذكر....الخ.

10- لم يذكر سيبويه في باب الإدغام إدغام أي حرف في نفسه، لأنه أولى من إدغامه في مقاربه (إذا كان الحرف يدغم في مقاربه فالأولى أن يدغم في نفسه) وقد ذكر بعض أمثلة إدغام الحرف في نفسه في غير باب الإدغام، كإدغام الياء في الياء في: (باب الإضافة إلى كل اسم ولي آخره ياءين مدغمةً إحداهما في الأخرى ) وفي: (باب إضافة كل اسم آخره ياء تلي حرفا مكسورا إلى هذه الياء )انظر: الكتاب 370/3،و414/3 على التوالي، وربما هذا هو المثال الوحيد عن إدغام الحرف في نفسه.

**11**- كل ما خولف فيه سيبويه في باب الإدغام يعزى عادة إلى مدرسة الكوفة، وبخاصة الكسائي والفراء، وما خولف فيه شاذ لا يقاس عليه.

12- ربط سيبويه بين الأعضاء النطقية والحروف التي تخرج منها، لهذا جاء تقسيمهم مفصلا (خاصة فيما يخص اللسان والأسنان) بما لا نجد له مثيلا في الدرس الصوتي الحديث.

**13**- أدرك سيبويه العلاقة الكمية بين الحركات وحروف المد، حيث أشار إلى أنَّ مخرجَ الفتحةِ من مخرجِ الألِف، في معرض قوله عَن سبَبِ فَتْحِ عَيْنِ الفِعْلِ المُضَارِعِ إن كان حرفاً حلقيّاً. (سيبويه: الكتاب، 101/4).

14- إختار سيبويه **قانون الأخرج**، لترتيب الأحياز (الحلق، اللسان، الشفتين)، **وقانون الأقوى** لترتيب الحروف ضمن المخرج الواحد.

**15**- ترتيب الحروف في المخرج الواحد كان بحسب الأقوى في باب اللإدغام: ففي الحلق نجد: ألف، ء، هـ، فالألف المدية حرف لا تدغم ولا يدغم فيها أبدا، ثم الهمزة لا تدغم إلا في نفسها، ثم الهاء، تدغم في نفسها وفي الحاء...الخ. ويستثنى من هذه القاعدة حروف الحافة (ل، ن، ر)، فقد بدأ بالحرف الذي يدغم في أكبر عدد من الحروف وهو اللام التي تدغم في الحروف الشمسية وعددها نصف عدد الحروف العربية الصامتة، ثم النون التي تدغم في حروف يرملون إدغاما كاملا، ولا تظهر إلا مع حروف الحلق ، ثم الراء التي لا تدغم إلا في نفسها.

16- يدلنا الترتيب العكسي المتعمد مع حروف الحافة (ل، ن، ر) إلى قيمة هذه الحروف في صوغ نظرية سيبويه الصوتية، ويجعلنا نفهم لماذا جعل كل حرف منها مستقلا بمخرجه، رغم أن نسبتها لمخرج واحد –كما فعل ذلك بعض البصريين وأكثر الكوفيين كالفراء (ت207هـ)، وقطرب(ت210هـ) ، والجرمي

(ت225هـ) ، وابن كيسان (ت229هـ)- لا يضير بالنظرية ولا بفهمنا للعلاقات الإدغامية، فسيبويه بتعيين مخرج لكل حرف حافّي على حدة، أراد تبرير اتخاذه النون معيارا للتوازن، دون أختيها اللام والراء، أما اللام فليس في الحروف من يدغم في مقاربه مثلها، وأما الراء فامتنعت عن الإدغام إلا في نفسها، فلما اختص كل حرف بخاصية إدغامية لا توجد في غيره جعل له مخرجا خاصا، وعَكَسَ الترتيب مع هذه المجموعة من الحروف، للدلالة على أن أحد حروفها (ن) كان مدار المقارنة والتوازن.

17- هناك صفات لم يذكرها سيبويه في باب الإدغام؛ لأنه لا علاقة لها بقوة الحرف في باب الإدغام. وهي:

أ- **صفة الثقل:** وهي صفة تخص الهمزة المحققة، وقد عالج بها قضية إبدال الهمزة.

ب- **صفة الإشراب:** وهي تضم صفتين متفرعتين عنها وهي: القلقلة والنفخ، وقد عالج بها قضية الوقف، لأن حروف الإشراب يوقف عليها بالقلقلة أو بالنفخ.

18- كل الحروف في منهجية سيبويه يكون مخرجها الفم، حيث يلتقى العضوان الناطقان، أما الخيشوم فليس بمخرج، فسيبويه ذكر أنَّ النُّون والميمَ لهما مخرجٌ من الفم، ومعتمد من **الخَيْشوم**، قال:"النُّونُ والميمُ قد يُعْتَمَدُ لهما في الفم **والخياشيم**، فتَصيرُ فيهما غُنَّة" ( الكتاب 4/ 434) يستنتج من هذا النص، أن المعتمد ليس بمخرج، بل هو عضو مساعد على إتمام النطق.

19- لم يهتم سيبويه بالجانب السمعي في العملية الصوتية (الذي ميز دراسات اليونانيين القدامى)، فلم يتعرض لدراسة حدوث الصوت أو انتقاله أو استقباله، يرجع ذلك إلى أن علم الأصوات السمعي والعصبي من التخصصات الدقيقة

والصعبة حتى في أيامنا هذه، وقد كان من الممهدين لظهور الحضارة العربية، حيث لم تكن تلك العلوم معروفة في زمنه، لكن النحاة المتأخرين استفادوا من هذه العلوم، كالفرغاني في كتابه المستوفي في النحو.

20- هناك اختلاف بين النحاة في رصد عدد مخارج الحروف، فقد ذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنّ عدد مخارجها هو ستة عشر مخرجا، وذهب بعض البصريين وأكثر الكوفيين إلى انها أربعة عشر مخرجا كالفراء (ت207هـ)، وقطرب(ت210هـ) ، والجرمي (ت225هـ) ، وابن كيسان (ت229هـ). وهذا خلاف شكلي، فعلماء مدرسة الكوفة أسقطوا أحد مخارج حروف (ل، ر) وجعلوهما من مخرج واحد.

21- طرف اللسان عند سيبويه: يشمل مخرج ظهر اللسان، ومخرج الحافة، ومخرج وسط اللسان.

22- الهمزة غير الألف، إلا أن مسمى الألف يشملهما معا، والأحكام الصرفية توضح ذلك:

أ- الهمزة تبدل من أربعة أحرف: الألف والواو والياء والهاء، فإبدالها من الثلاثة الأوائل مطرد، ومن الهاء غير مطرد، ولو كان القدامى يتصورون أن الهمزة هي الألف، لما نصوا على ابدالها من الألف لأن الحرف لا يبدل من نفسه.

ب- الألف تبدل من أربعة أحرف: الياء والواو والهمزة والنون، ولا تبدل من الهاء، وما جاء عند بعض القدامى أن الألف تبدل من الهاء، في نحو أراق وهراق، فهم يقصدون بالألف هنا الهمزة القطعية لا ألف المد، لأن مسمى الألف يشملهما (مشترك لفظي)، ولا يوجد في العربية إبدال ألف المد من

الهمزة القطعية ولا من الهاء، كما أن الهمزة القطعية لا تبدل من النون، ولو قيل لنا جدلا: أن ألف "أراق" هي ألف المد، لقلنا أن العربية لا تبتدئ بساكن.

ت- الألف تكون زائدة وبدلا ولا تكون أصلا، إلا في الحروف وما شابهها من الأسماء، نحو: ماء، أما الهمزة فتقع أصلا، مثل: أكل.

ث- الهمزة لا تدغم في مثلها إلا عينين نحو: رأَّس، والألف لا تدغم ولا يدغم فيها أبدا.

23- كانت لجهود النحاة والمعجميين الصوتية الأثر الواضح في تأسيس علم التجويد على يد أبي عمرو الداني في المغرب ومكي بن أبي طالب القيسي في المشرق، وذلك في حدود القرن الرابع الهجري – ولم يعرف كتاب ألف في التجويد قبل هذا القرن.

24- لقد تأخر ظهور علم التجويد –من حيث هو علم مستقل- إزاء علم العربية أكثر من قرنين من الزمان، وذلك يرجع إلى أمرين:

أ- كانت جهود علماء العربية من نحاة ولغويين تقوم بالمهمة التي أنيطت بعلم التجويد لاحقا، والمتمثلة أساسا في تعليم النطق الصحيح لكلمات القرآن الكريم للناطقين بالعربية ولغير الناطقين بها (الأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام)، والتقعيد للحن الخفي الذي يجب أن يتجنبه كبار المقرئين والعلماء.

ب- علم التجويد علم تطبيقي، يعني بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها وما يترتب عن ذلك من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق فعليا، وهذا يعكس بالضرورة تقدم العلوم النظرية التي سيعتمد عليها في ظهوره، حيث قام علماء التجويد باستخلاص المادة النظرية لدراسة الأصوات من مؤلفات

النحويين واللغويين، وصاغوا منها قواعد علم التجويد، وأضافوا لها خلاصة جهدهم، من مباحث اللحن والأحكام التعاملية، حتى اصبح علم التجويد علما متقدما جدا في دراسة الأصوات اللغوية، يضاهي الفونولوجيا الحديثة.

✓ **ثانيا في مجال المصطلح واللغة العلمية:**

25- تميزت لغة الصوتيين القدامى التي دونوا بها مؤلفاتهم، بوضوح العبارة، وقصر الجمل، وعدم الإطناب في الشرح، وتركيز الفكر على القضية قيد التحليل، وسهولة الألفاظ، وكثرة المصطلحات العلمية، كما تميزت مصطلحاتهم بالإرتجال (الإبداع الذاتي) وبالأصالة؛ فلا نجد عندهم مصطلحا مترجما أو معربا عن الأمم الأخرى قبل عصر الترجمة.

26- استعمل سيبويه مصطلحات صوتية ورثها عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهي على ثلاثة أنواع:

أ- **مصطلحات أخذها بصيغتها ومعناها:** كالتشديد، الإدغام، المجهور، المهموس، المكرر، الهاوي (مشتق من الهوائية) وغيرها، وقد عرفها تعريفات أحيانا على غير طريقة الخليل، كالمجهور والمهموس، فالخليل عرفها تعريفا سمعيا، من حيث وجود صوت الصدر مع المجهورات، وعدمه فيكون الصوت كالسر في الكلام مع المهموسات(الخليل: كتاب العين، 322/4)، أما سيبويه فقد عرفها تعريفا عضويا (فالمجهورة حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم ... وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه) الكتاب: 434/4، فقوة الإعتماد مع

المجهورات؛ تؤدي إلى تقليل كمية الهواء وإطالة زمن نطق الحرف المجهور، وضعف الإعتماد مع المهموسات، يؤدي إلى نتيجة معاكسة.

ب- **مصطلحات خالف في تسميتها أو في مدلولها ما أقره الخليل:** فالخليل أطلق مسميات الشواخص والفخام والمستعلية، على حروف: ض، ص، ط، ظ، ق، في مقابل الحروف الخفت (المنفتحة)، أما سيبويه فقد أطلق حروف الإطباق على: ض، ص، ط، ظ، والمستعلية على: خ، غ، ق، وأطلق على الحروف الخفت: المنفتحة.

ت- **مصطلحات جديدة من إبداع سيبويه:** كالشديد والرخو، والإطباق، الإعتماد...الخ، حيث لم ألاحظ أن الخليل قد استعملها بهذا المسمى.

27- تميز المصطلح العربي عند الخليل وسيبويه، بعدم التجريد، فالمجهور هو الصوت المنطوق مصحوبا بصفة الجهر، أما الجهر فظاهرة مجردة، ولم يذكراها في كتبهم.

28- المصطلح الصوتي العربي مبنى على سلوك الصوت (علاقاته مع الأصوات الأخرى)، مثل مصطلح: الخفة للألف، لأن الألف المدية أبدا ساكنة، ولا صورة نصف مدية لها. وسيبويه يعلل خفتها تعليلا عضويا: (وإنما خفت الألف هذه الخفة لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة ولا تحرك أبداً، فإنما هي بمنزلة النفس فمن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء) (الكتاب: 335/4)

29- لفهم نظرية القدامى لا بد من تحليل دقيق للغتهم العلمية، وتحديد مفاهيم مصلحاتهم التي قد تدل على أكثر من مفهوم؛ لكن في مواضع وسياقات محدد لا يتسلل إليها اللبس، مثال ذلك مصطلح "**النون الخفية**" أو "**المخفاة**" أو "**الساكنة**"، في مقابل "**النون المتحركة**" وهذا تفصيلها:

أ- **النون الخفية أو المخفاة أو الساكنة:** في سياق الإدغام، هي كل نون ساكنة يأتي بعدها حرف من حروف الإخفاء، وفي غير باب الإدغام، كباب التقطيع العروضي؛ فالسكون يدل على عدم وجود حركة قصيرة أو طويلة تتبع الحرف، والحركة تدل على اتباع الحرف الصامت بحركة طويلة أو قصيرة.

ب- **النون المتحركة:** يقصد بها النون المظهرة والمدغمة في حروف (ن، ل، ر)، وتقابلها النون المخفاة لا الساكنة سكونا حقيقيا، وهذا ما درج عليه النحاة في باب الإدغام.

**فالسكون والحركة في باب الإدغام يدلان على ألوفونات حرف النون، وفي العروض يدلان على مفاهيم صوتية أخرى.**

30- قد يتعدد المصطلح المعبر عن الظاهرة الواحدة؛ لاختلاف التخصص، مثاله مصطلح الإنحدار –في الفاء– عند سيبويه، والتفشي –في الفاء– عند ابن الجزري، حيث نظر هذا الأخير إلى قوة الانحدار المانعة لادغام الفاء في غيرها وعبر عنها بالتفشي، فالتفشي من أقوى الصفات التي منعت اندغام الشين في غيرها، وعليه فتفشي الفاء –عند ابن الجزري– يقابل الانحدار –عند سيبويه– والانحدار يتعلق بنقطة الانتاح (المخرج)، أما التفشي في الشين فهو صفة لكيفية الإنتاج، لذا فمن المهم جدا عند تحليل المصطلحات الصوتية العربية مراعاة السياق والخلفية الابستمولوجية المنتجان له.

31- يعكس المصطلح الذي بني على صفة مخرجية، القوة الإدغامية للحرف الموصوف بتلك الصفة، والصفات المخرجية –بحسب تصنيف سيبويه– هي: الإنحدار، الإنحراف، الغنة، الإستطالة.

32- تفهم المصطلحات في ضوء لغتها العلمية، فتفهم مثلا بالرجوع إلى معاجم اللغة كالصدر وشوارب الحنجور، أو في ضوء المنهجية المتبعة في التصنيف كالحرف والحركة (مفهومان توزيعيان)، أو بتتبع السياق، من خلال النظر في مقابله كالنون المخفاة (الساكنة) تقابل النون المتحركة وهي كل نون مدغمة أو مظهرة.

33- يعكس المصطلح العربي اختيارا أسلوبيا، حيث يراعى ما يتضمنه المعنى اللغوي وما يتوافق والمعنى الإصطلاحي، مثال ذلك الاستطالة والانحدار، فمعناهما الإصطلاحي يتضمن الدلالة على القوة في باب الإدغام، وصعوبة الضاد النطقية، وإليك التوضيح:

أ- **الحَدْر**: لغة: ما تحدِرُه من عُلْوٍ إلى سُفْل، والمُطاوعة منه الانْحدار، ولا شك أن الشيء المنحدر من علو فيه قوة كبيرة، لهذا شبه امرئ القيس شدة عدو فرسه بالحجر الضخم المنحدر من علو قال:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عَلِ

ب- **الإستطالة: لغة:** من طال فلانٌ فلاناً، أي: فاته في الطّول، والطُّوْل: القُدْرة، التَّطاوُلُ في معنىً: هو الاستطالة على النّاس إذا هو رفع رأسه ورأى أنّ له عليهم فَضْلاً في القَدْر، والضاد حرف مستطيل له فضل على باقي الأصوات فلا يوجد حرف منحرف على قدر استطالته، والاستطالة منحته قوة في باب الإدغام فلا يدغم في غيره –عند البصريين مطلقا– ولا يوجد صوت في العربية له صورة ضعيفة (الضاد الضعيفة) تنطق من الجانين معا غيره، فلما رأى سيبويه فضله على باقي الحروف، اشتق له مصطلحا من الجذر: ط و ل، الذي يجمل كل هذا المعنى.

34- شبه القدامى حروف اللغة العربية بالكائن الحي، وهذا ملحوظ في مفهوم مصطلحي: الحركة/السكون، حيث يعكسان مفهوما بيولوجيا، فالساكن كالميت الذي لا يتحرك، والحركة كالشيء الحي، وربما تأثروا في هذا بما صوره القرآن الكريم لنا عن عصا موسى، بأنها حيّة لأنها تتحرك وتسعى: "فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى"طه20

35- السكون لغة من الجذر: سكن، والسُّكونُ هو ذهاب الحركة. وسيبويه يرى أن المتحرك كالحي له قوة، أما الساكن سكونا ميتا (وهي حروف العلل) فضعيف يقدر عليه كل حرف، قال: (وإنما جسروا على **حذف الألف** لأنها **ميتة** لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب؛ فحذفوها كما حذفوا ياء ربيعة وحنيفة، ولو كانت الياءان متحركتين لم تحذفا **لقوة المتحرك**، وكما حذفوا الياء الساكنة من ثمانٍ حيث أضفت إليه، فإنما جعلوا ياءي الإضافة عوضاً، **وهذه الألف أضعف تذهب مع كل حرف ساكن**، فإنما هذه معاقبةٌ كما عاقبت هاء الجحاجحة ياء الجحاجيح، فإنما يجسرون بهذا على هذه **الحروف الميتة**، وسترى للمتحرك قوةً ليست للساكن في مواضع كثيرة) (الكتاب: 356/3)

**36**- صفة الإنحدار صفة أهمل دراستها بشكل مستقل وفي مبحث الصفات –بحسب إطلاعي– علماء العرب القدامى والمحدثين، وهي صفة ذكرها سيبويه في باب الإدغام، وجعلت الفاء من ضمن حروف "ضوي مشفر".

**37**- الانحدار هو صفة مخرجية للفاء، بموجبها اقتربت من حروف طرف اللسان وتباعدت عن حروف الشفتين من حيث الخصائص الإدغامية (خاصية الأصالة)، فصفة الانحدار منحتها الشبه والمضارعة بالثاء، التي لم تدغم في حرف من حروف الطرفين (الحلق، الشفتين). وبموجب هذا الشبه امتنعت الفاء من الإندغام في حروف الطرفين.

38- **حروف الطرفين،** مصطلح وضعه سيبويه للدلالة على حروف الحلق وحروف الشفتين، وهي ليست بأصل للإدغام، وقد جمعهما بحسب هذه الخاصية تحت مسمى واحد.

✓ **<u>ثالثا في مجال التقعيد لظاهرة الإدغام:</u>**

**39-** ليست كل الصفات القوية في باب الإدغام بالقوة نفسها، فأقواها مطلقا الصفات المميزة في حروف "**ضوي مشفر**"، التي منعت حروفها من أن تدغم في مقاربها **(قانون الحرف الأقوى)** وهذه هي الصفات المقصودة مرتبة ترتيبا تنازليا:

أ- **اللين:** في الواو والياء، فكل منهما يدغم في نفسه، وتدغم فيهما النون فقط. وليس صحيحا -بحسب منهجية سيبويه- ما يفعله بعض العلماء من جعل اللين من صفات الضعف.

ب- **الاستطالة والتفشي:** في الضاد والشين. منعتهما من أن يدغما في غيرهما.

ت- **الانحدار:** في الفاء، منعها من أن تدغم في غيرها.

ث- **الغنة في الميم:** منعتها من أن تدغم في غيرها.

ج- **الانحراف في الراء:** منعها من أن تدغم في غيرها.

وهذا ترتيبها -حسب تقديري- من الأقوى إلى الأقل قوة مقارنة بسابقه فقط، وقوة هذه الصفات تعمل إن لم يكن الحرف التالي له الصفة عينها، فإن اتفقت الصفات؛ كأن يتوالى شين وضاد ، يجوز الإدغام والبيان. فكلاهما متفش مستطيل.

**40-** الصفات السابقة تخص ما كان بابه التقارب في حروف "**ضوي مشفر**"، وهناك صفات أخرى مانعة للإدغام **كالثقل في الهمزة المحققة** و**المد في الألف والواو**

**والياء**، ولم يذكر سيبويه صفات الثقل والمد في باب الإدغام على أنهما مانعان له، لأن الحروف التي اتصفت بهذه الصات وهي (ء، اوي) لا يدخلها الإدغام مطلقا؛ وذلك بسبب تدخل ظواهر أخرى تمنع الثقل الحاصل في نطقها في بعض السياقات، وإليك التفصيل:

أ- تخفف الهمزة بتسهيلها، أو إبدالها، ولا حاجة هنا لإدغامها لأن الإدغام جلبته الصعوبة النطقية (قانون الخفة).

**ب**- تخفف الحركات الطويلة، بأن تُقَصَّر في حال ثقل النطق بها وذلك إذا جاء بعدها ساكن (منعا لإلتقاء الساكنين) مثل:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه  خشاش كرأس الحية المتوقد

فتنطق ألف "أنا" فتحة قصيرة، وتكتب عروضيا هكذا: أَنَ رْرَجُل....الخ.

ت- يخفف ثقل نطق الحركات الطويلة في بعض السياقات بالإعلال.

فالتقصير والاعلال في الحركات الطويلة، يؤدي وظيفة الخفة التي يجلبها الإدغام في الصوامت.

41- لم يذكر سيبويه إدغام الياء في الواو، وهو جائز في العربية، وشرطه أن يكون في كلمة واحدة مع أمن اللبس؛ لأن سيبويه ينظر إلى هذا النوع من الإدغام على أنه نوع من القلب (حيث عالجه في: "باب تحقير ما كان فيه قلبٌ"، انظر: الكتاب، 465/3 )، لكن المعجميين عالجوه تحت مصطلح الإدغام فقد ذكر الخليل بن أحمد: (مَيِّتٌ في الأصل مَوْيِتٌ مثلُ سَيِّد وسَوْيِد، فأُدْغِمَتِ الواو في الياء وثُقِّلَت الياءُ، وقيل: مَيْوِت وسَيْوِد. ويخفَّفُ فيقال: مَيْت) (انظر: كتاب العين، 172/4) وذكره ابن فارس، حاكيا كلام الخليل: "فإذا التقت الياء والواو في موضعٍ واحد وكانت الأولى منهما ساكنة فإن الواو تدغم في الياء إن كانت قبلها

أو بعدها في الكلام كلِّه ، نحو : الطيّ من طوَيت ، الواو قبل الياء ؛ ونحو الحيّ من الحيوان ، الياء قبل الواو" (انظر: تهذيب اللغة 43/1)

42- لا تدغم الياء إلا في نفسها جوازا، وذلك إذا كان الإدغام منفصلا (أي بين كلمتين)، وهذا ملحوظ من الأمثلة التي ساقها سيبويه، لكن الياء نصف المدية (والواو والهمزة كذلك) يدغمن في أنفسهن إذا كنَّ عينات مثل، قيّد، قوَّل، رأّس، ولا شك أن سيبويه يعلم ذلك، لكن منهجه يقتضي عدم ذكر إدغام أي حرف في نفسه، لأنه –حسب رأيي– أولى من إدغامه في مقاربه عنده.

43- النون هي الحرف الوحيد الذي يمتلك علاقات إدغامية مع معظم حروف العربية، فتخفي عند خمسة عشر حرفا، وتدغم في خمسة حروف (يرملون) وتقلب مع الباء، وترجع قوتها في باب الإدغام إلى أجتماع الأصالة والغنة فيها، وهذا مالم يتأت للميم ولا لأي حرف من حروف طرف اللسان، وربما اختارها سيبويه معيارا للتوازن بسبب هذه الخاصية.

44- ربما لما لاحظ سيبويه علاقات النون الإدغامية الكثيرة، استعملها كمعيار ضابط (معيار التوازن النوني) حيث يلحظ أن ترتب الأحياز كان يراعى فيه قوة الإدغام، إعتمادا على معيار إدغام النون أو إخفائها أو إظهارها، لما في النون من أصالة الإدغام والغنة وقدرتها على التحرك إدغاميا في إتجاهين متعاكسين إلى:

أ- **حروف اللسان:** أقوى الحروف في باب الإدغام، إذ تخفى عند بعضها النون وتدغم عند بعضها الآخر، ولا إظهار؛ لذا لم تأت النون ساكنة في كلمة واحدة قبل لام أو راء، لثقل التبيين وللبس بسبب الإدغام.

ب- **حروف الشفتين:** تلي الحروف السابقة قوة في باب الإدغام، فالنون قد تدغم في بعض حروفها وقد تقلب. ولا إخفاء.

ت- **حروف الحلق:** أضعف الحروف في باب الإدغام، فالنون تظهر عندها كلها على المشهور الأقيس في لغة العرب والقراءات القرآنية، وتخفى على الشذوذ عند الخاء والغين.

45- القوة الإدغامية للحرف وفي منهج سيبويه لا تؤخذ بالكم، أي أن حيازة حرف ما كالطاء مثلا على عدد كبير من الصفات القوية وهي: الجهر والشدة والإطباق، فاجتماع الصفات هذه لم يمنع اندغام الطاء في الدال والتاء والضاد، لكن القوة ترجع للصفة في حد ذاتها، فإذا كان في حرف الفاء صفة واحدة قوية، وهي صفة الإنحدار -كونها اقترب من حروف طرف اللسان وتباعدت عن حروف الشفتين من حيث الخصائص الإدغامية- وفيها صفتان ضعيفتان هما: الرخاوة والهمس، في مقابل الباء التي لها صفتان قويتان هما: الجهر والشدة، فإن الفاء قد امتنعت عن الإندغام في الباء، ولم تمنع صفات القوة الباء من أن تندغم في الفاء، والشين المتفشية لم يدغم فيها أي حرف مهما بلغت قوته، وأدغم فيها حروف طرف اللسان كلها، منها الطاء التي اجتمعت فيها صفات القوة: الجهر، الشدة، الإطباق، الاستعلاء، ما عدا التفشي طبعا.

**46**- كل إدغام في حروف العربية يكون أحسن من البيان أو يكون البيان منه أحسن أو يكون أحدهما قبيحا والآخر حسن، ولا يتساوى البيان والإدغام في الحسن إلا في حروف وسط الحلق (ح، ع) فإدغام العين في الحاء حسن والبيان حسن، فكلاهما مسموع موافق للقياس.

**47**- لا يتساوى الإدغام والبيان في عدم الحسن، فلا توجد ظاهرة أخرى يفر إليها الناطق.

- **رابعا في مجال التقنين لظاهرة الإدغام:**

تعامل سيبويه مع الظواهر اللغوية بعدة قوانين، وإن لم يصرح بذلك فهي واضحة كل الوضوح في كتابه، تلك القوانين هي التي ضمنت لكتابه الدقة وحفظته من الزيغ والزلل، وجعلت القضايا تطرد وفق القانون الذي يحكمها، وما خالفه فيه الكوفيون كان شاذا لا يعول عليه، والقوانين التي تعامل معها سيبويه نوعان، قوانين توزيعية (سياقية) وقوانين تعليلية:

أ- **قوانين سيبويه التوزيعية:** استعمل سيبويه عددا من القوانين ولم يسمها صراحة، ويظهر أن سيبويه هو أول من جمعها ونظمها تنظيما يجعل المسائل اللغوية مطردة ويمكن التنبؤ بها، مع إمكانية أن بعضها كان من وضع من سبقوه، وهي:

1-**قانون الخفة (طلب الخفة النطقية يكون ببذل مجهود أدنى مع أمن اللبس):** وهو قانون توزيعي (سياقي) ذا بعد فسيولوجي، يقتضي تحويل صوت ما ليماثل صوتا آخر، بسبب الصعوبة النطقية الناتجة عن بذل مجهود عضلي أكبر، وهو غير **قاون السهولة والتيسير الحديث**، الذي يفسر تطور الأصوات عبر الزمن بسبب صعوبتها النطقية.

2-**قانون المقاربة:** من أسباب طلب الخفة القرب المخرجي؛ فالحرفين عادة ما يدغما بسبب إشتراكهما في مخرج واحد، أو كونهما من مخرجين متقاربين، حيث **يؤدي هذا إلى ثقل على ألسنة الناطقين، فيعمدوا إلى الإدغام؛ إلتماسا للخفة.** وقد اتخذ سيبويه التقارب **معيارا ظابطا**، حيث ذكر أن اللاَّم أدغِمت في الرَّاء للمقاربَة في **طرف اللِّسان**، وأنَّ النُّون أدغِمت مع الرَّاء لقرب المخرجَين على **طرف اللِّسان**، وجعَل هذا القُرْبَ بين النُّونِ والراءِ العلَّةَ الصوتيَّةَ في إدغام النُّون في الياء؛ لأنَّه ليس مخرجٌ **من طرفِ اللِّسان** أقرب إلى مخرجِ الرَّاء من الياء،

وكذلك إلى اللام؛ إذ الياءُ أقرب الحروف إليهما فساغَ لذلك إدغامُ النُّونِ في الياء. (انظر: سيبويه: الكتاب 4/ 452 – 453.)، ويوقف قانون أمن اللبس وقانون الأقوى قانون المقاربة من العمل، وإليك التوضيح:

أ- **فقانون أمن اللبس،** علل به سيبويه عدم إدغام النون في الميم في: شاةٌ زنماء، وغنمٌ زنم، وقنواء، وقنيةٌ، وكنيةٌ، ومنيةٌ، لأن الإدغام **يوجب الالتباس** فيصير كأنه من المضاعف، فإن أمن اللبس جاز الإدغام، مثل: امّحى. إذن فالأصل في الإدغام ألا يؤدي إلى لبس في الدلالة، فإن أدى إليها امتنع.

ب- **وقانون الحرف الأقوى،** منع إدغام حروف "**ضوي مشفر**" فيما يقاربهما. وما كان من حروف الحلق أدخل في الفم. وأدغموا النون في الميم، وحروف طرف اللسان في الضاد والشين.

3-**قانون الحرف الأقوى:** وهو قانون توزيعي، حيث يمتنع الحرف الساكن القوي من أن يندغم في الذي يليه وإن كان من حيزه.

4-**قانون الأصالة:** وهو قانون ينظم عملية الإدغام وفق:

4- الأصل في الإدغام لحروف الفم واللسان لكثرتها، والتعليل بالأصل أو بالحسن تعليلان إحصائيان يعتمدان على معيار الكثرة.

5- أصل الإدغام أن يدغم الأول في الآخر.

6- أصل الإدغام في المنفصلين نحو: بين لّهم، وذهب بّه، أن يكون الأول ساكناً.

7- الأصل في الإدغام للصحاح لا للعلل. وهذا الأصل استنتجته من حذف سيبويه لحيز الجوف، فحروفه لا علاقة لها بالإدغام.

8- الأصل في الإدغام ألا يؤدي إلى لبس في الدلالة، فإن أدى إليها امتنع. وهذ الأصل الأخير استنتجته من تطبيق سيبويه **للقوانين التعليلية.**

5- **قانون عدم الأصالة:** حروف الحلق ليست بأصل للإدغام؛ لذا فكل إدغام في حروف وسط الحلق، إذا كان الحرفان متقاربان يفسر **في ضوء الإبدال،** وهو العملية السابقة مباشرة للإدغام، وهو **ضابط تحويلي** يتدخل لجعل الإدغام الممنوع جائزا.

6-**قانون الأخرج:** يدغم الحرف من الحيز الأعمق في حروف من حيزه أو في حرف من الحيز الموالي، أي الإدغام في العربية يسير في خط أمامي بحسب اتجاه خروج اللهواء؛ فحروف الشفتين لا تدغم في حروف طرف اللسان، وحروف طرف اللسان لا تدغم في حروف أقصى اللسان، وهذه الأخيرة لا تدغم في حروف الحلق، وهذا هو المسموع الموافق للقياس. ويفسر كل إدغام خالف هذا القانون، في ضوء **قانون الخفة التحويلي،** هذا القانون حمل سيبويه على جعل البيان أحسن في حروف وسط الحلق مع حروف أقصى الحلق، يليه الإدغام معها في الحسن لقرب المخرجين مع وجوب تدخل قاعدة الإبدال التحويلية، مثاله: اقطع هلالاً البيان أحسن، فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاءً والعين حاءً ثم أدغمت الحاء في الحاء، لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله، فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها ثم أدغمته فيه كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه، ولكن ليكون في الذي هو من مخرجه. (انظر: سيبويه: الكتاب، 449/4).

7- قانون الأخرج يقتضي عمله ضابطان:

- ✓ **أن ينظم عملية الإدغام داخل الحيز الواحد،** حيث يسمح للحرف من مخرج أمامي أن يندغم في حرف من مخرج أكثر عمقا منه، بشرط أن ينتميا لحيز واحد، فحروف طرف اللسان (النون والشين والضاد) تدغم بعضها في حروف وسط اللسان (الياء، الجيم)، لأن الجميع ينتمي إلى حيز طرف اللسان (فمخرج وسط اللسان بسبب استطالة الضاد والشين خالط حيز طرف اللسان فصارا كأنهما حيز واحد)
- ✓ **أن يمنع إدغام حرف من حيز أكثر أمامية في حرف من حيز أكثر عمقا،** إذا كان هذا الحرف امتنع من أن يندغم في حرف من حيزه تحت تأثير **قانون الحرف الأقوى،** وهذا ما تحقق مع حرف الميم فقط؛ حيث "لم يدغموا الميم في النون لأنها لا تدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين، فكذلك لم يدغموها فيما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة" (سيبويه: *الكتاب، 4/456)*

ب- **قوانين تعليلية:** استعملها سيبويه ومن قبله الخليل بن أحمد، وذلك ليفسر بها أسباب عدم عمل قانون ما مع توفر شروط عمله اللازمة، كعدم إدغام حرف ضعيف في حرف قوي يليه، والقانون التعليلي الوحيد الذي لاحظته هو **قانون أمن اللبس:**

8-**قانون أمن اللبس:** وهو قانون دلالي، استعمله الخليل ومن جاء بعده لتعليل مسائل صوتية وصرفية ونحوية، فهو قانون لغوي عام، وهو أم القوانين؛ لأن النظام اللغوي يقوم على الابانة والوضوح. ولا يلجأ إلى الغموض والتعمية إلا في الألغاز واللغات السرية الإصطناعية، وقد استعمل سيبويه هذا القانون كالتالي:

أ- ليبرر إطراد عمل القوانين السياقية، حيث ينص منهجه أنه **يجوز الإدغام مع أمن اللبس مطلقا**، فالنون مع الباء تقلب ميما مثل: شمباء والعمبر، وذلك أن الميم لا تقع ساكنة قبل الباء في كلمة عربية أبدا.

ب- يمنتنع الإدغام مع وجود موجباته إذا كان يؤدي إلى لبس دلالي، مثل تعليله لعدم إدغام النون في الميم في: شاةٌ زنماء، وغنمٌ زنم، وقنواء، وقنيةٌ، وكنيةٌ، ومنيةٌ، لأن الإدغام **يوجب الالتباس** فيصير كأنه من المضاعف، فإن أمن اللبس جاز الإدغام، مثل: امّحى. إذن فالأصل في الإدغام ألا يؤدي إلى لبس في الدلالة، فإن أدى إليها امتنع.

# خَـــــــــاتِـــــــــمَـــــــة

## خاتمة

وفي نهاية هذا البحث وبعد هذه الرحلة الممتعة مع كتب التراث العربي، التي عالجت مباحث الصوت اللغوي بمختلف فروعه، آمل أن يكون البحث قد قدم عرضا عاما للنظرية الصوتية عند قدامى الصوتيين العرب وفق رؤية لسانية مألوفة لدى القارئ العصري، وأن يكون قد تطرق إلى مختلف الحيثيات المرتبطة بالنظرية موضوع البحث.

عالج هذا البحث جوانب عديدة من النظرية الصوتية، وهي بحاجة إلى مزيد من الدراسة والإثراء، كالمنهج التوزيعي عند العرب وتطبيقه على مختلف مستويات اللغة العربية، واللغة العلمية التي دونت بها المصنفات اللغوية، والفروع الصوتية التطبيقية التي بذل فيها القدامى مجهودات معتبرة، كأمراض اللغة، وتفكيك رموز كتابات اللغات الميتة واللغات السرية، ...الخ.

والباحث في الصوتيات العربية بحاجة إلى دراسة واعية فاحصة متأنية في مختلف العلوم التي كان الصوت يمثل أحد نقاط اهتماماتها كالتشريح والموسيقى والفلسفة وغيرها، ثم دراسةُ ما قدَّمه علماءُ الغرب من أبحاثٍ صوتيَّة دراسةً فاحصةً متأنيةً، ثم القيام بمقارناتٍ بينها –دون إسقاط أعمى– لِيصِلَ إلى معادلةٍ تُوَفِّقُ بين الماضي والحاضر.

نحن اليوم بحاجة إلى علوم العصر لفهم علوم القدامى، وبحاجة إلى علوم القدامى لإثراء علوم العصر والاقتصاد في الجهد وتجنب التكرار.

ومن هنا يكون من المناسب أن تقتطف بعض النتائج التي توصل إليها البحث، وقد توزعت النتائج على عدة جوانب منها: الإبستيمولوجي، والمنهجي، واللغة العلمية، وهي كالآتي:

1- ظهرت الدراسات اللغوية عند العرب، في بداية تكون دولتهم واتصالهم بالحضارات الأخرى عن طريق التوسع العسكري، ففي عصر الخليفة علي بن

أبي طالب بدأ أبو الأسود الدؤلي يضع الملاحظات الأولى عن كيفية نطق حركات الإعراب الثلاث وكيفية تدوينها، وبعد مائة عام تقريبا بلغت الدراسات اللغوية أوج مراحل تطورها، من حيث التقعيد والتنظيم، هذا بالتزامن مع بلوغ الحضارة العربية مكانا مرموقا بما لم يشهد له العرب مثيلا.

2- نشأ الدرس الصوتي عند العرب؛ بحسب أقدم نص وصل إلينا مدونا في القرن الثاني للهجرة، على يد العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي، استجابة لدواعي النهضة العلمية الشاملة والسائدة حينئذ، ولم تكن العلوم العربية حينها –وبخاصة الدينية واللغوية منها– قد تأثرت بالثقافات الأجنبية؛ لأن الترجمة لم تتسع اتساعا يتيح لها التأثير إلا في القرن الثالث وما تلاه، أي بعد وفاة الخليل بحوالي سبعين سنة وهذا دون إغفال العناصر الأجنبية الوافدة التي اعتنقت الإسلام أو العناصر العربية، والتي تحمل ثقافات الأقوام التي عاشت تحت سلطتها قبل موجة الفتح العربي –الرومان والفرس وهما يمثلان أقوى حضارتين آنذاك– وهذا لا يعني أن إثراء هؤلاء القوم للثقافة العربية كان عن طريق مباشر من خلال الترجمة واقتباس العلوم وتعريبها وتلقي الآثار الدخيلة.

3- ظهرت نظريتان صوتيتان في المرحلة الجنينية من تأليف العلوم العربية، هما نظرية الخليل ونظرية سيبويه، وهاتان النظريتان تعكسان وجود إبداع عربي، فكل نظرية تعالج الظواهر اللغوية وفق رؤية محددة، تنبعث من كيان الذات الباحثة وتعكس خلفيتها الإبستيمولوجية؛ أي تخصصها اللغوي.

4- مصادر النظرية التسلسلية أصيلة، تمثلت في القرآن الكريم وتراث العرب العلمي والأدبي لمرحلة ما قبل الإسلام، أما العناصر الدخيلة التي انتقلت عن طريق الترجمة، فقد استفاد منها علم الأصوات العربي بكل فروعه بعد عصر الترجمة (بعد سنة 250هـ).

5- أثرت مدرسة الخليل في جهود المدارس اللاحقة، ووجود مثل هذا التأثير دليل على تراكمية المعرفة عند علماء العرب القدامى.

6- اعتمد اللغويون العرب على المعارف المنقولة رواية –الموروث الشعبي الشفوي– من شعر ونثر وقراءات قرآنية ووجوهها الصوتية، مع إعمالهم مبادئ العلم كالملاحظة والتفسير والوصف، وقد فرض التراث الشفوي نفسه؛ من حيث لا معارف أخرى مدونة عند العرب (باستثناء القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة)، ومن حيث اِلتزام اللغويين معاينة المكان (المنهج الجغرافي) الذي أدى بهم إلى الخروج إلى البادية ومشافهة الرواة –الأعراب الفصحاء– وتحديد رقعة مكانية للفصاحة تشمل بعض القبائل دون أخرى، ومهما بدا من تحيز في التعامل مع اللهجات يبقى التحديد الجغرافي ذا بعد علمي مكن اللغويين من السيطرة على الرواية وتوحيد اللهجات في لغة رسمية، وتحديد قاعدة البيانات التي سيجري عليها العمل.

7- يظهر جليا الجانب الإبداعي للنظرية التسلسلية، في مجال اللغة الواصفة (لغة التحليل العلمي)، فالمصطلح الصوتي العربي مثلا كله أصيل (في المرحلة الجنينية) وهذا دليل كاف للقول بأصالة العلوم في المرحلة الجنينية.

8- فهم النظرية الصوتية العربية، يكشف عن طريقة تفكير القدامى ولغتهم العلمية، مثال ذلك، الرأي القائل بأن حرف المد مسبوق بحركة من جنسه، فهو تصور مبني على أن حرف المد مكون من حركتين قصيرتين، الحركة الأولى تسمى الفتحة أو الكسرة أو الضمة، والحركة الثانية هي مد للأولى أي هي امتداد زماني لها، وتسمى الألف أو الياء أو الواو، والدليل على صحة هذا الاستنتاج؛ أن مسميات الألف أو الياء أو الواو تطلق على نظائرها القصيرة والعكس صحيح، وهذا التصور يجعلنا نفهم ما المقصود مثلا من قولهم: بني فعل الأمر المعتل الآخر على حذف حرف العلة، وذلك أن الحركة الثانية (الألف، الياء،

الواو) هي المحذوفة وبقيت الأولى، فحرف العلة هنا هو الجزء الثاني من حرف المد، وقول اللسانيين الوصفيين بأن هذا الفعل بني على تقصير حرف المد، لا يختلفان من حيث المعنى؛ ولا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المضمون واحدا.

9- تتطور اللغة العلمية عبر العصور، فهناك مصطلحات قد ماتت من الاستعمال كمصطلح شوارب الحنجور، وأخرى تغير معناها كمصطلح لسان المزمار، الذي يشير إلى الوترين الصوتيين عند الأطباء القدامى، وهو يشير إلى أحد غضاريف الحنجرة عند المحدثين.

10- يظهر جليا الجانب الإبداعي للنظرية التسلسلية، ليس في وضع المصطلح وحسب، بل وفي استنباط مناهج التصنيف وطرق التحليل، فقد اتخذ قدامى علماء العربية المنهج التوزيعي لتحديد العناصر الصوتية وقواعد توزيعها، والمنهج التعليلي لإفهام وإقناع القارئ بصحة استدلالاتهم وتحليلاتهم.

11- توزيع الحرف داخل السلسلة الكلامية وتغيير العناصر المحيطة به، يعد نوعا من التجربة التي تسمح للغوي برصد كل المواقع الممنوعة والمسموحة وبرصد كل التغيرات التي تطرأ على الحرف.

12- الحرف عند قدامى علماء العربية يدرس في السلسلة الكلامية كمعطى توزيعي يمكن ملاحظته في بيئته الطبيعية، لكن الصوت في دراسات اليونانيين وفي الفونولوجيا الحديثة، يدرس كمعطى مادي، والمقطع يتم تحليله بعد تجريده من السلسلة الكلامية.

13- درس القدامى اللغة العربية دراسة تقابلية مع الفارسية والرومية وغيرها، حيث نظروا إليها نظرة اجتماعية تؤثر وتتأثر، ويظهر ذلك جليا عند دراسة المعرب والدخيل.

14- كان التقابل يجري على مستوى الأصوات والكلمات، فقد أشار الخليل بن أحمد للتجمعات الصوتية الدخيلة، وذكر ابن سينا في الفصل الخامس من رسالة

أسباب حدوث الحروف، الحروف التي تشترك أو تنفرد بها اللغتين العربية والفارسية.

15- درس القدامى اللغة العربية دراسة مقارنة مع بعض أخواتها الساميات، على رأسهم الخليل بن أحمد، حيث تكلم عن الكلمات الدخيلة من النبطية (لغة قديمة للعرب العماليق الذين سكنوا سواد العراق ومملكة البتراء التي امتدت على أراضي الأردن وفلسطين وسيناء ومدين) والعبرية والحبشية.

16- تشعبت دراسة الصوت اللغوي عند قدامى علماء العربية بين عدة مدارس واتجاهات: مدرسة المعجميين، مدرسة النحويين، ومن جهود هاتين المدرستين نشأت مدرسة المجودين ومدرسة البلاغيين، ونشأت مدرسة الطبيعيين (الفلاسفة والأطباء والموسقيين) عن طريق المزاوجة بين جهود علماء العربية والتراث العلمي للأمم الأخرى.

# قَـــــــائِـــمَـــــــة الـــمـــراجـــع

**المصادر والمراجع**


القرآن الكريم، بقراءة ورش عن الإمام نافع.

1- إبراهيم بسيوني عميرة: المنهج وعناصره، دار المعارف-الإسكندرية، ط1991/2.

2- إبراهيم محمد الجرمي: معجم علوم القرآن، دار القلم-دمشق، ط2001/1.

إبراهيم أنيس:

1- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1975/5.

2- إبراهيم بن سعيد الدوسري: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2007/1.

3- إبراهيم محمد نجا: التجويد و الأصوات، دار الحديث القاهرة، 2008.

4- إبراهيم خليل: في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة، ط2007/1.

5- إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، ط2006/1.

6- الإدارة العامة لإدارة وتطوير المناهج: تخصص أجهزة طبية التشريح ووظائف الأعضاء، رقم المقرر 220، ط1429هـ، المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني- السعودية.

7- أكاديميا أنترناشيونال: معجم أكاديميا للمصطلحات العلمية والتقنية، انكليزي-فرنسي- عربي، بيروت 1993.

8- ابن الأنباري أبو البركات: أسرار العربية، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1/ 1997.

9- ابتهال الزيدي: علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة 2005.

ابن الجزري:

10- النَّشر في القراءات العشر، أشرف على مراجعته الشيخ العلامة محمد علي الضباع، دار الكتاب العربيّ، د.س، د.ط.

11- التمهيد في علم التجويد، خرج أحاديثه: فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، ط2006/1.

12- أندري مارتيني: مبادئ ألسنية عامة، تر: ريمون رزق الله، دار الحداثة-بيروت، ط1990/1.

13- الأخفش الأوسط أبو الحسن المجاشعي: معانى القرآن، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1/1411 هـ - 1990 م.

14- الأعلم الشنتمري: النكت في تفسير كتاب سيبويه، تح: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب 1999.

15- أحمد بن محمد أحمد علي الفيومي المقرئ: المصباح المنير، طبعة الجيب، مكتبة لبنان-بيروت 1990.

أحمد حساني:

16- مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية 1999.

17- اللسانيات التطبيقية ديوان المطبوعات الجامعية 2000.

18- أحمد الحملاوي, شذا العرف في فن الصرف شرحه وعلق عليه عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية 2004.

19- أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي عالم الكتب القاهرة 1997- 1418.

أحمد محمد قدور:

20- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفجر-دمشق، ط2/2003.

21- آليات النطق في رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا، ط1/2010، دار الرفاعي ودار القلم العربي-دمشق.

22- مبادئ اللسانيات، دار الفكر-دمشق، ط3/2008.

23- آمنة صالح الزعبي: في علم الأصوات المقارن دار الكتب الثقافي الأردن 2005.

24- إرنست بولجرام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام ترجمة سعد عبد الغزير مصلوح، عالم الكتب القاهرة 2002.

25- أ. سشيان: النظام الصوتي التوليدي، تر: نوزاد حسن احمد، ط1/2010، الدار العربية للموسوعات.

26- جيوم كولوغلي: التراث اللغوي العربي، تر: محمد حسن عبد العزيز، كمال شاهين، دار السلام-القاهرة، ط2/2012.

27- أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي: الحاوي في الطبّ، اعتنى به: هيثم خليفة طعيمي، دار احياء التراث العربي-بيروت، ط1/ 2002.
28- ابن البنا البغدادي: بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء، تح: غانم قدوري الحمد، ط1/2001، دار عمار-عمان.
29- أبو البركات هبة الله ابن عليّ بن مَلْكا البغداديّ: المعتبر في الحكمة، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1358 هـ.
30- بسام بركة: علم الأصوات العام – أصوات اللغة العربية – مركز الإنماء القومي، دون ذكر للطبعة.
31- برتيل مالبرج: الصوتيات، تر: محمد حلمي هليل، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية 1994،
32- بيتر لادفوجد: عناصر صوتيات موجات الكلام، تر: محمد العناني، دار جرير، ط1/2009.
33- أبو البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ط2/2011.
34- ابن الباذش أبو جعفر أحمد بن علي كتاب الاقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، دار الفكر-دمشق، ط1/1403هـ.
35- ج. برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، أحرجه و صححه و علق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط4/2003.
36- الجواليقي أبو منصور موهوب بن أحمد: المعرب من الكلام الأعجمين تح: ف.عبد الرحيم، دار القلم-دمشق، ط1/1990.
37- الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين- بيروت، ط4/1990.
38- ابن الجزري محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف: التمهيد في علم التجويد، خرج أحاديثه: فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم ط1/2006.
39- ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء والحكماء، ويليه: تاريخ الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن بن حنين، تح: فؤاد رشيد، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2/1985،

40- جلوريا ج. بوردن و كاثرين س. هاريس: أساسيات علم الكلام، تر: محيي الدين حمدي، دار الشرق العربي، دون ذكر للطبعة.

41- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني-بيروت 1986.

الجرجاني عبد القاهر:

42- دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط2، 1410 هـ = 1989م.

43- العمد كتاب في التصريف، تح: البدراوي زهران، ط2008/1، دار الأفاق العربية.

ابن جني:

44- الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوقيفية، دط، دس.

45- سر صناعة الإعراب، تح: علاء حسن أبو شنب، المكتبة التوفيقية-القاهرة، د.ط، د.س.

الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو:

46- جامع البيان في القراءات السبع، تح: خالد بن علي بن غمدان الغامدي، منشورات جامعة الشارقة-الإمارات، ط2007/1 م.

47- التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار-الأردن، ط2000/1.

48- الإدغام الكبير، تح: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب-القاهرة، ط2003/1.

49- كتاب النقط في شكل المصاحف وكيفية ضبطها، تح: فرغلي سيد عبباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط/2008.

50- ديفيد أبركرومبي: مبادئ علم الأصوات العام، تر: صالح فتيح، ط1988/1 القاهرة.

51- ابن دريد (ت321هـ): جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط/1987.

52- هنري فليش اليسوعي: العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد: تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، ط1966/1.

53- هشام خالدي: صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، ط2012/1.

54- وائل بركات: مفهومات في بنية النص، دار معد-دمشق، ط1996/1، (هذا الكتاب مترجم ولم يذكر مؤلفه)

الزبيدي أبو بكر بن محمد الحسن الأندلسي:

55- طبقات النحويِّن واللُّغويِّين، تحك محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 دار المعارف-مصر.

56- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

57- زهير الكرمي ومحمد سعيد صباريني وسهام العقاد العارف: الأطلس العلمي فيزيولوجيا الإنسان، دار الكتاب اللبناني-بيروت.

58- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتى ومحمد على نجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبى، دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر دون ذكر للطبعة، د.ط، د.س.

59- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: المفصل في صنعة، الإعراب: تح: د/ علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط1993/1.

60- زيد خليل القرالة: الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث 1425هـ.

61- زينب منصور: موسوعة جسم الإنسان، دار الاسراء، ط2000/1.

62- كرم محمد زرندح: أسس الدرس الصرفي في العربية، ط2007/4، دار المقداد للطباعة-غزة.

الكندي أبو يوسف يعقوب (عاش حوالي 801-866):

63- رسالة في اللُّثغة، تح: محمد حسان الطيان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3 المجلد 60-1985م.

64- رسالة أجزاء خبرية في الموسيقى، (نص الرسالة ملحق بكتاب "تاريخ الموسيقى الشرقية" لسليم الحلو، منشورات دار مكتبة الجياة-بيروت 1961)

- كمال بشر:

65- علم الأصوات، عالم الكتب الحديث، ط2000/1.

66- دراسات في علم اللغة، دار غريب 1998.

67- كاترين فوك وبيارق وفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية 1984.

68- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام-بالقاهرة 1994.

مهدي المخزومي:

69- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط1958/2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

70- الفراهدي عبقري من البصرة، وزارة الثقافة والإعلام-دار الشئون الثقافية العامة-بغداد 1989.

71- موسى سويسي: لغة الرياضيات في العربية، الدار التونسية للنشر_تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات-بيت الحكمة 1989م.

72- منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة-الرياض، ط2001/1.

- مكي درار:

73- المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر و التوزيع، د.ط، د.س.

74- الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد)، منشورات إتحاد الكتاب العرب-دمشق2007.

75- المكتب العالمي للبحوث: الأدب واللغة، منشورات المكتب العالمي- بيروت 1983 م 1403 هـ.

76- مكتبة لبنان: الموسوعة العلمية الميسرة، ط1984/1 مكتبة لبنان-بيروت.

77- ملا علي بن سلطان محمد القارئ: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، ويليها الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية، لزكريا محمد الأنصاري، المكتبة العصرية-بيروت 2009.

78- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة2001/1.

79- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر- بيروت 1288 هـ- 1968 م.

أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي:

80- الرعاية في لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: محمد هاشم عبد العزيز، المكتبة التوقيفية-مصر، د.ط، د.س.

81- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1418 هـ 1998م.

82- المحبي: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تح: عثمان محمود الصيني، ط1/1994، مكتبة التوبة-السعودية.

83- محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجلقي زاده: جهد المقل، تح: جمال الدين محمد شرف، دارالصحابة، د.ط، د.س.

84- محمد بن عبد الله محمود: الكفاية في النحو، تح: اسحق جاد الله الجعبري، ط1/2005، دار ابن حزم.

85- محمد حسن حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية و تطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة ط 1/2008.

86- محمد علي الزركان: الجهود اللغوية في المصطلح العلمّي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب1998.

87- محمد محمود غالي: أئمة النحاة عبر التاريخ، دار الشروق، ط1/1976.

88- محمد اسحق العناني: مدخل إلى الصوتيات، دار وائل 2006.

محمد عبد العزيز عبد الدايم:

89- النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام-القاهرة 2006.

90- المفاهيم النحوية بين الدرسين العربي التراثي والغربي المعاصر، د.ط، د.س، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة.

91- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2/1997.

92- محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، مكتبة السنة، ط1/2002.

93- محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، دار مكتبة الحياة بيروت 1980.

94- محمد صالح الضالع: علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، دون ذكر لسنة النشر.
95- محمد بن قادة وآخرون: معجم الرياضيات، منشورات المعهد التربوي الوطني بالجزائر 1972م .
96- المرادي الحسن بن قاسم بن أم قاسم: المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تح: جمال الدين شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا 2005.

مصطفى حركات:

97- الصوتيات و الفونولوجيا، دار الآفاق، دون ذكر للطبعة.
98- اللسانيات العامة وقضايا العربية، دار الآفاق 2000.
99- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: إعراب القرآن، اعتنى به الشيخ خالد العلي، ط2/2008، دار المعرفة-بيروت.
100- نصير الدين الطوسي (ولد عام597هـ-1201م): رسالة نصير الدين الطوسي في علم الموسيقى، دار القلم-القاهرة 1964.
101- حبيب بن يوسف الفارسي (ت1329هـ): كتاب فتح الأبواب إلى سلم الإعراب، تح: عادل فائل محمد بلحان، ط1/2009، وزارة التراث والثقافة-عمان.
102- ابن الحاجب جمال الدين الدويني: الشافية في علم التصريف ويليها نظم الشافية للنيساري، درويش الجويدي، ط1/2008، المكتبة العصرية-بيروت.

حلمي خليل:

103- دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية-بيروت، ط/1998.
104- دراسات في اللسانيات التطبيقية دار المعرفة الجامعية 2002.
105- ابن حمدون بن الحاج: حاشية أبي العباس سيد أحمد بن محمد ابن حمدون بن الحاج على شرح الإمام أبي زيد سدي عبد الرحمن المكودي، دار الفكر-لبنان 2008.
106- أبو حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، تح عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط1/1986.
107- أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري: القصيدة في قراءة الإمام نافع، تح: توفيق بن أحمد العبقري، مكتبة أولاد الشيخ، ط1/2002.

108- أبو الحسن عليّ بن العباس المجوسي: كامل الصناعة الطبية، ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث.

حسام البهنساوي:

109- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، زهرا الشرق، ط1/2005.

110- علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، ط1/2004.

111- حسام سعيد النعيمي النعيمي: أصوات العربية بين التحول والثبات، منشزرات بيت الحكمة جامعة بغداد، دون ذكر للطبعة ولا لسنة النشر.

ابن الطحان الأندلسي عبد العزيز بن علي:

112- الإنباء في تجويد القرآن، تح فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ، ط1/2009.

113- مخارج الحروف وصفاتها، تح: محمد يعقوب تركستاني، ط2، 1412 هـ = 1991 م.

114- ابنُ الطحان الموسيقيّ أبو الحسن محمد بن الحسيني: حاوي الفنون وسلوة المحزون، تح: زكريا يوسف، وزارة الثقافة والأعلام–الجمهورية العراقية 1971م.

115- يد الله ثمرة: الصوتيات و اللغة و الفارسية، تر: حمدي إبراهيم حسن، المجلس الأعلى للثقافة 2005.

116- أبو يحيى زكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة دار السلام–مصر، ط1/2006.

ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت 428 هـ):

117- أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق.

118- القانون في الطب، تح: محمد أمين الضناوي، ط1/1999، دار الكتب العلمية–بيروت.

119- كتاب الشفاء (العبارة)، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق محمود الخضيري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1390هـ-1970م.

120- الشفاء المنطق، المقالة الأولى من الفصل الخامس، تح الأب قنواني ومحمود الخضيري وفؤاد الإهواني، المطبعة الأميرية-القاهرة، د.ط، د.س.

121- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط2/1988، مكتبة الخانجي-القاهرة.

122- سلمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح ومحمد محمود غالي، منشورات النادي الأدبي الثقافي 1982.

سعد عبد العزيز مصلوح:

123- دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدارك، عالم الكتب 2000.

124- في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات عالم الكتب، ط1 /2004.

125- أبو السعود أحمد الفخراني: الغنة بين القديم و الحديث، مطبعة الأمانة القاهرة 1983.

سمير شريف استيتية:

126- الأصوات اللغوية دار وائل للنشر 2003.

127- اللسانيات المجال والوظيفة عالم الكتب الحديث 2005.

128- المشكلات اللغوية في الوظائف و المصطلح و الازدواجية، دار القلم، ط1/ 2001.

129- السنهوري زين الدين أبو الفتح جعفر بن إبراهيم: كتاب الجامع المفيد في صناعة التجويد، تح: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، دار ابن حزم، ط1/2010.

130- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: المُزْهِرُ في علوم اللُّغة وأنواعُها، تح: فؤاد علي منصور، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1418هـ 1998م.

السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله:

131- أخبار النحويين البصريّين، تح: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر، ط1/1955م.

132- شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، خمسة أجزاء، دار الكتب العلمية-لبنان، ط1/2008.

133- ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تح/ صبحي التميمي، دار البيان العربي-جدة، ط1/1985.

134- ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار المريخ 2000.

135- عادل محلو: علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، مطبعة مزوار-الوادي الجزائر، ط1/2009.

136- عادل نذير بيري الحساني: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث -قراءة في كتاب سيبويه-، مركز البحوث والدراسات الإسلامية-العراق، ط1/2009.

137- عادل إبراهيم أبو الشعر: مقدمة في الدرس الصوتي عند العرب، دار الغوثاني-دمشق، ط1/2013.

138- عادل عوض: منطق النظرية العلمية المعاصرة وعلاقتها بالواقع التجريبي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط 2000.

139- أبو عبد الودود مصطفى بن بلقاسم شاب الله: السيل العرم العوام في تجويد كلام الله العلام بطريق الأئمة الأعلام، منشورات زاوية سيدي إسماعيل ببوزريعة الطبعة الثانية.

140- أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي: فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث-الامارات العربي، ط2/2006.

141- عبد الحميد مشعلا: دراسة الناي بالطريقة العلمية، ديوان المطبوعات الجامعية 1984.

142- عبد الحميد قدوع الأصبعي: الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية-ليبيا، ط1/2010.

143- عبد الحميد الغرباوي: المعين في اللغة العربية، إديسوفت-الدار البيضاء، ط2/2006.

عبد الرحمان حاج صالح:

144- بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر-الحزائر 2007.

145- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر-الجزائر 2007.

146- عبد الرحمان حاج صالح و آخرون: الرصيد اللغوي الوظيفي للمرحلة الأولى من التعليم الإبتدائي، المعهد التربوي الجزائري، ط1/1975.
147- عبد القادر عبد الرحمان بابي: الجملة في المصطلح و العملة، دار الهدى عين مليلة – الجزائر، د.س، د.ط.
148- عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء-عمان، ط1/2009.
149- عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث الغلوي – مكتبة الخانجي 1997.
عبد الغفار هلال:
150- اللهجات العربية – القاهرة دار الفكر اللبناني بيروت 1998.
151- القراءات و اللهجات من منظور علم الأصوات الحديث،. دار الفكر العربي، ط1/2004.
152- عبد العزيز أحمد علام وعبد الله أحمد ربيع: علم الصوتيات، مكتبة الرشد 2009.
153- عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي فقه اللغة العربية، دار أسامة-عمان، ط1/2005.
154- أبو العلاء الحسن بمد الهمذاني العطار: التمهبد في معرفة التجويد، تح: جمال الدين محمد شرف و آخرون، دار الصحابة، دون ذكر للطبعة.
155- علاء جبر محمد: المدارس الصوتية عند العرب النشأة و التطور، دار الكتب العلمية، ط1/2006.
156- علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور: المقرب، تح: أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، ط1/1971.
157- علي خليف حسن: منهج الدرس الصوتي عند العرب، دار الكتب العلمية، ط1/2011.
158- أبو عمر بن العلاء: شرح قواعد البقري في أصول القراء السبعة للجبوري ويليه كتاب الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء حققه أنس بن محمد حسن مهرة ، دار الكتب العلمية بيروت ط/1 سنة 1418 هـ 1998 م.
159- أبو علي القالي (ت356هـ): البارع في اللغة، تح: هاشم الطعان، دار الحضارة العربية-بيروت 1975.

160- عطية بن عطية الأجهوري: إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي وأحمد بن علي، مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء ودار ابن حزم-بيروت، ط2009/1.

161- العيني بدر الدين محمود بن أحمد: شرح المراح في التصريف، تح: عبد الستار جواد، مؤسسة المختار-القاهرة.

عصام نور الدين:

162- علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني بيروت ط1992/1.

163- علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني بيروت ط1992/1.

164- ابن عصفور الأشبيلي ت 669 هـ: الممتع الكبير في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1996/1.

165- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط1980/20م.

166- عثمان بن سليمان مراد علي آغا: السلسبيل الشافي، ضمن سلسلة متون التجويد، جمع وتحقيق حمد الله حافظ الصفي، مكتبة أولاد سيد الشيخ للتراث، د.ط، د.س.

167- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت، دون ذكر للطبعة.

168- الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد: التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، تح: حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية 1984.

ابن فارس (ت395هـ):

169- مقاييس اللغة، تح: أنس محمد الشامي، دار الحديث-القاهرة 2008.

170- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، تح فيصل دبدوب، مطبعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1967.

171- فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، أفاق عربية-بغداد 1985.

172- الفارابي أبو نصر: إحصاء العلوم، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط/1996.
173- فرحات بلبل: أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي، دار المعارف 1996.
174- الفرخان كمال الدين أبو سعد بن مسعود: المستوفى في النحو، تح: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية- القاهرة1987، جزآن.
175- صالح بلعيد: الخليل بن أحمد عبقري العرب، كراسات المركز-سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد الأزل 2006.
176- صبحي شلش و هاني طه العزاوي: علم النسج العام المجهر و نسيج الجسم، منشورات المجلس العربي للعلوم و الطب و التكنولوجيا-عمان 1995.
177- صبحي عمران شلش: الدراسات العلمية في علم وظائف الأعضاء العام، منشورات المجلس العربي للعلوم و الطب و التكنولوجيا-عمان, 1994.
178- صاحب حماة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الأيوبي: كتاب الكناش في النحو والصرف، ، تح: عصام بن حسن خوام، المكتبة العصرية-لبنان، ط1/2000.
179- صبري متولي دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق 2002.
صلاح الدين صالح حسنين:
180- المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي، ط1/1981.
181- اللسانيات وعلم اللغة المعاصر وعلاقته بالعلوم الإنسانية، ط2008، دار الكتاب الحديث.
182- المدخل في علم الأصوات المقارن، مكتبة الآداب-مصر 2005.
183- الصيمري أبو محمد بن عبد الله: التبصرة والتذكرة، تح: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار الفكر-دمشق ط1/1982م.
184- قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية-بيروت ط1/2005.
185- القنوجي محمد صديق حسن خان: البلغة في أصول اللغة، نذير محمد مكتبي، ط1/1988، دار البشائر الإسلامية.
186- عليّ بن عيسى الرمَّاني النحوي: معاني الحروف، تحقيق د. عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة.

187- صباح عطيوي عبود: المقطع الصوتي في العربية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1/2014.
188- عرفان شهيد: روما والعرب، تر: قاسم محمد سويدان، دار كيوان-دمشق، ط1/2008.
189- ر. هـ. روبنز : موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، نوفمبر 1997.
190- ريمون طحَّان ودنيز بيطار طحَّان: فنون التقعيد وعلوم الألسنية، منشورات دار الكتاب اللبناني-بيروت ومكتبة المدرسة، ط1/1983.
191- ابن رشد: تلخيص كتاب النفس، تح: الفرد. ل. عبري، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة 1994.
192- شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: المستطاب في التجويد المسمى هداية القراء، تح: السيد يوسف أحمد،دار الكتب العلمية-بيروت، ط1/2008.
193- شوقي حمادة: معجم عجائب اللغة، دار صادر بيروت ط/2000.
تمام حسان:
194- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة المغرب 1986.
195- اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب ط3/1998.
196- الثعالبي أبو منصور: فقه اللغة وأسرار العربية، تح: يحيى مراد، مؤسسة المختار، ط1/2009.
197- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت، ط2/1989.
الخليل بن أحمد الفراهدي:
198- الخليل: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال-مصر، دون ذكر الطبعة وسنة النشر.
199- كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1/2003.
200- الخفاجي: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تح: محمد كشاش، ط1/1998، دار الكتب العلمية-لبنان.
201- غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار-الأردن، ط1/2004.

- **الرسائل الجامعية:**

202- أحمد عطية علو الجبوري: الخلاف الصوتي عند القدماء والمحدثين، رسالة دكتوراه اشرف عليها د/سالم قدوري حمد، كلية التربية- جامعة تكريت، 1424هـ/2004م.

203- وجدان عبد اللطيف موسى لشمايلية: الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير أشرف عليها عبد القادر مرعي الخليل، نوقشت في 2002، مخطوط بقسم اللغة العربية-جامعة مؤتة.

204- كفاح إبراهيم محمود نواس: ظاهرة الأصول المهملة في العربية وعللها، رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة النجاح الوطنية-فلسطين 2009، أشرف عليها أ.د يحيى عبد الرؤوف جبر وأ.د محمد جواد النوري.

205- لواتي فاطمة: الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية في المنطوق اللهجي العربي (سوريا- لبنان- تونس- الجزائر)، رسالة دكتوراه علوم، أشرف عليها أ.د غتيري سيدي محمد، مخطوط بقسم التاريخ جامعة بلقايد-تلمسان 2016.

206- محمد بن علي بن علي خيرات ذغرري: أثر مخرج الحرف وصفته في تصريف الكلمة، رسالة دكتوراه أشرف عليها سليمان بن إبراهيم العابد، نوقشت في 1998، مخطوطة بكلية اللغة العربية-جامعة أم القرى

207- نصيرة شيادي: المصطلح الصوتي عند ابن سينا، رسالة ماجستير في الصوتيات العربية، أشرف عليها المهدي بوروبة، نوقشت في 2010، مخطوطة في كلية الآداب واللغات-جامعة أبي بكر بلقايد.

208- سبط الخياط البغدادي أبو محمد عبد الله بن علي: كتاب المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي، رسالة دكتوراه، إعداد الطالبة وفاء عبد الله قزمار، إشراف الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، 1984-1985، مخطوطة بجامعة أم القرى.

209- عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر: المصلحات الصوتية في التُّرَاثِ اللُّغَويِّ عِنْدَ العَرَب (دراسة تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري), رسالة دكتوراه

أشرف عليها د/محمد العمري، نوقشت في 2004م، مخطوط بكلية اللغة العربية- جامعة أم القرى.

عبد الكريم بورنان:

210- الإبدال في اللغة العربية دراسة صوتية، رسالة ماجستير أشرف عليها عبد الباقي الخزرجي، نوقشت في 1988، مخطوط بجامعة باتنة.

211- غيث النفع في القراءات السبع دراسة و تحقيق، رسالة دكتوراه دولة، مخطوط بمصلحة الدوريات جامعة الجزائر.

212- تمام حسن صالح: دراسة سببية وإحصائية لالتهاب البلعوم المزمن، بحث علمي لنيل شهادة الدراسات العليا في أمراض الأذن والأنف والحنجرة وجراحتها، قسم أمراض الأذن والأنف والحنجرة، عام 2004-2005، اشرف عليها الدكتور يوسف يوسف.

- **المخطوطات:**

213- محمد بن نصر المصري: القول المألوف في معرفة بيان مخارج الحروف مخطوط بجامعة الملك سعود.

- **المجلات و الندوات:**

214- أعمال المؤتمر الدولي السابع ماي 2007، تحت عنوان: ابن دريد الأزدي أعلم الشعراء وأشعر العلماء، المجلد1، منشورات جامعة آل البيت 2011.

215- أشغال ندوة اللسانيات و اللغة العربية، تونس 13-19ديسمبر1978.

216- مجلة آداب الرافدين- عدد 58، 2010.

217- مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، عدد2/1416هـ-1995م.

218- مجلة الجامعة الإسلامية -سلسلة الدراسات الانسانية- مج12 عدد:2/يونيو2010.

219- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 76/ الجزء1.

220- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3 المجلد 60-1985م.

221- مجلة جامعة المدينة العالمية-ماليزيا، العدد الثاني، فيبراير 2012.

222- مجلة دراسات أدبية، عدد2/2008.

223- مجلة اللسان العربي، تدر عن مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي- الرباط، عدد35/1991.
224- مجلة جامعة دمشق-المجلد 24-عدد الثالث والرابع 2008.
225- مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 76 ربيع الأول 1420هـ الموافق تموز . يوليو 1999م . السنة: 19.
226- مجلة آفاق عربية السنة السابعة-عدد2/1982.
227- حوليات الجامعة التونسية، عدد 14 سنة 1977.
228- ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية- الرباط 1987.

- **المراجع الأجنبية:**

229- A. Belkhirat: précis de phonétique et de phonologie, dar el hadith lil-kitab 2003.
230- Claude Dubois et autre: pluridictionnaire Larousse, librairie Larousse 1977.
231- jau- jean Dubois et autres: dictionnaire de linguistique, librairie Larousse 1973.
232- Lucile Charliac et Annie-Claude Morton: phonétique progressive du français Edition : Martine Ollivier 2004.
233- Nina Catach, Daniel Duprez et Michel Legris: l'enseignement de l'orthographe , Editions Fernand Nathen 1980.
234- Siham chaouche-mazouni: Glossaire de biologie, Office des Publications Universitaire.
235- Ferdinand de Saussur : Cours de linguitique générale, édition critique préparée par Tullio de Mauro, 1972 édition Payot .

**الملخص**:

أثبت هذا البحث عن وجود فعلي لنظرية صوتية عربية، اقترح تسميتها بـ: "النظرية التسلسلية"، ورغم ما يمكن أن يعتور صياغته لهذه النظرية؛ من حيث ما يمكن أن يغفله من بعض جوانبها. إلا أنها استطاعت أن تفسر كل الظواهر الصوتية في اللغة العربية، إلا درجة أن علماء العرب المحدثون لازالوا يعتمدون على نظرية القدامى، من حيث إحياء مصطلحاتها، استعمال منهج تصنيفهم للوحدات الصوتية، وطريقة تعليلهم للظواهر الصوتية...الخ.

عالج هذا العمل النظرية التسلسلية، من حيث عناصر النظرية العلمية التالية؛ الفروض والمسلمات والمعايير والوسائل التطبيقية والقوانين والضوابط.

وضع العرب نظريتهم الخاصة بهم، دون أن يتأثروا بغيرهم من الأمم في المرحلة الجنينية، لقد أبدعوا نظرية تتوافق مع تراثهم العلمي ونظرتهم للكون وموقفهم الأخلاقي، فمصادر النظرية التسلسلية أصيلة؛ نهلت من القرآن الكريم وتراث العرب العلمي والأدبي لمرحلة ما قبل الإسلام، أما المؤثرات الدخيلة التي انتقلت عن طريق الترجمة، فقد استفاد منها علم الأصوات العربي بكل فروعه بعد عصر الترجمة (بعد سنة 250هـ).

**Le Résumé:**

Cette recherche a montre que l'existence d'une théorie phonologique Arabe est une réalité. Je propose de la dénommer «Théorie Séquentielle» Je pense que malgré que cette étude ne saurait la formuler de façon satisfaisante sur touts les points. elle explique tous les phénomènes phonologiques de la langue arabe, au point que les chercheurs contemporains du monde Arabe l'utilisent toujours : ressusciter ses termes, et utilise la méthode taxonomique des Anciens et leur analyse méticuleuse des phénomènes phonologiques.

Ce travail traite de la théorie séquentielle du point de vue des éléments de la théorie scientifique suivante : les hypothèses, les postulats, les normes, les outils de l'application, les lois et les caractéristiques disciplinaires.

Les premiers linguistes arabes, quand ils étaient encore au balbutiement, n'ont pas été influencé par les Grecs, les Romains et autres voisins, mais ont établit leur propre théorie qui est en accord avec leur héritage scientifique, leur vision du monde et leur opinion de la morale.

En effet, les sources de la théorie séquentielle sont d'origine Arabe, provenant du Saint-Coran et de l'héritage scientifique et littéraire des Arabes de la période préislamique.

En revanche, les facteurs non-arabes (=étrangers) qui influencèrent la langue Arabe à l'époque de la traduction (des grandes œuvres Grec, persannes et indienne), après 250 hidjri, ont été mis a profit dans la phonologie Arabe dans tous ses aspects durant l'époque qui suivit.

# فهرس

**مقدّمة** .....أ-ك

**مدخل: النظرية التسلسلية فرضياتها، مسلماتها، معاييرها، أدواتها التطبيقية**..... 2-58

**الفصل الأول: الصوتيات التشريحية عند قدامى الصوتيين العرب**..... 60-222

- المبحث الأول التكامل التشريحي الوظيفي للأصوات..... 61-66
- المبحث الثاني: أعضاء النطق ووظائفها اللغوية ..... 67-74
- المبحث الثالث: التقسيم الوظيفي لجهاز النطق وعلاقته بتصنيف الحروف..... 75-221

- خاتمة الفصل ..... 222

**الفصل الثاني: الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف في مدرسة الخليل**... 224-375

- المبحث الأول: مفاهيم أولية ..... 226-231
- المبحث الثاني: الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف ..... 232-295
- المبحث الثالث: صفات الحروف ..... 296-361
- نتائج الفصل ..... 361-375

**الفصل الثالث: الصوتيات التسلسلية وأثرها في تصنيف الحروف في مدرسة سيبويه**...377-535

- المبحث الأول: مفاهيم أولية ..... 378-384
- المبحث الثاني: التحديد الوظيفي لأجزاء جهاز النطق (الأعضاء الأساسية)... 385-480

- المبحث الثالث: التحديد الوظيفي لأجزاء جهاز النطق (الأعضاء المشاركة) .. 481-513

نتائج الفصل ..... 513-535

خاتمة وننتائج الدراسة ..... 537-541

قائمة المراجع ..... 543-560

الملخص..... 561